



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقِزْوَينِ

المجلد المئة والثلاثة



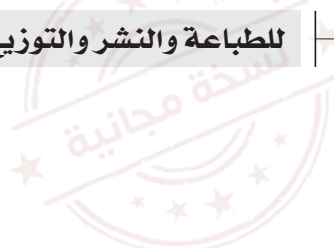
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

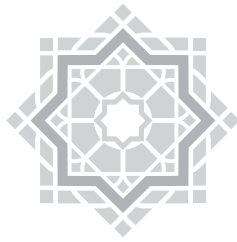
١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

دار الشَّامِية

للطباعة والنشر والتوزيع



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقُرْظِيَّائِي



الْجُورُ الثَّانِي عَشَرَ

الْمَخَاضَاتُ

١٩٦ كلمات الإمام القرظي





مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقُرْضَاوِيِّ

المحور الثاني عشر

المحاضرات

١٩٦

كلمات الإمام القرضاوي

٨

الإمام يوسف القرضاوي



من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ
قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾
[المائدة: ٣٢].

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾
[الأنبياء: ٩٢].

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾
[المؤمنون: ٥٢].

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظَرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].



من مشكاة النبوة الخاتمة

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من استعاذ بالله فأعيزوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له، حتى تعلموا أن قد كافأتموه». رواه أحمد وأبو داود.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً». وشبك أصابعه. متفق عليه.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كُرْبَةً، فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة». متفق عليه.

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي: الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر». رواه أحمد والترمذي.





أضواء على الاقتصاد الإسلامي^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحْيَيْكم به أيُّها الإخوة والأخوات تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنِّي لسعيد أن ألتقي بالإخوة هنا في البحرين الشقيقة، ولا أعتبر نفسي غريباً إذا تحدثت إلى الإخوة في البحرين، فأحس أنني معهم كما أنهم معي باستمرار، والحديث هذه الليلة عن موضوع من الموضوعات المهمة، المتعلقة بالاقتصاد الإسلامي.

(١) أُلقيت في ندوة المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق، التي أقامها نادي البحرين بالتعاون مع مصرف فيصل الإسلامي بالبحرين، في مارس ١٩٨٦م.

والإسلام لا يهمل جانب الاقتصاد، بل اهتم به اهتمامًا كبيرًا. ففي القرآن المكي نجد اهتمامًا بالغًا بالناحية الاقتصادية.

الاهتمام بالجانب الاقتصادي في القرآن الكريم:

انظر إلى سورة الفجر، وهي تخاطب المجتمع الجاهلي بقول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: ١٧ - ٢٠].

وبعدها تجد سورة البلد: ﴿ فَلَا أَفْئَحَمَ الْعُقَبَةَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ ۖ فَكَ رُقَبَةُ ۖ أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۖ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۖ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۖ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۖ ﴾ [البلد: ١١ - ١٧].

وفي سورة الليل تجد هذين الصنفين المتقابلين: الصنف الشحيح
الأناني الذي يعيش لنفسه، ويضن أن يبذل أي شيء لغيره، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
وَأَسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى * فَسَنِيرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾
[الليل: ٨ - ١١]. والصنف الآخر، ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١٨ - ٢١].

وهكذا لو بحثت في هذه السور القصيرة تجد اهتمامًا بالغًا بهذه
الناحية، ومن ذلك سورة الماعون: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّينِ *
فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلْيَتَهُ * وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ * فَوَيْلٌ
لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١ - ٧].

ولأول مرة تجد البشرية فرضية الحض على طعام المسكين، الإنسان
الضعيف الذي لا حول له ولا طول في المجتمع؛ يأتي القرآن فيفرض
إطعامه من ناحية، ويجعل ترك إطعامه من موجبات دخول النار، ﴿مَا
سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ *
[المدرثر: ٤٢ - ٤٤]، أضاعوا حق الله وحق الضعفاء من عباده.

فريضة الحض على إطعام المسكين:

ولكن القرآن لم يكتفِ بإيجاب إطعام المسكين، وإنما أوجب
الحض على إطعامه، أي إنَّ في عنق كل إنسان أن يقول للآخرين:
لا تنسوا المساكين، حضوا على إطعامهم. والإطعام كناية عن رعاية
الحاجات والضرورات المختلفة. وليس معنى أن تطعمه أن تتركه عاريًا
أو مشردًا أو مريضًا، لا بد أن ترعى حاجاته وضروراته، فيجعل من
علامات المكذب بالدين - بالحساب والجزاء - أنه لا يحض على طعام

المسكين، ورأينا القرآن يصف المجتمع الجاهلي ويقول: ﴿وَلَا تَخْضُوتَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٨]. كل واحد يعيش لنفسه فقط، ورأينا القرآن يجعل من موجبات النار: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿[الحاقة: ٣٣ - ٣٤].

مبادئ اقتصادية إسلامية:

من هنا جاء الإسلام من أول يوم بأمرين أساسيين:

الأمر الأول: إيجاب الزكاة، وهو يتعلق برعاية الفئات الضعيفة من المجتمع، الفئات المسحوقة التي لم يكن يهتم بها أحد، ولم تهتم هي بنفسها، لم يقم الفقراء بمسيرة ولا بمظاهرة ليطالبوا بحقوقهم، فما كانوا يشعرون أن لهم حقوقاً عند أصحاب الأموال، ولكن القرآن جاء فقرّر هذا الحق منذ فجر الإسلام.

ثم تبلورت هذه الحقوق في ذلك الحق المعلوم الذي هو الزكاة: العبادة الثانية في الإسلام، والدعامة الثالثة من دعائم الإسلام، بعد الشهادتين وإقامة الصلاة تأتي الزكاة، فليست مجرد إحسان أو مجرد تطوع يجود به الغني على الفقير، يقدم له شيئاً من ماله؛ فيقبل يده، ويدعو له بطول العمر! لا، وإنما جعلها الإسلام حقاً مفروضاً عليه أن يبذل هذا، فإذا لم يبذله طوعاً أخذ منه كرهاً، وإذا لم يبذله كرهاً يُحارب على ذلك بقوة السلاح.

الدولة الإسلامية هي أول دولة في التاريخ تجيش الجيوش، وتشن الحرب لتقاتل من أجل حقوق الفقراء، ولا يخفى على مسلم ما فعله الخليفة الأول؛ حينما جهّز أحد عشر لواءً تقاتل المرتدين ومانعي الزكاة، وهو الذي قال قوله الشهيرة: والله لو منعوني عناقاً، أي: عنزة صغيرة

- وفي رواية: عقلاً - كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه^(١). هذا هو الأمر الأول: إيجاب الزكاة.

والأمر الثاني: تحريم الربا، فقد كان الربا يمثل سلطة طاغية لأصحاب القدرة من الناس، الذين يستغلون الآخرين؛ فلا يُقرضون ولا يُمولون إلا إذا كان هناك ربا، فكان أصحاب الأموال يلد مالهم وهم قاعدون، عنده ألف درهم فيعطونها لآخرين وتأتي إليه هذه الألف بعد مدة ألفاً ومائتين، ثم ألفاً وثلاثمائة، وهكذا حسب ما كان في ذلك الوقت، كان الربا امتصاصاً من الأغنياء للفقراء.

جاء الإسلام فحرّم الربا: حرّم قليله كثيرة، جليّه وخفيّه، وسد الذرائع إليه، ولعن آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقال: «هم سواء». كما جاء في حديث مسلم، عن جابر رضي الله عنه^(٢)، لأنّ الإسلام إذا حرّم شيئاً حرم ما يُفضي إليه، وما يُعين عليه ليحاصره، فكما لعن في الخمر عشرة؛ كذلك لعن في الربا من يأكل الربا، ومن يؤكله، أي: من يأخذ الربا ومن يعطيه، ومن يكتب عقد الربا، ومن يشهد على هذا العقد؛ حتى لا يساهم فيه أحد من قريب أو من بعيد!

ولم يأت في معصية من المعاصي ما جاء في الربا في القرآن، وقد سمعتم الأخ الشيخ عبد اللطيف حينما قرأ تلك الآيات، وهي تحمل نذراً صارخة لأهل الربا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]. لم يأت هذا في الزنا ولا في شرب الخمر، وهذا دليل

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد (١٤٢٦٣).

على خطورة هذه الموبقة من الموبقات السبع، كما جاء في حديث الصحيحين المشهور^(١).

كان هذا الأمران - الزكاة من ناحية الفرض والإيجاب، والربا من ناحية النهي والتحريم - أساسًا في الاقتصاد الإسلامي.

تهاون المسلمين في هذه المبادئ الإسلامية:

جاءت علينا نحن المسلمين فترة من الزمن - للأسف - عطلنا الفرض وارتكبنا المحرم، عطلنا الزكاة وهي عبادة وفريضة وركن، وارتكبنا المحرم المتفق على تحريمه بالقرآن والسنة والإجماع، ودخل الربا حياة الناس كما جاء في الحديث: «يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، ومن لم يأكله أصابه من غباره»^(٢). غبار ودخان؛ لأن معظم الأشياء ملوثة بالربا، هذا ما وقع فعلاً بعد دخول الاستعمار إلى بلاد المسلمين.

حينما دخل الاستعمار إلى بلاد المسلمين غير تشريعاتها، وغير أنظمتها، وكان النظام الذي جاء به الاستعمار في الناحية الاقتصادية هو النظام الرأسمالي؛ فدخل النظام الرأسمالي بعُجره وبُجره. ومن صلب هذا النظام أمران أساسيان معروفان: الاحتكار، والربا، هذا ما حدث في حياتنا الإسلامية، عَطَلَت الزكاة، واستُحِلَّ الربا!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩) بلفظ: «اجتنبوا السبع الموبقات» وعدّها منها: «الربا». عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٠٤١٠)، وقال مُخَرَّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٣٣٣١)، والنسائي (٤٤٥٥)، كلاهما في البيوع، وابن ماجه في التجارات (٢٢٧٨)، والحاكم في البيوع (١١/٢)، وقال: قد اختلف أئمتنا في سماع الحسن عن أبي هريرة؛ فإن صح سماعه منه، فهذا حديث صحيح. وقال الذهبي: سماع الحسن من أبي هريرة بهذا صحيح.

وحدث ما هو أخطر من ذلك، يمكن أن يرتكب الناس الحرام، ولكن أخطر من ارتكاب الحرام أن يُستهان به، وأن يحاول بعض الناس أن يجعله قاعدة في الحياة، ولا يشعرون بأنه محرم، أو يحاولون إقناع غيرهم بأن هذا لا حُرمة فيه!

تطور الفكر الإسلامي المعاصر:

وقد مرَّ الفكر الإسلامي المعاصر بأطوار ومراحل:

المرحلة الأولى مرحلة الانبهار بهذه الحضارة:

مرحلة الهزيمة الكاملة أمام غزو الحضارة الغربية، كانت الحضارة الغربية في أوج انتصاراتها العسكرية والسياسية والعلمية، وكان المسلمون في قمة انهزامهم، على ما قاله ابن خلدون؛ من أنَّ المغلوب يُولع بتقليد الغالب.. وُجد هناك المقلدون الذين أرادوا أن نقلد الحضارة الغربية تقليدًا أعمى، وأن نحاكها محاكاة البيغاوات، أو نقلدها تقليد القروء، أو كما جاء في الحديث نأخذها «شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع»^(١).

وهذا ما عبر عنه أحد أعمدة الفكر والأدب في وقت من الأوقات بأنَّه: لا سبيل إلى النهضة والرقى؛ إلا أن نأخذ بالحضارة الغربية: خيرها وشرها، وحلوها ومرها، ما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب^(٢). كانت هذه هي المرحلة الأولى، أنَّه لا سبيل لنا إلا هذا، لسنا مختارين، لكي ننهض ونرتقي ونتقدم لا بد أن نقلد الحضارة الغربية بحذافيرها، وزعموا أنَّ الحضارة لا تتجزأ، لا بد أن نأخذها كلها!

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر لطفه حسين ص ٣٩، نشر دار المعرفة، ط ٢، ١٩٩٦م.

وطبعًا هذا مردود عليه، وليس المجال مجال مناقشته، إنَّما أحدثكم فقط عن لمحات تشير إلى تطور الأفكار.

المرحلة الثانية مرحلة التبرير:

ثم جاءت مرحلة أخرى هي مرحلة التبرير؛ فقالوا: لسنا ملزمين بأن نأخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها. ولكن كان هذا الطور لا زال في مرحلة الهزيمة؛ فحاول أن يلبس كثيرًا من أوضاع الحضارة الغربية عمامة إسلامية، حاول أن يجعل الخواجة شيخًا مُعَمَّمًا، حاول أن يعطي كثيرًا من الأوضاع المتنافية مع الإسلام سندًا شرعيًا، جاء أناس يريدون أن يفرخوا فتاوى معينة لتبرير كثير من الأشياء المحرمة، وإسقاط بعض الأشياء المفروضة، وكان هذا من أثر تلك الهزيمة.

وكان من الأشياء التي حدثت في مرحلة التبرير هذه: محاولة تبرير الربا الواقع في حياة الناس بتبريرات شتى، بعضهم قال: ليس هذا هو الربا الذي كان في الجاهلية، ربا الجاهلية كانت له صورة أخرى.

وبعضهم قال: الربا الذي كان في الجاهلية هو ما جاء في القرآن: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَعْضٌ مِّنْكُمْ يَكْفُلُ الْآخَرَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]. أمَّا إذا كان (٥٪) أو (٧٪) أو (١٠٪) فهذا ليس أضعافًا مضاعفة.

وبعضهم قال: إنَّنا الآن في مرحلة ضرورة، والضرورات تبيح المحظورات. إلى آخر ما قالوا، كلها محاولات تمثل الانهزام النفسي أمام هذه الحضارة الغازية.

مرحلة إثبات الذات:

ثم انتهت هذه المرحلة بمرحلة أخرى هي مرحلة إثبات الذات،



إثبات أن الإسلام له أصوله الخاصة، وله فلسفته المتميزة في الاقتصاد، وفي الاجتماع، وفي السياسة، وفي الفكر، وفي الأخلاق، وفي الثقافة وفي كل نواحي الحياة، هو نظام فريد لا يُلحق بنظام آخر، لا يجوز أن يُنسب إلى الرأسمالية ولا إلى الاشتراكية، قد يتفق مع هذه أو تلك في جزئية من الجزئيات، ولكنّه بمجموعه نظام متميز مستقل، ومن هنا ينبغي أن نجعل لهذا النظام ذاتيته وشخصيته المستقلة.

وبدأ يكتب الكاتبون عن النظام الإسلامي من نواحٍ شتّى، ومنها الناحية الاقتصادية، منهم من كتب عن الزكاة، ومنهم من كتب عن الربا، ومنهم من كتب عن الإنتاج، ومنهم من كتب عن التوزيع والتداول، ومنهم من كتب عن الاستهلاك، ومنهم من كتب عن نظريات مختلفة تتصل بالاقتصاد الإسلامي.

اهتمام الكتابات الاقتصادية بقضية الربا:

وكان الربا بالذات من الأشياء التي ركّز عليها كثيرون، ولم يكتبوا عنه من الناحية الدينية فقط، من ناحية حرمة، ولكن حتى من الناحية الاقتصادية، ومن الناحية الاجتماعية، ومن الناحية السياسية، وأن وراءه الشر كل الشر من كل النواحي، وأنه خطر على اقتصاد العالم، وعلى أخلاقياته، وعلى سياساته، وعلى سلامه، وهذا ما شارك فيه مفكرون غربيون، حتى إن كثيراً من الغربيين أنفسهم حذروا من الربا وخطره على العالم في المستقبل.

المهم أننا دخلنا في مرحلة جديدة أن الفوائد الربوية حرام، وبدأ هذا يظهر في مؤتمرات إسلامية، وفي مجامع إسلامية: أفتت بالإجماع بأن هذه الفوائد هي الربا المحرم، أفتى بذلك مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر، وأفتت بذلك هيئة كبار العلماء بالسعودية، وأفتى بذلك وأجمع المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي في مكة المكرمة، ومؤتمر الفقه الإسلامي في الرياض، ومؤتمر الدعوة الإسلامية في المدينة، وندوة التشريع الإسلامي في ليبيا، ومؤتمرات المصارف الإسلامية في دبي وفي الكويت وفي غيرها، مجامع وندوات ومؤتمرات متخصصة.. كلها أجمعت على أنّ الفوائد البنكية هذه هي الربا المحرم.

رجال الاقتصاد أشد حماساً من رجال الفقه:

وأذكر حتى ونحن في المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي - الذي انعقد تحت مظلة جامعة الملك عبد العزيز - كان رجال الاقتصاد أشد حماساً من رجال الفقه في تحريم الفوائد وهذه الأمور. وفي مؤتمر الفقه كان رجال القانون أشد حماساً من رجال الشريعة، وهذا تغير، وحتى قال لي أحد الصحفيين المهتمين بهذه الأمور - الأستاذ فهمي هويدي، وكان حاضراً مؤتمر الاقتصاد الأول - قال لي: يا أخي لقد لاحظت تغيراً كبيراً، كنت من سنوات في كوالالمبور في مؤتمر خاص بالنواحي الاقتصادية، وكان الحاضرون قد انقسموا قسمين: قسم يحرم الفوائد ويقول: إنّها الربا الحرام. وقسم آخر يحاول أن يجد لها سنداً من الفقه. يقول: في هذه المرة لم أجد من يشير هذه القضية إطلاقاً. وهذا دليل على أنّ الفكر تتطور.

مرحلة إيجاد البدائل النظرية:

ثم بدأت مرحلة أخرى، وهي مرحلة إيجاد البدائل النظرية، إذا كان الربا محرماً والفوائد محرمة فما العمل؟ لا بد من إيجاد بدائل، ووُجدت هذه البدائل على الورق في أول الأمر، كتب أناس أنّه يمكن إيجاد بدائل

إسلامية، كتب الأستاذ محمود أبو السعود من حوالي ثلاثين سنة تقريباً دراسة بعنوان (هل يمكن إنشاء بيت مال إسلامي؟).

انظروا هو يناقش إمكانية ذلك؛ لأنّ الاقتصاديين الدارسين للاقتصاد الوضعي وخريجي الجامعات الغربية في أوروبا وأمريكا.. كلهم كانوا يُجمعون يقولون: لا تأملوا في أن يقوم اقتصاد إسلامي، لأنّه لا اقتصاد بلا بنوك، ولا بنوك بغير فوائد. فكان الاقتصاديون الإسلاميون يقولون: يا ناس هذا ممكن، لماذا لا يمكن؟ وكتب هذا الدكتور محمد عزيز من باكستان، والدكتور إقبال قرشي، وكتب الأستاذ أبو الأعلى المودودي كتابه عن الربا، وكتب كثيرون حول إمكانية إنشاء بنك إسلامي.

مرحلة إيجاد البدائل الواقعية:

ثم جاءت مرحلة جديدة هي مرحلة ظهور البدائل على مسرح الحياة بالفعل، فقام أول بنك إسلامي على استحياء في أول الأمر في دبي (بنك دبي الإسلامي)، ثم قام أكثر من بنك إسلامي: بنك فيصل الإسلامي في مصر، وفي الخرطوم، وبيت التمويل الكويتي، وبنك البحرين الإسلامي هنا، وبنك الأردن، وعدد من البنوك، قال لي أحد المطلعين على هذا الأمر: إنّ البنوك الإسلامية والمؤسسات التي تعمل في هذا الجانب بلغت الآن ثلاثة وتسعين.

هكذا أيّها الإخوة نرى أنّ الفكرة التي كانت تُعتبر في أول الأمر مستحيلة قد أصبحت الآن واقعاً، وبدأت تمارس نشاطها والحمد لله، وتكتسب ثقة المسلمين، ووجد المسلمون فيها تجسيدا لما يشعرون به؛ لأنّ الفكرة من أين جاءت؟ من أنّ المسلم يشعر بالإثم وبالخرج، من التوتر والقلق الناشئ من التناقض بين العقيدة التي يؤمن بها، والواقع



الذي يعيشه، فكان لا بد من عمل شيء يُخرج المسلم من هذا التوتر، فكانت هذه البنوك الخالية من الربا والمعاملات المحظورة، وقامت في أكثر من مكان.

ولا أزعـم أن هذه البنوك سدت كل الحاجات، لأنّها لا زالت قطرة في بحر بالنسبة للبنوك الربوية.

في البحرين الآن ثلاثة بنوك إسلامية على ما أعلم، ولكن فيها أكثر من مائة وخمسين بنكاً ربوياً، فلا زالت هذه البنوك في حاجة إلى أن تمتد وتتسع وتقوى، وهذا ما نرجوه إن شاء الله.

أعتقد أنني أخذت كثيراً من الوقت، فأكتفي بهذا القدر لأدع الحديث لإخواني أيضاً، وشكر الله لكم.

* * *



وداع الشهيد عبد الله عزّام^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ أيام فقدت الأمة الإسلامية رجلاً من رجالها والرجال قليل،
فقدت عالماً من أعز علمائها، وداعية من أكرم دعائها، فقدت رجلاً جمع
إلى العلم العمل، وإلى العمل الإخلاص! وقليل من الناس الذين يعلمون
فيعملون، ويعملون فيخلصون، فقدت رجلاً جمع العلم والجهاد معاً،
كان رب السيف والقلم، فقدت الأمة هذا الشهيد الكريم على أيد آثمة
غادرة، دبّرت اغتياله بخسة ونذالة؛ فكان أن لقي مصرعه هو وابنانه من
أبنائه في وقت واحد.

ذلكم العالم العامل المجاهد الداعية إلى الله هو الأخ الحبيب الداعية
الشيخ الدكتور عبد الله عزّام، الرجل الذي نذر نفسه منذ فجر شبابه
ليدعو إلى الإسلام، وليكون صوت الجهاد الداوي في كل مكان!

الجهاد في فلسطين وأفغانستان:

جاهد بنفسه في فلسطين بعد نكبة ١٩٦٧م، وحينما بدأ الجهاد في
أفغانستان ذهب إلى هناك، وكّرّس حياته، ونذر عمره لخدمة الجهاد،

(١) توفي ٢٤ ربيع الآخر ١٤١٠هـ - ٢٤ نوفمبر ١٩٨٩م.

وكان ينتقل في كل مكان يُحرّض المؤمنين على القتال، ويدعو الناس إلى تأييد هذا الجهاد الإسلامي العظيم بالنفس والمال.

لم يقل ذلك بلسانه فقط، ولكنه شارك في القتال، وشارك في الجهاد، وعاش هناك مع أولئك المجاهدين الأبطال: لبس لبوسهم، وتزيّا بزيهم، وعاش عيشتهم! كان يمكن أن يعيش - كما يعيش آخرون - في بحبوحة من النعيم، وأن يبعد عن مواطن الخطر، ولكنه رضي لنفسه أن يعيش حياة المجاهدين، حياة الأبطال الذين باعوا أنفسهم، وباعوا كل ما يملكون لله وعجل.

نموذج يذكرنا بالسلف الصالح:

كان عبد الله عزّام أحد أولئك العلماء الذين ذكرونا بالسلف الصالح رضوان الله عليهم، ما رأيته إلا ورأيت دم الشهادة يترقرق في وجهه، رجل نذر نفسه لله، وقلمًا تجد من نذر نفسه لله، وعاش لهذا الدين خالصًا مخلصًا!

إنك تجد الكثيرين يتكلمون، ولكن أين من كثرة المتكلمين الذين يعملون؟ وقد تجد الذين يعملون، ولكن أين منهم الذين يخلصون؟ قد تجد الذين يخلصون، ولكن أين الذين يجاهدون؟

كان هذا الرجل بقية من بقايا السلف الصالح في هذا العصر، أبى إلا أن يعيش في أرض أفغانستان، وإلا أن يشارك المجاهدين، وأن يكون مددًا لهم في كل ناحية من النواحي، يكتب عن الشهداء! كلما استشهد شهيد من أبناء العرب كتب عنه، وتحدث عنه حديث من رأى ولمس وعایش، ثم هو شاء الله له أن يلقي الشهادة آخرًا، وكان هذا ما تمناه، وكان هذا ما دعا الله أن يختم به حياته.

فضل الشهادة ومكانة الشهداء:

وليس هناك أفضل من الشهادة في سبيل الله، هل هناك منصب أعلى أو منزلة أسمى من الشهادة في سبيل الله؟ سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو ربه ويقول: اللهم آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين. فقال النبي ﷺ وقد سمع هذا الدعاء: «إذن يُعقر جوادك، ويُهرق دمك»^(١).

أفضل ما يؤتي الإنسان من الله ﷻ، وأفضل ما يطلبه ويحرص عليه: الشهادة، «إذن يُعقر جوادك ويُهرق دمك»، أي إنه يفقد النفس والمال معاً، وهنا السيارة نُسفت، وليس هذا فقط، بل فقد معه اثنان من أبنائه رَحِمَهُمُ اللَّهُ ورضي عنه وعنهم.

حاجة المسلمين إلى علماء ربانيين:

ما أحوجنا إلى العالم القدوة! ما أحوجنا إلى الداعية الأسوة! ما أحوجنا إلى الإنسان الذي يعيش لله ﷻ، إنَّ الإسلام يتعرض إلى مؤامرة كبيرة من العالم كله، من الشرق والغرب، من الصليبية والشيوعية والصهيونية والوثنية والعلمانية، كل القوى تتآمر على هذا الدين، وصدق الله العظيم؛ إذ يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]. وكما قال فقهاؤنا: الكفر كله ملة واحدة. لكننا نحن المسلمين نستطيع أن نصمد؛ لأنَّ معنا الحق، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! معنا المنهاج الذي تحتاج إليه الدنيا كلها معنا النور الذي تفتقد إليه البشرية في

(١) رواه البزار (١١١٣)، وأبو يعلى (٧٦٩)، وابن خزيمة في الصلاة (٤٥٣)، والحاكم في الإمامة وصلاة الجماعة (٢٠٧/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥٢٥): رواه أبو يعلى والبزار بإسنادين وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح خلا محمد بن مسلم بن عائذ وهو ثقة. عن سعد بن أبي وقاص.

عصر الظلمات! ولكننا في حاجة إلى دعاة، إلى علماء يربطون الناس بالله، ويحشدونهم ألوفاً ألوفاً في ساحة الإسلام، نحن في حاجة إلى هؤلاء.

كان الشيخ عبد الله عزّام من هؤلاء العلماء الدعاة، قد كنت أختلف معه في بعض الآراء وفي بعض الأحكام، ولكل وجهة، ولكن هذا لم يكن يقلل من وُدِّي له وحبِّي له، وإعزازي إياه ذرة واحد، فمن شأن الناس أن يختلفوا في الآراء الاجتهادية والفقهية، ولكن المهم وضوح الغاية، واستنارة الطريق، والإخلاص لهذا الدين العظيم، هذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به؛ فلا بد أن نعمل له.

العمل لنصرة الإسلام:

إذا كان اليهود قد عملوا لدينهم، وأقاموا له دولة في قلب ديارنا، وإذا كان النصارى يعملون لدينهم وينشرونه في العالم، حتى إن من أهدافهم تنصير المسلمين في العالم كله! وإذا كانت الشيوعية تعمل وتحاربنا في أفغانستان، وإذا كانت الوثنية تعمل لغاياتها؛ أفلا يجب علينا نحن المسلمين أن نعمل من ديننا، والذود عن حرماننا، والدفاع عن ديارنا بالنفس والنفيس والغالي والرخيص؟

شهادتنا له بالصلاح والصدق:

لقد لقي عبد الله عزّام ربه شهيداً، راضياً مرضياً إن شاء الله؛ فإن ألسنة الخلق أقلام الحق، والنبى ﷺ قال: «أنتم شهداء الله في الأرض»^(١). ونحن نشهد له أننا ما علمنا عنه إلا خيراً، ما علمنا عنه إلا الصدق والإخلاص والقوة في دين الله ﷻ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩)، كلاهما في الجنائز، عن أنس.



لقي ربه شهيداً فعلينا أن نسير في الخط الذي كان يدعو إليه، أن ندعم الجهاد ونؤيده؛ حتى تكون كلمة الله هي العليا، وتكون كلمة الذين كفروا هي السفلى، ولا بد أن تعلو راية الإسلام، وينتصر هذا الدين، ولكنه لا ينتصر إلا بأهله، كذلك جرت سنة الله وَعَجَّلَ، ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِصَبْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ * وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].





لقاء وحوار بندوة «الاثنينية»^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيّدنا وإمامنا وأسوتنا، وحبيبنا مُحَمَّدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحْيَيْكم به أيُّها الأخوة الأُحِبَّة تحيَّة الإسلام، وتحية الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولا يَسْغُنِي إِلَّا أن أُزْجِي خالص الشكر وعميقه إلى أخي الكريم وصديقي الحبيب، سعادة الأخ الشيخ عبد المقصود خوجة، على أن أتاح لي هذا اللقاء الذي طالما تشوقت إليه، أو شوقني هو إليه، هذه (الاثنينية)، هذه السُّنَّة الحميدة المباركة، سُنَّة اللقاء على العلم والفكر والأدب، في عالم لم يعد يلتقي إلا على موائد البطون، أو على توافه

(١) أُلقيت في حفل تكريمي بندوة الاثنينية، التي يراها الأستاذ الكبير عبد المقصود خوجة، في مدينة جدة، بالسعودية، بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٤١٤هـ - الموافق ١١ أكتوبر ١٩٩٣م.

الأفكار أو الأعمال، وقلّما يلتقون على علم نافع، أو عمل صالح؛ فهذه (الاثنيّية) سنّة حميدة، له أجرها وأجر من انتفع بها إن شاء الله.

وأشارك أخي الشيخ عبد المقصود، والإخوة الذين تحدّثوا عن الأحبة الذين فارقونا، ممّن كانوا شركاء في هذه الندوة، أو ضيوفًا عليها، وخصوصًا الأخ الشيخ عبد العزيز الرفاعي، الذي تعرفت عليه، ليس في (الاثنيّيات)، ولكن في ندوات خاصّة؛ دعانا إليها سعادة الأخ عبد المقصود، نسأل الله تعالى أن يتغمده - ويتغمّد الراحلين جميعًا - برحمته، وأن يحشرهم مع النبيّين والصّديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

موقفي من المدح والثناء:

ما سمعته منكم أيّها الأخوة الأحبة، من مديح وثناء على شخصي الضعيف، إنّما هو لأنكم نظرتُم إليّ بعين الرضا، وقد قال إمامنا الشافعي قديمًا:

وعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا^(١)

فهم نظروا إليّ بعين الرضا من ناحية.

ومن ناحية أخرى هم لم يعرفوا مِنِّي إلّا الظاهر، وهذا الظاهر جمّله الله ﷻ، ومن هنا كان فضل الله على الإنسان عظيمًا: أن يُجمّل ظاهره للناس، ويُخفي عنهم حقيقة باطنه، ولهذا كان الصحابة إذا أُثني عليهم في وجوههم، يقول أحدهم: اللهم لا تُؤاخذني بما يقولون، واجعلني

(١) البيت لعبد الله بن معاوية، كما في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ٣٢٧، تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، ط ١، ١٩٦٥م.

خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون^(١). وأنا أدعو الله بهذا، أن يغفر لي ما لا يعلم الإخوة الأحبة الفضلاء، وكلهم أعلام، وهذا ما أعتز به حقيقة، وأعتبر كل كلمة من هذه الكلمات وسامًا على صدري، ونعمة من الله تبارك وتعالى، يجب أن أقابلها بالشكر.

وإن كان هذا المديح لا يخدعني في الحقيقة عن نفسي، فالأمر كما قال ابن عطاء الله السكندري في حكمه في هذه الكلمات الجميلة الجليلة: من أكرمك فإنَّما أكرم فيك جميل ستره **وَعَجَلْ**، فالفضل لمن أكرمك وستره، ليس الفضل لمن مدحك وشكره؛ الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكُن أنت دائمًا لنفسك لما تعلمه منها؛ العاقل لا يترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس^(٢). فأنا أعرف يقين ما عندي، وأتمثل دائمًا بقول ذلك الشاعر الصالح، الذي مدحه مَنْ مدحه، وأثنى عليه مَنْ أثنى، فقال مناجيًا ربه:

يظنون بي خيرًا وما بي من خيرٍ ولكنني عبدٌ ظلومٌ كما تدري
سترت عيوبي كلَّها عن عيونهم وألبستني ثوبًا جميلًا من السَّترِ
فصاروا يُحبُّونني وما أنا بالذي يُحبُّ ولكن شَبَّهوني بالغيرِ
فلا تفضحنِّي في القيامةِ بينهم وكُن لي يا مولاي في موقفِ الحشرِ^(٣)
فأسأل الله الذي سترنا في الدنيا أن يسترنا في الآخرة.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٨٥٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٦١)، وصحَّح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٨٩)، عن عدي بن أرطاة.

(٢) حكم ابن عطاء الله شرح العارف بالله الشيخ زروق ص ٢٧٩ - ٢٨١، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر مطبعة دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(٣) ذكرها ابن الحاج غير منسوبة في المدخل (٢٠٣/٣)، نشر دار التراث.

ولأبي العتاهية بعض الأبيات يقول فيها:

أَحْسَنَ اللَّهُ بَنَّا أَنَّ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمَسْتُورُ مِنَّا بَيْنَ جَنْبَيْهِ فُضُوحُ^(١)

فمن فضل الله أَنَّ الخطايا ليس لها رائحة تفوح؛ ولذلك فنحن نحمد الله على السُّتْرِ، ونحمد الله على حب أفاضل الناس؛ وهذا الحب اعتبره من أعظم نعم الله تعالى، التي لا أستطيع أن أقوم ببعض شكرها، وأقول ما قال ذلك الرجل الصالح:

لَكَ الْحَمْدُ مَوْلَانَا عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ وَمِنْ جُمْلَةِ النِّعَمَاءِ قَوْلِي: لَكَ الْحَمْدُ^(٢)

من دواعي السرور بالاثنيّة:

يا أيُّها الأخوة؛ سرّني في هذه (الاثنيّة) أَنَّهَا تُعْنَى بتكريم أهل العلم، وأهل الفكر، وأهل الأدب، على اختلاف تخصصاتهم وتنوعاتهم، وهذا أمر مهم لسببين:

(١) تكريم الإسلاميين:

أَوَّلًا: أَنَّ الإسلاميين أصحاب الاتجاه الإسلامي أشحاء للأسف في تقدير بعضهم لبعض، مع أَنَّ الماركسيين والشيوعيين والعلمانيين وغير الدينيين، يحاولون أن يُضَخِّم بعضهم بعضًا، يحاولون أن يجعل كل واحد منهم صاحبه قمة في العلم أو في الأدب؛ إذا كان شاعرًا، يقولون عنه قبل أن يقول القصيدة: إِنَّه الآن في حالة مخاض لقصيدة. وبعد أن تأتي القصيدة يتحدث المتحدثون، وتكتب عنها المجلات.

(١) ديوان أبي العتاهية ص ١١٦، نشر دار بيروت، ١٩٨٦م.

(٢) من شعر محمود الوراق، كما في الفاضل للمبرد ص ٩٥، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة،

ط ٣، ١٤٢١هـ.

وكم بيننا في الساحة الإسلامية من أدباء وشعراء وكُتّاب، لا يعرف الناس عنهم شيئاً، لا يتحدث الناس عنهم شيئاً؛ أولئك كما قال القائل: **وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ يُزَيِّنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لِيَدْفَعُ مُعَوَّرٌ عَنْ مُعَوَّرٍ^(١)** هؤلاء المُعَوَّرُونَ يُزَيِّنُ بعضهم بعضاً، وقلّما يفعل ذلك الإسلاميون للأسف.

من أجل هذا كانت هذه السُّنَّة الحميدة، المعطية للناس بعض حقوقهم، أمر يُحمد عليه أخي الحبيب الشيخ عبد المقصود وإخوانه.

(٢) مقاومة الهدم بالبناء:

ثانياً: أنّ هذه الساحة، وهذه الندوة، وهذه الجامعة الشعبىة، تردّ على اتجاه سلبي هدام، للأسف أرى مظاهره الآن تتنوع؛ هناك أناس من أمتنا مُولعون بالهدم لا بالبناء، لم يَسْلَم من لسانهم ولا من قلمهم أحد، جرّحوا المتقدمين، وجرّحوا المتأخرين، وجرّحوا المعاصرين.

عرضت عليّ بعض الكتب في هذه الزيارة، فوالله لقد تقطّع قلبي حشرات، وذرفت عيني عبرات لما أرى؛ ما هذا؟ أليس لنا عمل إلا الهدم؛ ألا نبني لبنة على لبنة؟ رأيت مَنْ لم يدع أحداً، لا النووي، ولا العسقلاني، ولا الجويني، ولا الغزالي، ومن عهد جمال الدين، ومحمد عبده، إلى رشيد رضا، وفريد وجدي، والمودودي، إلى الندوي والغزالي، والقرضاوي، ما تُرك أحد أبداً، ما ذُكر لأحد حسنة! وهذا خطر على هذه الأمة.

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي ص ٣٩٧، تحقيق محمد حسن آل ياسين، نشر دار ومكتبة الهلال،

بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.



ومن هنا كانت مثل هذه الندوات، التي تحاول أن تواجه مثل هذا السيل في الهدم إلى شيء بناء إيجابي، ما قيمة سب الناس وشتمهم؟ ركب بعض الناس مع النبي ﷺ، وعثرت دابته، فقال: تعس الشيطان. فقال: «لا تقل: تعس الشيطان. فإنك إذا قلت: تعس الشيطان. تضخم وانتفخ، حتى يصير مثل الجبل؛ ولكنك إذا قلت: باسم الله. تضاعل وتصاغر حتى يصير مثل الذباب»^(١). حتى الشيطان، لا تقل: تعس الشيطان. وفي حديث آخر قال ﷺ: «لا تسبوا الشيطان، وتعوذوا بالله من شره»^(٢). السبُّ عمل سلبي، فلماذا تنشغل أمتنا بسب العلماء، وبسب الأقدمين والمُحدثين، والمعاصرين؟ نحن في حاجة إلى أن نبني.

ولذلك أنا سعيد حقيقة بهذا اللقاء، وبهذه النُخبة الطيبة، التي اجتمعت في هذه الأمسية الكريمة، وأسأل الله ﷻ أن يجعل اجتماعها هذا اجتماعاً على طاعة الله ﷻ، وأن يجعل هذه الليلة في ميزان حسنات الجميع، ميزان درجاتهم وقبولهم عند الله ﷻ، وأكتفي بهذا القدر، لأتيح الفرصة للأسئلة والحوار، عسى أن يكون من وراء ذلك بعض النفع إن شاء الله، شكر الله لكم، وجزاكم خيراً.

* * *

(١) رواه أحمد (٢٠٥٩١)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٤٩٨٢)، والحاكم (٢٩٢/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، كلاهما في الأدب، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٨١٩)، عن رديف النبي ﷺ.

(٢) رواه أبو طاهر في المخلصيات (١٥٧٢)، وتمام الرازي في الفوائد (٧٧٨)، ورجّح الدارقطني في العلل (١٩٣٦) الموقوف. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٨)، عن أبي هريرة.

إجاباتي عن أسئلة الجمهور

مصطلح الأصولية:

السؤال الأول: من الدكتور غازي زين عوض الله يقول: ما رأيكم في استخدام المصطلح السياسي، الذي يطلقه الغرب في كلمة أصولية، أو ما يسمونهم بالأصوليين الإسلاميين؟

الجواب: شكرًا للأخ الأستاذ غازي. الغرب يخترع لنا كل يوم مصطلحًا جديدًا، فأحيانًا يسمي الذين يدعون إلى الإسلام المتطرفين؛ وأحيانًا يسميهم المتشددين، وفي وقت من الأوقات كانوا يُسمون الرجعيين، والآن يقولون: إنهم الأصوليون.

أولاً: كلمة الأصولية نفسها ليست كلمة مذمومة في النطاق الإسلامي، لأنَّ أصولية نسبة إلى الأصول، سواء كانت الأصول أصول الدين، أو أصول الفقه، أو أصول العلم، أو أصول السلوك، فالأصول مطلوبة، وعلماءنا قديمًا قالوا: ما حُرِّم الناس الوصول إلا بتضييعهم الأصول.

ولذلك نحن ندعو الناس إلى الأصول، ومن أساسيات الدعوة التي أدعو إليها فيما أسميه تيار الوسطية الإسلامية: الاهتمام بالأصول قبل الفروع، والكليات قبل الجزئيات، والمتفق عليه قبل المختلف فيه؛ هذا ما أدعو إليه؛ فكلمة أصولي لا تخيف.

الكلمة في الغرب لها معنى معين، فحاول البعض هنا أن ينقلها بظلالها إلى هذا المعنى، فالكلمة من حيث هي ليست مذمومة، لكن الذي يهمننا هو ما وراء هذه الكلمة؛ ماذا تعني؟ أنا لا يهمني أن يسموننا

رجعيين، أو متطرفين، أو متشددين، لا يهمني هذا؛ وقديماً حينما دافع الإمام الشافعي عن آل البيت قالوا عنه: إنه رافضي. فقال الإمام الشافعي: **إِنْ كَانَ رَفُضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي^(١)** العبرة إذن بالمسميات والمضامين، لا بالأسماء والعناوين.

كنت ذات مرّة مع بعض السفراء، وكنا نتحدّث عن الأصوليّة، فقال لي: أنت في هذه الحالة تُعتبر أصوليّاً. فقلت: نعم أنا أصوليّ، وابن أصوليّ، بل أنا شيخ الأصوليّين؛ إذا كانت الأصوليّة هي الدعوة إلى الكتاب والسنة، والعودة إلى الجذور، والعودة إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة، من حسن فهم للإسلام، وحسن تطبيق له، والله إن كانت هذه هي الأصولية، فيا رب أحييني أصوليّاً، وأمتني أصوليّاً، واحشرنني في زمرة الأصوليّين.

فوائد البنوك:

السؤال الثاني: من الأستاذ أمين عبد السلام الوصابي - وللاستاذ عبد الله عبد الواحد سؤال بالمعنى نفسه - يقول: ما رأيكم في اللّغط الذي يدور حول البنوك الإسلاميّة، ففي هذه الأيام كثر الكلام عن التعامل مع البنوك الأهلية، والفوائد التي تُعطى مقابل المبالغ التي يضعها الكثير من الأفراد في هذا البنوك، مقابل الاستفادة منها، الكثير يحرم هذا التعامل ويعتبره تعاملًا ربويًا، فما رأيكم؟

الجواب: أمّا موضوع الفوائد التي تعطى للبنوك التقليديّة، فقد أجمعت المجامع الإسلاميّة الفقهيّة العلميّة، منذ مجمع البحوث

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (٧١/٢)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر دار التراث، القاهرة، ط١،

الإسلامية في أوائل الستينيات، في عهد الشيخ محمود شلتوت رَحِمَهُ اللهُ، إلى المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، إلى مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الذي يتولى أمانته العامة، ويديره شيخنا وحبينا الأستاذ الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، إلى مؤتمرات الاقتصاد الإسلامي، ومنها: المؤتمر الإسلامي العالمي الأول الذي انعقد في مكة المكرمة، تحت رعاية جامعة الملك عبد العزيز، عندما كانت تشمل جدة ومكة في ذلك الوقت، إلى مؤتمرات المصارف الإسلامية المختلفة، كل هذه المجامع والمؤتمرات قررت أن فوائد البنوك هي الربا الحرام.

وفي الواقع كنا نظن أن هذا الملف قد أُغلق، وهذه مشكلة من مشاكل أمتنا، أننا لا نكاد نغلق ملفاً، هذا أمر أثير في أوائل هذا القرن، ثارت أشياء وشبهات حول موضوع الربا، ومحاولة لِي آيات القرآن لِيًا، وثني عنانها لتؤيد الربا؛ مثل ما حدث مع آيات سورة آل عمران: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، ومحاولة التفريق بين ربا الاستهلاك وربي الإنتاج، ودعوى الضرورة، والقول: إن ربا العصر غير ربا الجاهلية. وهذه الشبهات رُدَّ عليها، وكُتِبَتْ فيها كتبٌ من رجال الشريعة، ومن رجال الاقتصاد.

وليس هذا فقط، بل بدأنا في الخطوة العملية، وأنشئت بالفعل بنوك على غير أساس للفوائد الربويّة، وكان الاقتصاديون يقولون: هذا مستحيل. فإذا المستحيل يتحقق!

كنا نظنُّ أن هذا الملف قد أُغلق، ولكننا للأسف لا نغلق ملفاً، فالقضايا تعود جذعة من جديد، وتشبُّ الحرب من جديد، لنبدأ من



الصفرة مرة أخرى؛ كأنما كُتِبَ علينا أن نظل كما يقول المثل: كالحمار في الرَّحَى، أو الثَّور في الطَّاحون؛ يدور ويدور، والمكان الَّذِي انتهى إليه هو الَّذِي ابتداءً منه، حلقة مفرغة، هذه هي المشكلة، فهذا الموضوع انتهى منه نظريًا وعمليًا بقيام البنوك الإسلامية.

وأنا كتبت كتابًا في الرد على ما أثاره أخونا الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي مصر، وكان صديقًا لي وزميلي، ولكن ليست في الحق صداقة وزمالة، وأنا رددت عليه ردودًا علمية، وضمنتها كتابًا سمَّيته (فوائد البنوك هي الربا الحرام).

أمَّا البنوك الإسلامية، فلا شكَّ أنَّ هذه البنوك هي محاولة جيدة لتكون بديلًا عن البنوك التقليدية، التي تقوم على أساس الفوائد الربوية، وهذا أمر نوقن به أيها الإخوة، أنَّه لا يوجد حرام يُضطرُّ الناس إليه، فالله لا يُحرِّم على الناس شيئًا يحتاجون إليه، وإذا حرَّم شيئًا عليهم، فلا بد أن يكون في الحلال ما يُغني عن الحرام، وإلا تكون هذه الشريعة عابثة، أو جاءت بالإعنات للناس، والله لم يعنت الناس، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالبنوك الإسلامية بديل عن البنوك التقليدية.

ولكن هذا لا يعني أنَّ البنوك الإسلامية مُبرَّأة تمامًا من العيب، لا؛ بل أحيانًا يحدث سوء الفهم، ويحدث سوء التطبيق، لأنَّ العنصر البشري مهم، وكثير من العناصر التي جاءت للبنوك الإسلامية جاءت من بنوك ربوية؛ لأنَّه ليست عندنا كوادِر مدربة، وفقهاؤنا يقولون للشباب المسلم المتدين: إياك أن تشتغل في البنك الربوي وسيلعنك الله. لهذا لا يعمل المتدينون في البنوك الربوية، وعندما نؤسس بنكًا إسلاميًا: لا نجد

عنصرًا يجمع بين الحماس للفكرة الإسلامية، والدُّربة المصرفية؛ ولذلك ابتليت البنوك الإسلامية بعناصر لا تفهم المعاملات الإسلامية؛ ف وقعت في أخطاء.

ولكن هذا لا يعني أنَّ البنوك الإسلامية كلها أخطاء، قال لي بعض الناس: يا أخي؛ يحدث كذا. قلت له: لنفترض أنَّ في البنوك الإسلامية أخطاءً أو مخالفات بنسبة ثلاثين في المائة (٣٠٪)، فهناك سبعون بالمائة (٧٠٪) مع الإسلام، وهذا أفضل من أن تعمل بعيدًا عن الإسلام بنسبة مائة في المائة (١٠٠٪)، فالبنوك الإسلامية خطوة جيدة على الطريق، لتخلص من آثار الاستعمار الغربي، ونحن لم نخترع هذه البنوك ابتداءً؛ بل ورثناها عن النظام الاستعماري الرأسمالي، فورثناها بعُجْرها وبُجْرها، وقد آن لنا الآن أن نتخلص منها، فمقتضى التحرر والاستقلال الحقيقي أن نتحرر من آثار الاستعمار الاقتصادية والتشريعية، كما تحررنا من كثير من آثاره الأخرى.

ومما سرنى أنَّ بعض الإخوان أبلغوني أنَّ شركة الراجحي في هذه المملكة على وشك استصدار قوانين لها، ولمصرف البركة، ومصرف فيصل الإسلامي؛ وهذه بشريات، وهذه المملكة أهلٌ لهذا، لأنَّها منذ قيامها أعلنت أنَّها تُحكِّم شرع الله ﷻ، ونسأل الله ﷻ أن يزيدها هُدى.

دلائل الانسحاب اليهودي من غزّة:

السؤال الثالث: من الأستاذ مُحَمَّد بشير حدّاد يقول: في ضوء انتشار الوعي الإسلامي في فلسطين وقطاع غزّة، ألا ترون بشائر فجر العزّة الإسلامي يلوح، مع الانسحاب اليهودي المحدود، برغم كلّ السلبيّات التي قضّت مضاجعنا؟ وشكرًا لكم على تلطفكم بالإجابة.

الجواب: أنا مؤمن بأن العاقبة لنا، والنصر لنا إن شاء الله في مواجهة اليهود؛ فالمعركة بيننا وبين اليهود مستمرة، ولكن النصر في النهاية للمسلمين، وهذا ما جاءت به البشائر النبوية عن رسول الله ﷺ، مما رواه ابن عمر^(١)، وأبو هريرة^(٢)، وغيرهما، أنه لا بد من معركة فاصلة بين المسلمين واليهود، وهي المعركة التي ينطق فيها الحجر والشجر، حينما يختبئ اليهودي وراءهما فيقولان: «يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي ورائي، فتعال فاقتله».

هل يقول الحجر ذلك بلسان الحال أم بلسان المقال؟ الله أعلم، المهم أن كل شيء سيكون في صف المسلمين، ويدل على عدوهم، وهذا من دلائل النصر؛ حينما يكون النصر مقبلاً عليك يكون كل شيء معك، وحينما تكون مخدولاً - والعياذ بالله - يكون كل شيء ضدك، حتى السلاح الذي في يدك، وهذا ما جربناه في سنة ١٩٦٧م. كانت معنا أسلحة، ولكن الأسلحة لا تقاتل وحدها، كما قال الطغرائي في لاميته:

وعادة السيف أن يُزْهَى بجَوْهَرِهِ وليس يعملُ إلَّا في يَدَي بَطْلٍ^(٣)

وكما قال المُنْتَبِي:

وما تنفعُ الخيلُ الكرامُ ولا القنَا إذا لم يكنْ فَوْقَ الكِرَامِ كِرَامٌ^(٤)

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٢٩٢٥)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢).

(٣) انظر: ديوان الطغرائي ص ٣٠٧، تحقيق د. علي جواد طاهر، ود. يحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط ٢، ١٩٨٦م.

(٤) ديوان المتنبي ص ٣٩٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ.

خيل من غير خيال، أو فرس من غير فارس، ماذا تغني؟! فالأسلحة وحدها لا تقاتل، لذلك ما نفعتنا الأسلحة التي معنا؛ لكن عندما يأتي النصر يكون كل شيء معنا، وهذا ما تحدثت عنه الأحاديث في المعركة المنتظرة بيننا وبين اليهود، وهي معركة قادمة لا ريب فيها، وأن كل شيء سيكون معنا، حتّى الحجر والشجر، ولكن عندما ندخل هذه المعركة تحت شعار العبودية لله، وتحت راية الإسلام، ولذلك يقول الحجر والشجر حينها: يا عبد الله، يا مسلم. لا يقول: يا أردني، أو يا فلسطيني، أو يا مصري، ولا يا قومي، ولا يا بعثي. لا؛ بل يقول: يا عبد الله، يا مسلم. هذا ما ينطق به الحجر والشجر، ويكون كل شيء في هذه الطبيعة مع المسلم، فالمعركة لا بد منها إن شاء الله، والحديث يقول بأن هذا لا يتم إلا في معركة، وليس في حلّ سلمي.

ولست مع الأخ الفاضل الذي سأل السؤال في أن الانسحاب الذي قام به اليهود من غزّة يعتبر بداية للنصر، في رأيي ليست هذه هي البداية، لأننا لم نقم نحن بتحرير الأرض، وإنما انسحب اليهود لكثرة المشاكل في غزّة، وانسحبوا من أريحا لأنّ عندهم في كتبهم أنّه ملعون من بيني فيها حجرًا، إلى آخره، فليس هذا هو الانسحاب المنشود الذي نريده في الحقيقة، فأنا في الواقع لست مرتاحًا إلى هذا الذي تم؛ طبعًا هناك من يؤيد مثل هذا، ولكن كنت أريد أن يكون أمرنا أعظم من هذا؛ وأنا لي قصيدة ألقيتها السنة الماضية في معرض الكتاب في قطر، وكانت عن مؤتمر السلام؛ كانت من ضمنها هذه الأبيات:

فيا عجبًا لمن يجري	وراء سرابٍ — النفسِ
يظنُّ له به رياء	ويزجُّ فارغ الكأسِ
يفرط في دم الشُّهدا	ء ياللعار والبؤسِ

يبيع الأرض والتاريخ
بحكم في حمى ضهيو
فلا دولته قامت
فما معنى فلسطين
فلسطين بلا قدس
كجثمان بلا رأس^(١)

وللأسف يوم ذهب راين لتوقيع الاتفاق طير لوكالات الأنباء رسالة يبلغها للفلسطينيين، أن القدس ستظل العاصمة الموحدة والأبدية لإسرائيل، وللشعب اليهودي، ثم أكد هذا في أول كلمته، قال: جئنا من أورشليم من القدس العاصمة التاريخية والأبدية للشعب اليهودي. وقال: لا تحلموا أن يخفق علم فلسطين يوماً على القدس. فما معنى فلسطين بلا أقصى ولا قدس؟!

على كل حال هذا لا يجعلنا نئس من مستقبلنا، فالمستقبل لنا إن شاء الله، ولن ينتصر اليهود على المسلمين، ولن ينتصر الهيكل على الأقصى، ولا السبت على الجمعة، ولا التلمود على البخاري، ولا التوراة المحرّفة على القرآن المحفوظ، ﴿وَيَأْتِ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

الصحة الإسلامية:

السؤال الرابع: من زهير كُتبي يقول: هل تعتقد أن استخدام «مصطلح صحة» إسلامية هو تعبير حقيقي وسليم، يعبر عن العودة نحو خط الالتزام الديني؟

(١) انظر ديواننا: المسلمون قادمون ص ١٤٤، قصيدة سراب السلام أو سلام السراب، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

الجواب: المصطلحات كما قلت والكلمات لا تهمنا كثيرًا؛ وعلمناؤنا من قديم قالوا: لا مُشاحّة في الاصطلاح. هذه الصحوة سمّوها أحيانًا اليقظة الإسلاميّة، وسمّوها أحيانًا أخرى النهضة الإسلاميّة، وسمّوها البعث الإسلامي، وسمّوها الإحياء الإسلامي، وسمّوها التجديد الإسلامي، وسمّوها أخيرًا الصحوة الإسلاميّة.

وهذه كلها أسماء متقاربة، تعني عودة الوعي بعد غيابه، لأنّ معنى الصّحوة إما أنّه كان سكرانًا فصَحّا، وإما أنّه كان نائمًا أو مُنوّمًا فصَحّا، أي انتبه وعاد إليه الوعي الغائب، فالأمة في فترة من الفترات غابت أو غُيِّبت عن وعيها بذاتها، ومشّت وراء الغرب، ودعا داعون أن تنسى الأمة ذاتها، وأن تسير سيرة الغربيين، وتأخذ بالحضارة الغربية، خيرها وشرّها، وحلّوها ومُزّرها، ما يُحبُّ منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب؛ وأنّ مَنْ ظن غير ذلك فهو خادع أو مخدوع؛ هكذا قيل في وقت من الأوقات^(١).

لكنّ الأُمّة عادت من هذه الغيّبة، فمن الناحية الفكرية انتشر الوعي الإسلامي، وقد صار الكتاب الإسلامي - بلغة الأرقام - هو الكتاب الأول في سوق التوزيع، في كل المعارض التي تُقام، وقد جعل هذا بعض الناس يدخلون الساحة وهم ليسوا من أهلها، حين وجدوا الفكر الإسلامي رائدًا، أخذوا يؤلفون في الإسلام، وظهرت أشياء غثّة، وكل شيء له آفة، فمن الناحية العقلية والفكرية، فهذه الصحوة صحوة عقول. وهي كذلك صحوة مشاعر دافقة، تتجلى في الحماس للإسلام، واهتمام المسلمين بقضايا الأُمّة الإسلاميّة، ما تراه الآن على مستوى

(١) هو قول قديم لطفه حسين، في كتابه: مستقبل الثقافة ص ٣٩.



المسلمين في العالم؛ خصوصًا الشعوب والجماهير، مثل الاهتمام بقضية البوسنة والهرسك، هذا حماس.

كنت في فرنسا في هيئة الإغاثة الإسلامية، وقال لي بعض الإخوة: جاءنا شباب من أقصى فرنسا، من جنوب فرنسا، ومعهم تبرعات للبوسنة والهرسك، تبرعات عينية وتبرعات نقدية، وقالوا لنا: نحن نريد أن نتعلم الصلاة والوضوء، ما دخلنا مسجدًا في حياتنا، ولكننا رأينا مشاهد إخواننا هؤلاء على شاشات التلفزيون، فحركت عندنا العاطفة الدينية، فتألمنا لهؤلاء وتحركنا لنفعل شيئًا، فما دام الإسلام يواجه بهذه الوحشية نريد أن نكون مسلمين حقيقيين، نريد أن نتوضأ، نريد أن نصلي. لا يعرفون حتى الوضوء! فهذه صحوة مشاعر.

وهي أيضًا صحوة عمل والتزام؛ يتجلى في هذا الشباب الذي يملأ المساجد الآن، في وقت من الأوقات كان الناس الذين يعمرن المساجد الكبار في السن، فالإنسان بعد أن يحال على التقاعد، ويقترب من حافة القبر، يريد أن يختم حياته بالصلاة والتوبة؛ أمّا الشباب فما يفكرون بهذا!

وكذلك الحج والعمرة؛ كان الإنسان يختم حياته بالحج؛ كما قال بعض العلماء: الحج هو ختام العمر وتمام الأمر. الآن مواسم الحج والعمرة جمهورها الشباب.

وكذلك البنات في بعض البلاد الإسلامية صرن يلتزمن بالحجاب، أنتم هنا أكرمكم الله في المملكة، لكن في بلاد أخرى، كنا نمشي في العواصم، فوالله تكاد لا تجد امرأة محجبة، ففي وقت من الأوقات ترى امرأة أكل الدهر عليها وشرب تلبس ما يسمونه (الجابونيز، والميكرو جيب، والميني جيب)، ونحوها، والآن تدخل إلى الجامعات، وتذهب

إلى الكليات والمعاهد والمدارس، وتذهب إلى أماكن العمل في الوزارات والدوائر المختلفة، في كل البلاد الإسلامية، تجد هؤلاء الفتيات المحجبات الملتزمات اختياراً، ما ألزمهن أب ولا زوج ولا أخ، التزمّن من أنفسهن وعُدن للحجاب وهذه صحوة التزام.

وهي أيضاً صحوة دعوة وغيرة، وهي صحوة جهاد، فالجهاد الأفغاني من ثمرات هذه الصحوة، وحركة المقاومة الإسلامية في فلسطين من ثمار هذه الصحوة؛ والجهاد في الفلبين من ثمار هذه الصحوة؛ وما تحدثنا عنه من بنوك إسلامية، ومؤسسات إسلامية في مجال الاقتصاد، كل هذا من آثار الصحوة الإسلامية؛ فهناك صحوة حقيقية.

صحيح يشوب هذه الصحوة أيُّها الإخوة الأفكار المتزمتة والمتطرفة، والتي اهتمت بالجزئيات قبل الكلّيات، وبالفروع قبل الأصول، وبالنوافل قبل الفرائض، وبالمختلف فيه قبل المتفق عليه، وبالهدم قبل البناء، وبكذا وكذا، هذه موجودة، وأنا في الحقيقة - وأعوذ بالله من شر قول أنا - في سنواتي التي مضت، جعلت من أكبر همّي ترشيد هذه الصحوة الإسلامية؛ لأنّ هذه الصحوة من أعظم الأشياء في عالمنا الإسلامي، وأنا قلت في مصر في وقت من الأوقات: والله أهم ما في مصر الآن ليس الهرم، وليس كذا، ولكن هذا الشباب المؤمن المصلي الصائم.

ولكن من الخطر جدّاً وجود هؤلاء الذين يريدون أن يُحرّفوا مسيرة الصحوة بهذه الأفكار، وبهذه الأعمال التي لا يرضى عنها عقل ولا دين؛ ولهذا يُخشى على الصحوة أن تتآكل من الداخل، قبل أن تُضرب من الخارج؛ بل الضربة من الخارج كثيراً ما يُهيئ لها هذا الانحراف في الداخل، أن يقال: هؤلاء هم الذين فعلوا كذا وكذا؛ فلا يستحقون الحياة.

والمشكلة أنَّ الناس لا تُفَرَّق، يقولون: كلهم واحد، معتدلون أو متطرفون؛ كلهم في النهاية يتصلون ببعضهم. وهذه طبعًا مغالطة كبيرة، فالصحة الإسلامية حقيقة، وهي شيء عظيم، ولذلك ينبغي أن نحرص على ترشيدها وتسديدها، حتَّى لا تنحرف عن الطريق، وحتى تؤتي أكلها بإذن ربها.

حول كتابي (الحلال والحرام في الإسلام):

السؤال الخامس: من الأستاذ عبد الله عبد الرحيم السويلم يقول: ما وجه الخلاف في فقهكم بين كتابكم (الحلال والحرام في الإسلام)، وبين مَنْ خالفكم فيه؟

الجواب: الخلاف هو أنَّ بعض إخواننا يقولون عن كتابي هذا: إنَّه كتاب (الحلال والحلال في الإسلام)! فقلتُ لهم: اعملوا كتابًا آخر سمَّوه (الحرام والحرام في الإسلام)! لأنَّهم لا يريدون أن يتركوا حلالًا، يريدون أن يضيقوا في الحلال، وأنا أريد أن أُضَيِّق في الحرام؛ لأنَّ الأصل الحِلُّ؛ فلم يُحدِّد ربُّنا الحلال، وإنَّما حدَّد الحرام، وكلُّ ما عدا ذلك فهو حلال؛ الأصل في الأشياء والتصرُّفات الإباحة، أمَّا الحرام فهو أشياء محدودة، فتحريم الحلال مشكلة!

أنا منهجي التشديد في الأصول، والتيسير في الفروع، وإذا كان هناك قولان متكافئان أو متقاربان: أحدهما أحوط، والآخر أيسر؛ فأنا أفتي بالأيسر لا بالأحوط، يمكن أن أفتي بالأحوط لبعض الخاصة من الناس، أو لأصحاب العزائم؛ أمَّا الذي يفتي لعموم الناس، وفيهم حديث العهد بالإسلام، وحديث العهد بالتوبة، وفيهم الضعيف، فلا بد أن يراعي حال هؤلاء، وييسر لهم.

بعض الناس يقول: ما دليلك على مسألة اختيار الأيسر أو الأحوط؟ قلت له: دليلي أن رسول الله ﷺ «ما خَيْرَ بين أمرَيْنِ إِلَّا اختار أيسرهما»^(١). فالتيسير مطلوب دائماً، خصوصاً في عصرنا، حتّى لا ينفر الناس من الدين، ويبعدوا عنه.

أنا أريد أن أشدّ النَّاسَ إلى الدِّين، ولو بخيطٍ رقيق، لهذا أعتبر أن من يُؤدِّي الفرائض، ويجتنب الكبائر هو في صف الدين، حتّى لو لم يكن يعمل بعض السنن، أو يرتكب بعض المكروهات، أو يرتكب بعض الصغائر؛ لأنّ الصغائر تُكفِّرُها الصلوات الخمس، والصدقات، ويُكفِّرُها اجتناب الكبائر نفسه، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]. فأنا يهمني أن يجتنب الإنسان الكبائر، وبعد ذلك يترقّى.

سأل أحد الأعراب النبي ﷺ عن الإسلام؟ فقال: «الإسلام أن تصلي خمس صلوات في اليوم والليلة». قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوّع». وسأله عن الزكاة؛ هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوّع». وسأله عن الصيام؛ هل عليّ غيره؟ قال: «لا، إلا أن تطوّع». فعلمه الفرائض، فقال: يا رسول الله، ولن أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال النبي ﷺ: «أفلح إن صدق»، أو «دخل الجنة إن صدق»^(٢). وفي حديث آخر: «من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فليُنْظَرْ إلى هذا»^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، كلاهما في الإيمان، عن طلحة بن عبيد الله.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.

طبعًا، هذا لا يُقبل من أبي بكر أو عمر، أمّا الذي يدخل في الإسلام حديثًا فيكفينا هذا منه يا أخي، ثم هو يترقّى بعد ذلك؛ فأنا أجعله يستمسك أولاً بالفرائض، ثم يؤدي بعد ذلك النوافل؛ أقول له: اترك الكبائر. ثم بعد قليل سيترك الصغائر بنفسه، وبعد فترة سيترك المكروهات، ثم يترك المشتبهات، هكذا بالترقّي، ولا أطلبه من أول الأمر بهذه الأشياء.

منهجي إذن أيّها الإخوة هو التيسير، والناس يختلفون في هذا؛ فقد عرف تراثنا الفقهي شدائد ابن عمر، ورخص ابن عباس، كان ابن عمر مُشدّدًا على نفسه وعلى الناس، كان يبعد الأطفال عنه؛ خشية أن يسيل لعابهم عليه، أمّا ابن عباس فكان يأخذ الأطفال، ويحتضنهم، ويقول: إنّما هي رياحين نشمها!

وكان ابن عمر يزاحم على الحجر الأسود في الحج حتّى يدمى، مثلما يفعل بعض إخواننا الأشداء الذين يأتون من أفريقيا، فيزاحم على الحجر، ويضرب يمينًا ويسارًا، هكذا كان ابن عمر يزاحم حتّى يدمى، فسألوه: لماذا تفعل ذلك؟ إذا كان الذين يأتون من بعيد يزاحمون على الحجر، لأنّهم مشتاقون إليه، فأنت في المدينة ومكة؟ فقال: هفت الأفتدة إليه، فأحببت أن يكون فؤادي معهم^(١). أحببت أن أشاركهم في اشتياقهم، أمّا ابن عباس فقال عن المزاحمة: لا يُؤذِي، ولا يُؤذَى^(٢). فهذه طبيعة الناس، أحدهم ميسّر والآخر مشدّد.

وقد خلق الله الناس هكذا، وقد يكونان أخوين لأب وأم، مثل سيدنا موسى وسيدنا هارون، فسيدنا موسى شديد في كل شيء، شدة في الله،

(١) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٨).

لكن هذه هي طبيعته، حينما استغاثه الرجل الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [القصص: ١٥].

ولقي قومه يعبدون العجل، ﴿ بِسْمَا خَلَقْتُنِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ألقى ألواح التوراة على الأرض، مع أن فيها كلام الله، وإنما ألقاها من غضبه، ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾، مع أن أخيه ليس رجلاً من العامة؛ بل هو رسول مثله، أخذ بلحيته ورأسه، ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه: ٩٤]، قال له: أنا أحببت أن أحافظ على وحدة الجماعة، حتى تأتي ونتفاهم في علاج هذه المشكلة، فلا يمكن أن تكون طبيعة الناس واحدة، في طبيعة بعض الناس خشونة أو شدة أو غلظة؛ فينعكس هذا على فقههم.

أنا مع رأي ابن عباس، ولست مع رأي ابن عمر، مع حبي للاثنين عليهما السلام، وأتمنى أن أكون تحت أقدامهم، لكنني أنا أرى منهج التيسير، وأرى أن خدمة الإسلام في هذا العصر لا تكون إلا بالتيسير.

ليس معنى التيسير أيها الإخوة أن نلوي أعناق النصوص كما يفعل بعض الناس، أو نحول المحكمات إلى متشابهات، أو القطعيات إلى ظنيّات، هذا ما أرفضه تماماً، وأحمد الله تعالى أن هذا ليس من نهجي، ولكن البحث عن المخارج وعن أسباب اللبس؛ وكما قال الإمام سفيان بن سعيد الثوري، وهو إمام في الفقه؛ كان له مذهب؛ وإمام في الحديث؛ كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث، وإمام في الورع، هذا

الإمام نقل عنه الإمام النووي في مقدمات «المجموع» هذه المقولة التي أحب دائماً أن أذكرها، وأذكر بها أيضاً، قال: إنّما الفقه الرخصة من ثقة؛ أمّا التشديد، فيُحسنه كل أحد^(١). أن تقول: هذا حرام، وهذا حرام فهي مسألة سهلة.

فأنا أرجو أن أكون من المُيسّرِين، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسّرِينَ»^(٢). وحينما بعث أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن قال لهما: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»^(٣). وروى عنه أنس رضي الله عنه أنه قال: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»^(٤). فمنهجي هو التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة، لا أنفر وإنما أبشر، ولا أعسر وإنما أيسر، وأسأل الله أن أكون على صواب.

مركز بحوث السُّنَّة والسيرة النبوية:

السؤال السادس: من الأستاذ مصطفى عطار يقول: سماحة الشيخ الجليل، أرجو أن تتحدّثوا بإيجازٍ عن مركز السيرة الذي تتحملون مسؤوليته المباركة، كما أرجو أن تعملوا على عرض مَجَلَّة المركز بمخازن بيع المجلات والكتب، لأهمية المجلة وأبحاثها في سيرة الرسول ﷺ؟

الجواب: أنشئ مركز بحوث السُّنَّة والسيرة النبوية في قطر بناءً على توصية من المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسُّنَّة النبوية، الذي انعقد في الدوحة في أوائل هذا القرن، احتفاءً بمقدم القرن الخامس عشر الهجري؛

(١) انظر: المجموع للنووي (٤٦/١)، نشر دار الفكر.

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

وكان من توصياته إنشاء مركز لخدمة السنّة والسيرة، وجعل له عدة أهداف، منها: العمل على إصدار موسوعة عصرية للسنّة النبويّة، تشتمل على الصحاح والحسان من الأحاديث، وتكون مُخرّجة، ومُبوّبة تبويباً عصريّاً، ومفهرسة فهرسة علمية مفيدة للقارئ المعاصر، إلى آخره، فقام هذا المركز، وأصدرت أنا في هذا الموضوع كتيباً اسمه «نحو مشروع موسوعة للحديث النبوي»، وذكرت الأشياء التي لا بد منها لقيام موسوعة للحديث النبوي، والخطوات التي يجب اتباعها، ومشينا خطوات وأصدرنا بعض الكتب، منها كتاب (المنتقى من الترغيب والترهيب) للحافظ المنذري، وأنا عملت هذا الكتاب، انتقيت الصحيح والحسن، وعلقت عليه عندما احتاج الأمر إلى تعليق، وأصدرنا أيضاً كتاباً في السيرة الصحيحة على منهج المُحدّثين، لأخينا الباحث العالم الدكتور أكرم ضياء العمري؛ ومجلة المركز تصدر باستمرار، ومنذ ثلاث سنوات عقدنا ندوة للعاملين في خدمة السنّة النبويّة.

الحقيقة بعد إنشاء قطر لهذا المركز؛ قامت عدة جهات إسلاميّة وعلمية بعمل مراكز مماثلة، ولعل بعضها في الحقيقة أكثر إمكانيات من إمكانياتنا، من حيث عدد الباحثين، وعدد الأجهزة، والإمكانات المالية، كما في المدينة المنورة، والقاهرة، ومؤسسة اقرأ، ومركز الشيخ صالح؛ فجمعنا الإخوة الذين يشتغلون في هذه الناحية، سواء كانوا مراكز أو شخصيات، فهناك بعض شخصيات مهمة، مثل أخينا الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الذي يعمل في هذا منذ سنوات، وأخينا الدكتور عبد الملك بكر قاضي، في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وبعض العاملين؛ وظللنا عدة أيام، وحضر معالي الأخ الحبيب الدكتور محمد عبده يمانى، ومعه أيضاً الأخ الشيخ صالح كامل، وتحادثنا وتباحثنا،

وأصدرنا توصيات مهمة، ومنها أن ينشأ اتحاد للعاملين في خدمة السُّنة للتنسيق والتعاون، لأن مشكلتنا أن هناك أشياء كثيرة، ولكن لا تعاون ولا تنسيق بينها.

فعملنا مشروع نظام أساسي لهذا الاتحاد، واتفق الإخوة على أن يكون المقر في القاهرة كمكان وسط، ونظرًا لأن الأخ صالح كامل له وساطته ووجهته عند المسؤولين بالقاهرة، فسعى وكاد أن يصل إلى نتيجة، ولكن يبدو أن هناك تخوفًا من كل ما هو إسلامي، مع أن الأمر علمي، ولا مجال فيه للسياسة ولا للأصوليين، ولا يزال الموضوع معلقًا حتى اليوم.

ونحن نقوم بأنشطتنا، وندرّب بعض العاملين والعاملات في المركز - من الباحثين المتدربين، والباحثات المتدربات - على الأعمال العلمية، وأعمال التخرج للأحاديث، وأعمال التحقيق، هذا ما يشغلنا في هذه الفترة، مع إصدار بعض البحوث، ومنها بحث أعدّه الآن للمركز عنوانه (السُّنة مصدرًا للمعرفة والحضارة)، فقد اعتدنا أن نقول: إنَّ السُّنة مصدر للتشريع. ولكن السُّنة أيضًا مصدر للمعرفة والحضارة، للمعرفة بأنواعها المختلفة، وللفقه الحضاري، والسلوك الحضاري، والبناء الحضاري، فهذا الأمر أبحث فيه الآن، ويكاد ينتهي قريبًا إن شاء الله^(١)، ونسأل الله المعونة.

موقف الأمة تجاه البحوث والكشوف العلميّة:

السؤال السابع: من الأستاذ نبيل عبد الإله نصيف يقول: تقوم الأمم وتتقدّم وتتطوّر بسبب تقديسها للفكر والبحاث في المجالات الدنيوية، من علوم مختلفة، فأين الأمة الإسلامية بما لديها من كنوز فقهية، كإطار عام ينظم حياة المجتمع المسلم، ويُميّزه عن غيره من هذا التقديس

(١) نشر هذا الكتاب عن دار الشروق، ط١، ١٩٧٧م.

للفكر والبحث العلمي، وبناء المؤسسات المختلفة، التي تساهم في بناء المجتمع المسلم العادل، حتّى تأخذ الأمة مكانتها اللائقة بها كخير أُمَّة أخرجت للناس؟

الجواب: لا شكّ أنّ في الأُمَّة عناصر كثيرة قادرة على الفكر والبحث، وشخصيّات علميّة في مختلف النواحي، ولها إنتاجها الخاصّ، ولا ينبغي أن نبخس الناس أشياءهم، ولا أن ننظر إلى أنفسنا دائماً نظرة دونيّة.

ولكن هناك كثير من القُصور والتقصير في جوانب شتى، فإذا نظرنا إلى الجانب العلمي بالمعنى العصري: العلم المادي، والتكنولوجيا ونحوها، نجد أنّنا متخلفون للأسف، الأمة الإسلاميّة في مجموعها محسوبة على عالم التخلف، أو البلاد النامية كما يسمونها، وهو تعبير مؤدب للبلاد المتخلفة، لم يريدوا أن يشتمونا فقالوا: البلاد النامية. وبعض إخواننا يقول: هي البلاد النائمة. لكن حصل خطأ مطبعي فقدم الميم على الياء!

ونحن ما زلنا نائمين فعلاً، فبيننا وبين القوم مسافات ومسافات، العالم الآن في أواخر عصر الصناعة، فقد كانت الآلة في عصر الصناعة الأول تعمل على توفير الجهد البدني للإنسان، فبدلاً من أن يحمل الإنسان على كتفه، تقوم الآلة بذلك، وبدلاً من أن يمشي على رجله تحمله السيارة، وبدلاً من أن يكتب بيده تقوم المطبعة بذلك؛ فليست مهمة الآلة الآن توفير الجهد البدني، بل توفير الجهد الذهني العقلي للإنسان.

نحن الآن في عصر الكمبيوتر، وإخواننا المتخصصون يقولون: إنّ الكمبيوتر أجيال؛ ونحن في الجيل السادس أو السابع، بعد أن كان الكمبيوتر في حجرة كاملة وإمكاناته قليلة، وغالي الثمن جدّاً، أصبح

ضئيل الحجم، رخيص الثمن، كثير الإمكانات، أصبح يوفر لك الجهد الذهني، فبعد أن كنت تجلس مدة طويلة للقيام بعملية حسابية، أصبح الكمبيوتر يفعل ذلك في لحظات؛ لهذا نريد أن نستخدمه في موسوعة السنة النبوية التي أشرنا إليها.

أيضاً من اللطائف التي أذكرها أنهم اخترعوا الكمبيوتر، بينما لم نتفق نحن حتى الآن على تسمية لهذا الشيء؛ هل هو الحاسب الآلي، أم الدماغ الإلكتروني، أو العقل الإلكتروني، أو المحاسب، أو الحاسبة، أو الحاسوب؟ أين نحن من القوم؟ بيننا وبينهم مسافة، نحن نركب حصاناً، أو جملاً، وهم يركبون السيارة، وحين نركب السيارة يركبون الطائرة، وحين أخذنا نركب الطائرة ركبوا الصاروخ، مع أنهم في الواقع هم الذين أركبونا السيارة والطائرة والصاروخ، لأننا لم نصنع منها شيئاً، فالتائرة طائرتهم، والسيارة سيارتهم؛ صحيح أن القادرين منا يستطيعون أن يركبوا أفخم السيارات، ويشترروا أفخم الأجهزة، ولكن ليست هذه هي الحضارة، فما دمنا لم نصنع شيئاً من ذلك، فلا نستطيع أن ننسب أنفسنا إلى الحضارة.

كنت في مرة أحاضر في إحدى إمارات الخليج، فنظرت إلى الأشياء في القاعة، وقلت لهم: كل ما في القاعة مستورد، ليس فيها شيء من هذا البلد إلا هؤلاء البشر، حتى الثياب التي يلبسونها ليست من صنعهم.

نحن أمة سورة الحديد، ولم نتعلم صناعة الحديد، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. فقلوه: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. إشارة إلى

الصناعات الحربية، وقوله: ﴿وَمَنْفَعُ النَّاسِ﴾. إشارة إلى الصناعات المدنية، ونحن لم نحسن الصناعات الحربية، ولا الصناعات المدنية، وأصبحنا عالة على غيرنا.

نحن في الحقيقة متأخرون، ويقال عنا: العالم الثالث. ولو كان هنالك عالم رابع لنُسبنا إليه، هل هذا لنقص ذاتي فينا؟ هل نحن أغبياء؟ نحن لسنا أغبياء!

هل الإسلام هو السبب كما يريد بعض الناس؟ ليس صحيحًا، وإلا لما تقدم المسلمون يوم حملوا راية الإسلام، ففتحوا الفتوح، وأقاموا حضارة عالمية شامخة، جمعت بين العلم والإيمان، ومزجت بين الرُّوح والمادّة، ووصلت بين الأرض والسما، ووفّقت بين الدنيا والآخرة، وبين حرية الفرد ومصلحة المجتمع، حضارتنا الإسلامية هي التي اقتبس منها الأوروبيون ما اقتبسوا، فالمنهج العلمي التجريبي الذي يُنسب إلى فرانسيس بيكون، أو روجر بيكون؛ هو في الأصل منهج الحضارة العربية الإسلامية، وقد شهد مؤرّخو العلم أنّه مأخوذ من المسلمين؛ فتخلّفنا ليس نتيجة نقص ذاتي عندنا، إنّما هو لأسباب مختلفة، بعضها يرجع إلى كسل، وبعضها يرجع إلى نقص المناهج التعليميّة، والأنظمة التعليميّة التي تعنى بتخريج موظفين، ولا تهتم بالبحث. وكذلك بعضها يرجع إلى سوء المناخ العام: المناخ السياسي، والفكري، والاجتماعي.

وفي الأدب العربي قصّة معروفة، قصّة عنتر بن شداد العبسي، حينما كان يعامله أبوه معاملة العبيد؛ لأنّه أسود اللون، فكان يرفع الإبل حتّى أغارت بعض القبائل على بني عبس وهزموهم، وكادوا يدخلون

البيوت، ويسبون النساء، ووقف عنثرة يتفرج؛ فقال له أبوه: كُـرَّ. أمره أن يحارب، فقال له: يا أبتِ، العبد لا يحسن الكُـرَّ، إنَّما يُحسن الحِـلاب والصَّـرَّ. يمكن أن يحلب الناقة، أو يخدمها، لكن ليس غير ذلك؛ فقال له أبوه: إذن كُـرَّ وأنت حُر!

فامتشق حسامه، وامتطى جواده، وبدأ يواجه المغيرين، ويردهم حتَّى كسب الجولة، وانتصر بنو عبس، وانهزم المغيرون، وأصبح عنثرة فارس بني عبس، وفارس العرب، بسبب كلمة ردَّت إليه كرامته^(١)، أمَّا أن تعامل الناس كعبيد، فالعبيد لا يُنتجون، ولا يصنعون شيئاً ذا قيمة، ومن هنا كان لا بد من توفير مناخ الحرية للخروج من حالة التخلف.

في وقت من الأوقات تحمس أحد الحكام العرب، وجاء بالإخوة المتغربين الذين يعملون في أمريكا، وكندا، وبلاد الغرب، من حملة الدكتوراه، ومن النوابغ الذين يسمون نزيف العقل العربي والإسلامي، وهم آلاف وعشرات الآلاف من العقول التي هاجرت إلى تلك البلاد، لأنَّها لم تجد في بلادها مكاناً يصلح لهم فهاجرت.

هذا الحاكم - لعلكم تعرفونه - جمع هؤلاء العلماء، وقال لهم: نريد أن نقيم مدينة علمية، ونجمع الاختصاصات والكفايات المختلفة لتستفيد منها. وبمجرد أن وصلوا إلى العاصمة أخذوا جوازات سفرهم، فأصبحوا لا يستطيعون أن يتحركوا إلا بتصريح، وعندما يقولون: نريد أن نسافر. يقول لهم: لِمَ تسافرون؟ فأحسوا كأنَّهم أسرى، وأنَّهم مسجونون،

(١) انظر: الأغاني للأصبهاني (١٧٠/٨)، تحقيق إحسان عباس وآخرين، نشر دار صادر، بيروت،

وأصبحوا رهن إشارة هذا الحاكم؛ ولذلك حينما أتحت لهم أول فرصة، ركبوا الطائرة، وقالوا كما قال الشاعر العربي قديماً:

عَدَسْ؛ ما لَعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أَمَنْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ^(١)
ولم يعودوا إليه مرةً أخرى، فلا بد من توفير الحرية للباحثين.

وإذا أردنا أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة، عصر ثورة البيولوجيا، وعصر الكمبيوتر، وعصر غزو الفضاء، إلى آخره، فلن نستطيع أن ندخله فرادى، قطر تعمل تكنولوجيا وحدها، أو الإمارات، أو السعودية؟ حتى العرب وحدهم لا يكفون.

في الوقت الحاضر إذا أرادت الدول الصناعية الكبرى أن تصنع طائرة متطورة، تشترك أكثر من دولة منها لصنع هذه الطائرة؛ وهذا هو المطلوب، أمّا أن نريد أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة، كل بلد بمفرده، فهذا لا يمكن، لذلك لا بد من وحدة وتنسيق، وتعاون في هذه المجالات، إذا أردنا أن نعيش، وأن يكون لنا وزن في هذه الحياة؛ إذا عالجنا هذا يمكن أن يكون لنا شأن، في البحث والعلم والتكنولوجيا إن شاء الله.

تقاسم الربح والخسارة:

السؤال الثامن: من الأستاذ عمر كامل - يقول: إذا كان تحديد الربح سلفاً يُعتبر ربا، فهل تحديد الخسارة - كما في الشركات ذات المسؤولية المحدودة - يُعتبر ربا أيضاً، خاصة أن الوعاء صعوداً وهبوطاً واحد، وتحديد الخسارة هو تحديد المخاطرة، ما هو الرأي في هذا الأمر؟

(١) البيت ليزيد بن المفرغ الحميري، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٣٥٢/١)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.



الجواب: الأصل في شريعة الإسلام هو أنَّ الغُرم بالغُرم، والخراج بالضمنان، وأنَّ المال إذا عَمِلَ فهو قابلٌ لأن يربح، وقابل لأن يخسر، وهذه سنَّة الحياة؛ ليس المال أثمن من الصحة، ولا أثمن من الشباب، ولا أثمن من الحياة؛ لكن الفلسفة الربوية الرأسمالية تريد أن يزيد المال باستمرار ولا ينقص، مع أنَّ الشاب يشيخ، والصحيح يمرض، والحيُّ يموت، فالمال نفسه قابل للزيادة والنقص، هذه سنَّة الحياة.

ولذلك كانت محاولة إبقاء المال كما هو قابل للزيادة، ولا يقبل النقص هي في الحقيقة مخالفة لسنَّة الله في الكون؛ فالأصل في الإسلام أن يتقاسم الإنسان مع شريكه المكسب والخسارة، فما دمنا شركاء فنحن مسؤولون معًا؛ إذا ربحنا نربح معًا، إذا ربحنا قليلًا عاد القليل علينا بالنسبة المتَّفَق عليها، وإذا ربحنا كثيرًا جاءت الكثرة للطرفين، وكذلك إذا خسرنا خسِر هذا جهده، وخسر هذا ماله، هذه هي النظرية الإسلامية، وهي ما أفتت به المجامع الفقهية، فلم يعد رأيًا فرديًا؛ بل أصبح الآن اجتهادًا جماعيًا، والحمد لله حمدًا كثيرًا.

نسأل الله ﷻ أن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يجعلنا من الذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيُخلصون، ويخلصون فيُقبلون؛ إنَّه نعم المولى ونعم النصير؛ وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.



مناصرة قضايا المسلمين^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحبيكم به أيها الإخوة تحية الإسلام، وتحية الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعد أن تحدث الأخوان الكريمان فضيلة الشيخ عبد المعز وفضيلة الشيخ طائس الجميلي، هذا الحديث الطيب النافع لم يبقَ لي إلا كلمات هي نوع من التعقيب، وليس من التأسيس.

كل قضايا المسلمين هي قضايانا:

أولاً: الموضوع حول مناصرة قضايا المسلمين، هذا العنوان يوحي بأن هذه القضايا غريبة منا، كأننا دخلاء عليها، فقضايا المسلمين هي قضايانا، ألسنا مسلمين؟! كأننا نحن شيء والمسلمون شيء، لماذا نعتبر

(١) كلمة تعقيبية في إحدى المؤتمرات لمناصرة قضايا المسلمين في دولة قطر.

هذه القضايا ليست قضايانا، العنوان يوحي أنّ هذه القضايا قضايا غيرنا
وعلينا أن نناصرها.

هل هذا مقبول: أنّ هذه القضايا ليست قضايانا، وكل ما علينا أن
نناصر هذه القضايا؟! هي قضايانا، ونحن جزء من هذه الأمة، ولذلك
ينبغي أن نصحح المفاهيم أولاً، «المسلمون تكافأ دماؤهم، يسعى
بذمتهم أديانهم، وهم يدٌ على من سواهم»^(١).

كل قضية إسلامية هي قضيتنا، قضية الإخوة في فلسطين قضيتنا،
وقضية الإخوة في البوسنة قضيتنا، وقضية الإخوة في الشيشان قضيتنا،
وقضية الإخوة في السودان قضيتنا، وقضية الإخوة في إريتريا، وفي كشمير،
وفي الفلبين، وفي الصومال، وفي الجزائر، وفي أي مكان هي قضيتنا.

وأنا كثيراً ما قلت: لو أنّ الفلسطينيين تقاعسوا وتخاذلوا وتنازلوا عن
فلسطين لليهود، هل نقبل هذا؟ هل نقول: هم أحرار في بلادهم؟ لا،
ليسوا أحراراً في بلادهم؛ لأنّ هذه البلاد ليست ملكهم وحدهم، إنّها
ملك الأمة الإسلامية، وكل مسلم له حق في هذه الديار، ولذلك أنا أريد
أن أصحح المفهوم بأنّ هذه القضايا الإسلامية - وخصوصاً في هذا
الوقت - هي قضايانا.

أمة الإسلام أمة واحدة:

ليست مهمتنا مجرد أن نناصرهم من بعيد، هذا موقف لا يُقبل من
المسلم الملتزم الغيور، الذي يعتبر نفسه جزءاً من الأمة الإسلامية، فالأمة

(١) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال مخرّجوه: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود
في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

الإسلامية أمة واحدة، وأعداؤنا يعاملوننا على هذا الأساس، لماذا يحاربون الإخوة في البوسنة؟ يحاربونهم لأنهم لا يريدون الإسلام في أوروبا، لا يريدون أن تقوم للإسلام قائمة، وأن تقوم له دولة، وأن ترتفع له راية في أوروبا مرة أخرى، فهم يحاربون الأمة في البوسنة، واليهود يحاربون الأمة في فلسطين، والروس يحاربون الأمة في الشيشان، والهندوس يحاربون الأمة في كشمير، فلا بد أن نعرف هذه الأمور، علينا أن نعتبر هذه القضايا قضايانا.

غياب الأنظمة الحاكمة عن قضايا المسلمين:

طبعاً مما يؤسف له أن الأنظمة التي تحكم ديار المسلمين غائبة عن هذا، لا تعي هذا الأمر، فمثلاً في قضية الإخوة في البوسنة والهرسك: لا زال الصربون يعملون في كثير من بلاد المسلمين، وخصوصاً في بلاد الخليج، الذين يُسمون (اليوغسلاف) لا زالت لهم شركات، لا زالوا يعملون موظفين في الحكومات وفي المؤسسات العامة والخاصة، ولم يُقَاطعوا اقتصادياً، ولم يُقَاطعوا سياسياً، ولم يُقَاطع طيرانهم، ما هذا؟ هل هذه أمة؟!!

والآن بعد الاتفاق المزعوم والمشؤوم - اتفاق أوصلو مع اليهود - للأسف الكثيرون من حكامنا يهرولون هرولة، يعدّون عدّواً نحو المغتصبين من إسرائيل، ومنهم الذين يعملون في السر، والذين يعملون في العلن، والذين يتفقون من هنا، والذين يتفقون من هناك، والذين يحضرون أنفسهم لأخذ وكالات الشركات اليهودية، هذا ما يحدث للأسف.

ويبقى ما ذكره شيخنا الشيخ عبد المعز موقف الشعوب، موقفنا نحن، هذا هو الذي ينبغي، دعهم يأخذوا التوكيلات، فنحن من

سيشتري، فلا نشترى من هؤلاء، وكما ذكرت في برنامج (هدي الإسلام) أنه يحرم على المسلم أن يشتري من هؤلاء، مهما كان الثمن رخيصاً، خصوصاً أنه يمكنهم في أول الأمر أن يرخسوا البضائع ليغروا بشرائها، مهما كان الثمن رخيصاً، ومهما كانت البضائع جيدة، فأنا أستغني عنها، فالموقف موقفنا أيها الإخوة، علينا أن نعتبر هذه القضايا قضايانا، الأمر يحتاج منا إلى موقف جد، نعرف فيه واجبنا نحو الله، ونحو ديننا، ونحو أمتنا، ونحو إخواننا.

قضية الأمية:

ثانياً: وهناك قضايا كبيرة أثارها الإخوة، منها قضية الأمية، أنا لا أريد أن تفهموا من شيخنا فضيلة الشيخ عبد المعز وأخينا الشيخ طائس أن الأمية شيء هين أو كذا، لا، هي وصمة عار في الحقيقة، الأمية بالنسبة للنبي ﷺ كانت شرفاً، ولكنها بالنسبة لنا لطفة عار في جبيننا، والنبي الأمي هو أول من حارب الأمية، ونحن نعرف أن النبي ﷺ في أول فرصة أُتيحت له - قضية أسرى بدر المشهورة - حاول أن يعلم المسلمين، والإسلام هو الدين الذي يعلم المسلمين، صحيح أن الأمة في أول البعثة كانت لا تكتب ولا تحسب، ولكنها لم تستمر على هذا الحال.

ولذلك ينبغي أن نحارب الأمية، من العار أن يكون في البلاد الإسلامية أكثر من ثمانين بالمائة أميين، وبعض البلاد تزداد فيها الأمية للأسف، هذا لا يجوز، إزالة الأمية في عصرنا أصبحت فريضة، لا بد أن تكون هذه الأمة قادرة على القراءة والكتابة، نحن أمة معجزتها قرآن وكتاب، قرآن لأنه يُقرأ، وكتاب لأنه يُكتب، وأول آية نزلت في هذا الكتاب: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. والقراءة مفتاح العلم،

وتحدثت هذه الآيات الأولى عن أداة العلم القلم: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]. ثم نزلت بعدها سورة أقسمت بالقلم: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. فلا ينبغي للأمة في الحقيقة أن تظل على هذه الحال.

محاولات تنصير المسلمين:

ثالثاً: ذكر الأخ الشيخ طيس ما يعانيه الإخوة في أفريقيا وفي غيرها من البلاد، ونحن منذ سنوات عرفنا ماذا يصنع التنصير، وماذا يخبئ لهذه الأمة، وقرأنا فيما قرأنا: أنَّ مؤتمر التبشير البروتستانتي الذي انعقد في ولاية كولورادو الأمريكية سنة ١٩٧٨م. وكان موضوعه تنصير المسلمين في العالم، وأنَّ هذا المؤتمر الذي قدمت فيه أربعون دراسة عن أوضاع المسلمين مقارنة بأوضاع النصرانية أعلن أنَّ الهدف هو تنصير المسلمين في العالم، وأنشؤوا لذلك معهداً اسمه (معهد زويمر) يحمل اسم المبشر المعروف الذي رأس المؤتمر التبشيري في القاهرة سنة ١٩٠٦م. ثم كان موجوداً هنا بجوارنا في البحرين.

وزويمر هذا من عتاة المبشرين، فأرادوا أن يحيوا ذكراه بإنشاء معهد يحمل اسمه؛ لتخريج منصرين متخصصين في أمور المسلمين، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار وجمعوها بالفعل، وحينما قرأنا ذلك حينها تحمسنا، وألزمنا بعض الإخوة حينما قلت: علينا أن نجمع ألف مليون دولار لحماية المسلمين. ألزمني بأن أتبنى هذه الدعوة، وفعلاً ذهبت إلى أكثر من بلد، ودعوت هذه الدعوة، وكانت دعوة في الكويت، وأنشأنا من أجل هذا (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) لنجمع ألف مليون دولار لنقاوم التنصير الذي يريد أن يقتلعنا من جذورنا، وظللنا ندعو ونستجدي؛ لكننا لم نجد الهمة المناسبة لذلك



على كثرة الأغنياء فينا، وعلى كثرة ما ننفق من أموال طائلة في غير حاجة، بل ربما في حرام!

وحينما أراد من أراد في حرب الخليج أن تدفع الملايين دفعت الملايين والبلايين، قلت: لقد دفعتم عشرات المليارات في حرب خاسرة باثرة، لا معنى لها ولا هدف لها؛ فلم لا تدفعون لهذا العمل العظيم؟ لكننا لم نستطع للأسف أن نجمع لهذه الهيئة، مع أن هناك أموالاً كثيرة نستطيع أن ندفع منها، وكما ذكر فضيلة الشيخ هناك مئات الملايين في بعض البلاد فقط تُصرف في السجائر، لو جمعنا الأرقام التي يشتري بها المسلمون السجائر في بلاد المسلمين لبلغت مليارات يحرق الناس بها أجسادهم وأنفسهم، ويشترون ضرر أبدانهم بحرّ أموالهم، هل هذا عقل؟! لو قارنا بين الصور التي نراها كالصور التي جاء بها الأخ محمد الصديقي من البوسنة، وفيها من يبحث في صندوق القمامة عن لقمة أو بقية طعام ليمسك به رمقه من شدة الجوع، ونحن يومياً ثملاً صناديق القمامة عندنا بالأرز والخضار والهريس، أليس ذلك سفهاً؟ الأمة تستطيع أن تفعل الكثير.

الإنفاق في الحج والعمرة وترك مساعدة المسلمين:

دعنا من هذا، وانظر إلى المتدينين، الآن في مكة، أنا جئت من مكة، الحمد لله الحرم ملآن، ورغم التوسيعات الهائلة يضيق الحرم بالناس، والناس يصلون في الشوارع، والآن صار العدد أكثر، وفي العشرة الأواخر سيصير أكثر وأكثر، ويمكن في ليلة سبع وعشرين يكون فيه مليوناً مُصلٍّ، لو دفع كل واحد منهم مائة ريال؛ فانظر كم نجمع! وهناك أناس يذهبون للعمرة، وفي كل سنة يذهبون للعمرة، هاتوا لنا نفقات العمرة

هذه نعطيتها للذين يحتاجون إلى إذاعة في أفريقيا أو إلى كتاب، وبدل أن يكتب على الطين اليابس.

من عدة سنوات قال لي بعض الإخوة من غينيا: لا نجد القلم الرصاص، ولا نجد كراسة، ولا نجد مصحفًا، ولا نجد سبورة ولا مقعدًا للتلاميذ، وبجوارنا أهل التنصير يقولون: لماذا تتعبون أنفسكم؟ هذه مدارسنا مفتوحة لكم، هاتوا أولادكم نعلمهم. لو أن الذين ينفقون في كل سنة الآلاف المؤلفة دفعوها لهؤلاء لجمعت مئات الملايين إن لم تجمع آلاف الملايين.

وفي الحج في كل سنة حوالي مليونين أو أكثر من الحجيج، وحوالي خمسة عشر بالمائة فقط هم الذين يحجون حجة الفريضة: الحجة الأولى، وسائر الحجاج هم الذين يحجون للمرة الثانية أو الثالثة، أو الخامسة أو العاشرة أو العشرين، أنا أعرف أناسًا لعلمهم يحجون الحجة الأربعين، لأنني منذ نشأت رأيتهم يحجون كل سنة، يا إخواننا وفروا هذا للقضايا الإسلامية الساخنة، التي تحتاج إلى المال!

فقه الأولويات:

يقول لك أحدهم: يا أخي عندما يأتي الموسم ترفرف روعي، وأشعر بلذة، وأشعر بسعادة روحية. وهذا نتيجة عدم الفقه، لو كان هناك فقه حقيقي، فقه الأولويات كما أسميه؛ كان سيشعر بسعادة أكبر وبلذة أعمق حينما يطعم جائعًا، حينما يداوي مريضًا، حينما يكسو عاريًا، حينما يشغل عاطلاً، حينما يدرب عاملاً، حينما ينقذ إنسانًا مشردًا فيؤويه، حينما ينقذ مسلمًا أن يتعرض لخطر التنصير أو خطر التكفير أو خطر الشيوعية.

المفروض حين يدفع المسلم ماله، ويُقال له: لقد حُفِر لك بئر في المكان الفلاني، أو ساهمت في بناء مدرسة. فيشعر بأحسن مما يشعر حينما يطوف بالكعبة، لكن هذا نتيجة عدم الفقه، نحن في حاجة إلى أن نفقه الأولويات، يكاد أن يكون هذا الفقه معدومًا في هذه الأمة.

منذ سنتين كتب أخونا الأستاذ فهمي هويدي في مقال الثلاثاء الأسبوعي، فقال: إنقاذ البوسنة أهم من فريضة الحج. وسألني بعض الناس التعقيب، فقلت له: كلامه له وجه، أن فريضة الحج تقبل التراخي. وهناك من يقول: الحج فرض على التراخي. فهذه فريضة تحتل الإمهال والتأجيل سنة أو اثنتين، ولكن الذي لا يحتمل الإمهال ولا التأجيل الإبادة التي يتعرض لها الإخوة في البوسنة والهرسك، والإخوة في فلسطين وأمثالهم، هذه لا تحتمل، ومع هذا لا بد أن يعمر الموسم حتى لا نعطل فريضة الحج، والموسم عامر بأهل مكة وأهل المدينة وأهل الحجاز ومن حولهم؛ ممن لا يتكفون كثيرًا، فمن الممكن أن يكون لهذا الكلام وجه.

وحتى لو لم نقل هذا.. دع الذين يريدون أن يؤدوا فريضة الحج لأول مرة أن يذهبوا، لكن الذين يحجون للمرة الثانية أو السابعة أو العاشرة لماذا لا يبذلون لإخوانهم هؤلاء؟!

أنا قلت لبعض الإخوة هنا يحجون كل سنة، وكنت قادمًا من إندونيسيا متحمسًا، حيث إنَّ التنصير في إندونيسيا على قدم وساق، تعرفون أنَّ إندونيسيا مجموعة جزر، التنصير هناك لا يتنقل بالقوارب كما يفعل المسلمون بين الجزر بعضها وبعض، ولكنه يتنقل بالطائرات،

أكثر من ستين مطارًا تملكها الإرساليات التنصيرية، والمسلمون يصرخون، رحم الله الدكتور محمد ناصر أنشأ المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية، واستغاث بالمسلمين في كل مكان.

فلما جئت والتقيت بهؤلاء الإخوة، مجموعة حوالي خمسين شخصًا، قلت لهم: ما رأيكم، أنتم خمسون شخصًا، إذا كان الواحد منكم يتكلف حجه أربعة آلاف ريال يكون المجموع مائتي ألف ريال، فهذا المبلغ يمكن أن نرسله لإخواننا المحتاجين هناك؟ فقالوا: ولكن يا أخي نحن تعودنا، ولا نستطيع ترك هذه العادة، ولكن يمكننا أن ندفع لهذا وذاك. وكانت النتيجة طبعًا أنهم لم يدفعوا إلا للحج!

الأمة بها خير كثير:

نحن أيُّها الإخوة في حاجة إلى أن نعرف أن هناك أمورًا تستدعي من المسلم أن يجند لها نفسه وماله، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]، أنا أذكر قصة ذلك الفلاح المصري حسن الطويل من قرية بجوار بسيون بمحافظة الغربية بمصر، حينما نادى الإخوان المسلمون في مصر سنة ١٩٤٨م. بالتطوع من أجل فلسطين؛ كان عند حسن الطويل جاموسة، والجاموسة بالنسبة للفلاح رأس مال، فباع جاموسته ليشتري بها بندقية وجاء ليتطوع، فقالوا له: يا حسن أنت ستطوع بنفسك، فدع الجاموسة للأولاد. فقال لهم: وهل اشترى الله منا الأنفس أم الأنفس والأموال؟ هو اشترى منا الأنفس والأموال، وجعل الجنة ثمنًا لهما، أنا أريد الجنة فكيف أبيع نفسي ولا أبيع مالي؟ انظروا، نحن نريد هذه الروح.

الأمة فيها خير كثير، وهذا ما جربناه، ولا زالت هذه الأمة على أصالة معدنها، تحتاج فقط إلى إزالة الصدأ عن هذا المعدن، إلى إزاحة الغبار الذي يعلوه، تحتاج الكشف عن أصالة المعدن، تحتاج إلى من يحرك قلوب هذه الأمة بالكلمة الطيبة، بالكلمة الصادقة، تحتاج إلى الدعاة الربانيين، تحتاج إلى العلماء الصادقين، تحتاج إلى القادة المؤمنين؛ فيستطيعون جميعاً أن يفعلوا بها الكثير.

لا بد أن تعود الأمة من جديد:

إنَّ الأمة أصابها الوهن، والوهن كما وصفه النبي ﷺ هو «حُبُّ الدنيا وكرهية الموت»^(١). ولا بد لهذه الأمة أن تعود من جديد تحب الموت كما كان يقول خالد بن الوليد، وهو يدعو قادة الفرس والروم في رسائله ثم يختمها بقوله: وإلا غزوتكم يقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة^(٢). فنحن في حاجة إلى إعادة هذه الروح، وأعتقد أنَّ إعادة هذه الروح سهلة، والصحوة الإسلامية أثبتت ذلك والحمد لله، هذه المد الإسلامي، هذه الصحوة التي نرى ثمارها وآثارها في هذا الالتزام في كل مكان، التزام الشباب والفتيات خاصة، هذا الالتزام الطوعي الاختياري يدلنا على أن هذه الأمة بخير، وهي إلى خير.

علينا أن نعمل، وعلينا أن ندعو، وعلينا ألا نياس، وعندنا البشائر من القرآن، والبشائر من السنَّة، والبشائر من التاريخ، والبشائر من الواقع،

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرَّجه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى، وفيه مجالد؛ وهو ضعيف، وقد وثق. عن الشعبي مرسلاً.



والبشائر من سنن الله تعالى: أن هذه الأمة منصورة، وأن هذا الإسلام سترفع رايته إن شاء الله، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿[التوبة: ٣٢، ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *





كلمة الشيخ القرضاوي في مؤتمر الإسلام دين حياة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا، محمداً عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحييكم به أيُّها الإخوة والأخوات - بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكم بالشرق - تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأهنتكم بعقد هذا المؤتمر، بل وهذه المؤتمرات التي أسأل الله لكم فيها التوفيق والنجاح والوصول إلى الغايات المنشودة من وراء إقامتها. وأحمد الله تبارك وتعالى، فأنا أحضر مؤتمرات الإخوة في أمريكا من حوالي عشرين عاماً: مؤتمرات اتحاد الطلبة المسلمين، ومؤتمرات المايا،

(١) أُلقيت في مؤتمر «الإسلام دين حياة» بالولايات المتحدة الأمريكية.

والشباب المسلم العربي، وأجد والحمد لله: أنَّ المسلمين في كل عام هم أفضل من العام السابق، وهذه نعمة من الله تبارك وتعالى، وقد كان أحد السلف يقول: من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون!

ونحن نسأل الله أن يجعل يوم المسلمين في أمريكا خيرًا من أمسهم، ويجعل غدهم خيرًا من يومهم، وأن يحسن عاقبة المسلمين جميعًا في الأمور كلها، ويجيرهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

الكيد للصحة الإسلامية:

نحن أيها الإخوة في فترة حرجة، وفي مرحلة عصيبة من مراحل تاريخ هذه الأمة، فالصحة الإسلامية التي حرّكت القلوب والعقول والإرادات، في داخل العالم الإسلامي وخارج العالم الإسلامي، كما نرى هنا، وفي الجاليات الإسلامية في الغرب والشرق الأقصى، وفي بلاد العالم كله، هذه الصحة الإسلامية يُكاد لها الآن، ويُمرّ بها، وتأتي لها الضربات من يمين وشمال، ومن مشرق ومغرب.

وعلى قدر ما كانت قوة الصحة؛ جاءت قوة الضربة؛ بل قوة الضربات، من القوى المعادية للإسلام، وممن يتسمى بأسماء المسلمين من أبناء المسلمين، فقد استطاعت القوى المعادية أن تتخذ من بعض أبناء المسلمين مخلصًا لها، لتضرب الصحة الإسلامية هنا وهناك.

ونحن واثقون أنَّ هذه الضربات لن تُميت الإسلام، فالإسلام لن يموت، وأمة الإسلام لن تموت، قد تضعف وتمرض، لكنها لن تموت، الأمة باقية والإسلام باق، وسينصر الله هذا الدين.

الإسلام دين توازن:

الإسلام دين توازن فهو: دنيا وآخرة، عقل وقلب، روح ومادة، أرض وسما، هذه هي الحياة الإسلامية، حياة متكاملة متوازنة، فإذا قال الله تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فليس معنى الحياة أن تحيا برئة واحدة، سواء كانت هذه الرئة روحية كما يريد بعض المتصوفة وبعض الأديان الزهدية والنسكية، ولا هي حياة مادية كما هو شأن الحضارة الغربية المعاصرة.

فهي حياة تمتزج فيها الروح بالمادة، ويعمل فيها الإنسان لدنياه وآخرته، ولنذكر هنا حديث النبي ﷺ ودعائه الجامع: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»^(١).

الحياة الطيبة:

هذه هي الحياة الطيبة كما سمّاها القرآن، وجعلها مثوبة لأهل الإيمان والعمل الصالح، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فهي حياة طيبة في هذه الدنيا، وخير من يحيا هذه الحياة الطيبة هم أهل الإيمان والالتزام.

وصحيح أن غيرهم يحيون حياة يتمتعون فيها بالمرفّهات، والماديات، والخمر والنساء، ولكنها ليست حياة طيبة، ليست حياة سعيدة، إنهم يشكون

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٦٨)، عن أبي هريرة.

فيها الفراغ والقلق، وتفاهة الحياة، وضياع المعنى، فهي حياة لا معنى لها، ولذلك يكثر فيها الانتحار، وتكثر فيها الأمراض النفسية، والعيادات النفسية، ولذلك يسمون هذا العصر عصر القلق، أي: القلق المرضي، الخوف من الشيخوخة، الخوف من الفقر، الخوف من الموت، الخوف من المجهول، الخوف مما بعد الموت لو كانوا يعتقدون بأن هناك حياة بعد الموت!

فالذين آمنوا قد سدوا أبواب الخوف جميعاً، فلم يعودوا يخافون إلا من الله وحده، وهذا الخوف هو سر الأمن، فمن خاف الله أمن من كل شيء، ومن خاف غير الله خوَّفه الله من كل شيء.

قال تعالى: ﴿الْأَبَاطُ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

سر السعادة:

سر السعادة هو: الأمن النفسي، الطمأنينة النفسية، السكينة القلبية، ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

حدثوا أن زوجاً غاضب زوجته، فقال لها متوعداً: لأشقيك. قالت: لا تستطيع. قال: لم؟ قالت: لو كانت سعادتي في مال لقطعته عني، أو في زينة لحرمتني منها، ولكن سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي.

هذه هي الحياة التي ندعو إليها، حياة الأمن والسكينة والطمأنينة والتوازن والتكافل، ولا يكون ذلك إلا باتباع هدى الله، الذي أنزله على عباده.

منذ أنزل الله آدم وحواء إلى هذه الأرض قال لهما: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۖ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤] ضنك المعيشة وإن كان يملك الملايين، لكنه يعيش في ضيق صدر، وفي ضيق قلب، ليس عنده أمل الإنسان المؤمن، ولا طمأنينة الإنسان المؤمن.

لهذا ندعو العالم إلى هذه الحياة الطيبة، وإذا كان هناك في الأموات أحياء، ففي الأحياء أموات!

أحياء لكنهم أموات!

هناك في الأموات أحياء: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

وهناك في الأحياء أموات: وهم الذين يعيشون غير مطمئنين بالإيمان، لم يعلموا حق الله عليهم، ولم يعيشوا للرسالة العظيمة التي من أجلها خلق الله الناس، أن يعرفوا الله ﴿لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وأن يعبدوه حق العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. هؤلاء يعيشون أمواتاً وهم أحياء، والله يقول: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أي: بالإيمان والعلم والمعرفة، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: نور الوحي الذي ينير للناس الطريق. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطْغَوْتْهُمُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

حياة الإيمان:

الحياة التي ندعو إليها هي حياة الإيمان والالتزام بما أمرنا الله به، والانتهاز عما نهانا الله عنه، وأن نحيا حياة الدعاة إلى الله، فكلنا دعاة، فليس الدعاة هم هؤلاء الكوكبة الذين يجلسون على المنصة فقط، فكل مسلم داعية، وكل مسلمة داعية إلى الله، والله تعالى يقول لرسوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فإذا كنت ممن اتبع رسول الله، فأنت داعٍ إلى الله، وداعٍ على بصيرة، ولذلك خاطب الله الرسول، وخاطب كل مؤمن معه بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وليس هذا خطاباً خاصاً بالنبي محمد ﷺ فقط، فالخطاب للأمة كلها، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ دعوتنا للمسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة، الحكمة: هي التي تخاطب العقول بالإقناع، والموعظة الحسنة: هي التي تحرك القلوب بالترغيب والترهيب. والداعية الحكيم، هو الذي يخاطب العقل والقلب معاً، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾. هذه دعوتنا مع المسلمين.

وجادلهم بالتي هي أحسن:

أمّا مع غير المسلمين فنجادلهم بالتي هي أحسن ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، الأخ الدكتور عبد العظيم: يقول دعوتُ إلى التفاوض - وأنا أسميه حواراً - لأنَّ كلمة الجدل يفهمها الناس على عكس ما أراد القرآن، فالقرآن سماها جدالاً، ولكن ليس أي جدال؛ بل هو جدال بالتي هي أحسن، وانظروا إلى القرآن في الموعظة اكتفى أن تكون حسنة،

فقال: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ لأن الموعظة تكون مع الموافقين من المسلمين، ولكن في الجدل لم يقل الجدل الحسن، وإنما قال: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

فإذا كانت هناك طريقتان للحوار، طريقة حسنة جيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، فأنت أيها المسلم مأمور أن تُحاور غير المسلمين بالطريقة التي هي أحسن، ومن ذلك يقول الله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فمن الحوار بالتي هي أحسن أن تذكر القواسم المشتركة، ما يجمع بينك وبين الطرف الآخر، فهناك نقاط اختلاف وتمايز، وليس من حُسن الحوار أن تأتي بنقاط الخلاف، إنما تبدأ الحوار بالنقاط الجامعة، والقواسم التي تجعل بينك وبينه صلة.

ومن هنا نقول: نحن جميعاً نؤمن بالله، نحن جميعاً نؤمن بالآخرة، نحن جميعاً نؤمن بعبادة الله، نحن جميعاً نؤمن بالنبوات، نحن جميعاً نؤمن بالقيم الأخلاقية، نحن جميعاً نحارب الإلحاد، والظلم، والإباحية، فهناك قواسم مشتركة، ليست بيننا وبين أهل الإلحاد، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

الحوار مع المخالفين:

ولهذا نحن نمد أيدينا إلى الغربيين، وإلى كل الفئات، وأنا أدعو إلى الحوار مع كل المخالفين، وقد حضرت في العام الماضي، حواراً بين القوميين والإسلاميين في بيروت، ولا أرى مانعاً من هذا، إذا كانت هناك قواسم بيننا، فلنقو هذه القواسم ولنعمّقها، ولنوسّعها، وخرجتُ من

بيروت وذهبتُ إلى باريس لأحضر مؤتمرًا مع غير المسلمين أيضًا، حوارًا بيننا وبينهم!

ومنذ ثلاث سنوات حضرت مع جماعة من المستشرقين، وبعض رجال الدين في ألمانيا، وفي القاهرة حضرت مع بعض الأقباط وبعض النصارى من غير المسلمين.

وقد أعجبني من الإخوة منذ سنتين حينما حضرت في مؤتمر (ديترويت)، أنهم جاءوا ببعض الرجال الكبار من المسؤولين في الأمن الفيدرالي، وبعض الإعلاميين وبعض المسؤولين عن بعض الأجهزة السياسية، وأشركوهم في الحوار.

نحن لا ندعو إلى شيء غامض، ولا ندعو للعنف، وإنما ندعو بالحكمة والموعظة الحسنة، والله يقول لنبيه: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. نحن لا ندعو إلى الفظاظة والغلظة، فالناس لا تطيقها ولو كانت من رسول الله ﷺ.

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ:

بل ندعو للرفق، وفي الحديث: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السَّام عليكم. قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السَّام واللعنة! قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة! إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «قد قلت: وعليكم»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

نحن لا ندعو إلى العنف، ولا الخشونة، بل ندعو إلى الرحمة، فهذه الرسالة عنوانها الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والنبي ﷺ يُعَبِّرُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاة»^(٣).

لهذا ندعو العالم إلى هذا الدين، ونحن نعتقد أَنَّ العالم لن يجد طمأنينته، ولن يجد سلامه، ولن يجد سعادته؛ إلا في التمسك بهذا الدين، والهداية إلى هذا الدين، وهذه مهمتنا نحن المسلمين.

إِنَّ اللَّهَ سَيَسْأَلُنَا: لماذا لم نبلغ هذا الإسلام إلى أمم الأرض، فهناك أمم شتى، عشرات ومئات الملايين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، أو يعرفون عنه صورة مشوهة، على العكس من حقائقه؛ فعلينا أن نبذل جهداً لتبليغ هذا الدين، ودعوة الناس إليه.

نحن نجد والحمد لله، كل يوم أناس يدخلون الإسلام، رغم سوء حال المسلمين، وهذه مبشرات لما نطمئن إليه من أَنَّ الغد لهذا الدين، والمبشرات بنصر الإسلام كثيرة وكثيرة جداً، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ [التوبة: ٣٢ - ٣٣].

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٣)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٣٠٧)، عن عائشة.

(٣) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

بارك الله لكم أيُّها الإخوة في مؤتمركم، وبارك بكم، ونفع بكم،
وأعزكم، وأعز بكم؛ إنَّه سميع قريب، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي
ولكم فاستغفروه، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه، والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *





كلمة فضيلة الشيخ يوسف القرظاوي

في حفل تكريمه بجائزة الشخصية الإسلامية في دبي^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات،
وبتوفيقه تتحقق الغايات. الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أن
هدانا الله.

وأزكى صلوات الله وتسليماته على معلم الناس الخير، وهادي
البشرية إلى الرشد، رحمة الله للعالمين، وحجته للناس أجمعين، سيدنا
وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى
يوم الدين.

أحبيكم أيُّها الاخوة الكرام بتحية الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته، وأهنئكم في هذه الليلة المباركة، التي نستقبل فيها العشر الأواخر
من رمضان بما وفقكم الله إليه من حُسن الصيام والقيام، وأسأله تعالى أن
يجعل حظنا من هذا الشهر الكريم الرحمة والمغفرة، والعق من النار، وأن
يجعلنا ممّن صامه وقامه؛ إيمانًا واحتسابًا، فغفر له ما تقدّم من ذنبه.

(١) أُلقيت في ٢٠ رمضان ١٤٢١هـ - الموافق ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠م، في مدينة دبي.

كما أهنئ أبناءنا من حفظة كتاب الله؛ بما حصلوا عليه من الجوائز، سائلًا الله تعالى أن يجعلهم من أهل القرآن، الذين جاء فيهم الحديث: «إِنَّ لله أهلين من الناس». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(١).

(أَمَّا بَعْدُ)

فإنَّ كلَّ نعمة تستوجب شكرًا، وهذا موقف الحمد والشكر لله جلَّ ثناؤه، وتباركت أسماؤه؛ فهو الذي خلق فسوّى، والذي قدّر فهدى، والذي أعطى فأجزل، والذي وفق فأجمل، ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر. اللهم إنا نستعينك ونستهديك، ونستغفرُك ونتوب إليك، ونثني عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك. حقّق لنا ما نرجوه، وأمنّا مما نخشاه.

وأناجي ربي هنا بما ناجى به سليمان ربّه حين سمع النملة تخاطب أخواتها: ﴿فَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

(١) رواه أحمد (١٢٢٧٩)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وابن ماجه في المقدمة (٢١٥)، والنسائي في الكبرى في فضائل القرآن (٧٩٧٧)، والحاكم في فضائل القرآن (٥٥٦/١)، وقال: وقد روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا أمثلها. ووافقه الذهبي، وصحّح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٢٠٩).

وبعد الشكر لله تعالى واهب النعم كلها ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. أشكر لمن كان سبباً وواسطة في وصول هذه النعم إلينا من خلقه، وقد علمنا رسولنا الكريم، صاحب الخلق العظيم، أن نشكر لكل من أسدى إلينا معروفاً، فقال ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١)، وقال: «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له، حتى تعلموا أن قد كافأتموه»^(٢)، وقال: «من صنع إليه معروفٌ؛ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً. فقد أبلغ في الشناء»^(٣).

وإنني لا يسعني إلا أن أشكر للإخوة الأحبة الذين أحسنوا الظن بي، فرشحوني لهذه الجائزة الإسلامية العالمية الجليلة، التي أعتز بها؛ لا لمقدارها المادي، بل لما تمثله من معنى أدبي، ومضمون اجتماعي.

كما أشكر لمن رصد هذه الجائزة الكبرى ورعاها؛ وهي تتويج لجملة جوائز لحفظه كتاب الله ﷻ. أشكر للأخ الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، ولي عهد دبي، ووزير دفاع دولة الإمارات العربية المتحدة، والذي يلمس فيه كل من يتابع نشاطه المتنوع على مختلف الأصعدة: أنه جمع بين رقة الشاعر، وشجاعة المقاتل، وعقلية المخطط، وحنكة السياسي، وروح المصلح، والتزام المسلم. والذي أسأل الله تعالى أن

(١) رواه أحمد (١٠٣٧٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وصحّحه. عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٥٣٦٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (١٦٧٢)، والحاكم (٤١٢/١)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي. كلاهما في الزكاة، عن ابن عمر.

(٣) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٣٥)، وقال: حسن جيد غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٩٣٧)، وابن حبان في الزكاة (٣٤١٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٨)، عن أسامة بن زيد.

يسدد خطاه، وينور طريقه، ويهديه للتي هي أقوم، وأن يعزه بالإسلام، ويعز به الإسلام، ويجزيه وإخوانه الأكرمين في إمارة دبي وفي دولة الإمارات العربية المتحدة - عنا وعن الإسلام والمسلمين - خير الجزاء، وأن يوفقهم لما يحب ويرضى من الأقوال والأعمال والنيات.

شعوري عقب إعلان الجائزة:

ولقد سألني عدد من الصحفيين عن شعوري بعد الإعلان عن الجائزة فقلت لهم:

أولاً: أشعر أنّ هذه الجائزة وأخواتها من قبل من فضل الله تبارك وتعالى عليّ، ونعمه التي لا أحصيها، وإحسانه الذي صحبني طوال حياتي، فهو الذي منح وأعطى، وهو الذي وفق وهدى، وهو الذي يسّر وقضى، فالخير كلّ منه، والفضل كلّ إليه، والتوفيق كلّ به. فله الحمد، وله الشكر، وله الفضل والمنة، وكما قال الشاعر:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده^(١)

وكما قال سيدنا شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. فلا غرو أن يفرح المرء بفضل الله تعالى عليه، ورحمته به وتوفيقه له، كما قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

ثانياً: إنّ هذه الجائزة وأمثالها، مما يكافأ به الإنسان من الناس في الدنيا تعتبر من (عاجل بُشْرَى المؤمن) في دنياه، فقد روى مسلم عن

(١) يُنسب إلى علي رضي الله عنه. انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (١٧٧/١)، تحقيق عبود الشالجي، نشر

دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

أبي ذر رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل، ويحمده الناس عليه، ويثنون عليه به! قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»^(١). وهو يشير إلى قول الله تعالى في شأن المؤمنين: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] وإني لأرجو من الله ألا يكون نصيبي في الدنيا وحدها؛ وأدعوه أن أكون ممن قال الله فيهم: ﴿فَإِنَّهُمْ أَتَوْا اللَّهَ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

ثالثاً: أشعر بأن هذه الجائزة تعبر عن ثقة إخواني المسلمين بي - وخصوصاً أهل العلم والفضل منهم - وحسن ظنهم بي؛ وهذه نعمة لا تقدر بثمن!

وإن هذه الثقة الغالية تزيدني شعوراً بثقل المسؤولية عليّ، فإن ثقة المسلمين بي، وتقديرهم لجهدي المتواضع يطوق عنقي، ويلزمني المزيد من العطاء والوقوف مع الحق، فكل نعمة تستوجب شكراً. وإن كان الشكر ذاته نعمة تستحق شكراً جديداً، كما قال الشاعر المؤمن: لك الحمد مولانا على كل نعمةٍ ومن جملة النعماء قولي: لك الحمد^(٢)!

وشكر هذه النعمة أن أقول ما قاله سيدنا موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

أيها الإخوة الكرام:

أجل، إنني لأشعر والله بالعجز كل العجز، عن الوفاء ببعض حق ربي عليّ، ولو أنني سجدت على الجمر، فهو وحده صاحب المنّة.

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٤٢)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٢٥).

(٢) من شعر محمود الوراق، كما في الفاضل للمبرد ص ٩٥.

من كان يظن - لولا فضل الله تعالى وتوفيقه - أنَّ هذا الصبي الذي نشأ في قرية ريفية من قرى مصر، وفي ظل أسرة مستورة رقيقة الحال، وقد مات أبوه وهو في الثانية من عمره؛ فاجتمعت عليه أسباب الضعف: ضعف القروية، وضعف الفقر، وضعف اليتيم.. من كان يظن أنَّ هذا الصبي القروي الفقير اليتيم: سيصبح في يوم ما «الشخصية الإسلامية العالمية» ويحتفي به الأمراء والكبراء، والوزراء ووجوه الناس.

من كان يظن ذلك، لولا فضل الله ﷻ، الذي يهبه لمن يشاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفَضَلْ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[آل عمران: ٧٣، ٧٤].

ولقد حدثتكم أيها الإخوة منذ ثلاث سنوات، في مناسبة تكريم شيخنا الشيخ محمد متولي الشعراوي، عن أول جائزة حصلت عليها في حياتي، وهي جائزة أحفظ صبي للقرآن في مديرية الغربية، وكان مقدارها جنيهاً مصرياً وربعاً، ١٢٥ قرشاً، وقد أخذ محفظي للقرآن ربع الجنيه، وأخذت أنا الجنيه! وكان ثروة كبيرة لي في ذلك الوقت.

أمّا أول احتفال تكريمي أقيم لي، فقد كان في كُتَّاب الشيخ حامد، حين ختمت القرآن الكريم، وأنا دُونَ العاشرة، وكان الحضور هم تلاميذ الكُتَّاب، وبعض الأقارب، وبعض مشايخ القرية وقرائها.. وقد كتبت اللوح الأخير من سورة الضحى إلى سورة الناس، وتلوته على الحضور سورة سورة، وبعد ختام كل سورة أقول: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، والله أكبر والله الحمد»، يرددونها معي تلاميذ الكُتَّاب والحضور جميعاً بصوت ملحن مؤثر. وبعد ذلك وزعت أكواب الشربات، والحلوى، وأطلقت النساء الزغاريد. وأصبحت بعد ذلك في نظر أهل القرية (الشيخ يوسف).

أذكر فضل كل ذي فضل:

واسمحوا لي أيها السادة أن أذكر في هذا المقام كل من كان له فضل عليّ في مسيرتي الطويلة، حتى وصلت الى هذا اليوم المشهود. أذكر أول ما أذكر والدتي - رحمها الله - التي كانت أول من دفعني وصحبتني إلى الكتاب، وأنا في الخامسة من عمري.

أذكر عمي أحمد، الذي كفلني بعد موت أبي، وأنا رضيع في الثانية من عمري، فكان لي خيرًا من كثير من الآباء لأبنائهم، وكان يعاملني كما يعامل أولاده؛ بل أفضل، وكنت أناديه دائمًا: يا أبي.

أذكر أبناء عمي الذين كانوا لي أفضل من كثير من الإخوة لإخوانهم، وكانوا لا يدخرون وسعًا لمساعدتي، حتى أكمل مشواري في الأزهر.

أذكر خالي عبد الحميد الذي كان يعتز بي، ويملاً نفسي بالأمل والطموح.

أذكر جدتي وخالاتي اللاتي كنّ أمهات لي بعد أمي، التي لقيت ربها وأنا في الخامسة عشرة من عمري.

أذكر أقاربي جميعًا الذين أعطوني من حبهم ما نسيت به يُتَمي المبكر.

أذكر الشيخ حامد أبو زويل معلمي في الكتاب، ومحفظي للقرآن، الذي كان يعاملني معاملة خاصة، ويسامحني إذا عجزت عن دفع نصف القرش الأسبوعي.

أذكر أبناء قرיתי (صفت تراب) الذين أحبوني وشيخوني منذ صباي، وقدّموني لأصلي بهم إمامًا في مسجد (المتولي).



أذكر مشايخي في الأزهر، الذين تعلمت على أيديهم علوم الدين واللغة، والذين لم يضيّقوا ذرعًا بالفتى الذي يكثّر النقاش، ولا يمل السؤال. أذكر مشايخي في جماعة الإخوان المسلمين، الذين وسعوا آفاقي، وعمّقوا أهدافي، ونقلوني من تدين القرية الفردي، إلى دعوة الإسلام العالمية، فحددت غايّتي، وعرفت طريقي، وعرفت أمتي الكبرى، واهتممت بقضاياها، وعشت همومها.

أذكر إخواني وأبنائي في قطر، التي قضيت في رحابها أكثر سنّي عمري، وأخصب أيامها وأنضجها، وأصبحت لي وطنًا ثانيًا، وغدا أهلها أهلي.

أذكر إخوتي من أبناء الخليج العربي، الذين فتحوا لي صدورهم وعقولهم، وها هم اليوم يكرموني، وأنا واحد منهم.

أذكر أسرتي الصغيرة: زوجتي وأبنائي وبناتي، الذين طالما جُرت على حقوقهم الخاصة، لاشتغالي بهموم الأمة العامة، وأسألهم أن يسامحوني فيما قصرت في شأنهم.

أذكر إخواني وأخواتي، وأبنائي وبناتي، من المسلمين والمسلمات، في العالم الإسلامي وخارجه، من قُرّاء مقالاتي وكتبي، ومستمعي محاضراتي وخطبي، ومشاهدي برامجي الفضائية، الذين غمروني بعواطفهم، وطوقوا عنقي بهذه الكلمة النفيسة، التي اعتبرها نعمة كبرى لا أقدر على شكرها، وهي كلمة «نحبك في الله».

أشكر لهؤلاء جميعًا، مترحمًا على الأموات، وداعيًا للأحياء، وطالبًا منهم أن يسامحوني ويغفروا لي، إذا كنت قصرت في حقهم، فكم من أناس أرسلوا إليّ رسائل، لم أجد والله وقتًا ولا جهدًا للإجابة عليها، فأنشدكم الله أن يعذروني ويسامحوني، فيعلم الله أنّي ما فعلت ذلك عن

كبر أو استعلاء ولا احتقار لهم، فقد قال رسولنا ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»^(١).

وكم من إخوة أحبة في أقطار شتى دعوني لزيارتهم، فلم أتمكن من الاستجابة لهم، لا استهانة بهم، ولا ضئاً عليهم، ولكن مشكلة أمثالي: تزامم الواجبات، وأنها أكثر من الأوقات. والعجيب أيها الإخوة: أن الأعباء تتزايد وتتضاعف، في حين أن القوة تضعف، وفق سنة الله تعالى في الخلق، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]. وكما قال سيدنا زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤] ولا حول ولا قوة للمرء إلا باستمداد العون من الله وحده.

ولا غرو أن اتخذت شعاري تلك الحكمة القائلة: لا تسأل الله أن يخفف حملك، ولكن سله أن يقوي ظهرك!

فاللهم قوّ ظهورنا على تحمل الأثقال، فأنت حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بك يا علي يا عظيم.

أدعو للفئة التي تشوش على مسيرتي:

أمّا الفئة القليلة التي حاولت في المدة الأخيرة أن تقذفني بالحجارة من يمين وشمال، وأن تشوش على مسيرتي، فلا يسعني إلا أن أدعو الله لهم أن يهدينا وإياهم، ويصلح بالنا وبالهم، وقد قالوا قديماً: رضا الناس غاية لا تُدرَك. وقال الشاعر:

وَمَنْ فِي النَّاسِ يُرْضِي كُلَّ نَفْسٍ وَبَيْنَ هَوَى النَّفُوسِ مَدًى بَعِيدٌ^(٢)؟

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧١٣)، عن أبي هريرة.

(٢) من شعر ناصيف اليازجي.

وفي الآثار الإسرائيلية: أَنَّ موسى عليه السلام سأل رَبَّهُ فقال: يا رب، كُفَّ عني ألسنة الناس! فقال: يا موسى، ذلك شيء لم أختصه لنفسي، فكيف أجعله لك؟!

وفي الحديث القدسي: «كذّبي ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي، فزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي، فقله: لي ولد! فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا»^(١).

وقد أُوذي الإمام أحمد وأُدخل السجن، وأصابه ما أصابه من فتنة «خلق القرآن» المعروفة، فلما انكشفت المحنة، وسألوه عمن آذوه، فسامح فيما كان من حقه هو، لا ما كان من حق الله وعجل، وقال كلمته المعبرة: ماذا ينفعك أن يدخل أخوك النار^(٢)؟ فهو يريد أن يسامحهم حتى لا يدخلوا النار بسببه!

وقال أبو حيان:

عِدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا بَاعَدَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
فَهُمْ بَحَثُوا عَن زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي، فَارْتَكَبْتُ الْمَعَالِيَا^(٣)

وقد نشأت في رحاب دعوة كان مؤسسها حسن البنا رحمه الله يدعو إلى الحب، ويقول: سنقاتل الناس بالحب!

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٤٨٢)، عن ابن عباس.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٦١/١١)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٣) هو أبو حيان الأندلسي، كما في الوافي بالوفيات للصفدي (١٨٠/٥)، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

وأريد أن أؤكد هنا أنه ليس في حياتي ولا في قلبي مُتَّسع للضعائن والأحقاد على المسلمين، ولا أشغل نفسي بمعاداة مسلم، وإن خالفني في الاتجاه أو في الرأي، فأنا مشغول القلب والفكر والجهد والوقت، بأعداء الدين، وأعداء الأمة، وما أكثرهم!

أما قومي، فهم مني وأنا منهم، وما أنا معهم إلا كما قال الشاعر:

قومي هم قتلوا أميمَ أخي فإذا رميتُ يصيبني سهمي
فلئن عفوتُ لأعفونَ جلاً ولئن رميتُ لأوهنَ عظمي^(١)

ولكنني أعفو إن شاء الله وأصفح، كما أنزل الله في شأن أبي بكر حين آلى ألا يعطي بعض أقاربه الذين خاضوا في حديث الإفك، ومسوا باللسنة السوء ابنته عائشة أم المؤمنين، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] وأنا متصدق بعرضي على من آذاني من المسلمين، يغفر الله لي ولهم، وأدعو بدعاء التابعين الذين جاؤوا من بعد المهاجرين والأنصار يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. إلا ما كان من حق الله تعالى، وحق الإسلام، فليس من شأني أن أسامح فيه، فمن كان يعمل لحساب خصوم الإسلام، فإني أستعدي عليه سيّهام القدر، ودعاء السحر، وكل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره.

(١) من شعر الحارث بن ودة الرقاشي. انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٤٩، تحقيق غريد الشيخ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

أشواك محببة في الطريق:

أيها الإخوة الأحبة: لا أريد أن أشغلكم بمسيرتي خلال ثلاثة أرباع قرن؛ ولكنني أريد أن أعطي بعض الملامح لشبابنا الصاعد، الذين يريد بعضهم الحياة وردًا بلا شك. لعلّه يجد فيها أسوة تتبع، أو عبرة تلتمس.

لقد كانت المسيرة في عقودها الأولى صعبة، ولكن الله ذلّلها، عسيرة ولكن الله يسّرّها، ضنكة ولكن الله وسّعها.

أذكر أننا ونحن طلاب في المعهد الديني بمدينة طنطا، كثيرًا ما كانت تنفذ منا النقود، قبل أوانها المحدود، فنعيش على الخبز والملح أيامًا. وفي مرة من المرات نفذ الخبز نفسه، ولم يبق من «الزودة» إلا «الفرافيت». فظللنا نأكل منها أيامًا، وكنا مجموعة نسكن متجاورين، وكلنا عاش على هذه «الفرافيت»، وأذكر أنني بعد أن أعرت إلى قطر بعدة سنوات، أرسل إليّ أحد هؤلاء الإخوة، يريد أن يستعين بي ليتعاقد في الخليج، ويقول لي: أنسيت أيام الفرافيت؟!

وكثيرًا ما كنا نقطع الطريق من طنطا إلى قرينتنا مشاة على أقدامنا؛ إذ لا نجد قرشين نركب بهما القطار أو الأتوبيس، وكانت المسافة أكثر من عشرين كيلو مترا، وكنا نحمل سلة فيها ملابسنا، ولكن لم نكن نحس بأي تعب، وخصوصًا إننا عائدون إلى أهلنا.

لم تكن الطريق مفروشة بالأزهار والرياحين، بل كانت مفروشة بالأشواك، ولكن المهم أن معاناة هذه الأشواك لم تكن تجرح، وإن جرحت كان جرحها غير مؤلم، فقد كانت محببة إلى النفس، ولم أضق بها صدرًا، ووجدت في هذه المعاناة لذة، وفي مرارة الابتلاء حلاوة،

وعرفت من قراءاتي الأدبية أنّ هذا هو الطريق إلى العلا، وكان مما نحفظه في عهد الصبا:

بقدرِ الجدِّ تُكتسبُ المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن طلب العلا من غير كدٍّ أضاع العمر في طلب المُحال^(١)

ولقد يسّر الله علينا كثيرًا مما كان عسيرًا على من قبلنا، فقد كان أحدهم يسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد، ويرحل من بلد إلى بلد، ليطلب العلم من أهله وشيوخه، والآن وفرت لنا المطابع هذه المتاعب، وستجد الأجيال القادمة العلم أيسر سبيلًا من جيلنا، بما توفره الآليات الحديثة: الكمبيوتر، والإنترنت، وغيرهما، فبلمسة من جهاز يجد ما ينشده أمامه مسطورًا.

ولا أخفي عليكم معاناة أخرى لم تكن في طلب العلم، ولكن كانت في سبيل الدعوة إلى الإسلام، في زمن غربة الإسلام الذي يشكو إلى الله أبناء عقّوه، وأنصارًا خذلوه، حتى أصبح هذا الدين غريبًا في كثير من أوطانه، وأصبح دُعائه غرباء، ولا غرو أن يصطدموا في أحيان كثيرة بأصحاب السلطان، الذين اتخذوا «العلمانية» منهاجًا لهم، وجعلوا الغرب قبلة لهم، ورفضوا شريعة الله حاكمة لهم ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

لقد كانت ثمرة هذا الصّدام ألوانًا من الأذى في المعتقلات والسجون، نحسبها عند الله، ولا نمُنُّ بها على الله تعالى، ولا على أحد من عباده ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

(١) ذكره المناوي في فيض القدير من غير نسبة (٥٠٥/٤)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

مصارحة:

وإنِّي أيها السادة والسيدات لأصدقكم القول: إنِّي والله أعلم من نفسي علم اليقين أنِّي لستُ أهلاً للمنزلة التي أنزلتمونيها، ورقبتموني إليها اليوم، وأحفظ في هذا ما قال الرجل الرباني، ابن عطاء الله السكندري في حكمه: «الناس يمدحونك لما يظنونهم فيك، فكُن أنتَ دائماً لنفسك لما تعلمه منها. أجهل الناس من ترك يقين ما عنده، لظن ما عند الناس»^(١).

وقد روي عن عليٍّ رضي الله عنه في وصفه للمتقين أنه قال: كان الصحابة رضي الله عنهم إذا مدحهم الناس يقولون: اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون، ولا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما لا يعلمون.

وأنا أدعو مع الصحابة الكرام بهذا الدعاء، أن يغفر الله لنا ما لا يعلم الناس من تفريطنا في جنبه، وتقصيرنا في حقه، جل ثناؤه. ومن فضل الله علينا ورحمته: أنه سترنا بستره الجميل. فلا يرى الناس منا إلا ظاهراً المزين، الذي أبرزه الله سبحانه لهم، وغيب عنهم باطننا بما فيه من عيوب ونقائص مستورة. ورحم الله الشاعر أبا العتاهية حين قال:

أحسنَ اللهُ بنا أنَّ الخطايا لا تُفوح
فإذا المستورُ منَّا بين جنبيه فضوح^(٢)

وقال ابن عطاء الله هنا أيضاً: من أكرمك (من الخلق) فقد أكرم فيك جميل ستره، فالفضل لمن أكرمك وستره، ليس لمن أثنى عليك وشكرك^(٣)!

(١) حكم ابن عطاء الله، شرح العارف بالله الشيخ زروق ص ٢٧٩ - ٢٨١.

(٢) ديوان أبي العتاهية ص ١١٦.

(٣) حكم ابن عطاء الله ص ٢٦٨، ٢٦٩.

وكم يطيب لي أن أتغنى بقول الشاعر الصالح، يناجي ربه سبحانه،
وقد أثنى عليه المُثَنُّون، وأطراه المُطَرِّون:

يُظُنُّون بي خيرًا وما بي من خيرٍ ولكنني عبدٌ ظَلومٌ كما تدري!
سترت عيوبي كلَّها عن عيونهم وألبستني ثوبًا جميلًا من السُّترِ
فباتوا يحِبُّونني، وما أنا بالذي يُحِبُّ، ولكن شَبَّهوني بالغيرِ!
فلا تَفْضَحْنِي في القيامةِ بينهم وكُنْ لي يا مولاي في موقفِ الحُشرِ^(١)

ما قَدَّمناه لديننا أقل من القليل:

إنِّي لأنظر إلى ما قَدَّمت لديني ولأمتي، فأجد شيئًا قليلًا، أو أقل
من القليل.

أجل، والله أجده قليلًا، وقليلًا جدًّا بالنسبة لمستويات أخرى:

بالنسبة لمستوى الدين العظيم الذي أكرمنا الله به، وأتم به النعمة
علينا، وما يتطلبه منا من بذل وعطاء.

وبالنسبة لما قَدَّمه أسلافنا العظام لدينهم، من الصحابة والتابعين لهم
بإحسان، ومن الأئمة المتبوعين، ومن رجالِ أعلام نذروا حياتهم لدينهم؛
أمثال الغزالي والعز ابن عبد السلام، وابن تيمية، وابن القيم.

وبالنسبة لما قَدَّمه رجال مسلمون في عصرنا، صدقوا ما عاهدوا
الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً،
منهم من قدم عنقه في سبيل الله إلى حبل المشنقة، ومنهم من اغتيل
في الطريق، ومنهم من عاش حياته معافى صابراً مصابراً مرابطاً، في

(١) ذكرها ابن الحاج من غير نسبة في المدخل (٢٠٣/٣).

أيام سمّاها الحديث الشريف «أيام الصبر، القابض على دينه كالقابض على الجمر»^(١).

وبالنسبة لما يقدمه الآخرون لدينهم، فلقد رأينا اليهود يبذلون لدينهم، حتى أقاموا له دولة في قلب ديارنا، تتحدى أمتنا الكبرى، ورأينا النصاري يبذلون لدينهم حتى كانت لهم جيوش من المنصرين والمنصرات في أنحاء العالم، بلغت نحو أربعة ملايين وثلاثمائة أربعاء المليون.

تكريم لتيار الوسطية:

وإنّي أوكد هنا ما قلته في جوائز أخرى أكرمني الله بها، وهي أنّي أعتبر هذه الجائزة ليست مجرد تكريم لشخصي؛ بل هي تكريم لتيار أمثله، وأتبناه وأدعو إليه، تيار نذرت فكري وجهدي، ولساني وقلمي للتعريف به، والدعوة إليه، والدفاع عنه، وإزاحة العقبات من طريقه، ورد الشبهات والمفتريات عنه، إنّه التيار الذي عُرف منذ مدة باسم «تيار الوسطية الإسلامية».

وهو التيار الذي يعبر عن وسطية هذا الدين، الذي سمّاه الله في كتابه ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. ويعبر عن وسطية هذه الأمة التي زكّاها الله تعالى بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وعن وسطية «الخلف العدول» الذين يحملون إلى الأجيال علم النبوة، وميراث الرسالة، وهم الذين بشر بهم الحديث الشريف

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤١)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٨)، وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في الفتن (٤٠١٤)، والحاكم في الرّفاق (٣٢٢/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، عن أبي ثعلبة الخشني.

«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»^(١).

وهو الذي روي عن علي رضي الله عنه الوصية باتباع منهجه؛ إذ قال: «عليكم بالنمط الأوسط، الذي يلحق به التالي، ويرد إليه الغالي»^(٢)!

وتتميز وسطية هذا التيار في موقفه المعتدل من قضايا كبيرة مهمة، جنح فيها الكثيرون إلى الإفراط أو التفريط، ولكنه حرص دائماً أن يكون كما أمر الله تعالى في كتابه، حين قال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩].

فهذا هو موقفه الثابت في قضايا الفكر والعمل: لا طغيان ولا إخماس في الميزان.

فهو وسط بين دُعاة المذهبية الضيقة، ودعاة اللامذهبية المنفرطة. وسط بين أتباع التصوف، وإن انحرف وابتدع، وأعداء التصوف وإن التزم واتبع.

(١) رواه ابن وضاح في البدع حديث رقم (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨). عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. والحديث ذكره الإمام ابن القيم في مفتاح دار السعادة وقوّه لتعدد طرقه (١٦٣/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وكذلك العلامة ابن الوزير الذي استظهر صحته أو حسنه، لكثرة طرقه مع ما نقل من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٣٨/١ - ٤٤)، نشر دار عالم الفوائد، وانظر كلامنا عن هذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنة النبوية معالم وضوابط ص ٢٨ - ٣١، نشر دار الوفاء، مصر، ٦٦، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٣٩).

وسط بين المحكّمين للعقل، وإن خالف النص القاطع، والمغيّبين للعقل، ولو في فهم النص.

وسط بين الذين يأخذون الحضارة الغربية بخيرها وشرها، وبين الذين يرفضونها بالكلية.

وسط بين المقدّسين للتراث، وإن بدا فيه قصور البشر، والملغين للتراث، وإن تجلت فيه روائع الهداية.

وسط بين فلسفة المثاليين الذين لا يكادون يهتمون بالواقع، وفلسفة الواقعيين الذين لا يؤمنون بالمُثل العليا.

وسط بين دعاة الفلسفة (الليبرالية) التي تُعطي الفرد وتضخّمه على حساب المجتمع، ودعاة الفلسفة الجماعية (الماركسية) التي تُعطي المجتمع وتضخّمه على حساب الفرد.

وسط بين دعاة الثبات ولو في الوسائل والآلات، ودعاة التطور ولو في المبادئ والغايات.

وسط بين دعاة التجديد والاجتهاد وإن كان في أصول الدين وقطعيّاته، ودعاة التقليد وخصوم الاجتهاد وإن كان في قضايا العصر، التي لم تخطر ببال السابقين.

وسط بين الذين يهملون النصوص الثابتة بدعوى مراعاة مقاصد الشريعة، والذين يغفلون المقاصد الكلية باسم مراعاة النصوص.

وسط بين دعاة الانفتاح على العالم بلا ضوابط، ودعاة الانغلاق على النفس بلا مبرر.

وسط بين دعاة الغلو في التكفير؛ حتى كفروا كافة المسلمين المتدينين، والمتساهلين فيه ولو مع صرحاء المرتدين.



وسط بين المستغرقين في السياسة على حساب التربية، والمهملين
للسياسة كلية بدعوى التربية.

وسط بين المستعجلين لقطف الثمرة قبل أوانها، والغافلين عنها حتى
تسقط في أيدي غيرهم بعد نضجها.

وسط بين المستغرقين في الحاضر غائبين عن المستقبل، والمبالغين
في التنبؤ بالمستقبل؛ كأنه كتاب يقرؤونه.

وسط بين المقدسين للأشكال التنظيمية كأنها أوثان تُعبد،
والمتحللين من أي عمل منظم كأنهم حبات عقد منفرد.

وسط بين الدعاة إلى العالمية دون رعاية للظروف والملابسات
المحلية، والدعاة إلى الإقليمية الضيقة؛ دون أدنى ارتباط بالحركة العالمية.

وسط بين المسرفين في التفاؤل متجاهلين العوائق والمخاطر،
والمسرفين في التشاؤم، فلا يرون إلا الظلام، ولا يرقبون للظلام فجرًا.

وسط بين المغالين في التحريم؛ كأنه لا يوجد في الدنيا شيء حلال،
والمبالغين في التحليل؛ كأنه لا يوجد في الدين شيء حرام.

هذه هي بعض معالم الوسطية التي يتبناها هذا الفكر، أو هذا التيار،
وإن كان الغالب على مجتمعاتنا اليوم السقوط بين طرفي الإفراط
والتفريط، إلا من رحم ربك، وقليل ما هم.

على أن لهذا التيار معالم أخرى أساسية يتميز بها كذلك، أهمها:

- ١ - التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة.
- ٢ - الجمع بين السلفية والتجديد (أو بين الأصالة والمعاصرة).
- ٣ - الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر.

- ٤ - المزاجية بين الواجب والواقع (أو فقه الواقع).
- ٥ - الحوار والتعايش مع الآخرين، والتسامح مع المخالفين.
- ٦ - تبني الشورى والعدالة، وحرية الشعوب، وحقوق الإنسان.
- ٧ - إنصاف المرأة، وتحريرها من جور التقاليد الموروثة من عصور التخلف، ومن جور التقاليد الدخيلة الوافدة من حضارة التحلل.
- ٨ - تقديم الإسلام رسالة حضارية متكاملة متوازنة، لبعث الأمة وتحريرها وتوحيدها.

حقيقتان مؤكدتهما:

أيها الإخوة الأحبة: قبل أن أختم كلمتي هذه أود أنؤكد حقيقتين:

أما الحقيقة الأولى: أننا نحن المسلمين وحدنا نملك الوثيقة السماوية الوحيدة، التي تتضمن كلمات الله الهادية للبشرية؛ محفوظة من كل تبديل أو تحريف، لفظي أو معنوي، ممثلة في القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي تولى الله تعالى حفظه بنفسه، حتى إننا لنقرأه كما كان يقرأه الرسول وأصحابه بحركاته وسكناته، وغنّه ومدّه. ونكتبه كما كتبه الصحابة في زمن عثمان رضي الله عنه.

ونحن الليلة نحتفل بالحفاظ المتقنين له، ونكرمهم من أجله، ولا يوجد كتاب في العالم يحفظه الألوف وعشرات الألوف؛ بل مئات الألوف غير القرآن الكريم.

والحقيقة الثانية: أننا لا ننهض ولا نرقى ولا نسعد بحفظ القرآن وحده، بل لا بدّ مع حسن الحفظ، من حسن الفهم والفقه، وحسن العمل والتطبيق. ولقد كان الصحابة أقل حفظاً للقرآن، حتى إن الذين

جمعوا القرآن حفظًا واستظهارًا كانوا عددًا محدودًا، ولكنهم كانوا «قرآنيين» في فكرهم وفي سلوكهم، وفي عبادتهم وفي معاملاتهم؛ اقتداء برسولهم الكريم الذي وصفته أم المؤمنين عائشة فقالت: «كان خُلُقُه القرآن»^(١).

يجب أن يكون القرآن منهاجًا لحياة هذه الأمة، فيحيي عقولها بالمعرفة، ويحيي قلوبها بالإيمان، ويحيي أنفسها بالعزيمة على الرشد، والثبات في الأمر، واستباق الخيرات.

وما أصدق ما قاله إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه: لا يصلح آخر هذه الأمة؛ إلا بما صلح به أولها^(٢).

ولم يصلح أولها إلا بالاهتداء بالقرآن، واتباع من أنزل عليه القرآن ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

واسمحوا لي هنا أن أتقدم باقتراح وهو: ألا تقتصر الجوائز على الحفاظ وحدهم؛ بل أرى أن تتسع لكل من يخدم القرآن وعلومه بمؤلفات قيمة أصيلة، تضيف إلى العلم جديدًا، يقدره أهل العلم، فليس بالحفظ وحده يخدم القرآن.

أضع هذا الاقتراح أمام سمو الأخ الكبير الشيخ محمد بن راشد حفظه الله وسدد خطاه، وأمام اللجنة المنظمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ليوضع تحت الدراسة، عسى أن يجد السبيل إلى حيز التنفيذ.

أيُّها الإخوة، معذرة ثم معذرة إذا أطلت عليكم، فهي فرصة أغتنمها

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣١/١).

لأبثكم ما في نفسي، سائلاً الله تعالى أن يجعل سريري خيراً من
 علانيتي، ويجعل يومي خيراً من أمسي، وغدي خيراً من يومي، وأن
 يجعل خير عملي خواتمه، وخير عمري آخره، وخير أيامي يوم ألقاه،
 وأدعو لكم بمثل ذلك.

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨٢].

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

دبي ٢٠ من رمضان ١٤٢١هـ

٢٠٠٠/١٢/١٦م





كلمة وداعاً رمضان (١)^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

كُلُّ مَا لَهُ بَدَايَةٌ لَهُ نَهَايَةٌ:

كُلُّ مَا لَهُ بَدَايَةٌ لَهُ نَهَايَةٌ، اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الْأَوَّلُ بِلاَ ابْتِدَاءٍ، وَهُوَ الْآخِرُ بِلاَ انْتِهَاءٍ، هُوَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَكُلُّ مَا عَدَا اللهُ يَبْدَأُ وَيَنْتَهِي، طَالَ أَمْ قَصُرَ، فَالْإِنْسَانُ لَهُ عَمْرٌ يَبْدَأُ ثُمَّ يَنْتَهِي، مَهْمَا عَاشَ، وَالشُّهُورُ لَهَا أَوَّلٌ وَلَهَا آخِرٌ، وَالسَّنُونَ لَهَا أَوَّلٌ وَلَهَا آخِرٌ، وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَهَا أَوَّلٌ وَلَهَا آخِرٌ، ﴿فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

انقضاء العمر:

ما أسرع ما تمضي الأيام والليالي كمرِّ السحاب، وخطف البرق! كُنَّا بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ نَتَرَقَّبُ قُدُومَ رَمَضَانَ، ثُمَّ اسْتَقْبَلْنَا رَمَضَانَ، ثُمَّ انْتَهَتْ الْعَشْرُ الْأَوَّلُ، ثُمَّ الْعَشْرُ الْوَاسِطُ، ثُمَّ الْعَشْرُ الْآخِرُ، وَهَكَذَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ تَنْقُضِي أَعْمَارَنَا تَبَاعًا، شَهْرًا بَعْدَ شَهْرٍ، وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَسَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، وَدَقِيقَةً بَعْدَ دَقِيقَةٍ.

(١) أَلْقَيْتُ فِي رَمَضَانَ ١٤٢٢ هـ.

وكلُّ لحظة تمضي هي صفحة من كتاب حياتنا تُطوى، هي ورقة من شجرة عمرنا تَذْوِي وتَذْبُل.

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا رَاكِبٌ ظَهَرَ عُمُرُهُ عَلَى سَفَرٍ يُفْنِيهِ بِالْيَوْمِ وَالشَّهْرِ
بَيْتٌ وَيُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعِيدًا عَنِ الدُّنْيَا قَرِيبًا إِلَى الْقَبْرِ

كلُّ يومٍ وليلة يُبْعِدُكَ عَنْ دُنْيَاكَ، وَيُقَرِّبُكَ إِلَى نَهَايَةِ عَمْرِكَ، ولذلك نحن نفرح بالأيام أَنْ انقضت، وهي من أعمارنا، كما قال الشاعر:

وَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ إِمَّا تَصَرَّمَتْ عَلَى أَنَّهَا مِنْ عُمْرِنَا تَتَصَرَّمُ^(١)
وكما قال آخر:

يَسُرُّ الْمَرْءَ مَا ذَهَبَ اللَّيَالِي وَكَانَ ذَهَابُهُنَّ لَهُ ذِهَابًا^(٢)
يفرح الإنسان بانقضاء الأيام والشهور والأعوام، ولكنها جزء من عمره يذهب.

التزوُّد من فرص الخيرات:

هكذا انقضى رمضان بما له وما عليه، فهل سيكون حُجَّةً لنا، أم سيكون حُجَّةً علينا؟ أَيْكون شاهداً وشفيعاً لنا، أو يكون شاهداً علينا؟ كل واحد وعمله، ونيَّته، وجهده، هل أحسن الصيام، هل أحسن القيام، هل أحسن الذكر والتلاوة، هل أحسن الصَّلَاة بالناس، هل عمل خيراً، هل كانت نيَّته خالصة لوجه الله؟! هل استفاد من هذا الشهر؟!

(١) البيت للشاعر المصري علي محمود يوسف الضاني، من قصيدة: العام الجديد.

(٢) شاهد نحوي يذكره النحاة من غير نسبة، انظر: المفصل للزمخشري ص ٤٢٩، تحقيق د. علي بوملحم، نشر مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، وقد عزاه البحري إلى عبد الرحمن بن أسد الأسدي. انظر: حماسة البحري ص ٢٠٥، تحقيق د. محمد إبراهيم حُور وأحمد محمد عبيد، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م. غير أن شطره الأول: يَوُدُّ الْمَرْءُ لَوْ نَفِدَ اللَّيَالِي.

رمضان فرصة حقيقية ليتزوّد الإنسان لبقية العام، هو شهر من اثني عشر شهراً، يأخذ زاده في هذا الشهر لبقية الأشهر التالية، يشحن البطارية، فبطارية السيارة تفرغ بطول السير، ولذا كانت في حاجة إلى أن تُشحن وتعبأ، وكذلك الإنسان المسلم، تفرغ بطاريته بسيره طول العام.

والله ﷻ يُهَيِّئُ لنا أسباباً كثيرة لشحن بطاريات القلوب، من هذه الأسباب: شهر رمضان المبارك، فهو سببٌ من الأسباب المهمة لشحن بطارية الإيمان في القلب.

وهناك أسباب يومية وأسباب أسبوعية، وأسباب سنوية، كما في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكَفَّرَاتٌ ما بينهما إذا اجْتَنِبْتَ الكبائر»^(١).

الصلوات اليومية مُكَفَّرَاتٌ لخطايا اليوم، ولكن ليس الخطايا الكبرى، فهناك خطايا لا تُكفّرُها الصلاة، وإنما تُكفّرُ الصغائر، كما لو نظرت بعينيك نظرة حرام ونحو ذلك، ولكن لا تُكفّرُ القتل، أو الزنا، أو شرب الخمر، أو أكل الربا، فهذه أشياء لا تُكفّرُها الصلاة، فهي بحاجة إلى توبة نصوح، تغسل بها نفسك بدموعك.

فالصلوات الخمس تكفّرُ سيئات اليوم، ذنوب اليوم، صغائر اليوم، الجراحات اليومية، قال ﷺ: «أُرَئِيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَابٌ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا»^(٢).

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٩١٩٧)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٨)، ومسلم في المساجد (٦٦٧)، عن أبي هريرة.

ثم تأتي الجمعة كمكفر أسبوعي، صلاة الجمعة، ولقاء الجمعة، ويوم الجمعة، وخطبة الجمعة، تكفر خطايا الأسبوع.

التَّزُّود من شهر رمضان:

ثم يأتي رمضان كمكفر سنوي، ولذلك كان بعض السلف إذا جاء رمضان قالوا: مرحبًا بالمُطَهَّر. أي إنه نهر كبير يغتسلون فيه، ويتطهَّرون فيه من ذنوب العام بالصيام والقيام، «فمن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»^(١)، و«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»^(٢)، و«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»^(٣).

صيام رمضان، وقيام رمضان، وقيام ليلة القدر، كلُّها مطهَّرات سنويَّة، لكن ليلة القدر غير مقطوع بها أي ليلة هي؟ ولكنها في رمضان يقينًا، وفي العشر الأواخر رجحانًا، وفي ليلة السابع والعشرين على رأي بعض الصحابة^(٤)، ولكن ليس عندنا يقين أي ليلة هي.

المهم أنَّ هناك فرصًا بعد فرص ليتطهَّر الإنسان من سيئاته، ويُنظَّف نفسه، وبعد أن يتخلَّى عن السيئات يتحلَّى بالحسنات، فهناك تخلية وتحلية، وهناك اغتسال وتزكية، فعليه أن يُزكِّي نفسه، يزيد من رصيده،

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠١٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٦٢)، وأحمد (٢١١٩٠)، من قول أبي بن كعب. وانظر: فتح الباري (٢٦٢/٤ - ٢٦٦)، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

ويشحن بطاريته كما قلنا، فيا طوبى لمن خرج من رمضان بمغفرة من الله، وتطهر من السيئات.

روى سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أَنَّ النبي ﷺ رقى المنبر، فلما رقى الدرجة الأولى قال: «آمين». ثم رقى الثانية فقال: «آمين». ثم رقى الثالثة فقال: «آمين». فقالوا: يا رسول الله، سمعناك تقول: «آمين» ثلاث مرّات؟ قال: «لَمَّا رَقِيتُ الدَّرَجَةَ الْأُولَى جَاءَنِي جَبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: شَقِي عَبْدٌ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ. فَقُلْتُ: آمِينَ. ثُمَّ قَالَ: شَقِي عَبْدٌ أَدْرَكَ وَالِدِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ. فَقُلْتُ: آمِينَ. ثُمَّ قَالَ: شَقِي عَبْدٌ ذُكِرْتُ عَنْده وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ. فَقُلْتُ: آمِينَ»^(١).

فمن هذه الدعوات: الدعوة بالشقاء لمن أدرك رمضان، وانسلخ عنه ولم يغفر له، لأنّه وجد هذه الفرصة، من حُسن الصيام، وحُسن القيام، ولم ينتهزها.

دعا سيدنا جبريل هذا الدعاء، وأَمَّن سيدنا محمد عليه، فانظر من دعا عليه أمين السماء، وأَمَّن عليه أمين الأرض، أمين الوحي جبريل، وأمين الله على خلقه محمد ﷺ.

دوام الطاعة بعد رمضان:

فهل نستفيد من هذا الشهر الكريم، لِنُؤَظَّفَ ما استفدناه في رمضان لعملنا وجهادنا وجهودنا طوال العام؟ علينا أن نفعل ذلك ما أمكن، نحاول أن نستفيد من هذا الشهر الكريم.

(١) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٤٠٩)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره. والطبراني (٢٩١/١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣١٨): فيه عمران بن أبان وثقه ابن حبان وضعفه غير واحد وبقية رجاله ثقات. وصحّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٩٩٦)، عن مالك بن الحويرث.

وعلاوة استفادتنا من شهر رمضان: أن نَظَلَ على حُسن الصَّلَة بالله، وعمل الصَّالحات والطاعات بعد رمضان، أمّا إذا انقطعنا بعد رمضان، فهذا دليلٌ على أنَّ عملنا كان مدخولاً، فيه خلل، فعلاوة قبول الحسنة أنْ تُوفَّق للحسنة بعدها، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وعقوبة السيئة أنْ تعمل سيئة بعدها والعياذ بالله.

طريق الخير لا يقف عند حد، وطريق الشر لا يقف عند حد أيضاً، فعلينا أنْ نستفيد من شهر رمضان، نُوظِّف هذا في تنظيم حياتنا، ماذا بعد رمضان، ماذا استفدت بعد رمضان؟

يخاطب المرء نفسه: في رمضان كنت أقرأ القرآن، فلا ينبغي أنْ أنقطع عن المصحف تماماً، قد يكون أقل لكن لا أنقطع تماماً، وفي رمضان عرفتُ المساجد، ربما لا أكون مثل نشايطي في شهر رمضان، وإنّما لا أنقطع عن المسجد تماماً، وفي رمضان كنتُ أتصدّق، فلا مانع أنْ يكون تصدّقي أقل، ولكن لا أنقطع عن هذا، وفي رمضان كنتُ أصل أرحامي، فلا ينبغي أنْ أنقطع، لا بدّ أنْ تكون الصَّلَة موجودة.

طريقان، فأيهما تختار؟

ونحن نقول دائماً: من كان يعبد رمضان فإنَّ رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، فحاول أنْ تصنّف نفسك، في أيّ الفريقين أنت؟ فريق السعداء أم فريق الأشقياء؟!

الله سبحانه هو الذي صنّف الناس هذا التصنيف، أهل الجنة وأهل النار، أهل السعادة وأهل الشقاوة، أهل النعيم وأهل الجحيم، ففي كل السور التي قرأناها في الجزء الثلاثين - جزء عم - نجد هذا التصنيف:

وفي سورة النبأ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَأْبَأًا﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢].
وبجوارهم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٣].

وفي سورة النازعات: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩]. هذا الفريق يقابله فريق آخر: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وفي سورة عبس: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٢].

وفي سورة الانفطار: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٥].

وفي سورة المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]،
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢].

وفي سورة الانشقاق: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

كلُّ السور نجد فيها هذا التصنيف، في العاشية، وفي سورة الأعلى، وفي سورة الفجر، وهكذا، فالناس صنفان: أهل السعادة، وأهل الشقاوة، أهل الجنة وأهل النار، فأين تريد أن تكون؟

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلْمَرْءِ غَيْرُهُمَا فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ
الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ^(١)

(١) نسبهما إلى صالح بن عبد القدوس الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ١٣٦، نشر دار مكتبة

الحياة، نشر عام ١٩٨٦م.



فاختر الجنة، أو اختر النار، ولكلٍّ منهما طريقه.
 فيا أيُّها الإخوة، علينا في هذا الشهر أن نأخذ العبرة، وأن نلتمس
 العظة، وأن ننتفع من صيامنا وقيامنا، وتلاوتنا وذكرنا، وتسبيحنا لله وَعَلَيْهِ،
 وأن نتخذ من ذلك عُدَّةً لجهادنا في سبيل ديننا.

الهجوم على الأمة الإسلامية:

أيُّها الإخوة، تتعرَّض الأمة الإسلامية لهجمة شرسة من أعداء
 الإسلام، تتعرَّض لخطر كبير في هذه الآونة الرهيبة، تتعرَّض للغزوة
 الصهيونية، والغزوة الأمريكية، والغزوة الصليبية، ويتآمر عليها أعداء
 الإسلام، يريدون أن يقتلعوها من جذورها.

الدم الإسلامي يراق في كلِّ مكان، وأصبح هذا الدم أرخص من
 التراب، أصبح أرخص دم في الأرض هو دم المسلمين، استُبيحت
 الحُرُمات، ولم يعد لنا شيء، وهُنَّا على أنفسنا، وهُنَّا على الناس.

أعداء الإسلام يكيّدون لنا كيِّدًا، فبماذا نقف أمام أعداء الإسلام،
 بماذا نسلِّح؟ ليس عندنا ما عندهم من أسلحة نووية وكيمياوية،
 وجرثومية، هم يحلُّونها لأنفسهم، ويحرِّموننا على الآخرين.

يريدون أن يضربوا العراق، ويدمِّروا العراق؛ لأنَّه من المحتمل أن
 يكون عنده أسلحة دمار شامل، أنتم عندكم أسلحة دمار شامل، إسرائيل
 عندها أسلحة دمار شامل، وعندها أسلحة نووية، وعندها رؤوس نووية،
 وعندها وعندها؛ فلماذا تُحرِّموننا على هؤلاء وتُحلُّونها لهؤلاء؟

أَحْرَامٌ عَلَى بَلَابِلِهِ الدَّوْحُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ^(١)!

(١) من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي، انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٤٥/٢)، نشر

دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

هذا تحكّم القوي في الضعيف، تسلّط الطغيان على المستضعفين في الأرض.

تَحَكَّم الذُّبُّ فَخَضَعُ أَيُّهَا الْحَمَلُ تَكَلَّمَ السَّيْفُ فَاسْكُتْ أَيُّهَا الْقَلَمُ

الثقة في نصر الله:

يريد هؤلاء أن يأكلونا ويبتلعونا، وألا يُبقوا لنا من باقية، ولكننا نستعين الله عليهم، ونحن موقنون أن هذا الدين باق، وأن هذا القرآن محفوظ، وأن هذه السنّة محفوظة، وأن هذه الأمة باقية لأنها آخر الأمم، وأن هذه الشريعة آخر الشرائع، وأن الله تعالى تكفل بحفظ هذا الدين، وأنه ﷻ يكيد كيّدا إذا كانوا يكيدون كيّدا.

وقد قرأنا في سورة الطارق: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ * وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿[الطارق: ١٥، ١٦]. ولا شك أن كيد الله أقوى من كيدهم، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ * وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿[الأنفال: ٣٠]، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * [التوبة: ٣٢]. فالإسلام باق وسيبقى، والأمة الإسلامية باقية وستبقى، ونحن واثقون أننا سننتصر.

صحيح أنها محن تمرُّ بهذه الأمة، ولكن كم منحة في طي محنة، وإذا اشتدت المحن يُرجى من ورائها الفرج، وقد قال الشاعر الصالح:

اشْتَدِّي أَرْمَةً تَنْفَرِجِي قَدْ آذَنَ لَيْلُكَ بِالْبَلَجِ^(١)

(١) هو ابن النحوي التوزري، انظر: المنفرجتان لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ص ٤٣، تحقيق عبد المجيد دياب، نشر دار الفضيلة، القاهرة.

وكما قال الآخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاق فلماً استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج^(١)

وقد رأينا الإسلاميين في بلاد شتى يفوزون بالانتخابات رغم هذه المصائب، ورغم هذه الأزمات في كثير من البلاد، ورغم أن المؤامرات ضدهم، وقوى الشر تتآلب عليهم، ورغم كل المعوقات.

ومع ذلك انتصر الإسلاميون إلى حد كبير في المغرب، وانتصر الإسلاميون في تركيا، وانتصر الإسلاميون في البحرين، وانتصر الإسلاميون في بلاد شتى.

وهذا يدلنا على أن هذا الدين لن يُخذل أبداً، ولن يضيع أبداً؛ لأن الله ناصره، ومتوليّه، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿ [غافر: ٥١، ٥٢].

القيام بواجب النصرة:

المهم أيها الإخوة: علينا أن نبذل ما نستطيع، ألا نتخلى عن ديننا، وألا نتخلى عن إخواننا، عار علينا إن كنا عرباً، وحرام علينا إن كنا مسلمين.

لا بد أن نقف مع إخواننا ضد الظالمين، إخواننا في فلسطين، وإخواننا في الشيشان، وإخواننا في كشمير، وإخواننا في أفغانستان، وإخواننا في العراق، وإخواننا في الصومال، وإخواننا في السودان، وإخواننا في بلاد شتى.

(١) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (١٥/٥).

إِنَّ هَؤُلَاءِ يَبْذُلُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، أَفْلا نَبْذُلُ نَحْنُ مِنْ أَمْوَالِنَا، حَتَّى مَقَاطَعَةَ بَضَائِعِ هَؤُلَاءِ الصَّهَائِنَةِ، وَالْأَمْرِيكَانِ، وَغَيْرِهِمْ لَا نَرِيدُ أَنْ نَقَاطِعَهَا، مَعَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَدُّ الْأَدْنَى.

وَعَلَيْنَا أَيْضًا أَنْ نَدْعُو لَهُمْ فِي صَلَوَاتِنَا وَفِي خَلَوَاتِنَا، وَفِي أَسْحَارِنَا، وَنَهْتَمُّ بِهِمْ، وَنَعِيشُ مِنْ أَجْلِ إِخْوَانِنَا، نَشْعُرُ بِشُعُورِ الْأُمَّةِ.

الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ هِيَ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَأَكْثَرُ الْحُكَّامِ لَا يَشْعُرُونَ بِهَذَا، وَلَكِنْ جَاءَتْ هَذِهِ الْحَوَادِثُ، وَجَاءَ عَمَلُ الْأَمْرِيكَانِ هَذَا، لِيُشْعِرَ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، بِأَنَّهَا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ يُعَامِلُونَ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ كُلَّهَا مِنْ جَاكِرَتَا إِلَى الدَّارِ الْبَيْضَاءِ بِاعْتِبَارِهَا أُمَّةً وَاحِدَةً، اعْتَبَرُوهُمْ كُلَّهُمْ فِي سَلَةِ وَاحِدَةٍ، فَهَمُ وَحَدُوا الْأُمَّةَ رَغْمَ مَوْتِهَا.

مِنْذُ أَوَّلِ أَمْسٍ صَلَّى أَكْثَرُ مِنْ مِليُونَيْنِ فِي الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ وَالْحَرَمِ الْمَدْنِيِّ؛ مِنْ أَيِّ الْأَجْنَاسِ هَؤُلَاءِ؟ إِنَّهُمْ عَرَبٌ وَعَجَمٌ وَأَتْرَاكٌ وَهِنُودٌ وَأَفَارِقَةٌ وَإِيرَانِيُونَ وَمَالِيزِيُونَ وَإِنْدُونِيسِيُونَ، وَمِنْ أَوْرَبَا وَمِنْ أَمْرِيكََا وَمِنْ الشَّرْقِ الْأَقْصَى، وَمِنْ كُلِّ مَكَانٍ، هَذِهِ هِيَ الْأُمَّةُ

نَحْنُ هُنَا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَعَنَا عَرَبٌ، وَمَعَنَا عَجَمٌ، وَمَعَنَا هِنُودٌ، وَمَعَنَا بَاكِسْتَانِيُونَ، وَمَعَنَا أَفَارِقَةٌ، وَمَعَنَا بِلَادُ شَتَّى، فَنَحْنُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ.

فَعَلَيْنَا أَنْ نَحْمِلَ هَمُّ الْأُمَّةِ، وَنَحْيَا بِشُعُورِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، يَعِشُ فِي كُلِّ مَنَا شُعُورِ الْأُمَّةِ، أَنْتَ مُسْلِمٌ وَلَكِنْ فِي قَلْبِكَ وَفِي وَجْدَانِكَ، وَفِي شُعُورِكَ تَحْمِلُ هَمُّ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، فَنَحْنُ نَدْعُو قَائِلِينَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَانصِرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ الْعَرَبُ.



وهكذا يجب أن نعيش بهذا الشعور أيُّها الإخوة، نعمل ما نستطيع
لنُصرة ديننا، ونُصرة قضايانا، ونُصرة أمتنا، ومساعدة إخواننا، وندعو الله
أن يتقبَّلنا، وأن يقبل منا.

ربَّنَا تقبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وتب علينا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ، واهدنا إلى الحق وإلى طريق مستقيم، اللهم آمين.

* * *





كلمة وداعاً رمضان (٢) (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

اغتنام الخيرات:

ها نحن نُودِّع شهرَ رمضان، وكُنَّا بالأمس القريب نستقبل شهر رمضان، ما أسرع مرور الأيام بين الاستقبال والوداع! مرَّت الأيام كالسَّحاب، وهكذا تمرُّ أيام الخير سِراعًا، والسعيد مَنْ انتفع بهذه الأيام، والشقي مَنْ مرَّت هذه الأيام دون أنْ يغتنمها، ويزيد رصيده من الصالحات عند الله وَجَلَّ .

تضييع الفرص:

الشَّقِيُّ حَقًّا مَنْ حُرِمَ رحمة الله في شهر رمضان، لأنَّ الرحمة تُوزَّع، والمغفرة تُوزَّع عن يمين وشمال، وهذا الشقي البائس المحروم المسكين لم ينل حظَّه منهما، وهذا هو الذي دعا عليه جبريل وأمَّن عليه محمد ﷺ، دعا عليه أمين السماء، وأمَّن عليه أمين الأرض، كما ورد في الحديث: أنَّ رسولَ الله ﷺ دخل المسجد وصعد المنبر، فقال: «أمين آمين آمين». قال:

(١) أُلقيت في رمضان ١٤٢٣هـ.

«أتاني جبريل ﷺ، فقال: يا مُحَمَّد، من أدرك أحد أبويه، فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين. فقلت: آمين. فقال: يا مُحَمَّد من أدرك شهر رمضان، فمات فلم يُغفر له، فأَدْخَلَ النار، فأبعده الله، قل: آمين. فقلت: آمين. قال: ومن ذُكِرَ عنده، فلم يصل عليك، فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين. فقلت: آمين»^(١).

لقد ضيَّع الفرصة العظيمة، أنْ يصوم رمضان إيمانًا واحتسابًا، فيُغفر له ما تقدَّم من ذنبه، أو يقوم رمضان إيمانًا واحتسابًا، فيُغفر له ما تقدَّم من ذنبه، أو يقوم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، فيُغفر له ما تقدَّم من ذنبه.

عظمة المثوبة خير حافز:

وليس صيام رمضان - إيمانًا واحتسابًا - عملية صعبة جدًا، أو شاقَّة مستحيلة، لا والله، مَنْ أرادها بحق استطاعها، فيصوم إيمانًا واحتسابًا، يصوم بطنه، يصوم فرجه، يصوم لسانه، وتصوم عينه، وتصوم أذنه، وتصوم جوارحه عن كل ما حرَّم الله: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٢).

«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»^(٣)، صام لوجه الله، وتصديقًا بما وعد الله، وابتغاء ما عند الله من المثوبة والأجر، لم يصمه على أنه مجرد عادة تعودها قومه، أو ورثها من أهله، واحتسابًا بما عند الله، ولذلك أدَّى للصيام حقَّه، لو فعل ذلك لخرج من رمضان

(١) رواه الطبراني (٢٤٣/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤٠٩): رواه الطبراني بأسانيد وأحدها حسن، ولهذا الحديث طرق في الأدعية في الصلاة على النبي ﷺ. عن جابر بن سمرة.

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه ص ١٠٠.

مغفوراً له، غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه، المستقبل الله أعلم به، لكن يكفي أنك تضمن ماضي نظيف، ليس فيه ما يُعكر صفوه، ومن يستطيع ذلك؟ من يحصل على ذلك هو السعيد، «ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»^(١).

نرجو الله - أيّها الإخوة - أن يكون الحاضرون في هذا المسجد مواظبين على صلاة التراويح بجزء من القرآن، أن يكونوا ممّن قاموا رمضان إيماناً واحتساباً، فخرجوا من هذا الشهر مغفوراً لهم، الآن جاء وقت الحصاد، في المدة الماضية كان وقت الزرع، طوال الشهر نزرع، وآخر الشهر نحصد.

علامة قبول الطاعات:

وليس الحصاد في الآخرة فقط، فالإنسان ينال جزءاً من الحصاد في هذه الدنيا أيضاً، تجد نوراً في قلبك، انشراحاً في صدرك، هداية إلى الرُّشد، توفيقاً في أمورك إلى الصّالحات بعد رمضان، تجد أنك موفق للعمل الصّالح بعد شهر رمضان الكريم، وعلامة قبول الحسنة، أن توفّق للحسنة بعدها، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ الصّٰلِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، فالموفق حقاً من شعر بالإقبال على الله بعد رمضان.

هناك فئة من الناس تنقطع عن المسجد بعد رمضان، وتنقطع عن تلاوة القرآن، وتنقطع عن النوافل والتطوع، وتنقطع عن عمل الخير. الانقطاع لا يجوز، يمكن أن يقلّ نشاطه، لا مانع، لكن ينبغي أن تظلّ مقبلاً على الله وعلّك ما استطعت، فهذا هو شأن الإنسان المؤمن، من كان

(١) جزء من الحديث السابق.

يعبد رمضان فإنَّ رمضان قد مات أو أوشك أن يموت، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت.

انشغال المؤمن بالقبول:

المؤمن الصالح يبحث دائماً عن القبول: هل قبل عملي هذا أم لا؟ مرض أحد الصالحين، فزاره بعض أصحابه في مرض موته، ووجدوه يبكي بكاء حاراً، فقالوا: علام تبكي وقد رأيناك مصلياً، صائماً، متصدقاً، عاملاً للخير، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر؟ فقال لهم: وما يدريني أن شيئاً من هذا قد قبله الله تعالى مني، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]^(١). من أين لي أن أعرف أن الله تعالى قد قبل مني؟

وكان أحد الصالحين يقول: لو علمت أن الله قد قبل مني ركعتين بالقطع واليقين، لكان ذلك خيراً لي من الدنيا وما فيها. قالوا له: لماذا؟ قال: لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. فقبول هاتين الركعتين يعني أنني من المتقين، فأطمئن على نفسي.

القبول إذن هو الأساس، ولذلك بعد أن رفع سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام القواعد لبناء الكعبة المشرفة، وانتهيا من البناء قالوا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. وهذا هو شأن المؤمن دائماً، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُثْتُ إِلَيْكَ وَلَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ * أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ * [الأحقاف: ١٥، ١٦]، فقبول الله العمل هو الأساس وهو المهم، هل قبلت أم طردت؟ إذا كنت قبلت فقل: الحمد لله.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (١٧٩)، عن عامر بن عبد الله.

ولذلك حينما مرَّ وهيب بن الورد يوم العيد على جماعة يضحكون ويمرحون ويلهون - لعلَّ اللهو المحرم - فقال لهم: ما هذا؟ إن كان الله قد قُبِلَ منكم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يُقْبَل منكم فما هذا فعل الخائفين^(١). فينبغي على الإنسان أن يتعلَّق قلبه بالقبول: هل قُبِلت أعمالي أم لا؟

وقد ذكر الله ﷻ من أوصاف المسارعين في الخيرات من الصالحين أنهم: ﴿يُؤْتُونَ مَاءَاتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قالت عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَاتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾، أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ - أَوْ لَا يَا بِنْتَ الصَّدِّيقِ - وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ»^(٢).

فرق بين المؤمن والمنافق:

وهذا فرق بين المنافق والمؤمن، المنافق يعمل السيئات، ويقول: أطمع أن يُغفر لي، مثل ما حكى الله عن اليهود: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩].

أمَّا المؤمن، فهو الذي يعمل الصالحات، ويخشى أن لا يُقْبَلَ منه، لأنَّه ربما يكون وقع منه خلل في هذه الصالحات، لم يستوف شروطها، لم يوف أركانها، لم يكن فيها الإخلاص الكافي، فيها شيء من رياء،

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٤٥٣).

(٢) رواه أحمد (٢٥٢٦٣)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في التفسير القرآن (٣١٧٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٩٨)، والحاكم في التفسير (٣٩٣/٢)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٣٧)، عن عائشة.

فيها ابتغاء الشهرة والمحمدة عند الناس فيبطلها، مثل الذي يبطل صدقاته بالمن والأذى، يتصدق على فقير فيمن عليه أو يؤذيه ويجرح شعوره، فيضيع بذلك عمله، قد يكون فيه رياء عند دخول العمل أو قبله أو عجب بعد دخول العمل، والعجب بعد العمل يبطله.

قال ابن عطاء الله السكندري: رُبَّما فتح الله لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قدر عليك المعصية فكانت سبباً في الوصول، معصية أورثت ندمًا وانكسارًا خير من طاعة أورثت عجبًا واستكبارًا^(١). ربما تغرُّك طاعتك، تجعلك تقول: مَنْ مثلي؟ هل يوجد من عمل مثل ما عملت؟ أنا الذي أصلي وأصوم، وأذهب سنويًا لأداء العمرة، وأحج كل سنة، وأنا الذي أعمل كذا وكذا من الخيرات. أنت تضيع بذلك عملك.

المهم إذن - أيها الإخوة والأخوات - بعد المعاناة والعمل في هذا الشهر الكريم هو القبول؛ هل قبلت أيها الأخ المسلم، هل قبلت أيتها الأخت المسلمة؟ هذا ما يجب أن نهتم به، من أي الصنفين نحن؟

طريقان وفريقان:

ومن قرأ «جزء عم» يجد الناس قد قسّموا فيه إلى قسمين: سعداء وأشقياء، أبرار وفجار، أهل الجنة وأهل النار، ويمكنه أن يختار لنفسه.

نقرأ مثلاً في سورة النبأ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّٰغِينَ مَآبًا * لِّبَثِّينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وَفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢١ - ٣٠]. هذا صنف، ومقابله:

(١) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق ص ٢٢٤.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأَسَاءَ دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا * وَلَا كِذَابًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبا: ٣١ - ٣٦]. وهكذا، هناك الطاغون، وهناك المتقون.

وفي سورة النازعات: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ * وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١]، فريقان واضحان تمامًا.

وفي سورة عبس: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ أُمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣ - ٣٧]. ثم يقسم الناس إلى قسمين: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَاسِقَةٌ * تَرَهَّقَهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٢]، هكذا، الكتاب واضح.

وفي سورة الانفطار: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

وفي سورة الانشقاق، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٥]، هذا الذي كان مسرورًا في الدنيا بما يفعله من باطل سيركبه الهَمُّ كله يوم القيامة، يوم يأخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره.

اختر لنفسك:

هكذا ينقسم الناس يوم القيامة، فمن أي الفريقين أنت؟ حاول أن تجعل نفسك من صف الناجين السعداء، من أهل الجنة، أهل رضوان الله ﷻ، قال أحد خلفاء بني أمية، هشام بن عبد الملك لأبي حازم:

يا أبا حازم، أين مصيري يوم القيامة؟ قال له: اعرض نفسك على كتاب الله، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفطار: ١٣، ١٤]^(١). فأنت تستطيع أن تعرف مصيرك غداً، وذلك بما أنت عليه اليوم، وبالطريق الذي تسير فيه.

إيّاك يا أخي أن تمشي في طريق الفجّار، امش في طريق الأبرار، اتّخذ من رمضان، من قيام رمضان، من الذكر والتّسبيح في رمضان، من تلاوة القرآن والاستماع إليه في شهر رمضان، اتّخذ من ذلك كله زاداً طوال أحد عشر شهراً، اشحن البطارية في رمضان تنفعك طوال السنة، وإلا فإذا خرجت من رمضان فارغ البطارية، فما أضيع هذه الأيام، وما أضيع هذه الأوقات حين لم تستفد من رمضان شيئاً.

يا أيّها الإخوة، كم كان لنا إخوة وأحبة وأقرباء وأصدقاء في رمضان الماضي، غابوا عنا في رمضاننا هذا، وهكذا نودّع دائماً كثيراً من الأحباب والمعارف والأصدقاء، هذه هي الدنيا، كلّ حيٍّ فيها إلى ممات، وكل شيء فيها إلى فناء، حتى الأيام، كل ما له أوّل له آخر، الذي لا أوّل له ولا آخر هو الله وَجَلَّ، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٣].

نحن لا يسعنا في ختام هذا الشهر الكريم إلا أن نسأل الله تبارك وتعالى أن يخرجنا من هذا الشهر بمغفرة ورحمة وعتق من النار، وأن يختم لنا فيه بالسعادة والإيمان والقبول، وأن يجعل يومنا فيه خيراً من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيراً من يومنا، وأن يعزّ الإسلام، وأن يجعل

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٣٤٥٦)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر

دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.



كلمته هي العليا، وأن ينصر إخوتنا المجاهدين في فلسطين وفي العراق وفي كل مكان، وأن يأخذ بأيدي إخوتنا المضطهدين والمُمتَحنين في كل مكان، وأن يجعل لهذه الأمة من عُسرِها يُسرًا، ومن همِّها فرجًا، ومن ضيقها مخرجًا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨]، اللهم آمين، وصل اللهم على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مؤتمر تحرير المرأة في الإسلام^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

يأتي عليّ خاطر عندما أقارن بين ما فعله العلمانيون بالعطاء المحدود لقاسم أمين وبين موقف الإسلاميين من أ. عبد الحليم أبو شقة؛ عندما أقارن كيف نجد أنّ العلمانيين جعلوا قاسم أمين شاغل الدنيا قرنًا من الزمان، بينما وقف الإسلاميون موقفًا سلبيًا من عمل أ. عبد الحليم أبو شقة، عندما أقارن هذه المقارنة أرى كيف أنّ هناك علماء ظلمهم أصحابهم، فهل نقف من هذا العمل هذا الموقف غير اللائق، ونقتصر على مجرد ندوات يعتبرها البعض مجرد ضياع للوقت، أم هل تتحول إلى قرارات يقف الفرد منها موقفًا جدّيًا.

إنّنا نأمل في أن يتحول عمل أ. عبد الحليم أبو شقة إلى نقطة بداية، لنقول من هنا يبدأ تحرير المرأة، ويصبح لدينا مخطط نعمل به لتحرير المرأة في هذا العمل.

لقد أنفق أ. عبد الحليم أبو شقة أموالًا واختار نخبة لتعاونه في هذا العمل، ولكن الصدق أقول إنّ ٩٩٪ من الأعمال التي تتم باسم هذا

(١) أُلقيت في المؤتمر المنعقد في القاهرة، ٢٢ - ٢٣ فبراير ٢٠٠٣م.

العمل لا علاقة لها بما قصده أ. عبد الحليم أبو شقة من هذا العمل، أو أن يتحول أ. عبد الحليم أبو شقة بديل قاسم أمين في قضية تحرير المرأة، ويتحول كتاب «تحرير المرأة في الإسلام» للأستاذ عبد الحليم أبو شقة بديلاً عن كتاب «المرأة الجديدة» أو كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين.

وأتفق مع ما أشار إليه أخي المفكر الإسلامي محمد عمارة؛ في أن العلمانيين يهتمون بعلمائهم وشعرائهم، ومفكريهم وأدبائهم، ويُقدِّسونهم ليجعلوا من «الحبة قبة»، ولكن الإسلاميين لا يعملون ذلك، هم يُزيِّفون بعضهم بعضاً، ونحن لا نعطي أدنى الحقوق لبعضنا، لقد أشار محمد عمارة إلى كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين، وهناك كتاب آخر هَلَّلَ له الناس وهو كتاب علي عبد الرازق: «الإسلام وأصول الحكم».

إنَّ عبد الحليم أبو شقة لهو جدير بأن يُقدَّره من عرفه وعاشه، ومن لم يعرفه ولم يعاشه. فقد التقيت معه في قطر وعاشته أكثر من ثلث قرن، وكان رَحِمَهُ اللهُ مشغولاً بالفكر وتسجيل الفكر، ولم يكن مجرد مشغول؛ بل كان دائماً يسلك الطريق العملي.

فقد سعى من أجل إصدار مجلة المسلم المعاصر، جمع لها علماء من كل مكان حتى خرجت إلى حيز الفضاء، وما زالت مستمرة بفضل جهود د. جمال عطية.

إنني ما رأيت رجلاً في أخلاق وصفات عبد الحليم أبو شقة، سره كعلايته، لا يرضى أن يلقى الناس بوجهين، كان اسم عبد الحليم فعلاً مرتبطاً بصفات الحلم والأناة فيه، وهذه الصفة هي التي وصف الله تعالى بها نبيّه إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

لقد مكث عبد الحليم عشرين عامًا من أجل إتمام هذه الموسوعة، تاركًا عمله كمدير لمدرسة في قطر، فقلنا له: ابحث ولا تترك العمل. فقال: لقد قرأنا عن السلف: «أنَّ العلم لا يعطيك بعضه حتى تؤتيه كلَّك»^(١). وكان كثيرًا ما يسافر هو وزوجته إلى بلد عربي أو أوروبي تاركًا البيت والأولاد؛ ليخلو إلى نفسه، ويتفرغ إلى كتاباته، وكان يقرأ كثيرًا ما يكتبه، وكان يراجعه كثيرًا، ويعرضه على أصحابه من أهل العلم؛ فمنهم الميسر ومنهم المعسر، فكان يأتيني به مرات لأراجعه؛ فأبدي عليه بعض الملاحظات ثم يُعدِّله ويعيده إليَّ مرات، فقد أخذ هذا الكتاب حقَّه حتى خرج في هذه الصورة.

لقد تميَّز رَحِمَهُ اللهُ بالصبر، فأحبَّه الجميع من الفئات المختلفة: مسلمين وغير مسلمين، صوفيين وسلفيين، شيوعيين وعلمانيين، ولكن لم يقف أمامه إلا جماعة من المتشددین الذين عكفوا على المغالاة في الدين، وقد طلب منهم كثيرًا أن يجلسوا معه ويحاورونه ويحاورهم؛ فربما يرجع هو عن أفكاره، ولكنهم قالوا: الكتاب مرفوض عندنا جملة وتفصيلاً. وعلَّق على ذلك الداعية الإسلامي الكبير علي الطنطاوي بقوله: إنَّ هؤلاء يرفضون البخاري ومسلم، لأنَّ هذا الكتاب قائم على أحاديث البخاري ومسلم والقرآن.

من أخلاقه أيضًا أنه كان رجلَ حوارٍ إلى أقصى حد، يؤمن بأنَّ الحوار دائمًا يقرب بين المتباعدين، ويساعد على تلاقي الأفكار، كان يحاور كلَّ الفئات، كلَّ الناس، كلَّ من خالفه في الفكر والعقيدة.

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة (٢٥١/١٤)، تحقيق مصطفى

عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

كنا نتحدّث عن القاعدة الشهيرة للأستاذ البنّا؛ أخذًا بمقولة رشيد رضا: «نتحاور فيما اختلفنا فيه» قائلًا: أنا أتفق مع الشق الأول من القاعدة، لكن لي ملاحظة على الشق الثاني، وهي أن يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

فأنا أرى أن نتحاور في المختلف فيه؛ لأن يعذر بعضنا بعضًا لا تقدم شيئًا، فالحوار يقرب الآراء بعض الشيء، فيمكن أن نسمي القاعدة الثانية القاعدة الماسية.

يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، ومع ذلك نرى البعض يقول: إن الرجل يدفع المهر ليملك البضع، وهذا بالطبع دليل مردود عليه، فالحياة الزوجية تقوم على المودة والرحمة والعون، فإذا كان الرجل يستمتع بالمرأة، فالمرأة تستمتع بالرجل. فالقرآن يقول: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومن الأمور التي تشدّد فيها بعض الفقهاء على النساء: قضية المنع من الذهاب إلى المسجد، فقد كانت المرأة في عهد الرسول تذهب إلى المسجد، تصلي الصلوات الخمس، حتى الفجر والعشاء، وجاء في «صحيح البخاري»: «أنهن كنَّ ينصرفن لا يُعرفن من الغلس^(١)». وكان ذلك في وقت لم تكن الطُّرق مضاعة ولا ممهدة، ومع هذا لم يمنعهن رسول الله ﷺ من ارتياد المسجد.

(١) رواه البخاري في الأذان (٨٧٣)، عن عائشة.

وكانت عاتكة رضي الله عنها - زوج عمر رضي الله عنه - تذهب إلى المسجد، وكان عمر رجلاً غيورًا. فقليل لها: إنَّ عمر لا يحبك أن تذهبي إلى المسجد. فقالت: وما له لا ينهاني؟ فقليل لها: يمنعه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»^(١) فلم تتوقف عن الذهاب للمسجد للصلاة، حتى أنه حينما طعن عمر كانت هي في المسجد في ذلك الوقت^(٢).

كان لعبد الله بن عمر ابنٌ، فقال: والله لأمنعهنَّ، إنَّما يتخذنه دخلاً^(٣). يعني هناك نيّة سيئة! فغضب عليه ابن عمر، وقال له: أقول لك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول: والله لأمنعهنَّ؟! فوالله لا أكلمك. فما كلّمه حتى مات^(٤).

وفي العصر الأموي: قالت أم المؤمنين السيدة عائشة: لو عَلِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن بعده لمنعهنَّ من الخروج^(٥). وكان رسول الله قد أمرهنَّ أن يذهبن إلى المسجد غير متبرجات وغير متعطرات، فأخذ بعض الفقهاء هذه الكلمات نكاية لمنع النساء من الخروج من البيت. ففي أول الأمر كانوا يمنعون المرأة الشابة، ويسمحون للعجوز أن تذهب، وفي العصور المتأخرة منعوا حتى العجوز من أن تخرج إلى المسجد.

فلاحظ مثلاً أن النساء في القرية كنَّ لا يركعن لله ركعة، ويصمن رمضان كلّهُ حتى وهنَّ حِيضٌ! ولكنهن لا يُصلّين، ما علّمهنَّ أحد.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٠٠)، ومسلم في الصلاة (٤٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٤٥٢٢)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في الصلاة (٤٤٢)، وأحمد (٥٠٢١).

(٤) رواه أحمد (٤٩٣٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٥) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٦٩)، ومسلم في الصلاة (٤٤٥).

إنَّ الفقهاء عندما قالوا: إِنَّ المرأة لا تذهب إلى المسجد، قالوا: على أبيها أَنْ يُعَلِّمَهَا، وعلى زوجها أَنْ يُعَلِّمَهَا. ولكن إذا كان الأب نفسه أو الزوج لا يعلم ولا يفقه، فكيف إذن سَيُعَلِّمَهَا؟ وقد ضلَّ من كانت العميان تهديه!

وفي العديد من الدول الإسلامية حتى الآن، خاصة بلاد المذهب الحنفي لا تذهب المرأة إلى المسجد، بدعوى أَنَّهُم أحناف، والمذهب يُحرَّم ذلك. والمذهب يفرض أَنْ يُعَلِّمَهَا زوجها. ومن المفترض أَنَّ الزوج سيذهب ويقول لزوجته: هذه خلاصة المحاضرة التي ألقى في الجامع. طبعًا هذا لن يحدث. فالمسجد فيه علم وفقه وعبادة؛ فكيف نحرم المرأة من العلم ورسول الله ﷺ يقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١)؟ أي: ومسلمة.

فكيف نحرم المرأة من التعليم والتعرُّف على الأخوات المسلمات الأخريات، فقد يعملن معًا عملَ خيرٍ مشترك، ويُعِنَّ بعض على الطاعات. فهناك أناس حرّموا المرأة من الذهاب إلى المسجد للعبادة، ولكنها في الوقت نفسه تذهب إلى الجامعة وإلى السوق، في الوقت الذي تذهب فيه النصرانية إلى الكنيسة، واليهودية والهندوسية تذهب إلى المعبد، والمرأة المسلمة هي المحرومة!

والغريب أَنْ يَأْتِيَ ذلك كله باسم الدين، ولذلك فنحن نقول: إِنَّ عبد الحليم أبو شقة قد جمع هذه النصوص لتساند المرأة في موقفها، وتساند الداعين في أَنْ تأخذ المرأة حقَّها في عبادة الله، وفي المشاركة في كافّة أمور الحياة.

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣)، عن أنس.

فنحن نجد في عصر النبوة التيسير في أمور الدين، ولكن كلما تقدّمنا وجدنا كثيرًا من التشديد بدعوى الأخذ بالأحوط! حتى أصبح الدين كله عبارة عن مجموعة من الأغلال، وما جاء رسول الله إلا كما قال القرآن: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وعبد الحليم أبو شقة كان يميل إلى التيسير، ورفع الحرج عن المرأة المسلمة.

فقضية ملاقة المرأة والرجل وارتداء المرأة زيّها وزينتها أخذ منه مجلد. ففي كتاب الإمام البخاري مثلاً نجد باب غزو النساء وقتالهن، ويذكر ما جاء في ذلك من أحاديث باب عيادة الرجال للنساء، وباب إلقاء النساء السلام على الرجال، ومع ذلك نجد مثلاً أن البعض يقول: إنّ إلقاء السلام على النساء مكروه! والرسول ﷺ كان يلقي السلام على الأطفال والنساء. فكان يلقي السلام على أمّ هانئ.

فأنا وجدت أنّ أنصف فقيه للمرأة هو الإمام أبو محمد ابن حزم، الذي جعل من حقّها أن تتولّى القضاء؛ بل هو يرى إمكانية أن تكون نبيّة كمریم ابنة عمران؛ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]، وكذلك أم موسى، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]^(١). إلى هذا الحد ذهب برأيه!

ويرى أبو شقة أنّ المرأة يمكن أن تكشف عن وجهها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وإن كان النقاب فرض فكان من الممكن أن يقول وليضربن بخمرهن على وجوههن!

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١٣/٥)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

وكذلك يرى البعض أنّ كشف المرأة وجهها هو معصية، ولكن في الحقيقة أنّ هذا الأمر مختلف فيه، والأمور المختلف عليها لا يحق الإنكار عليها، والآيات والأحاديث والتطبيقات العملية في عهد الرسول ﷺ تدل على أنّ النساء في عهد الرسول ﷺ كنّ ساترات، ولم يكن عليهن نقاب إلا القليل.

ف نجد أنّ بعض الأحاديث تقول جاءت سودة للرسول ﷺ وكانت منتقبة، وكأنّ هذا قد لفت نظر الراوي، وكأنه أمر غير معتاد، ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]. فإذا كانت المرأة تلبس السواد وتغطي وجهها؛ فعن أي شيء يغض الرجل بصره؟!

وهناك أيضًا من شدّد على المرأة في قضية الشهادة، فالقرآن الكريم يقول: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فهذا لا يعني أنّ شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل، أو إنكار لوجود المرأة، ولكن اهتمام المرأة في الأمور الماليّة والتجارية قد يقل عن اهتمام الرجل، والتذكر قد يأتي حسب الأهمية؛ فالشيء الذي لا يهم الإنسان قد لا يتذكره؛ فقال الله ﷻ: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. ليس لأنّ المرأة أقل ذكاء من الرجل، فهناك بعض الأمور تقبل شهادة المرأة وحدها؛ مثل الأمور المتعلقة بالحيض والنفاس، وتقبل شهادتها في الأماكن التي لا يكون فيها إلا النساء فقط.

ونجد كذلك التشديد في قضية الميراث، وهذه قضية الأولاد بالذات، فالقرآن يقول: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١]، وكذلك الأخوة والأخوات من الأم فهم شركاء في

الثالث، البنات والأولاد، وهذا يختلف حسب الأعباء المالية لكل من الذكر والأنثى؛ فالولد إن أراد أن يتزوّج، فهو يدفع المهر والبنات تأخذ مهرًا، فالبنات نصيبها يزيد والولد نصيبه يقل لحساب بنت أخرى، فشرعة الإسلام لم يضعها الرجال ليتحيزوا ضد النساء، ولم تضعها النساء ليتحيزن ضد الرجال، ولكن وضعها رب النساء والرجال وَعَلَّ فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥]، وهذا يُحقّق العدل المطلق بين النساء والرجال في الإسلام.

ولكن الكثير من الفتاوى هي التي شدّت على المرأة، فنجد بعض الفتاوى قد حبست المرأة، والقرآن جعل عقوبة الفاحشة في أول الأمر الحبس في البيت؛ قال تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥]، وبذلك فقد ساوى بين الكريمة ومرتكبة الفاحشة!

ف نجد مثلاً في بلاد الخليج الرجل يخطب المرأة دون أن يراها، والرسول ﷺ يقول: «انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^(١). وقد يُبعث لهذا الخاطب بصورة الفتاة وتصبح زوجته دون أن يراها إلا ليلة الزفاف، مع أن هذه الفتاة قد تذهب إلى المدرسة والأسواق، وتسافر لندن والقاهرة، ويراها الرجال كلهم إلا هذا الخاطب، وهذه تقاليد

(١) رواه أحمد (١٨١٣٧)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. والترمذي (١٠٨٧)، وحسنه، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٦)، عن المغيرة بن شعبة.



ما أنزل الله بها من سلطان، فقد فرضوا على المرأة أن تنتقب في الطواف، والرسول يقول: «لا تنتقب المحرمة، ولا تلبس القُفازين»^(١).

فنحن ندعو المرأة المسلمة أن تعود إلى كلام ربها وسُنَّة رسولها، وتساهم مع أشقائها من الرجال، كما قال الرسول ﷺ: «النساء شقائق الرجال»^(٢).

* * *



(١) رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨٣٨)، وأحمد (٦٠٠٣)، وأبو داود في المناسك (١٨٢٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرّجوه: حديث حسن لغيره. وأبو داود في الطهارة (٢٣٦)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٦٣)، عن عائشة.



وداع القائد الفلسطيني ياسر عرفات^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على رحمة الله للعالمين، وحبته على الناس أجمعين، سيدنا وإمامنا، وأسوتنا ومعلمنا وقائد ركبنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته واهتدى بسنته وجاهد جهاد إلى يوم الدين.

(أما بعد)

بلغ الكتاب أجله:

أيها الإخوة: أخيراً بلغ الكتاب أجله، وحُتمّ القضاء، ولم يُغنِ طبّ ولا دواء؛ لأنّ الداء كان من السماء، أخيراً ودّع إخوتنا في فلسطين، وودّعت الأمة العربية والأمة الإسلامية القائد الفلسطيني التاريخي أبا عمار ياسر عرفات، وهكذا كلُّ حيٍّ إلى ممات: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٥]،

(١) توفي ٢٨ رمضان ١٤٢٨هـ - ١١ نوفمبر ٢٠٠٤م.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ ﴿[الزمر: ٣٠، ٣١].

مات أبو عمار، وحزن الأكثرون على موته، وفرح الأقلون بموته، ومن هؤلاء الأقلين الصهاينة والأمريكان، فكانوا يودون غيابه عن الساحة، ويطمعون أن يكون من يخلفه ألين منه عريكة، وأكثر منه طواعية لما يريدون لفلسطين ومستقبل فلسطين.

قائد تاريخي مهما اختلف معه المختلفون:

كان أبو عمار قائداً تاريخياً للنضال الفلسطيني، مهما اختلف معه المختلفون، فالرجل عاش عمره لهذه القضية منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، ومنذ أكثر من أربعين عاماً قاد النضال الفلسطيني، وأسّس «حركة فتح»، التي تأسست من كواد إسلامية في الأصل، كان يغلب عليها الإسلاميون، فالشباب الذي تربى في الدعوة الإسلامية في غزة والخليل وغيرها هم الذين تبنّوا تأسيس «حركة فتح»، وتبنّوا تأسيس هذا الشعار: «ثورة حتى النصر»، وكان الشباب الإسلامي في فلسطين، في الكويت، وفي قطر عموداً فقرئاً لهذه الحركة في بداية أمرها! كان هنا في قطر عدد من هؤلاء القادة الأخ الشهيد محمد يوسف النجار، الذي كان يعمل في مكتب وزير التربية في قطر في ذلك الوقت، مناصر النضال الفلسطيني: الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني، وكان كذلك معه رفيق شاكر النشّة، الذي انتُخب أخيراً رئيساً للمجلس الفلسطيني ثم استقال، وكان معه كمال عدوان الذي استشهد في بيروت مع أبي يوسف النجار، وكان معهم محمود عباس أبو مازن، الذي كان يعمل مديراً لشؤون الموظفين في وزارة المعارف في قطر هنا.



الجدور الإسلامية لحركة فتح:

كان الشباب الإسلامي هو العنصر الغالب على «حركة فتح»، وكان مع أبي عمار في الكويت مجموعة من الإسلاميين منهم أبو إياد صلاح خلف، الشاب الأزهري الذي تخرج في كلية اللغة العربية، وأبو جهاد خليل الوزير، وغير هؤلاء!

ولذلك كان الرئيس جمال عبد الناصر حينما أراد أن يكون مُشرفاً على قضية فلسطين متحفظاً أن يتعامل مع ياسر عرفات لجدوره الإسلامية! إنه يعلم أن جدوره إخوانية، وهذا يقف حائلاً دون التعاون معه، ولكن الذي أقنعه بذلك هو محمد حسنين هيكل؛ كما قال فيما كتبه في مقالاته، أسس ياسر عرفات «حركة فتح»، وقامت حركة فتح بنصيبها في الجهاد، ثم دخلها من دخلها من العلمانيين واللا دينيين الذين أرادوا أن يشوّشوا عليها، وظلّ العنصر الإسلامي قوياً فيها على كل حال.

عرفته مدرباً للمتطوعين في معسكر الطلاب:

عرفتُ أيُّها الإخوة ياسر عرفات، وأنا طالب في كلية أصول الدين، كنا في كتيبة الأزهر في أيام معارك القناة مع الإنجليز، حينما وقف شباب الجامعات المصرية ضد الاحتلال الإنجليزي في القناة، وأقاموا معسكرات في جامعاته، وأرسلوا من شبابهم من قاوم الإنجليز بأعمال فداية مختلفة، واستشهد في ذلك من استشهد، منهم الشهيد عمر شاهين، والشهيد أحمد المنيسي، وعادل غانم، والأعسر وغير هؤلاء. وكان للأزهر كتيبة، هيّا الله لنا أن نشترك فيها، وكان معنا عدد من الإخوة منهم الأخ أحمد العسال، والأخ الشيخ عبد اللطيف زايد، الذي عرفه

الكثيرون منكم هنا في قطر مدرّسًا للعلوم الشرعية، ومديرًا للمعهد الديني، ومفتشًا للعلوم الشرعية، كان هناك كتّبة للأزهر ذهبنا فيها، وكانت هذه الكتّاب تتدرّب التدريب الأوّلي في القاهرة، تدرّبنا في معسكر في قاعة الشيخ محمد عبده في الدّراسة، ثم ذهبنا لنستكمل تدريبنا، ويذهب منا من يُختار للعمليات في القناة.

هناك عرفنا شابًا فلسطينيًا كان أحد المدرّبين للمتطوعين، هذا الشاب الفلسطيني لم نكن نعرف عنه إلا أنّ اسمه ياسر، ياسر الشاب الفلسطيني الذي تخرّج في كلية الهندسة من جامعة القاهرة، وكان لحرصه على الجهاد في المستقبل يشارك في كل عمل جهادي، فشارك في هذا الجهاد المصري، أولاً لأنّه نشأ في مصر، واعتبر نفسه مصريًا نوعًا ما، وأنّ لمصر حقًا عليه، وأنّ للإخوان المسلمين حقًا عليه، فشارك في هذا الجهاد، وشارك في التدريب، وكان يجيد فنّ التدريب.

بين آداب الإسلام وقسوة العسكرية:

وأذكر أنّه حدث منه خطأ في إحدى المرات، جعلني أشكوه لقائد المعسكر الأستاذ المربي المجاهد محمود عبده رَحِمَهُ اللهُ، هذا الخطأ أنّ أحد الإخوة في الكتّبة ارتكب غلطًا؛ فرفع عليه البندقية وهدّده بها، وقلتُ له: إنّ هذا لا يجوز شرعًا، لا يجوز أن يشير الأخ إلى أخيه بالسلاح، لا مازحًا ولا جادًا، الإشارة بالسلاح ممنوعة شرعًا. وحين شكوته للأستاذ محمود عبده، جاء به ونهره وقال له: هذا لا يجوز، لا بدّ أن نتعامل بطريقة غير هذه الطريقة؛ نحن لسنا مجرد عسكريين، نحن أناس مسلمون نحاول أن نطبّق آداب الإسلام وأحكام الإسلام في تدريبنا ومعاركنا وفي حياتنا كلها.

هذه كانت بداية تعرُّفي على ياسر عرفات، وحينما أنشأ الإخوة «حركة فتح» قالوا: إنَّ رئيسها أبو عمار، فقلتُ: هذه كنية تناسب، لا بدَّ أن يكون أبو عمار هذا هو الشاب الذي كان يدربنا في «تل بسطة» بالقرب من الزقازيق في الشرقية، وفعلاً كان هذا هو الرجل.

كفاح ونضال:

هذا الرجل ظلَّ عمره يكافح ويقود النضال، وكان تعرَّض لأخطار كان يمكن أن يُقتل فيها، ومع هذا شاء الله له أن يموت على فراشه، هذه من عجائب الأقدار. كثيرٌ من الناس يخوضون المعارك كما فعل سيدنا خالد بن الوليد، خاض مائة معركة في الجاهلية والإسلام، وما في بدنة شبر؛ إلا وفيه ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ثم أخيراً يموت على فراشه كما يموت العَيْر! فلا نامت أعين الجبناء^(١). فكم تعرَّض ياسر عرفات لأخطار ونجا منها؛ إلى أن قُدِّر له أن يموت على فراشه في مستشفى، ولكن نرجو أن يكون له أجر الشهداء إن شاء الله، فقد قال النبي ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدقٍ، بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»^(٢).

نرجو أن تغفر له سوابقه وإن أخطأ:

في أواخر حياة ياسر عرفات اختلف كثيرون معه، وقالوا فيه ما قالوا، ولكن أحب أن أذكركم أيُّها الإخوة بما قلته لكم في درس أمس، حينما ارتكب حاطب ابن أبي بلتعة غلطته الكبرى، وكاد يبلغ

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٨٣٦).

(٢) رواه مسلم في الإمامة (١٩٠٩)، وأبو داود في الصلاة (١٥٢٠)، عن سهل بن حنيف.

أهل مكة بخبر جيش رسول الله ﷺ، وقال سيدنا عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنقه؛ فقد نافق. فقال الرسول ﷺ كلمته التاريخية: «ما يدريك؛ لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١)، مهما أخطأ ياسر عرفات نرجو أن تغفر له سوابقه، أن يشفع له ماضيه، إن شاء الله.

ونرجو أن تكون غلطاته من نوع الاجتهاد، وليست من نوع الخيانة والعِمالة للأعداء، ونرجو ألا يكون الرجل كذلك إن شاء الله. بل نحن نخشى أن يأتي أناس مستعدون أن يُفَرِّطُوا في القضية، وأن يبيعوا قضيتهم بثمان بخس، وأن يحنوا رؤوسهم، ويطأطئوا ظهورهم لأولئك المستكبرين في الأرض، الذين يريدون أن يفرضوا إرادتهم، أن يُمْلُوا رأيهم، أن يجعلوا الفلسطينيين طوع أيديهم، أن يُرْكِعُوهم تحت أقدامهم، ويأبى الله إلا أن ينتصر الجهاد وتنتصر المقاومة إن شاء الله.

الرجل عمل في ظروف سيئة:

وإذا أردنا أن نكون منصفين أيُّها الإخوة في الكلام عن ياسر عرفات فيجب أن نقول: إنَّ الرجل كان يعمل في ظروف سيئة غاية السوء، إنَّه يعمل في محيط العجز العربي، العرب أصبحوا في حالة ليس لهم قيادة تجمعهم، حتى مؤسستهم التي أنشئوها (الجامعة العربية) لتجمع شملهم وتلَمَّ شتاتهم لم تستطع أن تفعل شيئاً. العرب أصبحوا شتاتاً، وأصبحوا في حالة من العجز التام أن يصنعوا شيئاً، لا لفلسطين ولا للعراق ولا لأي قضية.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن علي.

العرب في سنة (١٩٤٨م): دخلت الجيوش السبعة لقتال الصهاينة اليهود، وكانت الجامعة عمرها ثلاث سنوات، والآن بعد أن أصبحت الجامعة عمرها حوالي ستين (٦٠) عامًا وفيها اثنان وعشرون (٢٢) دولة ترك العرب الفلسطينيين وحدهم، تركوهم لأكبر ترسانة مسلحة في الشرق الأوسط، الترسانة النووية والترسانة التي تملك القوى الهائلة مدعومة من القوى الأمريكية المعروفة، فأمام العجز العربي من ناحية والوهن الإسلامي، الأمة الإسلامية التي تبلغ ملياراتًا وثلاث مليارات أو أكثر، الأمة العربية التي تبلغ ثلاثمائة مليون - حوالي ثلث مليار - ووراءهم المسلمون أكثر من مليار، هؤلاء كانوا أشد وهنًا، كثرة ولكن غناء كغناء السيل.

«غناء السيل» ما يحمله السيل من الأحطاب والأخشاب والأوراق والعيدان، والأشياء التي يجمعها أنفها: خفيفة الوزن، وأنفها سطحية، وأنفها غير متجانسة، وأنفها لا طريق لها، ولا طرف لها، تذهب يمينًا وشمالًا، وتطلع فوق وتنزل تحت! السيل ليس له هدف ولا مجرى؛ خلاف النهر، النهر له مَصَبٌ معروف، وله مجرى معلوم.

أمة في مرحلة الغناء:

الأمة في حالة الغناء هكذا، الأمة الإسلامية الآن في المرحلة الغنائية من حياتها، ولذلك حينما أخبر النبي ﷺ عن هذا وعن تمالؤ الأمم على أمة الإسلام؛ كما تمالأ الأكلة على قصعتها قال: «أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غناء كغناء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»^(١). الوهن هو الضعف، ولم يسألوا عن

(١) سبق تخريجه ص ٦٣.

المعنى اللغوي للوهن؛ إنَّما سألوا عن سِرِّ الوهن، سِرِّ الوهن إيه؟ فقال لهم: «حُبُّ الدنيا وكرهية الموت»، هذا هو أساس الوهن، هذا هو سِرُّ الوهن. الأُمَّة تعلقت بدنياها، كلُّ واحد يريد دنياه، يريد مصلحته الخاصة، يريد شهواته العاجلة، يريد أن يُحقِّق ذاته، يريد أن يبني نفسه، ولا يهتم بالآخرين، هذا «حُبُّ الدنيا».

«وكرهية الموت»: أصبحت الروح عزيزة، لم يُعد هناك بذل. كان سيدنا خالد ابن الوليد يقول لقوَّاد الفرس والروم يدعوهم إلى الإسلام: أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، وإلا غزوتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبون الحياة^(١). وقال سيدنا أبو بكر لسيدنا خالد: يا خالد، احرص على الموت توهب لك الحياة^(٢).

الأُمَّة التي تحرص على الموت توهب لها الحياة، إنَّما الأُمَّة التي تشبَّث بالحياة، ولا تضحي بأنفسها، هي الأُمَّة يمكن أن يفترسها غيرها، وأنَّ يحتلوا أرضها، وأنَّ يدوسوا مقدساتها، وأنَّ يهتكوا حرَماتها، وأنَّ يسفكوا دماء أبنائها، وأنَّ يفعلوا ما يفعلوا.

الأُمَّة الإسلامية في حالة الوهن، العرب في حالة عجز والمسلمون في حالة وهن.

العجز العربي والوهن الإسلامي:

حينما حاول أحد اليهود إحراق المسجد الأقصى سنة (٦٩) وأشعل النار في منبر صلاح الدين، وأحرق نصفه أو أكثر، هاج المسلمون في أنحاء العالم وقالوا: المسجد الأقصى في خطر يا مسلمون، يا قادة، يا زعماء،

(١) سبق تخريجه ص ٦٣.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٧/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

يا حكام، يا ساسة. أجبروا الحكام المسلمين أن يجتمعوا لأول مرة في شكل قِمة إسلامية في المغرب، كان من أجل حريق المسجد الأقصى! الآن المسجد الأقصى في خطر، لا ندري متى يمكن أن ينهار، لأن الحفريات تحته باستمرار! ولا يُدرى ماذا يُبيّت اليهود لهذا المسجد العظيم الذي بارك الله حوله، والقضية في خطر مستمر، والمسلمون لم يهيجوا كما هاجوا من قبل، ولم يثوروا كما ثاروا، وزعماء المسلمين لم يفعلوا شيئاً، وتنعدد القمة الإسلامية ثم تنفض، ولا نرى شيئاً يحدث على الساحة.

الغياب العالمي وتفرد القوة الأمريكية:

هناك عجز عربي، وهناك وهن إسلامي، وهناك غياب عالمي. في الزمن الماضي كانت هناك معسكران متنافسان، وقوتان متعارضتان: الاتحاد السوفيتي والأمريكان وحلفاؤهم، فكان اختلافهما رحمة، كان السلف يقولون: اللهم اشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين. فكان اشتغال هؤلاء الظالمين بعضهم ببعض رحمة للأمم، راح الاتحاد السوفيتي وانفردت أمريكا بالعالم، وأصبحت تعامل العالم كأنها السيد والناس جميعاً عبيد، أو كأنها الرب المتحكم في الخلق؛ لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون!

ليس من الضروري أن توافق الأمم المتحدة على حرب تريدها أمريكا، كما فعلت في العراق: ضربت عرض الحائط بمجلس الأمن، وقرارات مجلس الأمن، وعدم موافقة مجلس الأمن، ودخلت تستعمل القوة.

هذا الغياب العالمي أيضاً له أثره على السياسة الفلسطينية، فمن أراد أن يُقيّم ياسر عرفات، فليُنظر إلى هذه الأمور.



لا نبرر الاستسلام والاستخذاء:

نحن لا نُبرّر طبعًا الاستخذاء ولا الاستسلام ولا الضعف، وكنا نود أن يظل ياسر عرفات الذي أسّس «فتح» شامخًا، ولا يسعى وراء هذه المفاوضات المذلة في مدريد، وفي أوسلو، وفي كامب ديفيد، وفي غيرها، كنا نود أن يظلّ شامخًا ممسكًا بالبندقية حتى يصل إليه السلام وهو رافع رأسه، قويّ بسلاحه، ولكن هكذا قدّر الله وَجَلَّ.

نحن نأمل أن يظل الإخوة الفلسطينيون كتلة واحدة، وكلمة واحدة، ترفض الاستسلام ولا تفرط في أي ثابت من الثوابت، وترفع راية الجهاد والمقاومة، ما أخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة.

التحذير من أن تمزيق الصف الفلسطيني:

الحرية ليست منحة تُمنح، شارون لن يُهدي الفلسطينيين استقلالهم مجانًا، هيهات، ما لم يُجبر على ذلك، فلن يفعل أبدًا. هو يريد أن يُمزّق الفلسطينيين، وأن يضرب بعضهم ببعض، ولذلك كل كلامه الآن بعد وفاة عرفات: نرجو أن تأتي قيادة تُفكّ القوى الإرهابية، وتعمل على إلغاء هذا النوع من الإرهاب!

يعني يريد أن تصطدم القوة الفلسطينية بعضها ببعض، السياسيون ضد المقاومين، «فتح» ضد «فتح» أيضًا؛ لأنّ «فتح» فيها كتائب شهداء الأقصى، مروان البرغوثي أسأل الله أن يفك أسرهِ وإخوانه!

يريد أن يقف ضد «فتح» وضد «حماس»، يعني ضد «كتائب الأقصى» وضد «حماس» وضد «الجهاد» وضد «الجبهة الشعبية» و«كتائب أبو علي»، إلخ.

يريد أن يُصَفِّي الفلسطينيين بعضهم بعضًا، وهذا ما نُحذِّر منه إخواننا الفلسطينيين، ما نُحذِّر منه القادة والساسة، نحذرهم أن يلعبوا بالنار، أن يدخلوا هذه اللعبة الخطرة، نُحذِّرهم أن يستجيبوا لوساوس إسرائيل، وهواجس أمريكا، لا والله هؤلاء لا يريدون لهم الخير أبدًا، إنهم يريدون أن تتمزق القوى الفلسطينية بأيدي أهلها، لا يضربونهم رصاصًا، يريدون أن يضرب الفلسطينيين بعضهم بعضًا، أن يتوجه الرصاص الفلسطيني بدل أن يتوجه إلى إسرائيل يتوجه إلى الفلسطينيين أنفسهم، أن يقتل الفلسطيني أخاه الفلسطيني، وهذا لا يجوز، هذا خيانة من الناحية الوطنية، وكبيرة من الناحية الدينية، بل هي ردّة - والعياذ بالله - : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

نضج الفصائل الفلسطينية الآن:

نحذر إخواننا الفلسطينيين من هذا، وأنا أعتقد أن الفصائل الفلسطينية كلها قد بلغت درجة من الوعي والنضج، أنضجتهم السنون، أنضجتهم التجارب، أنضجتهم المآسي والمحن التي يعيشونها يومًا بعد يومًا، أنضجتهم التضحيات الهائلة التي قدّموها، ولا يزالون يُقدّمونها، أعتقد أن هذا الوعي وهذا النضج سيمنعهم أن يضرب بعضهم بعضًا، أن يُحقّقوا الحلم الصهيوني الشاروني، أن يُصَفِّي الفلسطينيين بأيديهم مقاومتهم، يحسبون أن وراء ذلك كسبًا يَعِدُونهم به، وما هو إلا السراب: ﴿كَرَّابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩].

نسأل الله وَجَلَّ أَنْ يرحم أخانا أبا عمار ياسر عرفات، وأن يغفر له، وأن يتقبّله في المجاهدين الصالحين، وأن يغفر له ما زلّ فيه، وأن يجعله



من الشهداء في سبيله، وأنَّ يُعَوِّضَ إِخْوَتَنَا فِي فَلَسْطِينَ خَيْرًا فِي هَذَا
الرجل الرمز القائد البطل، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَوِّضَ الْفَلَسْطِينِيِّينَ مِنْ يَقُودِ
الرَّكْبِ وَيَقُودِ السَّفِينَةِ إِلَى بَرِّ السَّلَامِ بِقُوَّةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَصِيرَةٍ وَأَمَانَةٍ
لَا يُفَرِّطُ فِي حَقٍّ وَلَا يَسْتَسْلِمُ لِبَاطِلٍ وَلَا يَخْشَى أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ [المائدة: ٥٤].

* * *





أضواء على مسيرتي العلميّة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذِي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، وبفضله تنزّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقّق المقاصد والغايات، الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وما كنا لنهتدي لولا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ.

خير ما أَحْيَيْكُمْ به - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَات - تحيةُ الْإِسْلَام، وتحيةُ الْإِسْلَام السَّلَام، فَالسَّلَام عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

الثناء والتكريم لا يخدعني عن نفسي:

أريد أَنْ أَقُول أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: إِنَّ هَذِهِ التَّكْرِيمَاتِ وَالثَّنَاءَاتِ وَالْمَدَائِحِ الَّتِي سَمِعْتُهَا لَا تَغُرُّنِي عَنْ نَفْسِي، وَلَا تَخْدَعُنِي عَنْ حَقِيقَتِي الَّتِي أَعْرِفُهَا، أَنَا أَعْرِفُ - وَاللَّهُ - نَفْسِي، بِضَعْفِهَا، وَغَفْلَاتِهَا، وَتَفْرِيطِهَا، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ السَّكَنْدَرِيُّ فِي حِكْمِهِ: «النَّاسُ يَمْدَحُونَكَ لِمَا يَظُنُّونَهُ فِيكَ، فَكُنْ أَنْتَ دَائِمًا لِنَفْسِكَ لِمَا تَسْتَيْقِنُهُ مِنْهَا، الْعَاقِلُ لَا يَتْرُكُ يَقِينَ مَا عِنْدَهُ لَظَنٍّ

(١) أَلْقَيْتُ فِي خَتَامِ مِلْتَقَى التَّلَامِيذِ وَالْأَصْحَابِ، الْمُنْعَقِدِ بِالدُّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٢٩ جُمَادَى الْآخِرَةِ - ٢

رَجَبِ ١٤٢٨هـ - الْمَوْافِقِ ١٤ - ١٦ يُولْيُو ٢٠٠٧م.

ما عند الناس»^(١). فما عند الناس من ظنون لا يخدعني عن يقيني في نفسي والله، وأنا أعلم أنّ الله سترني بستره الجميل، ومن فضل الله علينا، كما قال أبو العتاهية:

أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوح
فإذا المستور منا بين جنبه فُضوح^(٢)

من فضل الله تعالى علينا أنه لم يجعل للمعاصي رائحة حتى يشمها الناس، سترًا علينا، وأنا أقول: إنّ الله سترني بستره الجميل، وأرجو أن يسترنا الله في الآخرة كما سترنا في الدنيا.

إنني أخشى - أيها الإخوة - أن تذهب هذه التكريمات والثناءات والجوائز واللقاءات بأجري أو بمعظمه، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أنّ النبي ﷺ قال: «ما من غازية تغزو في سبيل الله، فيصيبون غنيمةً، إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصبوا غنيمةً تمّ لهم أجرهم»^(٣). فأنا أخشى أن تذهب هذه المدائح والثناءات، وكلام الإخوة من أصحاب وتلاميذ بثلثي أجري، أن تكون غنيمة العالم أن يثني الناس عليه ويكرّموه، هذه جائزته، هذه غنيمته، تذهب بثلثي الأجر، فهو لاء غزاة في سبيل الله، ولكن ضاع بغنيمتهم ثلثا أجرهم، وبقي لهم الثلث! فإذا ذهبت هذه التكريمات بثلثي أجري فقد خسرت، وإذا كان الثلث الباقي لا يخلو من الخل والدخل فماذا يبقى للإنسان!؟

(١) حكم ابن عطاء الله شرح العارف بالله الشيخ زروق ص ٢٧٩ - ٢٨١.

(٢) ديوان أبي العتاهية ص ١١٦.

(٣) رواه مسلم في الإمامة (١٩٠٦)، وأحمد (٦٥٧٧)، عن عبد الله بن عمرو.

أنا جندي من طلبة العلم:

هذا ملتقى التلاميذ والأصحاب، والإخوة يقولون: الإمام القرضاوي.
وأنا - والله - لست قائدًا ولا إمامًا، أنا أشعر أنني جندي، وأنني تلميذ،
وسأظل تلميذًا، والعالم الحق هو الذي يظل تلميذًا طوال حياته، وأنا
لا زلت أتعلّم، واكتشف أنني أجهل الكثير كما قال إمامنا الشافعي رحمته الله:
كُلَّمَا أَدْبَنِي الدَّهْرُ رَأَانِي نَقْصَ عَقْلِي
أَوْ أَرَانِي أَزْدَدْتُ عِلْمًا زَادَنِي عِلْمًا بِجَهْلِي^(١)
وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. ﴿وَقُلْ
رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وأنا أتعلّم والله، معي بعض الإخوة في المكتب أتعلّم منهم كثيرًا،
كثيرًا ما يُنبّهونني على أشياء أغفل عنها، ويعلمونني أشياء أجهلها،
وهكذا يتعلّم الإنسان من تلاميذه، كما قال أحدهم لشيخه: أقول لك كما
قال الهدهد لسليمان: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾
[النمل: ٢٢]. فكم يتعلم الإنسان من تلاميذه، وقد قال سلفنا رحمته الله: لا يزال
المرء عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه علم، فقد جهل^(٢).

وأنا لا أزال طالبًا للعلم منذ قدمت إلى قطر ووطأت أرضها، جئت
إلى قطر في الثاني عشر من سبتمبر سنة ١٩٦١م، وكانت الدراسة تبدأ في
الخامس عشر من سبتمبر، جئت مديرًا للمعهد الديني الثانوي، وأظن أن
أول رجل زارني في هذا المعهد، جاءني وسلّم عليّ، وعانقني بحرارة،
وقال: أنا أخوك عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، من طلبة العلم في قطر.

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١٦٧/٤).

(٢) رواه الدينوري في المجالسة (٣٠٨) من كلام ابن المبارك. وليس حديثًا كما ظنّها بعض الناس.

وكانت هذه أول مرة أسمع فيها أن يقول العالم عن نفسه: أنا من طلبة العلم. فأعجبني هذا الأمر، وهكذا ينبغي أن يكون الإنسان طالب علم.

ولذلك أنا أؤثر أن أقول عن الجميع: إخواني. سواء كانوا من التلاميذ أو من الأصحاب، ربما كان من هؤلاء مَنْ هو من شيوخه، مثل: فضيلة شيخنا الشيخ عبد المعز عبد الستار، حفظه الله، أو من الأصحاب والرفقاء، مثل: الدكتور عبد العظيم الديب، أو من التلاميذ باعتبار السن؛ كلكم أصغر منهم سنًا، هؤلاء جميعًا اعتبرهم إخواني، والأخوة هي اللقب الذي اختاره الله ليكون عنوانًا للصلة بين المؤمنين من عباده، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، المسلم أخو المسلم.

هموم الجيل:

إننا التقينا - أيها الإخوة - في هذا الملتقى الذي يجمع التلاميذ والأصحاب، أو يجمع إخواني جميعًا، وأعتقد أن هذا اللقاء لا يخلو من بركة، فقد جاء عن سيدنا سلمان الفارسي مرفوعًا وموقوفًا، والموقوف هو الأصح: «مثل الأخوين المؤمنين كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرًا»^(١). فكيف إذا كان هذا المؤمنان من أهل العلم، والعلم رحم بين أهله؟

نحن يجمعنا رحم العلم، وعلم النبوة بالذات، علم الموارد السماوية الهادية للبشر، وتجمعنا هموم الأمة المشتركة، قُدِّرَ علينا أن نعيش في هذا العصر الذي تتوالى المحن والكروب فيه على أمتنا، قُدِّرَ

(١) رواه ابن وهب في جامعه (٢٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢٨٨).

لنا أن نعيش في عهد سقوط الخلافة الإسلامية، وتمزق الأمة الواحدة إلى أمم، والدولة الواحدة إلى دويلات.

كما قُدِّرَ لنا أن نعيش نجاح المشروع الصهيوني، وقيام دولة بني صهيون في أرضنا، شهدنا قيامها، وخصوصًا جيلنا شهد هذه الدويلة وهي تقوم، كانوا يسمونها في الإذاعة إسرائيل المزعومة، لم يكن هناك تليفزيون في ذلك الوقت، وكانت الصحف تقول: إسرائيل، وتضع بين قوسين «المزعومة»، وظلوا عدة سنوات يقولون: المزعومة. وكانت هذه المزعومة تتحدّى الجبهات العربية، تركل هذه الجبهة، وتصفع هذه الجبهة، ثم استحووا من أنفسهم فحذفوا كلمة «المزعومة»، بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين. فنحن - أيُّها الإخوة - قُدِّرَ لنا أن نعيش هموم أمتنا، وأن نحمل هذا العبء على عواتقنا، خصوصًا أهل العلم، وأهل الدعوة.

رعاية أقاربي لي:

نشأت في قرية «صفط تراب»، كما جاء في التقرير الذي استمعتم إليه، ووفقني الله إلى حفظ القرآن من الصغر، وهذه إحدى نعم الله عليّ، وأنا أقول أيُّها الإخوة: إنني أعيش في نعم متوالية من الله، لو سجدت على الجمر، ولو ظلمت ليلي ونهاري قوَّامًا صوَّامًا - ولست بالصوَّام ولا بالقوَّام - ما وقَّيت عُشر معشار ما هو مطلوب مني في حقِّ الله وَجَلَّ عَلَيَّ.

إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعْمٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحصى، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، هذا لكل إنسان، وأنا أعتبر أن هناك نعمًا من الله عليّ لا أستطيع أن أحصيها، صحيح أنني وُلدت يتيمة، مات أبي وأنا في الثانية من عمري، ولكن الله عوّضني عن أبي بحبِّ عمي، وأولاد عمي،

قد كان عمي أكثر لي من كثير من الآباء لأبنائهم، وكان أولاد عمي أكثر لي من كثير من الإخوة لإخوتهم، وكذلك أقاربي، خالي، وخالاتي، وعمّاتي، كان الجميع يحبونني، فعوّضني الله بذلك عن اليتيم المبكر.

حفظي للقرآن:

كما عوّضني بحفظ القرآن، حفظت القرآن وجوّدته، وأحسنّت تلاوته، قبل أن أصل إلى العاشرة من عمري، وقدّمني أهل بلدي وقريتي لأوّل الناس صغيراً، كما أنعم الله عليّ بحب العلم، والحرص على طلب العلم، كنت أول تلميذ يُبكر في الذهاب إلى الكتاب، آخذ مفتاح الكتاب من خالتي ريّة أم العريف الشيخ حامد أبي زويل رَحِمَهُ اللهُ، وأفتح الكتاب، وكانت أرضه بالتراب، فكانت فيها براغيث تصطاد أول مَنْ يدخل، فأجلس على الدّكة الخشبية متربّعاً هرباً من البراغيث.

فُطِرْتُ على النقد والمناقشة:

وكنت أحبُّ أن أسمع إلى دروس العلماء في بلدنا، وخصوصاً في شهر رمضان، فأكون أوّل واحد يذهب إلى العالم في درس العصر، أو درس ما بين المغرب والعشاء، حتّى حفظت كل ما قاله العلماء في هذه الدروس، فغالبًا يكررون هذه الدروس في كلّ السنوات، فحفظتها ومللتها في الحقيقة بعد فترة، فكنت حريصاً على طلب العلم، كما كنت حريصاً على دخول الأزهر، وكانت هناك عوائق، ولكن الله أزال هذه العوائق ودخلت الأزهر والحمد لله، فكنت نهماً في طلب العلم، شغوفاً به، ولذلك أحبّني مشايخي، إلا مَنْ كان منهم يضيق بالنقد والمناقشة، فقد فطرنى الله على النقد، وأنا لا أحب أن آخذ الأمور كقضايا مُسلّمة، دائماً أناقش، فبعض المشايخ يسرهم هذا، ويرحب به ويشجعه، وبعضهم يضيق ذرعاً بي.

أذكر أنّ أستاذ الفقه كان يُدرّس لنا، وكنت آخذ على درس الفقه أنّه معزول عن الحياة، يُدرّس لنا المعاملات ولا صلة لها بالواقع إطلاقاً، يُدرّس الإجارة، والشركات، كشركة المفاوضة، والعنان، وغيرها، وأمّا الشركات المحدودة، وشركات التوصية بالأسمهم، وغيرها، فلا نعرف عن المعاملات الموجودة التي تجري في الواقع شيئاً، فنحن في وادٍ وما يجري في الحياة في وادٍ آخر، ولذلك كنت أحاول أن أنقل الشيخ الذي يُدرّس من الكتاب إلى الواقع، فكان يضيّق بي.

وذات مرة كان يتحدث عن الأضحية، ويقول: هذه سنة لم تعد موجودة الآن لفقر الناس وعجزهم. فقلت له: يا سيدنا الشيخ؛ ليس لفقر الناس ولا لعجزهم. قال: ولماذا إذن؟ قلت: لجهلهم وقلة فقههم. قال: كيف؟ قلت له: في حارتنا مثلاً تخرج في كلّ سنة مجموعة من الخراف إلى مولد السيّد البدوي، فلو أنّ الناس عرفوا أنّ الصواب أن يذبحوها في عيد الأضحى بدلاً من ذلك لأحيوا بذلك سنة، وأماتوا بدعة. فقال: هل تسخر من الأولياء؟! وحصلت بيني وبينه مشادة، فأنا في حياتي لم أسلم عقلي لغيري، لم أعطه إجازة في وقت من الأوقات.

وأحياناً يغضب بعض الناس مني، حتّى كان شيخنا الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ، وكان يدرس لنا البلاغة ونحن في المرحلة الثانوية، وسألته سؤالاً، ففهم أنّي أتحدّاه، وكان رَحِمَهُ اللهُ وفدياً وكنت إخوانياً، وكانت بين الإخوان والوفد صراعات، وكانوا قد حذّروه من طلاب الإخوان، وخصوصاً من القرضاوي والعسّال في فصله، كما أخبرني بذلك حين لقيته في دبي بعد ذلك، فقال لي: اسمع يا يوسف؛

إن كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا. وهكذا اصطدمت في كلية أصول الدين أيضًا ببعض مشايخي، ثم أصبحوا بحمد الله بعد ذلك من أعز الناس محبة لي وصداقة.

تحرُّري من جميع أشكال التعصب:

وقد ألهمت - بفضل الله - التحرُّر من التعصب، لم أتعصب في حياتي، كنت في الأزهر حنفي المذهب، كان أخي عبد العظيم الديب شافعي المذهب، وكنت حنفيًا، والذي جعلني حنفيًا صدفة، كان أحد العلماء الفضلاء في بلدنا هو الذي يكتب لي ورقة الانتساب للتقدم إلى الأزهر، وكانت بلدنا شافعية، فالصعيد في مصر مالكي، ومعظم الوجه البحري شافعي، فقال لي: ما رأيك يا شيخ يوسف أن تكون حنفيًا مثلي؟ قلت له: لا بأس أن أكون حنفيًا مثلك. ثم بعد أن قرأت بعد ذلك في المذاهب المختلفة يسألونني: ما مذهبك؟ فكنت أقول: (حنفشي)! أعني أنني خليط من المذاهب، فقد عافاني الله من التعصب.

كان أوَّل من قرأت له في حياتي هو الإمام أبو حامد الغزالي، قرأت له كتابين: «إحياء علوم الدين»، «منهاج العابدين»، ثم تعرَّفت على شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته، ولكنني لم أتخل عن الغزالي كما فعل بعض الناس الذين طلقوا الغزالي، لا، أنا أستفيد من الغزالي في مجاله، ومن ابن تيمية في مجاله، أستفيد من كلِّ المدارس، أستفيد من الأشعرية، ومن الماتريدية، ومن السلفية، ومن المعتزلة، آخذ من كلِّ مذهب أفضل ما فيه، وهذا ما قاله ابن القيم نفسه^(١).

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ٥١، ٥٢، نشر دار المعرفة،

بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

لقد انضمت إلى الإخوان المسلمين، لكنني لم أنغلق عليهم، لا، بالعكس أنا أستفيد من الآخرين، الجماعات عادةً تصبُّ أتباعها في قوالب لا تخرج منها، ولكنني تمرّدت على هذه القوالب، حتّى نقدت الإخوان، نقدت الإمام حسن البنا، ونقدت رجالاً كباراً أعجبت بهم: حسن البنا، وسيد قطب، والمودودي، والشيخ محمود شلتوت، نقدت هؤلاء، خالفت حسن البنا في أنّه لا يقول بالتعددية الحزبية، وأنا أقول بالتعددية الحزبية، ويقول هو والإمام المودودي بأنّ الشورى معلمة وليست ملزمة، فخالفتها في ذلك. وخالفت المودودي في قسوته على التاريخ الإسلامي. وخالفت سيد قطب في عدة أشياء، وكثير من الناس اعترضوا عليّ من محبّي سيد قطب، وأنا أحبُّ سيد قطب - والله - وأحترمه وأقدّره، وليس بيني وبينه خصومة، ولكن الحقّ أحقُّ أن يتّبع، هكذا فطرت، تحرّرت من التعصب.

تحرري من إرضاء الناس:

كما تحرّرت أيضاً - أيّها الإخوة - من إرضاء الناس، هناك أناس يحبون أن يرضوا الخلق، وأنا - والله - اهتمت بإرضاء الخلق، وقلت: إنّ كثيراً من المجتهدين قد يقعون في إرضاء السلطان، ولكن هناك أناساً أخطر منهم، الذين يُفرّخون الفتاوى لإرضاء الجماهير، فإذا كانت هناك مزايدة في التشدّد يتشدّد أكثر، حتّى يرضى عنه الجماهير ويقولون: هذا رجل متمسك. فهؤلاء أراهم أشدّ خطراً من الأولين، لأنّ الأولين يُكشف زيفهم، تكشفهم الجماهير بسهولة، يعرفون أنّهم يعملون للسلطان، أمّا الذين يعملون لإرضاء الجماهير فقلما يُكشفون، وأنا - والله - لا أريد إرضاء الجماهير، ولا إرضاء السلاطين، أنا أريد أن أرضي الله وعجّل؛ لأنّ

رضا الناس غاية لا تُدرَك، إذا أرضيت زيِّداً فلربما أغضبت عمرواً، كما قال الشاعر:

إِذَا رَضِيتَ عَنِّي كَرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِئَامُهَا^(١)
وَمَنْ فِي النَّاسِ يُرْضِي كُلَّ نَفْسٍ وَبَيْنَ هَوَى النَّفُوسِ مَدَى بَعِيدٍ^(٢)؟

فلماذا لا أترك هؤلاء جميعاً، وأحاول أن أرضي رب الأرض والسموات؟! ولذلك أخذ الصالحون كلام المتنبي في مدح سيف الدولة حينما قال له:

فَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابٌ
فَلَيْتَكَ تَحُلُوَ وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابٌ
إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ فَالْكُلُّ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ^(٣)

أخذ الصالحون هذه الأبيات، وقالوا: أحق من يُناجى بهذا هو الله.

لا انشغل بالخصومات:

كما حررني الله تعالى - أيضاً - من الوقوع في شرك الخصومات، فأنا لا أشغل نفسي بالخصومة مع الناس، وبالعداوة لأحد، أنا - والله - لا أعادي إلا الظلمة والأشرار والمفسدين، لستُ عدوًّا لأحد، حتَّى مَنْ

(١) البيت لأبي العيناء محمد بن القاسم قاله للمتوكل العباسي، كما في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٤٧١/١)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) البيت لناصر اليازجي.

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني ص٤٨، شرح د. خليل الدويهي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، وبيتمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي (٩٥/١)، تحقيق د. مفيد محمد قمحية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

أساء إليّ أسامحه، وكثير من الناس يأتون إليّ بين الحين والحين، يقولون: أسأنا إليك؛ فارجو أن تسامحنا.

وأذكر من مدة قريبة اتصل بي أحد الشباب، قال لي: أريد أن ألقاك. فقلت: والله يا بُنيّ أنا مشغول، فقل لي في الهاتف: ماذا تطلب؛ يمكن أن أجيبك؟ فقال: أريدك أن تغفر لي! فقلت: أنا أغفر لك! الذي يغفر لك، ويغفر لي، ويغفر للناس جميعاً هو الله ﷻ. قال: أسأت في حقك؛ قلت عنك كلاماً سيئاً، أسأت بك الظن؛ كنت لا أعرفك، أخذت كلام بعض الناس عنك، واعتقدت أنك رجل متهاون ومتساهل في الدين، وكذا، ولما اقتربت منك عرفت غير ذلك؛ فأرجو أن تسامحني. فقلت له: والله يا بني أنا أسامحك، وأسامح كل من أساء إليّ.

وأنا أقول من الآن: كل من أساء إليّ فأنا مسامحه، إلا من كان عدواً لديني، أو عدواً لأمتي؛ فحقُّ الأمة لست أنا الذي أسامح فيه، أمّا حقّي فأنا مسامح فيه، متصدّق بعرضي وسمعتي على كل الناس؛ لست فارغاً حتّى أشغل بخصومة هذا، وعداوة ذاك، الدنيا - والله - لا تتسع لهذا، الدنيا أهونُ من أن يتخاصم الناس عليها، الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فماذا يكون نصيب الإنسان من جناح البعوضة؟ فأنا لا أشغل نفسي بالخصومات والعداوات، وأعتبر هذه فطرة.

نحن كنا في السجن الحربي، وأوذينا إيذاءً شديداً، وفعل بنا ما فعل، وحينما خرجنا تركنا ذلك لله، بعض الناس يقولون: ألا تنتقموا ممّن أذوكم؟ ما أوذينا فيه تركناه لله، نسأل الله أن يجزيّنّا عنه، وأن يثيبنا عنه، وأمّا هؤلاء فندعهم إلى الله ﷻ، فهذا ممّا منّ الله به عليّ، أني لا أشغل بهذه الخصومات.



الاهتمام بالكلّيات:

كما أنّي لا أشغل بالجزئيات، والتفصيلات، والتفريعات التي تأكل أوقات الناس وجهودهم، هناك بعض الجماعات الدينية، وبعض العلماء والمشايخ يُعيّشون الناس في أمور خلافية لا تنتهي، دائماً يشغلون الناس بالمُختلف فيه عن المُتفق عليه، وبالفروع عن الأصول، وبالجزئيات عن الكلّيات، وأنا همّي أن أجمع الناس على الكلّيات، همّي أن يصلي الناس، أمّا أن يصلي واضعاً يده على صدره، أو على سرتّه، أو يرسل يديه، فليس هذا مهمّاً، المهم ألا يترك الناس الصلاة، همّي أن يعرف الناس الله، أمّا أن يختلفوا في الصفات وفي غير الصفات، فهذه أشياء لا ينقطع الخلاف فيها، همّي ألا أشغل الناس بالتفصيلات التي تمزّق الأمة، والأمة مُزّقت بأسباب كبيرة فلا نزيدها تمزيقاً ولا تفريقاً، نريد أن نجمع الأمة.

أنا مما يشغلني أنّي أريد أن أجمع قوى الأمة كلها بعضها على بعض، فالأمة تُضرب من يمين وشمال، يجتمع عليها الشرق والغرب، يجتمع عليها الصليبيّة واليهوديّة والوثنيّة، وكل الأشرار في العالم يجتمعون عليها رغم اختلاف غاياتهم، واختلاف مناهجهم، لكنهم يتفقون علينا، إذا كان العدو هو الإسلام ذهب الخلاف بينهم، وحدث الاتفاق، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]. وقوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾. يعني: إلا يوالي بعضكم بعضاً، ويساند بعضكم بعضاً، ويتكتّل بعضكم مع بعض ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، أن يكون اتفاق هناك واختلاف هنا، اتحاد هناك وتمزق هنا، عمل هناك وفراغ هنا، هذا خطر، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، فأنا أريد أن أجمع الأمة، مسلمين ومسيحيين، سنيين وشيعيين، عرباً وأكراداً وأمازيغ، قوميين وإسلاميين،

وحينما تنادى القوميون والإسلاميون - وكانت بينهم صراعات طويلة -
ليجتمعوا في مؤتمر واحد؛ كنت ممّن سارع إلى هذا؛ لأنني أرى أنّ بيننا
قواسم مشتركة، نستطيع أن نجتمع تحتها، هذا ما أريده من الأمة أن
تجتمع بعضها مع بعض.

يا أيّها الإخوة؛ هناك نعم من الله تبارك وتعالى عليّ، لا أستطيع أن
أقوم بشكرها، ولكنّي - قبل أن أختتم كلمتي هذه - أقول:

أفتخر بتلاميذي:

أولاً: أنا سعيد بهذا اللقاء، وأعتزّ به، وأفتخر به، وإذا كان الفرزدق
قال لجريّر:

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ^(١)
فأنا أقول:

أولئك أبناي فجئني بمثلهم

لأنني أعتقد أنّ افتخار الإنسان بأبنائه أهم من افتخاره بآبائه؛ لأنّه
ليس له شأن في آبائه، فأنا أفتخر بأبنائي هؤلاء، وبعضهم لهم منزلة،
ولهم فكر، ولهم إنتاج، ولهم عطاء، هؤلاء أعتز بهم، وأسأل الله أن يبارك
فيهم، وأن ينفع بهم، وأن يربط بين قلوبهم دائماً برباط الأخوة والمحبة.

أرجو مسامحتي:

الأمر الثاني أيّها الإخوة: أنني أطلب من إخواني هنا، ومن كل من
يشاهدني أو يسمعي - في قناة الجزيرة، أو على غيرها - أن يسامحوني،

(١) ديوان الفرزدق ص ٣٦٠، شرح علي فاعور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

قلت لكم: إنني مسامح في حقّي. فأرجو أن يقابل الناس سماحي بسماح مثله، ربما أكون أخطأت في حقّ إنسان من قريب أو من بعيد، ولستُ معصومًا، كلُّ بني آدم خطاء، وخير الخطّائين التوابون، فأنا تائب ممّا أخطأت فيه، نادم على خطأ صدر مني، فأرجو أن تسامحوني، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، أنا إنسان مخلوق من الطين، والطين لا يخلو من الكدر، أطلب من إخواني - من الحاضرين ومن الغائبين - أن يسامحوني فيما أسأت إليهم فيه، فما قصدت الإساءة إلى أحد، ولا أحبُّ أن أؤذي أحدًا، حتّى ولو كان غير مسلم.

وأنا أقول دائمًا: لولا أن من غير المسلمين من يعتدي علينا ما وقفنا ضدهم، والله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ فَلَمْ يَقْنَلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]. ويقول: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [النساء: ٩٠]. ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

والبر هي الكلمة التي عبّر الله بها عن أقدم الواجبات، وأقدس الحقوق بعد حق الله: بر الوالدين، فأنا أطلب من الإخوة إذا كنت أخطأت في شأن بعضهم أن يسامحوني سماحًا عامًّا، فيمكن أن أكون قد تكلمت في حقك ولم تسمعني، فأرجو من الكل أن يسامحني.

الدعاء بنيل الشهادة:

الأمر الثالث - وأختم به - هو طلب من الله، أرجو أن تدعو معي أن يختم لي الله تعالى بالشهادة في سبيله، أرجو - حين أفارق هذه الدنيا - أن يختم لي بالشهادة في سبيله على يد أعداء الإسلام، لا أرجو أن



أموت على يد مسلم، حتّى وإن كان متطرفاً أو مغالياً، أرجو أن أنال هذه الشهادة، وهي خير ما تُختم به حياة مسلم، اللهم إنّي أسألك عيش السعداء، وموت الشهداء، والفوز في القضاء، والنصر على الأعداء، هذا ما أطلبه من الله، وأسأله تعالى أن يرزقنا الإخلاص فيما نقول ونعمل.

يا أيّها الإخوة؛ إذا لم يرزق الإنسان الإخلاص كان هذا كله هباءً، فالعمل بغير إخلاص لا قيمة له، والدنيا بغير علم ظلام، والعلم بغير عمل هباء، والعمل بغير إخلاص ضياع، والناس هلكى إلا العاملين، والعاملون هلكى إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم.

اللهم اجعلنا من الذين يتعلّمون فيعلمون، ويعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون، ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم، وثب علينا؛ إنك أنت التواب الرحيم، ربنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا؛ إنك على كل شيء قدير، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





القرآن الكريم مصدرًا للتشريع^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّمِ النَّاسِ الخير، وهادي البشرية إلى الرُّشد، وقائد الخلق إلى الحق، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، وَمَنْ دَعَا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحْيِيكُمْ به - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَات - تَحِيَّةُ الْإِسْلَام، تَحِيَّةُ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ مَبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

(وبعد)

فما أجمل أن نعيش معًا في رحاب القرآن! والقرآن هو عمدة الملة، وروح الوجود الإسلامي، ودليل الأدلة، والحجة على العالم كله، وآية

(١) أُلْقِيتَ فِي جُلُوسَاتِ الْمُلْتَقَى الْأَوَّلِ لِتَلَامِيذِ الْقُرْضَاوِيِّ، الْمُنْعَقِدِ فِي الدَّوْحَةِ تَحْتَ عُنْوَانٍ: نَحْوُ مِنْهَجِيَّةٍ رَاشِدَةٍ فِي التَّأْصِيلِ وَالتَّنْزِيلِ، ٢ - ١١ فَبْرَايِر ٢٠١٠ م.

الله العظمى، ومعجزته الكبرى لمحمد ﷺ، ولهذا لا بد أن نحسن علاقتنا بهذا القرآن الكريم فنفهم عن الله ﷻ ما أراد منا، والقرآن أساس كل فهم، وأساس كل فقه، وأساس كل دعوة، وكل تربية، وكل سلوك للفرد وللأسرة وللمجتمع وللأمة وللدولة، ولذلك كان من المهم جدًا أن نصح فهمنا وفقهنا للقرآن الكريم.

دليل الأدلة:

لا ينازع مسلم في أن القرآن الكريم هو عمدة الملة، وهو روح الوجود الإسلامي، وهو دليل الأدلة، كل الأدلة تحتاج أن يستدل عليها من القرآن ويحتج لها بالقرآن ومن القرآن، حتى السنة النبوية نحتاج إلى أن نستدل عليها من كتاب الله، أمّا القرآن فلا يُستدل له، بحسبه أنه ثبت أنه كلام الله المعجز الذي يتميز بخصائص لا يتميز بها غيره، وهو الكتاب المبين، وهو الكتاب المُيسر للذكر، وهو كتاب ﴿أُحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وهو الكتاب الخالد الذي هو آخر كلمات الله للبشر، لا يوجد عند أمة ما يوجد عند الأمة الإسلامية، عندها الوثيقة الإلهية التي تتضمن كلمات الله الأخيرة لهداية البشرية، وقد حفظه الله من كل تبديل وتغيير مادي أو معنوي، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

ومع أن هذا الكتاب كتاب مبين، ومُيسر للذكر يحتاج في بعض آياته وفي كثير من آياته إلى تفسير، فإن من الكلام ما هو مجاز، ومنه ما هو حقيقة، ومنه ما هو خاص، ومنه ما هو عام، ومنه ما هو مقيد، ومنه

ما هو مطلق، ومنه ما يُفهم بالعبارة، وما يُفهم بالإشارة، وما يفهم بالتضمن، وما يفهم بالالتزام، لذلك احتاج إلى تفسير.

ويرى العلماء أنَّ المنهج الأمثل في التفسير أن يُفسر القرآن بالقرآن، فإذا لم نجد بيان القرآن في القرآن لجأنا إلى السُّنة النبوية، فخير مَنْ يُفسر القرآن هو من كلفه الله بالبيان، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ثم الاستفادة من تراث الصحابة في تفسير القرآن إذا صحَّ عنهم، لأنَّ كثيرًا مما جاء عنهم في التفسير لا يصحُّ كما قال الإمام أحمد: ثلاثة لا أصل لها: الملاحم والمغازي والتفسير^(١). فلا بدَّ أن نتبين في التفسير الوارد عن الصحابة، خصوصًا ابن عباس باعتباره قد دعا له النبي ﷺ أن يعلمه التأويل^(٢)، وخصوصًا لو أجمع الصحابة، أمَّا لو اختلفوا نستطيع أن نتخير من قولهم، ونستطيع أن نخرج من أقوالهم لأنَّ اختلافهم يعني أنَّهم اجتهدوا، فنستطيع أن نجتهد كما اجتهدوا، وكذلك نستفيد من تراث التابعين، وخصوصًا من كانت له خصوصية في التفسير مثل عكرمة وقتادة ومجاهد، وهؤلاء الذين عكفوا على القرآن، ثمَّ بعد ذلك نأخذ بمطلق اللغة، ومراعاة السياق، إلى آخره.

وقد ذكر العلماء شروطًا لمن يُفسِّر القرآن، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتهيَّبون من تفسير القرآن، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول:

(١) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٤٩٣)، تحقيق د. محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٥)، بلفظ: «اللهم علِّمه الكتاب». وفي الوضوء (١٤٣)، بلفظ: «اللهم فقهه في الدين». ومسلم في الفضائل (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فقهه».

أَيُّ سَمَاءٍ تَظَلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تَقْلُنِي إِنَّ قَلْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ^(١). وكان سعيد بن المسيب يُفْتِي فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَيَتَهَيَّبُ أَنْ يُفَسِّرَ الْقُرْآنَ^(٢)، وَإِنْ كُنَّا وَجَدْنَا فِي عَصْرِنَا مَنْ يَقْتَحِمُ هَذَا الْحِمَى، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ أَيُّ أَدَوَاتٍ، وَلَا أَيُّ مَوْهَلَاتٍ لِفَهْمِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، فَلَا يَمْلِكُ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَا يَمْلِكُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ، وَلَا يَمْلِكُ مِنَ الْعَقْلِ الْعَامِّ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ بِهِ هَذَا الْكِتَابَ الْعَظِيمَ، ثُمَّ يَأْتِي لَنَا بَارَاءٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ.

نحن نعلم أَنَّ هُنَاكَ تَفْسِيرًا يَسْمَى التفسير بالرواية أو بالمأثور، والتفسير بالدراية أو بالرأي، وإن كنا نرى أَنَّ المدرستين قد تقاربتا كما رأينا في الفقه، وأيضًا تقاربت المدرستان في تفسير الطبري وابن كثير، فالبعض يعتبر أَنَّ كِلَا التفسيرَيْنِ مِنَ التفسير بالرواية أو بالمأثور، ولكن في الحقيقة كل منهما يذكر الرواية ثم يذكر الدراية، أو يذكر رأيه، فالإمام الطبري شيخ المُفَسِّرِينَ بعد أن يذكر الأقوال، ويسرد الروايات يقول: وأقوى الأقوال بالصواب كذا وكذا. فهو يجمع بين الأمرين، وكذلك ابن كثير يُفَسِّرُ برأيه، وعبارته من أجمل العبارات، ولذلك حاول العلامة أحمد شاكر أَنْ يجمع رأي ابن كثير بعبارته في كتابه «عمدة التفسير»، وبعض الناس اختصروا ابن كثير وأضاعوا عبارة ابن كثير، وهذا ليس اختصارًا محمودًا؛ لأنني لا أجد مثل عبارته اللطيفة الرشيدة البَيِّنَةُ وما فيها من دلالة على كتاب الله، ونحن نتعامل مع هذا القرآن بالرواية والدراية معًا.

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٥٦١)، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١،

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) رواه الطبري في التفسير (٨٦/١)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث،

مكة المكرمة.

وفي حديثنا هنا عن استنباط الأحكام من القرآن الكريم قال العلماء: إِنَّ هُنَاكَ خَمْسَمِائَةَ آيَةٍ أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ تَخْتَصُّ بِالْأَحْكَامِ^(١). والحقيقة أَنَّ الآيات التي تدلُّ على الأحكام أكثر من خمسمائة، وهذا أمر يرجع إلى القدرة على الاستنباط من آيات القرآن الكريم، وكثير من العلماء استنبطوا من قصص القرآن أحكامًا كثيرة، كما في سورة يوسف، فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢]. هناك من أخذوا منه حكم الجعالة، والكفالة، وأخذوا من السورة أحكامًا في الرؤى، هل تصح الرؤية وتصدق من كافر؟ وتفسير سيدنا يوسف لهذا الأمر، وأخذنا في عصرنا التخطيط من هذه القصة ممَّا لا يخطر ببال الفقهاء السابقين، لم يهتموا بهذا الأمر، وقلنا في عصرنا: إِنَّ يَوْسُفَ سَنَّ سَنَةَ التَّخْطِيطِ الْاِقْتِصَادِي وَالزَّرَاعِي وَالتَّمْوِينِي فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ.

وأنا استنبطت من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ [القصص: ٤]. أن كلمة ﴿أَهْلَهَا﴾ تفيد أن بني إسرائيل جاؤوا من خارج مصر، وظلُّوا فيها سنين طويلة فأصبحوا بذلك من أهلها، ومعنى ذلك أَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَكَثِهِ وَإِقَامَتِهِ الطَّوِيلَةَ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ يَكْتَسِبُ الْجَنْسِيَّةَ، وهذا حقٌّ، فليس معقولاً أَنْ يَجْلِسُوا بِأَبْنَائِهِمْ وَأَحْفَادِهِمْ مِائَاتِ السِّنِينَ وَلَا يَكْتَسِبُوا الْجَنْسِيَّةَ.

ومن هنا نقول: القول بأنَّ آيات الأحكام هي خمسمائة آية ليس قاطعاً، فالقرآن قابل أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ أَحْكَامًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، بعض السور مثل:

(١) انظر: إرشاد الفحول (٢/٢٠٦)، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، نشر دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، وشرح تنقيح الفصول ص١٩٤، نشر المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ
نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ١-٤]. يؤخذ منها أنَّ
الكافر ينسب إليه ماله، وتُنسب إليه امرأته، أي: تُقرُّ على ذلك، وهكذا.

يجب أن نهتمَّ في الحقيقة بحُسن تفسير القرآن، وحُسن الاستنباط
منه؛ لأنَّنا في عصرنا نجد أنَّ هناك أناسًا فرضوا أنفسهم على القرآن،
وهم ليسوا من أهل القرآن، ولا من المؤهلين لتفسيره، فوجدنا أنَّهم
اتَّبَعُوا المتشابهات، وتركوا المحكمات، ومن الأمور المهمة أن نجعل
المحكمات هي الأساس وليس المتشابهات، فالله تعالى أنزل هذا
الكتاب: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

بعض الناس يريد أن يجعل القرآن كله كأنَّه متشابهات، وبعضهم يروي
عن سيدنا علي قوله: حاججهم بالسُّنة، ولا تحاججهم بالقرآن فإنَّه حمَّال
أوجه^(١). وهذه قضية ينبغي ألا تؤخذ على عواهنها، فليس كل القرآن
حمَّال أوجه، فهذا في المتشابهات، أمَّا المحكمات فهنَّ أمُّ الكتاب، أي
أن معظم الكتاب وأصل الكتاب محكمات، والمتشابهات قليلة، فيجب
أن نردَّ المتشابهات إلى المُحْكَمَات، وهذا هو المنهج القويم، أمَّا منهج
الزائعين فهو ترك المُحْكَمَات والذهاب إلى المتشابهات، وهذا ما نراه
عند كثيرين، كالَّذين يريدون أن يجعلوا أصل الربا في القرآن هو الإباحة،
وأنَّ المُحَرَّم هو الأضعاف المضاعفة، ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَاطِلًا﴾
﴿مُضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، يأخذ هذه الآية، ويترك الآيات الأخرى مثل

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣٣٩/٦)، تحقيق د. علي محمد عمر، نشر مكتبة الخانجي،

القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ ﴿[البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]. وما يُبين ذلك من الأحاديث.

وقد ناقش شيخنا الشيخ محمد عبد الله دراز هذا الأمر في رسالته عن الربا التي قدّمها لبعض المؤتمرات العالمية، وأنا لو أخذنا بظاهر الآية: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾. فلا يحرم الربا إلا إذا كان ستمائة في المائة (٦٠٠٪)، لأنّ الأضعاف جمع، وأقل الجمع ثلاثة، فإذا كانت أضعاف مضاعفة، فعلى الأقلّ ضوعف مرّة واحدة يصبح ستّة، فيصبح ستمائة في المائة^(١)، وهذا لا يقول به عاقل، ولا يوجد في الدنيا ربا بهذه الطريقة، فهذا من اتباع المتشابهات وترك المحكمات.

وذكر الشيخ الذهبي رحمه الله في كتابه «التفسير والمفسرون» أنّ بعض الناس أرادوا أن يسقطوا الحدود، ويقولون: الحدود ليست مهمة. لماذا؟ قالوا: لأنّ الأمر الوارد بقطع اليد في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]. هو للندب^(٢). كيف يكون الأمر في مثل هذه الأمور للندب والله تعالى يقول: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]؟ وحينما أرادت قریش أن توسط أسامة بن زيد في المرأة المخزومية التي سرقت فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً وقال: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟ إنّما هلك من كان قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم

(١) في بحثه عن «الربا» الذي قدمه لمؤتمر باريس سنة ١٩٥١م.

(٢) التفسير والمفسرون (٣٨٧/٢ - ٣٨٨)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وإيّم الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقَت لقطعتُ يدها»^(١). فهذا لا يمكن التسامح فيه، ولا يمكن أن يكون مثل هذا الأمر للندب.

والذين تلاعبوا بالقرآن مثل نصر أبي زيد، وشحرور، وغيرهما يقولون كلامًا غريبًا، فمثلاً قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]. ألف شهر يعني ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر، الشهر المعروف (١٢/١) من السنة، سواء حسبناها بالأشهر القمرية أو الأشهر الإفرنجية، هذا ما يعرفه كل الناس، فيأتي شحرور ليقول: لا، شهر يشهر من الإعلام، أي خير من ألف إعلام. ما دخل الإعلام في تفضيل ليلة؟ المفروض أن تقارن ليلة بزمّن لا تقارن بإشهار، وعن قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]. يقول شحرور: الفجر هو الانفجار الكوني العظيم^(٢). ما هذا؟ فهو يأتي بأشياء غير متبادرة، وللأسف أعطاه بعض إخواننا شرعية بإظهاره في الفضائيات، ما كنت أودّ أن يظّلوا يناقشوه في عشر أو خمس عشرة حلقة، ولم يكونوا للأسف بالقدر اللازم لإبطال ما ذهب إليه.

وما يقوله نصر أبو زيد: أنّ القرآن من الله، ولكن بمجرد نزوله على محمد أصبح بشرياً^(٣). كيف يصبح بشرياً؟ الكلام يظل منسوباً إلى صاحبه، ولا زلنا ننسب إلى الناس من آلاف السنين كلامهم، ننسب إلى المسيح كلامه، وننسب إلى أرسطو كلامه، وإلى سقراط كلامه، وإلى

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود (١٦٨٨)، عن عائشة.

(٢) انظر: الكتاب والقرآن نموذج من التأويل ص ٢٠٥ وما بعدها، نشر الأهالي للطباعة، دمشق، ط ١، ١٩٩٠م.

(٣) قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة ص ٨٦، نشر دار الاعتصام، القاهرة.

قدماء المصريين وقداماء الفرس وقداماء الهند كلامهم، الكلام يظل منسوباً إلى صاحبه، فالكلام الإلهي إلهي، والكلام البشري بشري، فالدخول على القرآن بمثل هذه المداخل يجب أن يُرفض تماماً.

ومن أخطر الأمور أيضاً في تفسير القرآن على غير وجهه: وضع الآيات في غير مواضعها، أن يوضع النص في غير موضعه، ويستدل به على أشياء أخرى، وأنا ذكرت مثلاً لذلك ببعض المتصوفة الذين يستدلون بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٣٤]. على أن الله أعطى للأولياء سلطة في الكون يتصرفون بها، مع أن الآيات التي جاءت في هذا خاصة بأهل الجنة: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤]، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢]، ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٤ - ٣٥]، ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣١].

وهناك مَنْ يُخرج بعض الألفاظ عن معناها، مثل مَنْ يقول: لم يحرم الله الخمر، وإنما قال: فاجتنبوه. ناقشني أحدهم مرة وقال: ليس هناك دليل على تحريم الخمر. فقلت له: كيف ذلك والآيات واضحة فيه؟ قال: لا، أنا أريد لفظ التَّحريم. قلت له: خذ لفظ الحديث: «كل مُسْكِرٍ خمرٌ، وكل خمر حرام»^(١). قال: لا أريد حديثاً، أنا أريد من القرآن. قلت له: إليك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. قال: هو يقول: فاجتنبوه. قلت: وهل الاجتناب أمر قليل؟ كيف والقرآن لم يستخدم كلمة ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ إلا في الشرك

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٠٣)، وأحمد (٤٦٤٥)، عن ابن عمر.

والكبائر؟ كما قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]. وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ ابْعُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]. وهكذا لم تجئ كلمة الاجتناب إلا في الشرك والكبائر، والاجتناب لا يعني فقط تحريم الفعل، بل يحرم القرب من الشيء، فهي شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّجْسَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. فهي لا تعني فقط عدم الزنا، لا بل حتى ما يقرب من الزنا: الخلوة، والتبرج، وكذا وكذا، كل هذا محرم أيضًا، ثم يكفي أنه قرن الأمر باجتنب الخمر باجتنب الأنصاب والأزلام والأوثان واعتبره رجسًا، ومن عمل الشيطان، ورتب على الاجتناب الفلاح، هل كل هذا لا يدل على الحرمة؟ ثم قلت له: ماذا لو جئت لك بدليل على التحريم من القرآن؟ قال: أين؟ قلت: في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]. قلت: هل تشك في أن الإثم محرم؟ قال: لا. قلت: يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. قال: سلمت الآن. قلت: سبحان الله، سلمت بهذه الآية المرحلية، وقد ظل بعض الصحابة يشرب الخمر بعدها، ويقولون: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافياً^(١). والآية القاطعة الحاسمة لم تقتنع بها؟ فهكذا بعض الناس.

(١) رواه أحمد (٣٧٦)، وقال مخرجه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأشربة (٣٦٧٠)، والترمذي في التفسير (٣٠٤٩)، وقال: وقد روي عن إسرائيل هذا الحديث مرسلاً. ورجح المرسل. والنسائي في الأشربة (٥٥٤٠)، عن عمر بن الخطاب.

نحن إذن نريد أن نتعامل مع القرآن باعتباره دليل الأدلة، وما جاء في القرآن ينبغي أن تنحني له الرؤوس، وأن يقول كل مؤمن: سمعنا وأطعنا. كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

هناك في الحقيقة محاذير كثيرة في التفسير ذكرتها في كتابي «كيف نتعامل مع القرآن الكريم» تأتي أحياناً من تصديق الإسرائيليات، وتأتي أحياناً من الأخذ بالأحاديث الموضوعة والمنكرة والضعيفة، وتأتي أحياناً من اعتماد أقوال غير موثقة لأصحابها كما يروى كثيراً عن ابن عباس، والرواة عنه كثيرون، منها ما يسمى سلسلة الكذب، وأحياناً يكون الرأي مخالفاً لآيات القرآن الأخرى، مخالفاً لقواطع الإسلام، مخالفاً للسنن المتواترة، ومخالفاً حتى للعقل، فهناك ضوابط ومحاذير أساسية في فهم القرآن الكريم يجب أن تراعى، وأكتفي بهذا القدر حتى نسمع من الإخوة.

الإسراف في القول بالنسخ:

من أخطر الأشياء التي ذُكرت هي قضية النسخ التي تناقلها العلماء بعضهم عن بعض، وأسرف كثير منهم فيها إسرافاً غريباً جداً، العجيب أن السنة لم يسرفوا فيها هذا الإسراف، ألف ابن الجوزي في المنسوخ من السنة فكانت الحصيلة اثنين وعشرين حديثاً تقريباً، بينما قالوا: إن آية السيف وحدها نسخت مائة وأربعين آية أو مائتي آية. وهذا أمر عجيب، القرآن الدستور الإلهي، قانون كل قانون، وأصل الأصول، يكون معرضاً لمثل هذا الإسراف.

أحياناً أقرأ السورة مثل سورة الإنسان فيقولون: فيها منسوخ. فأقول: وما عساه يكون منسوخاً فيها؟ يقولون: آية ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. نسختها آية السيف. فلا تطعم الأسير! حتى قالوا: إن ابنة هبة الله الضرير ناقشت أباه، وله كتاب في النسخ، قالت: يا أبتى من الواجب أن يُطعم الأسير لا يُترك حتى وإن كان أسيراً، فلماذا يُنسخ هذا^(١)؟ فهكذا أسرف كثير من علماء الأمة في دعوى النسخ بغير حجة قاطعة.

كان المُتَقَدِّمُونَ يذكرون النسخ، ولا يقصدون به ما يذكره المتأخرون من النسخ، كان المُتَقَدِّمُونَ يقولون: هذه الآية نسختها آية كذا. ويقصدون أنها خصصت عامتها، أو قيّدت مطلقها، أو بينت مُبْهَمَهَا، فكان أي نوع من البيان يطلقون عليه نسخاً، فجاء المتأخرون فيرون عن ابن عباس مثلاً أن هذه الآية نسختها آية كذا. وهو لا يقصد المعنى الاصطلاحي للنسخ برفع دليل مُتَقَدِّمٍ لحكم مُتَأَخِّرٍ، فهذا ممّا أحدث لبساً في الموضوع.

وقد حاولت أن أجد حديثاً - ولو ضعيفاً - يقول فيه النبي ﷺ: إن هذه الآية نسختها آية كذا. ما رأيتُ هذا، وإذا وجد أحد حديثاً يقول هذا فليدلني عليه.

الآية الكونية:

وتعلمون جميعاً أن الآية التي استدلُّوا بها على وقوع النسخ هي قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]. وللإمام محمد عبده في هذه الآية كلام يُفيد أن الآية تعني الآية الكونية،

(١) الإتيان للسيوطي (٧٩/٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

بدليل التذييل الذي جاءت به الآية: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]. ولم يقل: أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. ثم قوله: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨]. وهذا أمر يتعلق بالآيات الكونية.

وإن كنتُ أميل إلى ما مال إليه شيخنا العلامة محمد عبد الله دراز من أَنَّ النسخ هنا هو نسخ الأديان بعضها لبعض، كما قال سيدنا عيسى: ﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. ولذلك جاءت الآية هنا تمهيداً لنسخ التوجه إلى بيت المقدس، وهو ما جاء بعد ذلك في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

علل مانعة من النسخ:

المهمُّ هنا أَنَّ الإسراف في القول بالنسخ في القرآن يجعلنا نعجب كيف أنَّ كل ما يدلُّ على الصبر والصفح واللين والرفق أصبح بسبب هذا الإسراف منسوخاً: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، ﴿وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، هذه الآيات وغيرها يقولون عنها: نسختها آية السيف^(١).

هذا مع أَنَّ هناك آيات مُعَلَّلة بعلة لا تقبل النسخ، مثل قوله: ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمُ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، فقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. هو علة لا تقبل

(١) انظر: فقه الجهاد (١/ ٢٨٥ - ٣٣٤).

النسخ، ولذلك يقول ابن تيمية عليه رحمة الله: الاعتداء ظلم، والله لا يبيح الظلم أبداً^(١). لا يدخل الظلم في الإباحة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، إلى آخره.

ومثل قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. قالوا: هذه الآية نسختها آية السيف. كيف وهي معللة بقوله: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. أي: ليس هناك ما يدعو إلى الإكراه، الدين واضح وبيّن لا نحتاج إلى أن نكره الناس عليه، فهذا أمر معلّل بعلّة لا تقبل النسخ.

أذكر قبيل بداية القرن الخامس عشر الهجري كلفتني اللجنة الثقافية للمؤتمر الإسلامي أن أضع دستوراً لحقوق الإنسان في الإسلام ليعرض على المؤتمر الذي سيعقد في مكة بمناسبة قدوم القرن الخامس عشر الهجري، ووضعت دستوراً، وكان سيناقش في جدة، فجاء عدد من المشايخ إلى الأشياء التي كنت أعتبرها مسلمّات وأخذوا يناقشون فيها، من ذلك: لا يجوز لأحد أن يجبر أحداً على تغيير دينه، لأنّ الناس أحرار فيما يختارون من دين. فقام جماعة من إخواننا في المملكة يقولون لي: لا. قلت: كيف يا جماعة والقرآن يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ويقول: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. ويقول: ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مَكُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]؟ قالوا: هذا كله منسوخ. فما أسهل أن تبطل آيات القرآن بكلمة منسوخ! هذا أمر عجيب جداً.

(١) انظر: قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم لابن تيمية ص ١١٣، تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.



التضييق في القول بالنسخ:

ولذلك أنا من أنصار التقليل أو إعدام القول بالنسخ في القرآن ما أمكن، وهناك في عصرنا علماء لا يستريحون إلى قضية النسخ، منهم الشيخ الخُضري رَحِمَهُ اللهُ، في كتابه «تاريخ التشريع»^(١)، وأظن أنه أول من أثار هذه القضية وأشار إليها من المُحدثين، وشيخنا الشيخ محمد الغزالي نفس الشيء^(٢)، وأخونا الدكتور عبد المتعال الجبري له كتاب في هذا^(٣).

ومما يهون من هذا الأمر أن هناك مَنْ أنكر النسخ في القرآن، هناك أبو مسلم الأصفهاني الذي يُعنى الفخر الرازي دائماً بذكر آرائه في النسخ، وكثيراً ما يميل إليها، وكثيراً ما يُصرّح بذلك ويقول عنها: وهي في غاية السلامة، أو في غاية الصحة. وهناك أناس آخرون ذكرهم الإمام الزركشي في «البرهان في علوم القرآن» يقولون: كل ما في المصحف ما لم تُنسخ تلاوته لا يُنسخ حكمه. لم يذكر أسماءهم^(٤).

أيضاً مما يهون هذا أنه لم توجد آية قيل: إنها منسوخة. إلا وُجد مَنْ يُعارضها ويردّها، أي لا توجد آية أجمع على نسخها العلماء والمُفسّرون.

وقد حاول الإمام السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» أن يُقلّل عدد الآيات المنسوخة، ووصل بها إلى عشرين آية، وأخونا المرحوم الدكتور مصطفى زيد - ونعني بالمرحوم المرجو له والمدعو له بالرحمة - كانت رسالته عن «النسخ في القرآن الكريم»، وهو في الحقيقة

(١) تاريخ التشريع الإسلامي ص ٢١ - ٢٤، نشر دار الفكر، ط ٨، ١٤٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(٢) كيف نتعامل مع القرآن ص ٨٢ وما بعدها، نشر نهضة مصر، القاهرة، ط ٧، ٢٠٠٥م.

(٣) النسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي، نشر مكتبة وهبة القاهرة.

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٠/٢)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء

الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

قد خدمها وتعب عليها، ووصل إلى ست آيات، وبعضهم وصل إلى خمس آيات، وبعضهم إلى ثلاث آيات.

وأنا أومن بالقول بالتدرُّج، مثل آية الصيام: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤]. فخير بين الصيام والفدية، وهذا ثابت في الصحيحين وفي غيرهما عن عدد من الصحابة، مثل: عبد الله بن عمر، وسلمة بن أكوع، ومعاذ بن جبل، وأظنُّ ابن عباس أيضًا، فهذا التدرُّج ثابت، خيرهم أولًا ثم جاءت الآية التالية: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فالزم بما كان مُخَيَّرًا فيه.

وذكر الإمام الزركشي قضية المرحلية؛ أنَّ هناك آيات جاءت بالصبر واللين والصفح والعفو، يقول: هذه في حالة الضعف، والآيات الأخرى في حالة القوَّة^(١). وأنا في الحقيقة أتوقَّف في القول بهذا لأنَّه يفيد أنَّ الغاية تبرر الوسيلة عند المسلمين، إذا كانوا ضعفاء سكتوا عن الناس، وإذا ملكوا القوَّة هاجموا العالم، فهذه قضية خطيرة في الحقيقة.

لكن يمكن القول بمراعاة الأحوال، مثل المسلمين الذين كانوا في الاتحاد السوفيتي تحت الستار الحديدي، وهم دول إسلامية، كانوا يعتبرونهم أقلِّيَّات إسلامية، وكنت أقول لهم: ليس هؤلاء أقلِّيَّات، هؤلاء بلاد إسلامية كاملة، ودخلت الإسلام من القرن الأوَّل، لكن هل تستطيع أن تقول لهم: قاتلوا السوفيت، وهم لا يملكون القوَّة. هذه معركة فناء،

(١) البرهان في علوم القرآن (٣٩/٢).

أو انتحار جماعي، فمثل هؤلاء يمكن أن نراعي أحوالهم ونقول لهم: خذوا بالصبر، كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة. لكن لا يمكن أن نأخذ هذا الأمر بصفة عامة.

تدرُّج لا نسخ:

ومما يتعلق بالتدرُّج قضية تحريم الخمر، وليس في القرآن ما يدلُّ على إباحة الخمر، بل كان الصحابة يريدون بياناً قاطعاً، ونستفيد من هذا أنَّ الحرام هو ما حُرِّمَ جزمًا، وهذا يؤيِّد المذهب الذي لا يُحرِّم إلا بالقاطع، لا بالدليل الذي فيه شبهة، ولذلك كان الصحابة يقولون: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا^(١). وظل بعضهم يشرب الخمر رغم نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]. إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. ومع ذلك فأية البقرة وآية النساء غير منسوختين، ولكن كان المفهوم حينها أن بين الصلاتين يمكن شرب الخمر لا أنَّها حلال، حتى نزل التحريم القاطع.

أنا في الحقيقة أميل إلى التضييق جدًا في القول بالنسخ في القرآن، وأقول: آية البقرة في شأن الصيام منسوخة، وعندي كذلك فيها أحاديث صحيحة ثابتة تفيد أنَّ الآية التي بعدها نسختها، ولم يعد هناك سبيل للتخيير، وإن كان هناك من العلماء مَنْ يؤوِّل: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ بحيث لا تكون منسوخة: أن من يطيقونه تعني من

(١) سبق تخريجه ص ١٦٤.

يتحمّلونه بشدّة وكذا، ولكن الأحاديث الصحاح الواردة عن عددٍ من الصحابة ذكرت أنّ الآية التالية نسخت هذه الآية.

وهناك بعض الآيات يمكن اعتبارها منسوخة، ويمكن اعتبارها خاصّة بحالة، واعتبار غيرها خاصّا بحالة أخرى، مثل آية سورة الأنفال: ﴿أَلَكُنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦]. هل هذه الآية نسخت الآية التي قبلها أم أنّ الأمر في حالة الضعف شيء وفي حالة القوة شيء آخر؟

ومثل آية سورة المجادلة: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢]. قالوا: إنّها نسخت^(١). وهل عمل بها أم لم يعمل؟ ورد أنّ سيدنا عليّاً رضي الله عنه أوّل من عمل بها.

وفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]. هناك من السلف من قالوا: الوصيّة لغير الوارث، لأنّ القرآن جاء بالميراث فجعل لأناس ميراثاً، وجعل لأناس وصيّة، فمن لا يرث من الوالدين والأقربين تكون لهم وصيّة، مثل رجل تزوّج كتابيّة، فهي لا ترث من زوجها ولا من أولادها، فكيف يُعالج هذا الأمر؟ يعالج عن طريق الوصيّة، من لا ميراث له يأخذ من الوصيّة، إلى آخره، فهي عدّة آيات محدودة، وكل ما قيل: إنّهُ منسوخ. فيه تأويل، وهو تأويل مقبول.

وهذه الآية بنوا عليها في مصر وسوريا وبعض البلاد العربيّة قانون الوصيّة الواجبة، وأنا أعتقد أنّ هذا الاجتهاد صحيح؛ لأنّه

(١) ودليل النسخ لمن قال به حديث الترمذي في التفسير (٣٣٠٠)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في الخصائص (٨٤٨٤)، وابن حبان في إخباره رضي الله عنه عن مناقب الصحابة (٦٩٤١)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

أعطى نصيباً للأحفاد، ما كان يمكن أن يرثه آباؤهم جبرهم به عن طريق الوصية الواجبة، فهذه الآية ليست منسوخة، بل معمول بها، وعملت بها هذه القوانين.

آية السيف:

وأنا مذهبي في ذلك التقليل الشديد من القول بالنسخ في القرآن، وأنه لا توجد آية اسمها آية السيف نسخت آيات السلم، وهي في الحقيقة كثيرة جداً، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا إِلَيْكُمْ أُولَئِكَ أُولُوا سَيْفٍ﴾ [النساء: ٩٠]. هذا تحريم واضح لعدم مقاتلة المسالمين، ومثل هذه الآيات التي ترحب بالسلم كثيرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. وهكذا، فهناك آيات كثيرة تُقرّر أن الأصل في العلاقة بين الناس هو السلم.

الاختلاف في تعيين آية السيف:

ثم إنهم اختلفوا في تعيين آية السيف، فقال بعضهم: آية السيف هي قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]. مع أن هذه معاملة بالمثل.

وقال بعضهم: آية السيف هي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]. وهي أشهر ما قيل: إنها آية السيف. ولكن الآية تتحدث عن المشركين الذين ساموا المسلمين سوء العذاب، ولم يرفعوا حدوداً ولم يفوا بعهود، فكان لا بد من موقف مع هؤلاء.

ثم إنَّ هذه الآية جاء قبلها قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]. وجاء بعدها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٦، ٧]. فكيف يصح أن توصف الآية بأنها آية السيف؟!

نسخ القرآن بالسنة:

وبالنسبة لأحاديث الأحاد التي ذكرت أن هناك آيات نسخت تلاوة وحكمًا، فأنا أتوقف فيها، وإن كانت صحيحة السند، لأنَّ القرآن هو ما ثبت في المصحف، ومعروف مثلاً عند علماء القراءات أنَّهم يثبتون القراءة إذا صحَّ سندها، وكانت موافقة للعربية، وكانت ممَّا يوافق المصحف، فتقبل هذه القراءة، لكن إذا لم تكن في المصحف مثل حديث: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»^(١). كيف أقبلها؟ فالبتة ليست من ألفاظ القرآن، لأنها لفظة ثقيلة.

كما قال مصطفى صادق الرافعي: سبع أرضين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]. لأن أرضين كلمة ثقيلة^(٢).

(١) رواه النسائي في الكبرى في الرجم (٧١٠٩)، والطبراني (٣٥٠/٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٩٢): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. عن العجماء.

(٢) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٦٠، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٨،

ثم إنَّ هذا الحديث ليس صحيحًا، لأنَّه إذا زنا شاب وشابة وكانا محصنين، فهل ترجمهم أم لا؟ وإذا زنا شيخ وشيخة ولم يكونا محصنين فهل ترجمهم أم لا؟ فالكلام حتى من ناحية المعنى غير مقبول.

وأنا مع مذهب الإمام الشافعي رحمته الله الذي قال في آية: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]: السُّنَّة ليست خيرًا من القرآن ولا مثله، هي في المرتبة التالية للقرآن، ليس فيها إعجاز، وليس فيها ما للقرآن من خصائص مُعيَّنة، ولذلك أنا من أنصار أنَّ السُّنَّة لا تنسخ القرآن.

على أنني حين أقول: إنِّي أتوقَّف في بعض الأمور، فإنَّما هو توقُّف أدبي، لا أريد أن أردَّ حديث الصحيحين، لكن أنا رددتُ بصراحة حديث «الشيخ والشيخة». رددته سندًا وامتًا ومعنى، لكن هناك من الأحاديث ما يستحقُّ أن أقف بشأنها تأدُّبًا.

وقد أثَّرت قضية رجم الزاني في ندوة التشريع الإسلامي في ليبيا، كانت هناك محاولة للعودة للتشريع الإسلامي، وشكلوا لجنة برئاسة المستشار علي منصور رحمته الله لتطهير القوانين الليبية ممَّا يخالف الشريعة الإسلامية، فدعت هذه اللجنة إلى ندوة لنصرة التشريع الإسلامي من عدد من العلماء من أنحاء العالم العربي، وربما من خارج العالم العربي أيضًا، وكنتُ من هؤلاء.

وكان ضمن علماء الندوة - بل كان نجمها في الحقيقة - الشيخ محمد أبو زهرة رحمته الله، وفي ختام الندوة قال الشيخ أبو زهرة: أنا عندي رأيٌ كتمُّه عشرين سنة، وأحبُّ أن ألقى الله بعد أن أبوح به إليك. وتوجَّه إلى الدكتور عبد العزيز عامر قائلًا: أليس صحيحًا أنَّه من عشرين سنة؟ قال:

بلى. وقال: رأي في الرجم هو أنه شريعة يهودية، وأُقرت في أول الأمر، ثم نُسخت أو تُركت بعد ذلك. وذكر عدة أدلة، قال: القرآن يقول: ﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]. والرجم لا يتنصف، وذكر أيضاً ما جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى أنه سئل: هل كان الرجم قبل آية النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]. أو بعدها؟ قال: لا أدري^(١). قال الشيخ أبو زهرة: يبدو أن الرجم كان قبل آية النور، حتى جاءت الآية فحددت الجلد، ونسخت الشريعة اليهودية. وذكر قصة حديث: «الشيخ والشيخة إذا زنيا». وأنها أكلتها الداجن^(٢). وقال: هذا شيء لا يقبله عقل، ورفض هذا الحديث، فهاج عليه المشايخ كما هي العادة في هذه الأمور.

وبعد أن انتهت الجلسة زُرْتُ الشيخ أبا زهرة، وكانت تلك أول مرة في حياتي ألقى فيها الشيخ أبا زهرة وجهاً لوجه، رغم أنني قرأتُ له، وحضرتُ له محاضرات في دار الحكمة، ولكن لم يُتَحَ لي أن ألقاه وجهاً لوجه إلا في هذا اللقاء وفي هذه الندوة، وناقشته وقلتُ له: أنا عندي رأي يُقَرَّبُ المسألة شيئاً ما. فقال: قل: يا قرضاوي. قلتُ: عند الأحناف تأويل لحديث النبي ﷺ: «البكرُ بالبكرِ جلدٌ مائة وتغريبٌ عام، والثيبُ بالثيبِ جلدٌ مائة ورجمٌ بالحجارة»^(٣). قالوا: الحدُّ هو الجلد، أمَّا التغريب فهو سياسة وتعزير، يمكن أن يفعله القاضي إذا وجد الناس في حاجة إلى مزيد من الردع ضمَّ إلى الجلد النفي والتغريب، وإلا اكتفى بالحد.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨١٣)، ومسلم (١٧٠٢)، كلاهما في الحدود.

(٢) رواه أحمد (٢٦٣١٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لتفرد ابن إسحاق - وهو محمد - وفي متنه نكارة. وابن ماجه في النكاح (١٩٤٤).

(٣) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٠)، وأحمد (٢٢٦٦٦)، عن عبادة بن الصامت.

وعلى هذا نقول في الشق الثاني من الحديث: إنَّ الحد هو الجلد، والرجم سياسة وتعزير، مثل التغريب والنفي، فنثبت ما جاءت به الروايات من الرجم في العهد النبوي، فقد رجم يهوديين^(١)، ورجم ماعزًا، ورجم الغامدية^(٢)، وبعث أحد أصحابه في قضية امرأة العسيف، وقال له: «اغْدُ يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها»^(٣).

وكذلك ما روي أنَّ عمر رجم من بعده، وأنَّ عليًا رجم كذلك. ولكننا نفَسِّر هذه الوقائع على أنَّها لون من التعزير والسياسة الشرعية. والأحكام التعزيرية ليست لازمة دائمًا كما هو معلوم.

ولكنَّ الشيخ لم يوافق على رأيي هذا، وقال لي: يا يوسف، هل معقول أنَّ محمد بن عبد الله الرحمة المهداة، يرمي الناس بالحجارة حتى الموت؟ هذه شريعة يهودية، وهي أليق بقساوة اليهود.

جهاد الطلب:

وهناك قضية تبدو متعارضة مع قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. وهي ما عرف في الفقه بجهاد الطلب.

وأنا أقول: إذا كان المقصود بجهاد الطلب - كما يقول العلماء خصوصًا المتأخرون - فإنَّ علينا أن نغزو بلاد الكفار في عقر دارهم كلَّ سنة مرَّة على الأقلَّ، فأنا لا أقول بهذا الرأي، ولا أرى أنَّ هناك دليلًا على هذا الأمر.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٦٨٤١)، ومسلم (١٦٩٩)، كلاهما في الحدود، عن ابن عمر.

(٢) قصة ماعز والغامدية رواها مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٦٨٢٧)، ومسلم (١٦٩٧)، عن أبي هريرة، وزيد بن خالد الجهني.

ولكن أحياناً يكون الجهاد في ظاهره جهاد طلب، وهو في حقيقته دفاع عن الأنفس، ففي ظاهر الأمر أَنَّ النبي ﷺ غزا الروم حينما ذهب إلى تبوك، ولكن الحقيقة أَنَّهُ غزاها حينما بلغه أَنَّ الروم ومواليهم من قبائل نصارى العرب جمعوا له الجموع ليغزوه في المدينة، فأراد النبي ﷺ أن يبادر هو إليهم، كما يقول المثل: «يتغذى بهم قبل أن يتعشوا به». وكما يقال: الضربة الأولى نصف النصر. فبدل أن يترك لهم المبادرة فيبدؤوا هم بالضربة الأولى القاضية عاجلهم هو بصحابته، فهو في الظاهر جهاد طلب، ولكنَّه في الواقع جهاد دفع، ومن هنا كان قتال الصحابة الفرس والروم استمراراً لما بدأ في حياة النبي ﷺ، وهو نوع من الحروب الوقائية.

ومن ناحية أخرى: كان القصد بجهاد الطلب تبليغ الرسالة، حيث كان الملوك لا يسمحون لشعوبهم أن تفتح عقولهم على أيّ عقيدة جديدة، يريدون أن يغلّقوا عليهم الأبواب، ولا يسمح لأحد أن يفكر في تغيير دينه، كما حكى الله تعالى عن فرعون قوله: ﴿ءَأْمَنَّمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧١]. لا يجوز لعقل أن يقتنع ولا لقلب أن يسلم بشيء ما لم يأذن فرعون أو قيصر أو كسرى.

ونحن في عصرنا لم نعد في حاجة إلى هذا الأمر لتبليغ الدعوة، لأننا نستطيع أن نصل إلى شعوب الأرض عن طريق الإذاعات الموجهة، والقنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، والرسائل المكتوبة بمختلف اللغات، ولذلك حينما افتتحنا موقع «إسلام أون لاين» هنا في قطر، وحضر الافتتاح شخصيات إسلامية وعالمية من بلاد شتى، قلت في ذلك اليوم: هذا هو جهاد العصر، أن نبلغ الأمم المختلفة رسالة

الإسلام، وأنا نحتاج في سبيله إلى جيوش جرّارة لا من حملة السيف والمدفع، ولكن من حملة الأقلام من الدعاة، والإعلاميين، والمثقفين المُدَرَّبِينَ القادرين على أن يكلموا الأقوام المختلفة بألسنتهم، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤].

ونحن للأسف ليس عندنا واحد من الألف مما هو مطلوب منا، إذا احتجنا ألفاً من الأكفاء قد يوجد واحد منهم وقد لا يوجد، ولذلك من قبل قلت: إنك إذا طلبت من المسلمين عشرة للقتال في سبيل الله يأتيك مائة، وإذا طلبت منهم مائة يأتيك ألف، كلهم مستعدون أن يموتوا في سبيل الله، ولكن إذا طلبت منهم عدداً ليعيشوا في سبيل الله، يذهبوا إلى الأدغال كما يذهب إليها المُبَشِّرُونَ المُنْصَرِّون لا تجد هذا العدد.

وابن حزم يقول عن النصاري: لو لم نر هؤلاء الناس بأعيننا، وجادلناهم بألسنتنا، وسمعناهم بأذاننا ما صدقنا أن في الوجود من يقول: الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة^(١). ومع هذا تجد هؤلاء ينتشرون في العالم لنشر باطلهم، ونحن أولى أن ننشر رسالتنا في العالم، وهي رسالة الحق، ولا نحتاج إلى السيف والمدفع لنشرها، نحتاج إلى تبليغها بالسلم لا بالحرب، ولعلّ هؤلاء الإخوة والأبناء في هذا الملتقى - وكلهم رجال فكر ودعوة وتربية - يحملون هم رسالة نشر رسالة الإسلام إلى العالم.

* * *

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٩/١).



السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ مَصْدَرًا لِلتَّشْرِيعِ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدنا وإمامنا وأُسُوتنا وحبیبنا
ومُعَلِّمنا رسول الله، وعلى آله وصحبه، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ، وَاهْتَدَى بِسُنَّتِهِ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

خير ما أَحْيَيْكُمْ بِهِ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ - تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَتَحِيَّةُ
الْإِسْلَامِ السَّلَامِ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

(وبعد)

فعندنا أصلان أسياسيان: الأصل الأول: هو القرآن الكريم، وكُنَّا
نعيش معه خلال الأيام الماضية، وخصوصًا الأمس، والأصل الثاني: هو
السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ.

والقرآن هو البلاغ الإلهي، والسُّنَّةُ هي البيان النبوي للقرآن
الكريم، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فالسُّنَّةُ

(١) أُلْقِيتُ فِي جُلُوسَاتٍ: الْمُلْتَقَى الْأَوَّلُ لِتَلَامِيذِ الْقُرْظَاوِيِّ، الْمُنْعَقِدِ فِي الدَّوْحَةِ تَحْتَ عُنْوَانٍ: نَحْوُ
مَنْهَجِيَّةٍ رَاشِدَةٍ فِي التَّأْصِيلِ وَالتَّنْزِيلِ، ٢ - ١١ فَبْرَايِرَ ٢٠١٠م.

لا تنفصل عن القرآن، يمكن أحياناً أن تقول: الإسلام مصدره القرآن والسُّنة. وتكتفي بهذا، لأنَّ الإجماع والقياس والمصادر التبعية تدخل كلها في القرآن والسُّنة.

وإذا كان هناك بعض الناس يحاول التشكيك في السُّنة النبوية، فإنه لا يمكن بحالٍ من الأحوال الاستغناء عن السُّنة النبوية، لا في التشريع، ولا في التوجيه، ولا في التربية، فالحاجة إلى السُّنة النبوية مقترنة بالحاجة إلى القرآن الكريم.

والإمام الشاطبي يقول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]: حَفِظَ اللهُ تعالى للقرآن يستلزم حَفْظَهُ للسُّنة، لأنَّ السُّنة بيان للقرآن، فإذا لم تُحفظ السُّنة وضاعت السُّنة بقي القرآن بلا بيان^(١).

ولذلك نقول: السُّنة محفوظة، ولكن ليست في مرتبة القرآن في الحفظ، وهي ليست في مرتبة القرآن في الثبوت، ولكن مجموع السُّنة محفوظ من غير شك.

هياً الله للسُّنة رجالاً ينقلونها إلينا ويحفظونها لنا، ابتداءً من الصحابة رضوان الله عليهم الذين حرصوا على حَفْظِ السُّنة، حتَّى إنَّ أحدهم ليرحل من المدينة إلى مصر ليسمع حديثاً كما فعل سيِّدنا أبو أيُّوب الأنصاري ورحل إلى مصر ليسمع من عقبة بن عامر حديثاً واحداً^(٢)،

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة (٣/٤) وما بعدها، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٢) رواه أحمد (١٧٤٥٤)، وقال مخرَّجوه: المرفوع منه صحيح غيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. والخطيب في الرحلة في طلب الحديث (٣٤).

ورحل جابر بن عبد الله إلى الشام لیسمع من عبد الله بن أنیس حديثاً واحداً^(١)، فهم سُنُّوا لنا سُنَّةَ الرَّحْلة في طلب الحديث، وفي جمع السُّنَّة. وقد وضع العلماء مصطلحات للسُّنَّة كما هي شأن العلوم تبدأ ساذجة في أوّل الأمر، ثمَّ يبدأ العلماء يضبطونها شيئاً فشيئاً، ويضعون لها الشروط والقواعد، حتّى تكون منضبطة تماماً.

ومن المصطلحات التي ذكرها العلماء: الحديث الصحيح، وذكروا في تعريفه: أنّه ما اتَّصل سنُّده برواية العدل تامّ الضبط عن مثله، من أوّل السند إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا عِلَّة. فلا بدّ أن يكون هناك سندٌ، وهذا ممّا اختصّت به الأُمَّة الإسلاميّة، أدنى الأحاديث المقبولة عندنا لا يتوافر مثلها للتوراة والإنجيل وهذه الكتب، لا يوجد عندهم أسانيد لها إطلاقاً، التوراة انقطع سنُّدها بعد السبني والنفي البابلي، ثمَّ كُتبت من جديد من الذاكرة، وضاعت منها أشياء كثيرة، فليس لها سندٌ مُتَّصل، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ليس موجوداً أصلاً، هناك كتب منسوبة إلى أصحابها مشتملة على بعض سيرة المسيح وأقواله، وهي الأناجيل الأربعة التي أقرُّوها من بين سبعين إنجيلًا أو أكثر، وليس لها أسانيد، ولكن عندنا قالوا: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء^(٢). ولمّا قرأ الإمام الشافعي تفسير مقاتل، وأُعجب بما فيه قال: يا له من علم لو كان له إسنادٌ^(٣). فالإسناد من خصائص الأُمَّة الإسلاميّة،

(١) رواه أحمد (١٦٠٤٢)، وقال مخرّجوه: إسنادُه حسن. والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠)، والحاكم في التفسير (٤٣٧/٢، ٤٣٨)، وصحَّح إسنادُه ووافقه الذهبي، والخطيب في الرحلة في طلب الحديث (٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٧٠).

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيح (١٥/١)، من قول ابن المبارك.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٥/٦٠)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار

الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

فلا بدّ من السند، ولما قيل لعبد الله بن المبارك: هذا الحديث رواه فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ. قال: إنّ بين فلان هذا وبين رسول الله مفاوِزَ تنقطع فيها أعناق المطي^(١). لُبُعد ما بينهما من زمن، ولذلك كان السند أمرًا مهمًّا.

ولا بدّ أن يكون سندًا متّصلًا، فالانقطاع يُضعف الحديث، سواء كان الانقطاع حلقةً واحدة، ويُسمُّونه المنقطع، أو حلقتين ويُسمُّونه المُعْضَل، أو لم يكن إلّا أوّل السند فقط ويُسمُّونه المُعلّق، كلُّ هذا محكومٌ عليه بالضعف.

ولا بدّ مع اتّصال السند أن يكون الراوي عدلًا تامّ الضبط حتّى يكون الحديث صحيحًا. والعدالة هي رعاية الجانب الديني والخُلقي، فلا بدّ أن يكون الراوي إنسانًا مستقيمًا، لا يُعرف بسوء سلوكٍ ولا بكذبٍ ولا بخيانةٍ ولا بفسوقٍ عن أمر الله، يكون إنسانًا مؤتمنًا في الدين والخُلُق، فالجانب الديني والخُلقي لا بدّ منه، وكذلك الجانب العقلي المُتمثّل في الذاكرة والحفظ والفهم، فلا بدّ أن يكون الراوي ضابطًا لما يرويه، سواءً ضبطٌ صدرٍ أو ضبطٌ كتاب.

والمهمُّ أنّهم اشترطوا أن يسلم الحديث من الشذوذ والعِلّة، والشذوذ: أن يخالف الثّقة مَنْ هو أوثق منه. ويقع الشذوذ في السند والمتن.

والعِلّة: عيبٌ خفيٌّ في الحديث مع أنّ ظاهره السلامة منه. وتقع في السند والمتن كذلك، وأحيانًا يُردُّ السند بسبب المتن، يقولون: هذا السند ضعيفٌ لأنّ فلانًا يتتبع الغرائب، فمن أجل تتبّعه الغرائب التي لا يُتابعه عليها أحدٌ رُفض حديثه، وأصبح غير مقبول، فأصل ردِّ السند هنا يتعلّق

(١) رواه مسلم في المقدمة (١٦/١).

بالمِتن، وهناك أشياء كثيرة تتعلّق بالمِتن كالأضطراب في المِتن، وحتىّ حينما ذكروا الحديث الموضوع قالوا: هناك قرائن تدلُّ على الوضع، منها قرائن في الراوي، ومنها قرائن في المَرْوِيّ، ومن الأخيرة: أن يكون المِتن مُخَالِفًا لقطعِي القرآن، أو يكون مُخَالِفًا لمتواتر الحديث، أو يكون مُخَالِفًا لما صحَّ واستفاض من الحديث، أو يكون مُخَالِفًا لحقائق العلم، أو يكون مُخَالِفًا لحقائق التاريخ، أو يكون مُخَالِفًا للقواطع العقلية، أو يكون مُخَالِفًا لحقائق الحياة وسنن الله، أي شيء من هذا يعتبرونه من علامات الوضع.

لكنهم أحيانًا لا يُطَبِّقون هذه الشروط لأسبابٍ معيّنة، ربّما لطبيعة العصر، هناك أشياء يمكن أن نجفّل منها نحن عندما نسمعها لأنّ معارف عصرنا وثقافة الناس ومعلومات العصر تجعلنا لا نقبل حديثًا ما، على حين أنّهم قبلوه، من ذلك مثلاً حديث الإمام البخاري: «لولا بنو إسرائيل لم يَخْنَزِ اللحمُ، ولولا حوّاء لم تَخُنْ أنثى زوجها»^(١).

أولاً: لم تَخُنْ حوّاء آدم، ولا هي السبب في أكله من الشجرة، وإنّما هذا كلام التوراة؛ أنّها هي التي وسوست له حتىّ أكل من الشجرة^(٢)، ليس هذا عندنا في الإسلام، بل عندنا في القرآن: إمّا أنّ آدم هو المسؤول الأوّل، لأنّ كل الكلام معه، ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّكِدُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، وإمّا ينسب إليهما المعصية معًا، ومعناه أنّ المرأة تبعت زوجها، إمّا أنّ حواء هي التي وسوست، وبناء على هذا يحملون

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٧٠)، عن أبي هريرة.

(٢) سفر التكوين (١/٣ - ٦).

المرأة شقاء البشريّة، وأنّها هي التي أخرجت آدم من الجنة، وتسبّبت لنا في المتاعب، فهذا كلام في الحقيقة ليس له أصل عندنا في الإسلام.

ثانيًا: خُنُوز اللَّحْم يخضع لقانون من قوانين الطبيعة التي خلقها الله، أنّ اللحم إذا تركته لا بدّ أن يتغيّر بعد مدّة ويُنْتِن، وهل كان اللحم قبل بني إسرائيل لا يَحْنَز إذا تركه الناس، ويظلّ أبَدَ الدَّهْرِ صالحًا للاستعمال وللأكل؟! هذا يخالف قانون الطبيعة، لكن الحديث مرّ على الإمام البخاري في ذلك الوقت، فهل يلزمنا نحن هذا الحديث في هذا العصر؟ أنا أعتقد أنّ من حقّنا أن ننظر في هذه الأحاديث، أي حديث يخالف سُنّة من سنن الله، أو يخالف الواقع، أو يخالف قضايا العلم القطعيّة من حقّنا أن نرفضه تطبيقًا للقواعد التي وضعها علماؤنا أنفسهم، فنحن لا نخترع قاعدة جديدة، نحن نطبّق ما وضعوه من القواعد، ولكن تطبيقنا في زمننا هذا غير تطبيقهم.

وأحبُّ أن أقول: إنّ هذه الأشياء قليلة جدًّا، لا تبلغ أن تُكوّن مشكلة، لا نحتاج أن نهدم من أجلها صحيح البخاري، ولا صحيح مسلم، فهي أحاديث قليلة جدًّا، فلا مانع أن ننظر إلى متون الأحاديث.

وبعض علماء العصر في الحقيقة لا يهتمُّون بالمتون، فمثلاً العلامة الشيخ الألباني - وهو أعظم مَنْ اشتهروا بتخريج الأحاديث في عصرنا - لا يُلقي بالاً لعملية المتن فيصحّح حديث أبي داود: «الوائدة والموءودة في النار»^(١). ويظهر أنّ سنده ليس فيه مشكلة، لكن يكفي أنّه مخالف

(١) رواه أبو داود في السُنّة (٤٧١٧)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات... وفي متن هذا الحديث نكارة، فإنّ الموءودة - وهي البنت التي تدفن حية - تكون غير بالغة، ونصوص الشريعة متضافرة على أنّه لا تكليف قبل البلوغ. وابن حبان في صفة النار (٧٤٨٠)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٧١٤٢)، عن ابن مسعود.

للقرآن الذي يقول: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩].
فإذا لم يكن لها ذنب فكيف تدخل النار؟

ومثل عدد من الأحاديث صحَّحها في «صحيح الجامع الصغير»
تقول: «ألبان البقر شفاء ولحومها داء»^(١). والله تعالى أحلَّ لحوم البقر:
﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿وَمِنَ الْأَبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾
﴿قُلْ وَالَّذِينَ كَرِهُوا حَرَّمَ أَمْرُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]. وشرعها في الأضحية وفي
الهدي فتكفي الشاة عن واحد، والبقرة عن سبعة، والرسول ﷺ ضحَّى
بالبقر^(٢) وذبح عددًا من الأبقار بيده^(٣)، فكيف نُصحَّح هذه الأحاديث؟

على أن الشيخ الألباني ضعَّف بعض أحاديث البخاري من ناحية
السند، مثل حديث: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجلٌ أُعطي بي ثم
غدر، ورجلٌ باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم
يُعطه أجره»^(٤). ومن حقّه إذا وجد سنده ضعيفًا أن يُضعِّفه، ولكنَّ المهمَّ
الالتفاتُ إلى المتن.

أحاديث الآحاد:

الأصل في الحديث المُعَيَّن - سواء كان من أحاديث الصحيحين أو
غيرهما - إذا لم يتوفَّر فيه صفة التواتر أنّه من أحاديث الآحاد، ولكن
عددًا من العلماء منهم ابن الصلاح، ومنهم بعد ذلك ابن تيمية، وابن

(١) رواه الحاكم في موضعين: الأول في الطب (٤٠٣/٤)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي. والثاني

في الطب (٤٠٤/٤)، وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: سيف وهاه ابن حبان. وأبو نعيم

في الطب النبوي (٨٥٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٦٠)، عن ابن مسعود.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأضاحي (٥٥٥٩)، ومسلم في الحج (١٢١١)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في الحج (١٢١٣)، عن عائشة.

(٤) رواه البخاري في البيوع (٢٢٢٧)، عن أبي هريرة.

القيّم، وابن كثير، وغيرهم ذكروا أنّ مجموع الصحيحين - ما لم يكن في حديثٍ معيّن نقدٌ خاصٌّ - تلقته الأئمة بالقبول، فهناك قرائن أضيفت على الأحاديّة أعطت الحديث قوّة بحيث ألحقته بالمتواتر، فجملة أحاديث الصحيحين تلقتهما الأئمة بالقبول، وعملت بها، ولم يعترض عليها أحد خلال هذه القرون فأعطت هذه الأحاديث قوّة، فأنا اخترت هذا الرأي، ولكن طبعاً يُستثنى من هذا أيّ حديثٍ هو موضع نقد، ومُعلّقات البخاري لا تدخل فيما قلته، بل المقصود الأحاديث المُسنّدة الموصولة، هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى: أنّنا نتحدّث عن جملة الصحيحين أيّها الإخوة، ولا يدخل في كلّ حديثٍ على حدة، وأنا لي اعتراضات وانتقادات على بعض أحاديث مسلم، وللعلماء من قديم انتقادات على أحاديث في صحيح مسلم، مثل حديث: «خلق الله عزّ وجلّ التُّربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدوابّ يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل»^(١). وأنا لي توقُّف عند كلمات مثل: «وخلق المكروه يوم الثلاثاء». ما معنى المكروه؟ لم أفهمه، ما الشيء المكروه الذي خلقه الله يوم الثلاثاء؟!

وذكروا أيضاً في صلاة الكسوف أنّ الرسول ﷺ صلاها أربع ركوعات، وأربع ركوعات^(٢)، وقالوا: إنّ الروايات الصحيحة ركوعان فقط. والكسوف حدث مرّة واحدة يوم موت إبراهيم ابن النبي ﷺ، ولذلك اعترضوا على رواية مسلم.

(١) رواه مسلم في صفة القيامة (٢٧٨٩)، وأحمد (٨٣٤١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الكسوف (٩٠٨، ٩٠٩)، عن ابن عبّاس.

وهناك أحاديث في مسلم أتوقف فيها مثل حديث الثقلين^(١)، وهو مُعتمد لدى إخواننا الشيعة، وحديث الخمسة أصحاب الكساء^(٢)، جعلهم المقصودين بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. مع أن الآية واضحة تمام الوضوح أنها في نساء النبي ﷺ، كل الآيات قبلها تتحدث عنهن، فكيف يأتي حديث مسلم ويخرجهن من آل البيت ويجعله للخمسة أصحاب الكساء، وبعضهم يقول: القرآن غير الخطاب، فبعد أن كان يقول: ﴿يُؤْتِكُنَّ﴾، ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ﴾. قال: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ﴾. ولكن هذا أمر معروف في خطاب أهل البيت، حتى إن القرآن قال لزوجته سيدتنا إبراهيم: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]. وخطاب النساء بضمائر الجمع المذكر أمر معروف كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩]. فهو يقول لامراته: ﴿امْكُثُوا﴾، ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم﴾، و﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾. فالمهم أن هناك أحاديث في صحيح مسلم أتوقف فيها حتى في أحاديث الأصول نفسها، لكن نقول: مجموع أحاديث الصحيحين تلقتهما الأمة بالقبول، إلا أحاديث معينة وهي قليلة كما قلت، ومن حق العالم إذا رأى شيئاً يريبه فعلى الأقل يتوقف فيه إذ لم يرده. والتوقف عندي يعني أنني في بعض الأحاديث لا أسارع في ردها حتى يفتح الله عليّ فيه بفهم، أو أرى تأويلاً لغيري مقبولا، وبعض الأحاديث أردّها حقيقة.

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٨)، عن زيد بن أرقم.

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٤)، عن عائشة.



السُّنَّةُ التشريعية وغير التشريعية:

هذا الأمر تعرّض العلماء له من قديم، مثل بعض أعمال الحجّ: التحصيب، والوقوف في المكان الفلاني، كانوا يقولون: سُنَّة أم غير سُنَّة؟ ومن المهم أن يُعرف الحديث: هل هو سُنَّة أم غير سُنَّة؟ أهو للتشريع أم لغير التشريع؟ وأعتقد أن أوفى مَنْ كتب في هذه القضية هو علامة الهند - الذي يُسمّيه الشيخ الندوي: (حكيم الإسلام) - وليّ الله الدهلوي في كتابه «حُجَّة الله البالغة»، والكتاب في الحقيقة آية من آيات الله، وإن كان لم يُخدم إلى الآن، لم يُطبع طبعة محقّقة، ويُعلّق عليه، وتُخرّج أحاديثه، مع أن إخواننا في الهند بينهم علماء كثيرون، لكن لم يقوموا بهذا الواجب، فلعلّ بعض تلاميذنا يقومون بخدمة هذا الكتاب، وذكر الشيخ الدهلوي بالنسبة لما جاء في كتب الحديث: إنّه أنواع، منه ما سبيله سبيل الرسالة، من مقتضيات النبوة، ومنه ما ليس سبيله سبيل الرسالة، أي ما ليس للتشريع بتعبيرنا.

وأوّل مَنْ قال ذلك فيما أعرف الشيخ محمود شلتوت، كان له كتابٌ درّسه لطلاب كلية الحقوق في الثلاثينيات اسمه «فقه القرآن والسُّنَّة: القصاص»، وحينما أردنا أن نجمع كتب الشيخ ونخرجها أدخلت هذا الكتاب في كتاب «الإسلام عقيدة وشريعة»، وكان هذا الأخير من قبل حوالي عشرين أو ثلاثين صفحة، ولكن ضمّمنا إليه من كتب الشيخ فجعلنا فيه جزءاً في الأصول، وجزءاً في التشريع، وجزءاً في العبادات، وجزءاً في المعاملات، وفي الأسرة، وكذا من كلام الشيخ وكتبه، فمن قديم قسّم الشيخ شلتوت السُّنَّة إلى ما هو للتشريع وما ليس للتشريع، والتشريع منه ما هو عامٌّ وما هو خاصٌّ، ومنه ما هو دائمٌ وما هو غير دائم، وهو في الحقيقة أخذ هذا الكلام من الدهلوي وصاغه بهذه

الصياغة، والتشريع الدائم وغير الدائم ذكره القرافي في تصرّفات الرسول ما هو بحكم الإمامة، وبحكم القضاء، وبحكم الإفتاء وبحكم التبليغ عن الله ﷻ^(١)، وقال الدهلوي عن الأشياء التي ليس سبيلها سبيل الرسالة: ومنه الطب^(٢). جعل ما جاء في الطبّ خارجاً عن الرسالة، وإنّما هو ممّا تعلّم النبي ﷺ من البيئة، وطبعاً دخل إخواننا الأطباء المتديّنون في هذه القضية ووسّعوا فيها كثيراً، وأصبحت قضية الطبّ النبوي مبالغ فيها، ويمكن أن نعتبر موقف ابن خلدون في «المقدمة» موقفاً معقولاً، فهو يقول: لا نأخذ هذه الأشياء على إطلاقها^(٣). مثل حديث: «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ»^(٤). يقول: هذا خاصٌّ بالمدينة، وتَمَرٌ بالمدينة، والشخص في المدينة^(٥). يجعله خاصّاً، لكن البعض يأخذ هذه الأحاديث بإطلاق، حتّى إنّ أحدهم زارني وأعطاني عُلبَةً صغيرة وقال: فيها الأشفية السبعة: حَبَّة البركة، والعسل، والسَّنَا والسُّنُوت، وماء زمزم، وغيره. فقلت له: كم مقدار هذا الماء؟ قال: نقطة. قلت له: وهل كان يريد النبي ﷺ نقطة من ماء زمزم حين قال عنه: «طَعَامٌ طُعْمٌ وَشَفَاءٌ شُقْمٌ»^(٦)؟ فالمبالغات في هذه الأشياء غير مقبولة، وقد أكون أقرب إلى كلام ابن خلدون الذي

(١) انظر: الفروق للقرافي (٢٠٥/١، ٢٠٦)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) انظر: حجة الله البالغة (٢٢٣/١، ٢٢٤)، تحقيق السيد سابق، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون (١٢٤٣، ١٢٤٣/٣)، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، نشر لجنة البيان العربي، ط٢.

(٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٧٩)، ومسلم في الأشربة (٢٠٤٧)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٥) انظر: فتح الباري (٢٤٠/١٠).

(٦) رواه الطيالسي (٤٥٩)، والبزار (٣٩٢٩)، والطبراني في الصغير (٢٩٥)، وصحّح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٨١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧١١): رواه البزار والطبراني في الصغير، ورجال البزار رجال الصحيح. عن أبي ذر.

ذكر أن ما جاء في هذه الأشياء ليس أمراً دينياً، لنفترض أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالإِثْمِد؛ فإنه يجلو البصر ويُنبت الشعر»^(١). الإِثْمِد: الكحل. فجاء طبيب العيون وقال للمريض: إياك أن تضعه في عَيْنِكَ، فمن يتبع؟ أنا أرى أن الإسلام الذي قال: ﴿فَسْأَلُ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]، أولى بالاتباع، فالرسول لم يكن طبيباً، ولم يبعثه الله لِيُطَبِّبَ الناس من هذه الأمراض العضوية.

وهذا أمر يحتاج إلى استقراء الأحاديث الواردة فيما يسمّى الطب النبوي حديثاً حديثاً، فإذا وجدنا حديثاً يبدو أنه نوع من الإخبار الإلهي، أو ممّا اختص به النبي ﷺ نأخذ به، وإذا كان بحكم الخبرة المكوّنة من البيئة فهذا أمر يرجع إلى خبراء الطب.

وأريد أن أنبّه على أن وضع القواعد التوجيهية في مجال الطب هي الأساس، فاعتبار الصحة البدنية: «إِنَّ لَبَدَنكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(٢). هذا أمر مهم. وكذلك التداوي: «ما أنزل الله داءً إِلَّا أنزل له شفاءً، علمه مَنْ علمه، وجهله مَنْ جهله»^(٣). وحل مشكلة القدر في قضية الدواء، قالوا: يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها، وثقاة نتقيها، هل تَرُدُّ من قدر الله شيئاً؟ قال: «هي من قدر الله»^(٤). والدخول على الطب ممّن ليس من

(١) رواه الترمذي في اللباس (١٧٥٧)، وقال: حسن. والنسائي في الزينة (٥١١٣)، وابن حبان في

الطب (٦٠٧٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده قويٌّ على شرط مسلم. عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أحمد (١٨٤٥٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. عن أسامة بن شريك.

(٤) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال:

حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر

(١١)، عن أبي خزيمة.

أهله: «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمَ عَنْهُ طَبُّهُ فَهُوَ ضَامِنٌ»^(١). كثير من الأشياء ذكرتها في بعض كتبي في الفتاوى.

هناك جوانب عظيمة جدًا من الطب لا يهتم بها الناس، لا يهتمون إلا بالوصفات، وأنا أرى أن هذه ليس لها اعتبار إذا لجأنا إلى أهل الاختصاص، والنبِيُّ ﷺ قال لمن جاء يشكو إليه أنه مفلود: «اذْهَبْ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ الثَّقَفِيِّ؛ فَإِنَّهُ يَتَطَبَّبُ»^(٢). حتى قالوا: إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ كِلْدَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ. وهذا يدلُّ على أَنَّهُ يُمْكِنُ الْإِنْتِفَاعُ بِالطَّبِيبِ غَيْرِ الْمُسْلِمِ، بَلْ إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ طَبِيبٍ فَلَا بَدَّ مِنْ اخْتِيَارِ الْأَفْضَلِ، فَقَدْ جَاءَهُ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَقَالُوا: إِنَّ فِيهِمْ طَبِيبَيْنِ. فَقَالَ: «أَيُّهُمَا أَطْبُّ؟» فَقَالُوا: هَذَا. فَأَمَرَهُ بِالتَّطَبُّبِ^(٣). هَذِهِ كُلُّهَا مَبَادِئُ جَاءَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّاذَا لَا نَهْتُمُّ بِهِ، وَنَحْصِرُ اهْتِمَامَنَا فِي الْوَصَفَاتِ النَّبَوِيَّةِ؟!

ينبغي - إذن - أن نحترم ما يقوله الخبراء أهل الذكر، يمكن أن يناسب هذا بعض الناس في بعض البيئات، كما حاول ابن القيم في تفسيره لها أن يجعلها خاصّة بالبيئة العربيّة، ولا يجوز أن نعمّمها على كل العالم. يقول: هناك أوامر عامّة، وهناك أوامر خاصّة.

فحين يقول الرسول: «شَرِّقُوا وَغَرِّبُوا». في القِبْلَةِ^(٤)، يقول: ليس هذا خطابًا عامًّا، هذا خطاب لأهل المدينة وَمَنْ كَانَ عَلَى سَمْتِهِمْ،

(١) رواه أبو داود في الديات (٤٥٨٦)، والنسائي في القسامة (٤٨٣٠)، وابن ماجه في الطب (٣٤٦٦)، والحاكم في الطب (٢١٢/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٣٥)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أبو داود في الطب (٣٨٧٥)، وضعّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٣٤)، وقال الأرناؤوط في تخريجه لسنن أبي داود: رجاله ثقات لكنّه مرسل. عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) رواه مالك (٣٤٧٤)، تحقيق الأعظمي، وقال الحافظ في فتح الباري (١٣٤/١٠): مرسل.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٣٩٤)، ومسلم في الطهارة (٢٦٤)، عن أبي أيوب الأنصاري.

وليس لكلّ البلاد^(١)، فموقف ابن القيم في هذه القضية موقف معقول، وقضية السُّنة ما كان منها تشريعاً وما كان منها غير تشريع يجب أن تؤخذ بحذرٍ ويقظة.

وأريد أن أُقرّر أمراً يجب أن يكون واضحاً: الأصل أن السُّنة للتشريع، ولكن قد تأتي أوامر ونواهٍ لا تكون للتشريع، هناك أشياء يفعلها الرسول ﷺ بطبيعته البشرية، مثل أنه يحب الدُّبَّاء^(٢)، ويحب لحم الذَّرَاع^(٣)، فهل من السُّنة أن تحبَّهما؟ هناك أناس يحبُّون ما يحبُّه الرسول، وهم محمودون على هذا، لكن ليس مطلوباً من المسلم في هذه الأشياء أن يحب الدُّبَّاء أو يحب لحم الذَّرَاع، وكان سيِّدنا عبد الله بن عمر من المبالغين في هذا الأمر، حينما حجَّ بعد رسول الله ﷺ ذات مرّة أوقف ناقته حيث أوقف الرسول ﷺ ناقته، وقضى حاجته، وقال: إنَّ الرسول ﷺ نزل في هذا المكان وقضى فيه حاجته^(٤). وهذا ليس مطلوباً في الاقتداء، وإنَّما هو من كمال الحبِّ، فهناك أشياء يفعلها الرسول ﷺ بحكم الطبيعة البشرية، وهناك أشياء يفعلها بحكم التجربة، بحكم أنه إنسان عربي عاش في بيئته، وله فيها ملاحظات، وأخذ منها أشياء مثل الحجامة

(١) زاد المعاد (٢٣/٤)، (٢٤)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) رواه أحمد (١٢٨١١)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والنسائي في الكبرى في الوليمة (٦٦٣٠)، عن أنس بن مالك.

(٣) إشارة إلى الحديث المتَّفَق عليه: عن أبي هريرة، قال: أتني رسول الله ﷺ يوماً بلحم، فرفع إليه الذَّرَاع، وكانت تعجبه فنهس منها نهسة، إلخ. رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠)، ومسلم في الإيمان (١٩٤).

(٤) رواه أحمد (٦١٥١)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨١٢): رجاله رجال الصحيح.

ونحوها، والآن يعتبر بعض الناس أنَّ الحِجامة سُنَّة نبويَّة، وأنا في الحقيقة أرى أنَّ الحِجامة سُنَّة عربيَّة أقَرَّها الرسول، لكن هل هي أحسن الوسائل العلاجيَّة؟ هذا أمرٌ يُقرِّره الأطباء.

وبالنسبة لتصرُّفات الرسول بعضها تصرُّفات واضحة أنَّها فعلاً تبليغ عن الله ﷻ، وبعضها تصرُّفات يختلف في تكييفها العلماء، من ذلك حديث: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ»^(١). هل قال الرسول ﷺ هذا بوصفه مُبلِّغاً عن الله، أم بوصفه إماماً للمسلمين ورئيساً للدولة؟ اعتبر الأحناف أنَّ الرسول ﷺ قال هذا بوصفه إماماً، فما لم يقل إمام للناس: إِنْ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ. فليس من حقِّ أحد أنْ يَتملِّك هذه الأرض بغير إذن الدولة، بينما يرى الآخرون أنَّ الرسول قال هذا بوصفه مُبلِّغاً عن الله، فأَيُّ إنسان يُحيي أرضاً ولو بدون إذن الدولة أو إذن الإمام يَتملِّكها.

ومن ذلك أيضاً حديث: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ»^(٢). أي لا يدخل في الغنائم، إذا كان مع القتل أسلحة قيمة أو نقود يأخذها له بعيداً عن تقسيم الغنائم التي توزع بطريقة مُعيَّنة كما ذكر القرآن: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]. حينما قال الرسول ذلك في إحدى المعارك هل قاله بوصفه قائداً للمسلمين أو بوصفه مُبلِّغاً عن الله؟ اختلفوا في هذا، فهناك أشياء اتَّفَقوا فيها، وأشياء اختلفوا فيها.

(١) رواه أحمد (١٤٨٣٩)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الأحكام (١٣٧٩)، وقال:

حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٥)، عن جابر.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في فرض الخُمُس (٣١٤٢)، ومسلم في الجهاد (١٧٥١)، عن

أبي قتادة.

اختلاف المعاصرين في تخريج الأحاديث:

من أبرز الأمور التي يظهر فيها موقفي من آراء المعاصرين في تخريج الأحاديث حديث: «بُعِثْتُ بالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمَحِي»^(١). فقد بحثُ في هذا الحديث في كتابي «فقه الجهاد»، وذكرت أَنَّ العلماء في عصرنا بالذات ابتداءً من الشيخ أحمد شاكر، قال في تخريجه لمسند أحمد: الحديث صحيح^(٢). ومعروف أَنَّ الشيخ شاكر متساهل في التصحيح، وأخذوا عليه في هذا أشياء كثيرة، منها أَنَّهُ يأخذ مُطْلَقًا بتوثيق ابن حِبَّان، وكل الرواة المختلف فيهم يُوثِّقهم بإطلاق، ولذلك توسَّع في التصحيح، وصحَّح هذا الحديث، وجاء الشيخ الألباني بعده وصحَّحه أيضًا، وجاء الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ عبد القادر الأرناؤوط - وليس قريبًا له - وهما يُخرِّجان «زاد المعاد»، وكان هذا من مدَّة طويلة فصَحَّحا الحديث، وأنا أقول: إِنَّ الشيخ شعيب في ذلك الوقت كان في بدايته، لم يكن قد نضج، ثمَّ لما نضح الشيخ شعيب من ناحية، وأصبح رئيسًا لفريق في تخريج مسند الإمام أحمد ضَعَّفوا الحديث، وليس هذا تفضيلًا لتخريج الأرناؤوط على تخريج الألباني فكلُّهم أرناؤوطيون - أي من ألبانيا - وإنَّما تفضيل للعمل الجماعي على العمل الفردي، كانت هناك جماعة تعمل مع الشيخ شعيب، تجدهم يقولون: اشترك في هذا الجزء فلان وفلان وفلان، فهو عمل جماعي له قيمته، فهم في هذا الحديث الذي

(١) رواه أحمد (٥١١٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه. ابن ثوبان اختلفوا فيه وخلاصة القول أَنَّهُ: حسن الحديث إذا لم يتفرد بما ينكر عليه، فقد أشار أحمد إلى أن له أحاديث منكراً. قال المحققون: وهذا منها، عن ابن عمر.

(٢) مسند أحمد (٥١٥/٤).

عمدته عبد الرحمن بن ثوبان قاموا بتشريح الحديث، وبيّنوا ما فيه من علة، ولهذا أخذت برأيهم في هذا الأمر، رجّحت التخرّيج الجماعي على التخرّيج الفردي.

على أنّي أطلت البحث في هذا الحديث، ونقلت ما قاله علماء الجرح والتعديل في الراوي الذي كثر فيه الكلام في هذا الحديث بتفصيل، مثلاً الإمام أحمد يقول: أحاديثه مناكير. وفلان يقول: ضعيف. وفلان يقول: كذا. إلى آخره، ولذلك رجّحت ضعف هذا الحديث في كتابي «فقه الجهاد»^(١).

ثم هذا الحديث على خلاف ما جاء به القرآن، كما في قوله تعالى في ثلاث آيات: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩]. ويقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]. وليس بالسيف، ثم إنه يجعل الرسول ﷺ يرتزق من ظل رمحه! وهذا أمر منكور.

على أنّي كثيراً ما أخذُ بتخرّيجات الشيخ الألباني، والألباني - كما ذكرت - محدّث عظيم، وأنا أخذُ بأكثر ما خرّجه حقيقة، ولكن أخالفه في كثير من مسائل الفقه، وتعرفت عليه من قديم حين زرت المدينة المنورة، وكان هو أستاذاً في الجامعة الإسلامية بالمدينة، وتناقشنا طويلاً في مسألة التصوير الفوتوغرافي، وأنا أجز هذا التصوير وهو يُحرّمه، ومما قلته له: إنّ هذا التصوير يُطلقون عليه في بلاد الخليج: عكّسا. ويقولون عن المصوّر: عكّاسا. ويذهب أحدهم إليه فيقول: اعكّسني، ومتى آتي أخذ العكوس. أي الصور، فهي مسألة عكس كما ذكر الشيخ

(١) انظر: فقه الجهاد (٣٣٥/١) وما بعدها.

بخيت المطيعي مفتي مصر، وكان حنفيًا، كان علامة في زمانه، كتب رسالة سماها «الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي»، وذكر أن التصوير عبارة عن حبس الظل في الصورة^(١)، فأول ما لقيت الشيخ الألباني تناقشنا في هذا الموضوع، ثم تعرّفت عليه حينما لقيته عند أخينا وصديقنا الشيخ زهير الشاويش في بيروت، وكان قد خرّج أحاديث كتابين من كتبي: كتاب «الحلال والحرام»، وكتاب «مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام».

المتواتر والآحاد:

هناك مواقف من السُّنة، هناك مَنْ يردُّ السُّنن كلها ولا يأخذ إلا بالقرآن، مثل الذين يُسمُّون أنفسهم «أنصار القرآن»، أو «القرآنيين»، وهؤلاء يخالفون القرآن؛ لأنّه أمر بطاعة الله وطاعة رسوله.

وأعجب هؤلاء مَنْ يرد القرآن المدني، ولا يأخذ إلا بالقرآن المكي، لعلكم سمعتم بذلك الرجل الذي ظهر في السودان، اسمه محمد محمود طه، وكان يقول: لا يلزمنا إلا القرآن المكي، أمّا القرآن المدني فهو التطبيق الذي يُقرّر المبادئ والأصول والقواعد للحياة الإسلامية. ويقول: الإسلام هو القرآن المكي، أمّا القرآن المدني فيلزمنا فيه ما نرى فيه المصلحة، وما لا مصلحة فيه لا يلزمنا. فهذا من أقصى ما رأيت من الشرود، ويأتي بعده مَنْ يقول: نأخذ بالقرآن ولا نأخذ بالسُّنة. ويأتي بعده مَنْ يقول: نأخذ بالمتواتر من الحديث، ولا نأخذ بالآحاد.

(١) الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي للشيخ محمد بخيت المطيعي ص ٢٢، نشر

المطبعة الخيرية، ط ١.

والمتواتر من الحديث قليل جداً، اختلفوا في عدده، حتّى إنّ بعضهم يقول: لا يكاد يوجد متواتر. قال بعضهم: ليس هناك حديث متواتر لفظاً ومعنى إلا حديث: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

هناك تواتر عملي مثل أعمال الصلاة والحجّ ونحوهما، أمّا التواتر اللفظي فهناك مَنْ قلّلها حتّى حصرها في هذا الحديث، وبعضهم وسّعها، وبعضهم أكثر في توسعتها ممّا أرى بعضه أحياناً نوعاً من المبالغة، وبعضهم يشكك فيه مثل أحاديث المهدي، وبعضهم أوصلها إلى مرتبة التواتر.

وأنا أومن بتواتر ما جاء في نزول المسيح، وهو ما فعله الشيخ أنور الكشميري الذي كان يُلقَّب في الهند بمُحدِّث العصر، حيث ألّف كتابه «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، وذكر من الأحاديث الصحاح والحسان أربعين حديثاً، وذكر من الضعاف عشرات ومئات، وهو الكتاب الذي حقّقه صديقنا الشيخ عبد الفتّاح أبو غدة رحمته الله تعالى.

فهناك مَنْ بالغ في تكثير المتواتر، ومهما قلّلنا في عدد المتواتر أو بالغنا فيه، فالمتواتر على كلّ حالٍ محدود، فأنّ نقصر السُّنّة على المتواتر وحده ففيه في الحقيقة تفريط كثير، وذهاب كثير من السُّنّة، ولذلك قام العمل عند الأئمة على حديث الآحاد، وهو الذي قام عليه فقه الأئمة، وقامت عليه كتب السُّنّة المختلفة من مسانيد، ومن صحاح، ومن سنن، ومن معاجم، ومن أجزاء، كلّ هذه الكتب قامت على اعتبار أحاديث الآحاد، ولكنّ المهمّ أن تصحّ هذه الأحاديث.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١١٠)، ومسلم في المقدمة (٣)، عن أبي هريرة. وقد ذكره ابن الجوزي في مقدمة كتابه الموضوعات (٥٦/١)، عن أكثر من ستين نفساً، وهو حديث متواتر مشهور.

تعارض حديث آحاد مع مقاصد الشريعة:

وبالنسبة لما سأل عنه بعض الإخوة عن موقفي من تعارض حديث آحاد مع مقاصد الشريعة، فأنا على كل حال مع مبدأ أنه إذا تعارض حديث آحاد مع مقصد كُلي فأنا أتمسك بالمقصد الكلي؛ لأن المقاصد الكلية قطعية ثبتت - كما ذكر الإمام الغزالي^(١) - باستقراء أحكام كثيرة من الشريعة الإسلامية، أثبت مجموعها قطعية هذا المقصد، وحديث الآحاد ظني، ولا يستطيع أن يقاوم الظني القطعي فضلاً عن أن يُقدّم عليه كما قال الإمام السبكي^(٢)، ولهذا نستمسك بالمقصد الكلي ونتوقف في حديث الآحاد الجزئي، وإذا استطعنا أن نجد له حلاً بأن نجمع بين الاثنين إن أمكن الجمع بوسيلة من وسائل الجمع يكون أفضل من ردّ حديث الآحاد الجزئي، فإذا لم يكن من الردّ مفرّ نردّ.

حديث الآحاد في مجال العقائد:

أمّا العقائد الأساسية، فلا تثبت إلّا باليقين، فلا نستطيع أن نثبت وجود الله، أو اتّصاف الله تعالى بالعلم أو بالقدرة أو بالحياة أو بالسمع أو بالبصر أو بالكلام، أو نثبت البعث في الآخرة، أو نبوة محمد ﷺ، أو ختم نبوته، أو أي قضية عقدية أصلية إلّا بدليل يقيني، يقيني في ثبوته، يقيني في دلالاته، لأن القرآن ينكر اتّباع الظنّ، وأنكر على المشركين وعلى النصارى وعلى أصحاب الأديان المختلفة اتّباعهم الظنّ، قال:

(١) المستصفى ص ١٧٦، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، ط ١،

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج (١٧١١/٥)، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث،

دبي، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾
 [النجم: ٢٣]. وقال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
 الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]. وقال: ﴿وَمَا يَنبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
 شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦]. وقال عن النصاري: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ﴾
 [النساء: ١٥٧]. فلا بد أن تتأسس العقيدة على دليل يقيني لا يعتريه شك
 ولا وهم ولا ظن.

أحياناً يُعبّر القرآن عن بعض العقائد بالظن، ولكنه تعبير مجازي،
 كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾
 [البقرة: ٤٦]. فالظن هنا يُراد به اليقين، فهو يعني أن اليقين الأدنى القريب
 من الظن بملاقاة الله يجعل الإنسان يكف عن الشر، هذا بالنسبة للعقائد
 الأصلية الأساسية.

أمّا العقائد الفرعية فلا مانع أن تثبت بأحاديث الآحاد، وهذا هو
 مذهب أهل السنة بصفة عامة، أنه إذا كان هناك أمر ممكن عقلاً وصح به
 الحديث الصحيح وإن كان آحاداً يجب التصديق به، ويدخل في هذا
 عذاب القبر وغيره، وإن كان أصل الاعتقاد بعذاب القبر ثابتاً بالقرآن، كما
 في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
 آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وقوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا
 نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]. والفاء في قوله: ﴿فَادْخُلُوا﴾. للتعقيب والترتيب، ﴿وَلَوْ تَرَى
 إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ
 تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]. اليوم وليس يوم القيامة، فعذاب القبر
 ثابت بالقرآن، لكن ما تأتي به الأحاديث من تفاصيل في هذا الأمر مثل
 سؤال الملكين ونحوه فأهل السنة يأخذون به إذا صح به الحديث.

وهناك مَنْ يقولون: إِنَّ الحنابلة يثبتون العقائد بأحاديث الآحاد. وهذا ليس مُسلَّمًا به على إطلاقه، فالحنابلة مختلفون: هل حديث الآحاد يُفيد العلم أم لا؟ ويقصدون بالعلم: العلم اليقيني. وحديث الآحاد لا يفيد العلم، وحين تتأمل كلام المُحدِّثين في ثبوت الحديث الصحيح تتأكد أَنَّهُ يفيد الظنَّ، أي فيه احتمالات، حتَّى الراوي الصادق، يقولون: قد يكذب الصدوق وقد يصدق الكذوب، قد ينسى الراوي، قد لا يكون الراوي لم يضبط الحديث. هذه كُلُّها احتمالات، وهي تنفي اليقينِ أو العلميَّة، هذا بالنسبة لحديث الآحاد في مجال العقائد.

حديث الآحاد في مجال التحليل والتحريم:

أمَّا بالنسبة لحديث الآحاد في مجال التحليل والتحريم، فأنا مع المذهب الحنفي - ويُقاربه المذهب المالكي - في التضييق في الإيجاب والتحريم، وأرى أَنَّ أساس التحريم هو القرآن الكريم أو الأحاديث التي استفاضت بالتحريم، أو كما ذكر بعض العلماء أحاديث الصحيحين إذا احتفَّت بها القرائن، كتلقِّي الأمة لها بالقبول، وعدم وجود معارض لها لا من كتاب ولا من سُنَّة ولا من حقائق علميَّة، واتفاقها مع المقاصد الكلِّيَّة والمبادئ العامَّة للشريعة، في هذه الحالة يمكن قبولها، ولا نتوسَّع في التحريم ولا في الإيجاب.

أنا أحيانًا أنكر على الشيخ الألباني أَنَّهُ يتوسَّع في التحريم وفي الإيجاب برواية واحدة، حديث رواه أكثر من واحدٍ فيأتي واحدٌ فينفرد بزيادةٍ فيه، فهذه الزيادة في إحدى الروايات يُكلِّف الناس بها وجوبًا أو تحريمًا أو استحبابًا أو كراهة، أنا في الحقيقة أَجْفَل من هذا الأمر، وأرى أَنَّهُ تشديدٌ على الناس، فلا بدَّ أن يكون هناك بيان حقيقي يُبيِّن الحلال

من الحرام، وقد رأينا بعض الصحابة يشرب الخمر مع نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]. ومع نزول قوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، ولا زالوا يقولون: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا^(١). فالبيان الشافي هو المطلوب.

ومن مظاهر التيسير: تقليل التكاليف بصفة عامة، ومن يتابع المسيرة التشريعية للرسول ﷺ يرى أن هناك قصداً في تقليل التكاليف على الناس، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]. وقد جعل الشيخ رشيد رضا هذه الآية أساس كتابه «يسر الإسلام»؛ لأن الآية تريد تقليل التكاليف على الناس، وكان النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْماً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ فُحِّرَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»^(٢). أي: إِنَّ السُّكُوتَ أَوْلَى. والنبي ﷺ اجتمع بالمسلمين في الليلة الأولى والثانية على قيام رمضان، ولما كثر الناس في الليلة الثالثة لم يخرج إليهم، وقال: «خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ»^(٣). فالحرص على تقليل التكاليف سُنَّةٌ نبوية، بل هو ما أشار إليه القرآن، ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوكُمْ﴾، فالإيجاب والتحريم ينبغي أن يكون بالقطعيَّات لا بالظنيَّات.

(١) سبق تخريجه ص ١٦٤.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٢٨٩)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٢٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦١)، عن عائشة.



الأحناف والحديث:

يرى البعض أنَّ الأحناف يُقدِّمون القياس على الحديث، وأنا أقول: هذا غير صحيح، الأحناف لا يُقدِّمون القياس على الحديث، أحياناً يأخذون بحديثٍ صحيح ولا يأخذون بقياس، مثل حديث القهقهة^(١)، مع أنَّه خلاف العقل وخلاف القياس، والذين يتهمون الأحناف بأنَّهم يُهمَلون الحديث فكلامهم طبعاً ليس صحيحاً، ولكنهم لا يهتمون بالحديث كاهتمام مدرسة الحديث أو مدرسة الأثر أو مدرسة الحجاز في المدينة ومكة، وهذا طبيعي، ولكنَّ كلاً من المدرستين يُعملون الرأي ويأخذون بالحديث. وأصل المدرسة الحنفيَّة هي المدرسة التي أسَّسها سيدنا عبد الله بن مسعود، وهو أحد أئمَّة الصحابة، ليس صحابياً عادياً، ولذلك حين بعثه سيِّدنا عمر إلى الكوفة قال لهم: أثرتكم بعبد الله على نفسي^(٢). أي كنت أحبُّ أن يظل معي لأستشيرَه فأثرتكم به على نفسي، وكان تلاميذه كأنَّهم صحابة، علقمة والأسود ومسروق، جماعة من كبار التابعين على أيديهم تتلمذ إبراهيم النخعي، وعلى يديه تتلمذ حماد بن أبي سليمان، وعلى يديه تتلمذ أبو حنيفة، فكيف يقال: إنَّ أبا حنيفة ليس له في الحديث وهو وارث هذه المدرسة؟

(١) رواه أحمد (١٥٤٩٥)، وقال مخزَّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الطهارة (١٧٥)، وقال ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٢٢٥/١): قال الأثرم: قلت لأحمد: هذا إسنادٌ جيدٌ؟ قال: نعم. عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

(٢) رواه الطبراني (٨٦/٩)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٨/٣)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٧٢): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير حارثة، وهو ثقة.

أنا أنكرتُ في الحقيقة على الإمام المبجل إمام الحرمين في كتابه «البرهان» أن قال: إِنَّ أبا حنيفة غير خبير بأصول الشريعة جاهلٌ ببعضها ومغفلٌ لبعضها^(١). وكان أخونا الدكتور عبد العظيم الديب من الْمُتَحَمِّسِينَ لإمام الحرمين، فقلتُ له: كُنَّا نقول: لعلَّ كتاب «مغيث الحق» مزوَّر على إمام الحرمين، لكن هذا الكلام في «البرهان» نفسه. فكيف يخرج من المجتهدين، وهو وارث علم هذه المدرسة لابن مسعود وتلاميذه وتلاميذهم إلى إبراهيم النَّخعي وحمَّاد، كُلُّ هذا صَبَّ عند أبي حنيفة، فكيف يقال: إِنَّه لا يعرف اللغة العربيَّة. هذا كلام عجيب جدًّا. صحيح هو ليس مثل الإمام مالك ولا مثل الإمام الشافعي، لكن كان عنده تلاميذ، ولذلك بعض المُنْصِفِينَ حين قيل لهم: أخطأ أبو حنيفة. قال: لا، لو أخطأ أبو حنيفة لرَدَّه أبو يوسف ومحمَّد وزُفِّرَ لمعرفتهم بالفقه والقياس، ورَدَّه القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود لمعرفته باللغة والنحو، ورَدَّه عبد الله بن المبارك وفلان وفلان. ذكر عددًا من تلاميذ أبي حنيفة كُلِّ منهم مُتَخَصِّصٌ في شيءٍ، لو أخطأ أبو حنيفة لرَدَّه هؤلاء، لأنَّهم تعلَّموا في حلقتهم، وهم لا يجاملون في الحقِّ، وأنتم الآن في مجلسي لا تجاملوني بل تسلخوني بالمناقشة كما ترون، فهل كان التابعون أقلَّ منكم شجاعة؟ ولذلك الَّذِينَ يَتَّهِمُونَ الحنفيَّةَ بأنَّهم بعيدون عن الحديث مخطئون.

ثمَّ لأبي حنيفة مسانيد، ومن علماء الحديث المعروفون من الحنفيَّة أبو جعفر الطحاوي، صاحب «شرح معاني الآثار»، و«مشكل الآثار»، وغيرهما من الكتب المهمة، والإمام الزيلعي في كتابه «نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية»، أول كتاب تقريبًا معتبر بعد كتاب ابن الجوزي

(١) البرهان للجويني (١١٥٢/٢) فقرة (١١٨٠)، نشر على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، ط١، ١٣٩٩هـ.

وكتاب ابن عبد الهادي، وكتب الشيخ محمد زاهد الكوثري مقدمة نفيسة نشرت مستقلة بتعليق المرحوم الشيخ أبي غدة، بعنوان: «فقه أهل العراق وحديثهم» فالحنفية لا يقدمون القياس على الحديث، بل بالعكس يأخذون بالأحاديث الضعيفة.

المالكية والحديث:

كما أن المالكية لا يقدمون بإطلاق عمل أهل المدينة على أحاديث الأحاد، ولكن في الأشياء التي يرجع فيها إلى عمل أهل المدينة التي تتوارث بالتناقل العملي، مثل صيغة الإقامة وبعض الأشياء التي يرجع فيها إلى أهل المدينة كما يرجع الناس إلى الخبراء في الأمور المختلفة، وليس في كل شيء، كما أن الإمام أبا يوسف حينما لقي الإمام مالكا بعد موت أبي حنيفة، حجّ وذهب إلى المدينة وزار الإمام مالكا وتناقشا في بعض الأمور مثل الأوقاف، والصاع، وكذا، وكان أبو يوسف يرى أن الصاع ثمانية أرطال، يراه كبيراً، والإمام مالك يرى أن الصاع خمسة أرطال وثلث، ولمّا اختلفوا في هذا نادى الإمام مالك: يا فلان، يا أبا فلان، يا أم فلان؛ هاتوا الصّيعان التي كنتم تخرجون بها زكاة الفطر في عهد الرسول ﷺ. فوجدها كلّها على ما قال أهل المدينة لا على ما قال أهل العراق فرجع أبو يوسف عن رأيه وسجّل في «خراجه» أن الصاع خمسة أرطال وثلث، وليس ثمانية أرطال كما كان يقول، وقال في مثل هذه الأمور: لو رأى صاحبي - يقصد الإمام أبا حنيفة - مثل ما رأيت لرجع إلى ما رجعت إليه^(١). أي أنه يرى أن

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٦/٢٠، ٣٠٧)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

صاحبه ليس متعصبًا، لو ظهر له الحقُّ كما ظهر له لرجع إليه، فليس صحيحًا أنَّ الإمام مالك يردُّ كلَّ الأحاديث بعمل أهل المدينة، ولكن في بعض الأمور دون بعض، وما خالف فيه في هذه القضية مردود عليه، والإمام محمد بن الحسن ردَّ على الإمام مالك الحجة بأهل المدينة، وناقشه الإمام الشافعي أيضًا في هذه القضية، وللإمام ابن تيمية رسالة لطيفة نُشرت في مجموع رسائله وفتاواه اسمها «صحَّة أصول أهل المدينة»، وذكر أنَّ أصول أهل المدينة أصحُّ من أصول أهل العراق، وهذا يجعلني أقرب إلى المالكية.

وأنا أرى أنَّ أعدل المناهج وأقربها إلى الصواب هو منهج فقهاء الحديث، هناك المُحدِّثون الأتقان، وهناك الفقهاء الأتقان، وهناك فقهاء الحديث، أنا أرى أنَّ فقهاء الحديث هم الذين يُمثِّلون المنهج الوسطي؛ أخذوا من الرأي، وأخذوا من الحديث، وعلى رأس هؤلاء الإمام مالك، ولذلك انتهى الشيخ أبو زهرة في كتابه عن الإمام مالك إلى أنَّه من أهل الرأي - وأنا معه في هذا الرأي - وذكر أسبابًا كثيرة، مثل تخصيص النصِّ بكذا وكذا، ويقول: كلُّما اتَّسعت المُخصَّصات كانت أقرب إلى التيسير على خلق الله. فقهاء الحديث أقرب إلى الصواب من غيرهم.

والإمام البخاري أيضًا مُحدِّث وفقيه، يجب أن نعلم أنَّه ليس مُجرَّد مُحدِّث، هو فقيه وله مذهبه، ويقولون: إنَّ فقه البخاري في تراجمه، العناوين التي تدلُّ على فقهه. وكثيرًا ما يخالف الأحناف، يقول: وقال بعض الناس. يقصد الحنفيَّة، وأحيانًا يناصر الحنفيَّة كما في الأخذ بالقيمة في الزكاة، واستدلَّ بمعاذ بن جبل حينما قال: ائتوني بقميصٍ أو لَبِيسٍ آخذه منكم بدل الدُّرة والشعير؛ فإنَّه أهون عليكم وأنفع للفقراء في

المدينة^(١). استدللّ بهذا، وقال بعض الشراح: وافق في هذا الحنفية على كثرة مخالفته لهم. ففقهاء الحديث ومنهم مالك والشافعي، وأحمد أيضًا. بعض الناس - يا إخوة - يتهمون الحنابلة بالتشدد، وأريد أن أصحح هذا، الحنابلة متشددون في العقيدة، وليس هذا في الفقه، ولكن بعض الناس يظنون أن الحنابلة متشددون في القضايا الفرعية أو الفقهية، لا، هم في هذه القضايا من أيسر الناس، وخصوصًا الإمام أحمد، مع كثرة الروايات عنه في المسألة الواحدة، أحيانًا يروى عنه عشر روايات أو بضع عشرة رواية في المسألة الواحدة، ولذلك استطاع ابن تيمية وابن القيم أن يبقيا داخل المذهب؛ لأن أي رأي يقولون به يجدون فيه رواية عن الإمام أحمد إلا في أشياء قليلة جدًا، فأنا أرى أن هؤلاء: ابن تيمية وابن القيم وأمثالهم من فقهاء الحديث هم أحبُّ إلى قلبي من غيرهم.

أنا كما قلت لكم: نشأت حنفياً، ولا زلت أنتفع بالمذهب الحنفي، ولكن بعد مدة سألوني: ما مذهبك الآن؟ قلت لهم: (حنفشي). أي مزيج من المذاهب، وإذا سألتهموني أقول لكم: أنا على مذهب فقهاء الحديث، وإن كنت لا ألتزم واحداً منهم دون غيره، لا، أنا آخذ من هذا ومن هذا، وعندي حرية الاختيار، وربما يفرض عليّ العصر أن أخالفهم جميعاً، وأرجو أن يكون غرضي في هذا وجه الله وعجل، وخدمة الحق، وخدمة هذا الدين.

(١) ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً بصيغة جزم قبل الحديث (١٤٤٨) قال: وقال طاوس: قال معاذ رضي الله عنه. ورواه الدارقطني في الزكاة (١٩٣٠)، وقال: هذا مرسل، طاوس لم يدرك معاذًا. والبيهقي في الزكاة (١١٣/٤). وقال الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (١٣/٣): هو إلى طاوس إسناد صحيح، لكنّه لم يسمع من معاذ فهو منقطع. وانظر كتابنا: فقه الزكاة (٨١٠/٢) - (٨١٩)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

الأصوليون والحديث:

هناك كثير من الأحاديث يستخدمها الأصوليون وهي ليست ثابتة، مثل حديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(١). وغيره، ولذلك انتدب بعض علماء الحديث لتخريج أحاديث كتب الأصول، هناك مَنْ خرَّج أحاديث ابن الحاجب، وأحاديث غيره، وأصبحت عندنا أحاديث الأصول مخرجة، ولكن حديث: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»^(٢). ضعيف، ولكنهم صحَّحوه بمجموع طرقه، وباعتبارات أخرى، مثل أن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق»^(٣). ومعناه أن الأمة لا تجتمع كلها على ضلالة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. ويقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. فهناك اعتبارات يفيد مجموعها أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، وهذا أمر مهم في الحقيقة وأنا أقُرُّه: وهو عصمة مجموع الأمة. ذلك أن هناك أناسًا يريدون أن يأتوا بدين جديد، مثل شحور وغيره، يقول: لا أقبل ما جاء عن الصحابة وغيرهم، أنا أبدأ من الصفر. هل هذا معقول؟ فأننا أوافق علماءنا في عصمة مجموع الأمة، أمّا أي أفراد من الأمة فلا عصمة لهم، فالإسلام

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٧٦٠)، وقال عقبه: هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول. وقال ابن الملقن في تذكرة المحتاج ص ٦٨، بعد أن ذكره من رواية ابن عمر: من طريق والده عمر بن الخطاب وأبي هريرة وجابر، وكلها معلولة. ونقل عن البزار قوله: منكر، ولا يصح عن رسول الله. ونقل عن ابن حزم أيضًا: هذا حديث مكذوب موضوع باطل، لم يصح قط.

(٢) رواه أحمد (٢٧٢٢٤)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. بلفظ: «سألت الله ﷻ ألا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها...». عن أبي بصرة الغفاري.

(٣) رواه مسلم في الإمامة (١٩٢٠)، وأحمد (٢٢٤٠٣)، عن ثوبان.



الذي ثبت خلال قرون لا يمكن أن نأتي بإسلامٍ جديدٍ ينقضه، نُفَكِّك الفرائض والمحرمات، ونبدأ بالاجتهاد من جديد، هذا لا يجوز.

من العلماء الذين أُعْجِبْتُ بهم الشيخ عبد الله بن زيد المحمود رَحِمَهُ اللهُ، وقد كان فقيهاً حنبلياً، ولكنّه في بعض الأحيان يخرج على الحنابلة، وله آراء فيها نوع من التشديد والجرأة، مثل أن الحنابلة عندهم جواز الأضحية عن الميت، ولكنّه رفض هذا على اعتبار أن الإسلام يقصد أن الأحياء هم الذين يضحون ويوسّعون على أهلهم ومن حولهم، وأخذ بالقول بالرمي قبل الزوال من حوالي ستين سنة، وأجاز لركاب الطائرات أن يحرموا بعد النزول من الطائرة في جدّة، وهذا يتّفق مع ما عند المالكيّة أن من يجيئون من إفريقيا، من مصر وتونس والجزائر والمغرب يحرموا حين ينزلوا من السفينة، وهكذا، فأنا معجبٌ به، وإن كنت قد خالفته في بعض الآراء، وكذلك الحال مع الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ، وقد كان رجلاً واسع الصدر ودوداً، ومن أهل الخير، ويسع المسلمين، وكانت بيني وبينه مودّة، وإن كان منهجنا يختلف كثيراً، وكذلك الشيخ ابن عثيمين وهؤلاء، وعلى كل حال أنا لستُ مُقلِّداً لأحد، لا في الجزيرة ولا في خارج الجزيرة.





الإجماع مصدرًا للتشريع^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على رحمة الله للعالمين، وحبّته على النَّاس أجمعين، ونعمته على المؤمنين، اللهم يا مُعَلِّمَ آدَمَ وإبراهيم عَلَّمْنَا ما يَنْفَعُنَا، وَاَنْفَعُنَا بما عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا، نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ.

وَأَحْيَيْكُمْ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

(وبعد)

فحديثنا عن الدليل الثالث بعد الكتاب والسُّنَّة كما يذكر الفقهاء: أدلّة الأحكام القرآن والسُّنَّة والإجماع والقياس. فيأتي الإجماع في المرتبة الثالثة عند العلماء، وأنا لم أكتب في الإجماع كتاباً مستفيضةً حتّى يقول أخي الشيخ صلاح سلطان: إنّه يُخالفني في أشياء كثيرة. كان يمكن هذا

(١) أُلقيت في جلسات الملتقى الأول لتلاميذ القرضاوي، المنعقد في الدوحة تحت عنوان: نحو منهجية راشدة في التأصيل والتنزيل، ٢ - ١١ فبراير ٢٠١٠م.

لو أنني كتبت كتاباً أو بحثاً في الإجماع، أنا أشرت إلى الإجماع إشارات سريعة في كتابي «تيسير الفقه»، ولكن لا مانع أن يخالف حتى في هذا القليل، والخلاف مشروع، فليس هناك معصوم غير مُحَمَّد ﷺ، وهذه قضية عندنا أهل السنة لا نزاع فيها، ليس عندنا أحد معصوم، لا صحابي، ولا من آل البيت، لا عصمة إلا لرسول الله ﷺ الذي أيده الله بالوحي، حتى لو اجتهد فيما يُجْتَهِد فيه وأخطأ ينزل الوحي ويصحح له خطأه، لأن الخطأ لو بقي دون تصحيح لكان على الناس أن يتبعوه، ولذلك عرفنا هذه الآيات في القرآن الكريم التي قالت عنها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لو كان مُحَمَّد كاتماً شيئاً ممّا أنزل عليه من ربه لكتّم هذه الآيات: ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]^(١)، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١، ٢]، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١]. إلى آخر هذه الآيات، فالعصمة لرسول الله ﷺ، وممّا حفظناه في جماعة الإخوان المسلمين من الإمام حسن البنا في أصوله العشرين: «وكلُّ أحدٍ يؤخذ من كلامه ويُترك إلا النبي ﷺ»^(٢). فهذا الأمر من الأصول المقررة والتي لا تقبل الاجتهاد من غير شك؛ لأنّه لا يوجد أحد غير الرسول ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]. ولذلك نحن نخالف إخواننا الشيعة في مسألة الأئمة المعصومين، الأئمة الاثني عشر، فلا أحد منهم معصوم، ولا علي بن أبي طالب، ولا أبو بكر، ولا عمر.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٧٧)، وأحمد (٢٦٠٤١).

(٢) رسالة التعاليم ص ٢٥٧، ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، نشر المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

صحيح نحن أمرنا بالتَّبَاع سنَّة الراشدين المَهْدِيِّين^(١)، ولكن الاتِّباع لا يعني أَنَّهُمْ معصومون، فالتَّبَاع سنَّتُهُمْ يعني اتِّباع منهُم أو طريقتهم، وفي صحَّة هذا الحديث كلام، ولكن لو صحَّحناه - وهو في نظري صحيح - فهو يعني منهج هؤلاء في إقامة العدل، وفي تثبيت النَّاس على الحقِّ، وفي الاستماع إلى النصيحة، وهكذا.

الإجماع هو اتِّفاق مجتهدِي الأُمَّة في عصرٍ من العصور على حكمٍ شرعيٍّ اجتهاديٍّ. هذا هو الإجماع، وقد يُجمع المجتهدون على حكمٍ شرعيٍّ نصِّي، وربَّما يقول أحدهم: وماذا نستفيد إذن؟ ونحن نقول: إذا اقترن الإجماع بالنصِّ استفدنا منه استفادة بالغة، وهو خروج هذا النصِّ من الظنِّية إلى القطعية، ولهذا نرى كتب الفقه تقول: هذا الأمر ثابت بالكتاب والسُّنة والإجماع. هذا يدلُّ على أَنَّ الحكم لم يَعُدْ ظنِّيًا، وإنَّما أصبح بالإجماع قطعياً، ولكنَّ المهمَّ في درجة ثبوت الإجماع.

طبعاً في الإجماع كلامٌ كثير: في إمكانه، وفي وقوعه إذا كان مُمكنًا، وفي حُجِّيَّته إذا وقع، هذا كلامٌ معروف، أظنُّ أَنَّ كلَّكم قرأتموه في كتب الأصول، ولسنا في حاجةٍ إلى أن نُعيد القول فيما هو معروف.

ولكن نحن نقول: الإجماع ممكنٌ وواقعٌ، وأكثر فترة وقع فيها الإجماع هي في حياة الشيخين أبي بكر وعمر؛ لأنَّ الصحابة بعد ذلك تفرَّقوا في الأمصار، لكن في عهد الشيخين حدثت الإجماعات الأولى، حيث كان أبو بكر وعمر يجمعان الصحابة وعلماءهم في الأمور التي

(١) إشارة إلى حديث العرياض بن سارية: «عليكم بما عرفتم من سنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين». رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٠).

ليس فيها نصٌّ لا يحتمل وجهًا آخر، فإذا لم يوجد هذا النصُّ يَجْمَعَانِ الصحابة ويستشيرانهم، هذه هي الإجماعات الأولى التي رُوِيَتْ وَثَبَتَتْ، وما عدا ذلك قلَّمَا يَسْلَمُ إجماعٌ.

ومن يقرأ من كتبي يجد أنني دائماً أضيف هذا القيد: الإجماع المتيقَّن؛ لأنَّ الإجماعات المدَّعاة كثيرة جداً، أكثر الإجماعات مدَّعاة، ومن هنا جاء عن الإمام أحمد: مَنْ ادَّعى الإجماع فقد كذب. أي: أخطأ، فكثيراً ما تُروى كلمة «كذب» ويقصدون بها أخطأ، هذا موجود كثيراً عند السلف، يقولون: كذب أبو هريرة^(١)، كذب فلان. لا يقصدون أنه كاذب، إنّما يقصدون أنه أخطأ، أنه لم يقل الصواب، وليس أنه تعمَّد ذلك، فالإمام أحمد يقول: مَنْ ادَّعى الإجماع فقد كذب، وما يُدرّيه لعلَّ النَّاسَ اختلفوا وهو لا يدري، فإن كان ولا بدَّ فليقلَّ: لا أعلم النَّاسَ اختلفوا^(٢). وحتى في «الرسالة» للإمام الشافعي قال: لا يُقال في الأمر إجماعٌ إلَّا إذا لم ترَ عالماً إلَّا وقال به، مثل أن الظهر أربعة، والعصر أربعة، وهذه الأشياء القطعيَّة، والمعلوم من الدين بالضرورة، أو نحو ذلك^(٣). فكانوا يخافون من دعوى الإجماع.

ومع هذا يوجد إجماع، لكن لا بدَّ أن نبحث عن اليقين في هذه القضية، أن نكون مُتَيَقِّنين من وجود إجماع، ولذلك أقول دائماً: الإجماع المتيقَّن. لأنني وجدتُ وأنا أبحث في «فقه الزكاة» و«فقه الجهاد» و«فقه الغناء والموسيقى» و«فقه اللهو والترويح» و«فقه الصيام» و«فقه الطهارة» وغيرها وجدت الخلافات منتشرة في كثير من الأشياء التي يُدَّعى فيها الإجماع.

(١) رواه أبو يعلى (١٥٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠٤٠): فيه من لا يعرف.
(٢) انظر: الإحكام لابن حزم (١٨٨/٤)، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.
(٣) الرسالة للشافعي ص ٥٣٤، تحقيق أحمد شاكر، نشر مكتبة الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٥٨هـ -

وأضرب لذلك مثلاً بنصاب البقر، ادّعى بعضهم أنّ نصاب البقر ثلاثون تبيعاً^(١)، ثم وجدنا مَنْ يقول: إنّ نصاب البقر خمسون بقرة^(٢). ووجدنا مَنْ يقول: نصاب البقر خمس بقرات^(٣). وقال: إنّ الشرع سوى بين الإبل والبقر في الأضحية وفي الهدي، فلماذا خالف بينها في هذه القضية؟ والخلاف من خمسة إلى خمسين، وكثير من القضايا على هذا النحو، مثل: لا تحل الزكاة لبني هاشم. هكذا قال ابن قدامة: لا أعلم في ذلك خلافاً^(٤). وقال ابن حجر في «الفتح»: بل هناك خلاف. وذكر أقوالاً تحتمل القسمة العقلية^(٥). فادّعاء الإجماع في الحقيقة كثير جداً، ولذلك لا بدّ من تحرير هذا الأمر، لأنّ الإجماع يكون سياجاً لا بدّ منه في بعض الأحيان حتّى يُغلق الباب على المنحرفين والمُحرّفين، ولكن أحياناً يكون قيداً على المجتهدين يمنعنا من النظر.

وأضرب لذلك مثلاً: أنا لي رأي حرّرت منذ سنوات، وهو أنّ القياس يقتضي أنّ الرجل إذا قتل المرأة عمداً يُقتص منه، فلا يأتي من يقول: لا، لا يستحقّ القتل إلّا إذا قتل امرأتين. فالرجل يُقتص منه بالمرأة، فلماذا تكون دية المرأة أقلّ من دية الرجل؟

وذكرت قصّة، كنتُ مع الفقيه الكبير مصطفى الزرقا في جلسة، وكان فيها الشيخ الغزالي، والشيخ الغزالي أشار في بعض كتبه إلى هذه القضية،

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١٧٨/٤).

(٢) انظر: المحلى لابن حزم (٨٩/٤) مسألة رقم (٦٧٣)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (٥١/٥).

(٤) المغني لابن قدامة (١٠٩/٤)، تحقيق عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، نشر دار عالم

الكتب، الرياض، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٥) فتح الباري لابن حجر (٣٥٤/٣).

كتب فيها سطورًا، فقال له: يا شيخ غزالي، رأيك هذا مخالف حتى للمنطق. قال: لماذا؟ قال: لأنّ خسارة الأسرة في المرأة لا تساوي خسارة الرجل، إذا فقدته فقدت عائلها وفقدت كذا وكذا. وأنا قلتُ له: يا أستاذنا، أنا لستُ معك في هذا الرأي لأنّ هذا الاعتبار لا قيمة له في الشرع إطلاقًا، فالمنفعة من المقتول لا اعتبار لها، فمن قتل طفلًا لا فائدة منه يدفع الدية، ومن يقتل مجنونًا يدفع الدية، ومن يقتل مريضًا ميؤوسًا منه يدفع الدية، ومن يقتل الخادم مثل مَنْ يقتل أستاذ الجامعة، فليس هناك هذا الاعتبار، ومع هذا وجدنا أنّهم قالوا: إنّ ابن عُليّة والأصمّ خالفا في هذه القضية. فخرجنا من القول بالإجماع بهذا، فأحيانًا ينفع الإجماع، وأحيانًا يضرُّ.

ومن الأشياء التي خالفتُ فيها الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قال بتحريم الذهب المُحَلَّق^(١)، مع أنّ عددًا من الأئمة: البيهقي^(٢)، والنووي^(٣)، وابن حجر نقلوا الإباحة^(٤)، ومَنْ يقرأ في «فقه الزكاة» عن زكاة الحلي لا يشعر أنّ هناك تحريمًا إطلاقًا في هذه القضية، كأنّه أمرٌ مُتَّفَقٌ عليه لا خلاف فيه، فالشيخ الألباني أحيانًا يخرق الإجماع ويقول: ليس هناك إجماع. وجاء برواية عن أبي هريرة أَنَّهُ قال لابنته: لا تلبسي الذهب؛ إنّي أخشى عليك اللهب^(٥). ولكن هذا لا يدلُّ على التحريم.

أيضًا خالفنا الشيخ الألباني في أَنَّهُ تجاوز الإجماع في قضية زكاة التجارة؛ لأنّ المتقدمين جميعًا نقلوا عن الصحابة والتابعين الاتفاق على

(١) آداب الزفاف في السنة المطهرة للألباني ص ٢٢٢ وما بعدها، نشر دار السلام، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) البيهقي في السنن الكبرى (١٤١/٤).

(٣) انظر: المجموع للنووي (٤٤٢/٤)، (٤٠/٦)، وشرح النووي لمسلم (٦٥/١٤)، نشر دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣١٧/١٠).

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٨٠/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

زكاة التجارة، فأنا خالفته في هذا من جهة أنه خالف الإجماع، ومن جهة أنه خالف المقاصد الشرعية من الزكاة، هل معقول أن التجار هم الفئة الوحيدة من الأغنياء الذين لا يحتاجون إلى أن يزكوا أنفسهم ويظهروا أموالهم؟! هل نقول للفلاح الذي تأتيه خمسين كيلة ذرة أو شعير: زك مالك، وظهر نفسك. ولا نقول هذا للتجار الذي يملكون ملايين الدنانير والدراهم، وفي أيديهم ثروة الأُمّة؟ هل نُعفيهم من الزكاة؟ إذا جئنا إلى بلد مثل الدوحة أو الرياض أو جدة أو دبي أو أبو ظبي أو الكويت، هذه البلاد كلها ثروتها في أيدي مَنْ؟ في أيدي التجار، فلا يعقل أن نُعفيهم من الزكاة.

المهم أن الإجماع ينفع أحياناً، إذا صحَّ، ويضرُّ أحياناً، إذا لم يُتقن منه، والإمام ابن تيمية يقول: كلُّ إجماع لا بدَّ له من سندٍ شرعي^(١). أي إجماع حقيقي إذا بحثت تجد آية أو حديثاً يسنده ويدلُّ عليه، فإذا لم تجد ما يسنده تتشكَّك فيه.

ومن الأمور المهمّة في قضية الإجماع: هل الإجماع يُنسخ؟ الأصل أن الإجماع المبنّي على نصٍّ لا يُنسخ؛ لأنّه عادة يكون بعد رسول الله ﷺ، ولا يوجد نسخ بعد رسول الله، لأنّ النسخ إمّا للسُّنة، أو للقرآن عند الذين يقولون بالنسخ في القرآن، وبعد انقطاع الوحي بوفاء الرسول لا يُتصوّر أن يأتي نسخ.

ولذلك عند الأحناف في قضية المؤلّفة قلوبهم أنّهم قالوا: نسخها إجماع الصحابة^(٢). وهذا لا يُتصوّر، أن الرسول ظلَّ إلى أن تُوفّي يُعطي

(١) منهاج السُّنة النبويّة لابن تيمية (٣٤٤/٨)، تحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام

محمد بن سعود، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) انظر: بدائع الصنائع للكاساني (٤٥/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

سهم المؤلفة قلوبهم، فلا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَأْتِيَ إجماع الصحابة فينسخ نصًّا في كتاب الله ﷺ، وقد أثبتنا بالأدلة أَنَّ هذا السهم غير منسوخ^(١)، وأنَّ عمر لم ينسخ القرآن بالمصلحة كما زعم من زعم واتَّخذوا من هذا حجة على أننا يجوز أن نعمل المصالح في النصوص الثابتة، حتَّى النصوص القرآنيَّة، وننسخها بالمصلحة، هذا أمر مرفوض، فالإجماع لا ينسخ؛ لأنَّه لا يكون إلَّا بعد الرسول.

لكن إذا كان الإجماع مبنياً على عرفٍ زمني أو على مصلحةٍ زمنيَّة يمكن أن يُنسخ إذا تغيَّر العرف وتغيَّرت المصلحة، فإذا كانت العلة هي العُرف أو المصلحة فالمعلول يدور مع علته وجودًا وعدمًا، وهذا الرأي ذكره صاحب «كشف الأسرار» من كتب الأصول الحنفيَّة، أنَّ الإجماع المبنى على الرأي الاجتهادي يجوز نسخه^(٢).

بل أقول أيُّها الإخوة: أنا أرى جواز نسخ الإجماع المبنى على نصٍّ مبنى على مصلحة أو عُرفٍ تغيَّر، وذكرت في هذا ما جاء في الأحاديث أَنَّ نصاب الذهب عشرون دينارًا - أو عشرون مثقالًا - أو مائة درهم، ولا تزال كتب الفقه إلى يومنا هذا تجعل هناك نصابين متفاوتين جدًّا التفاوت، فإذا حسبت الآن النصاب بالفضَّة كان شيئًا قليلًا جدًّا لا يُسَمَّن ولا يُغْنِي من جوع، وإذا حسبت النصاب بالذهب كان أضعاف هذا.

والحقيقة أَنَّ الرسول ﷺ لم يقصد إطلاقًا أن ينشئ نصابين، إنَّما هو نصاب واحد، كان الدينار حينها يصرف بعشرة دراهم، ولذلك قال: النصاب مائتا درهم. ثُمَّ في عهد سيدنا عمر غلا الذهب ورخصت الفضَّة

(١) انظر كتابنا: فقه الزكاة (٦١٠/٢ - ٦١٩)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي لعلاء الدين البخاري الحنفي (١٧٦/٣)، نشر دار الكتاب الإسلامي.

فجعل الدية ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم، أي زادت قيمة الذهب بمقدار درهمين، ثم رخصت الفضة ورخصت في العهود التالية، ثم رخصت أكثر وأكثر في العصور الحالية حينما اكتشفوا مناجم من الفضة.

من أجل هذا أقول: إذا نظرنا إلى المقصد الشرعي وأصل القضية نجد أنه ليس مقصوداً أن يكون هناك نصابان للنقود مختلفان متفاوتان أشدَّ التفاوت، لم يقصد الرسول هذا قط، ولذلك يجب أن يكون للنقود نصاب واحد، هل يكون بالذهب أو بالفضة؟ البعض قال: بالفضة لأنه أكثر حظاً للفقراء. ولكن سيكون هذا في الحقيقة جور على الأغنياء، لأنَّ نصاب الفضة ضئيل جداً لا يُمثِّل الغنى، ما النصاب؟ النصاب هو الحد الأدنى للغنى، «تؤخذ من أغنيائهم لتردَّ على فقرائهم»^(١)، لكن في هذه الحالة لا يُمثِّل نصاب الفضة غنى، ولهذا ذهب الشيخ أبو زهرة رَحِمَهُ اللهُ والشيخ عبد الوهاب خِلاف والشيخ عبد الرحمن حسن - وكيل الأزهر في وقته - في محاضرة لهم كانت في دمشق سنة ١٩٥٢م إلى أنه ينبغي أن يُقدَّر نصاب الزكاة بالذهب لا بالفضة، وأنا رجَّحت هذا الرأي بأدلة مختلفة، وهذا ما أراه، أنه إذا كان الإجماع - حتَّى النصي - مبنياً على مصلحة أو عُزْفٍ فيجوز نسخه، وابن خلدون ذكر حديث: «الأئمة من قُرَيْش»^(٢). وردَّ علَّته إلى العصبية، أنَّ قريشاً كانت هي التي تملك

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٢٣٠٧)، وقال مخرَّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهد. والنسائي في الكبرى في القضاء (٥٩٠٩)، وأبو داود الطيالسي (٢٢٤٧)، عن أنس. وروي مرفوعاً عن جماعة من الصحابة، حتَّى قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٢/٧): قد جمعت طرقه في جزء ضخمة عن نحو أربعين صحابياً. وانظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٨٢/٢ - ٨٤)، فتوى: حديث: «الأئمة من قريش». وفيها ذكر طرقه وتعليقنا عليه، نشر دار القلم، القاهرة، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

العصبية والقوة، وإذا قالت أمراً تبعها الناس في ذلك الوقت، فإذا انتهت عصبية قريش انتهت علة الحكم في الحديث، ولذلك لا يرى أن اشتراط القرشية شرط دائم^(١).

* * *

المهم هو النص القائم على مصلحةٍ تغيّرت فيما بعد، أو على عُرْفٍ كان قائماً في العهد النبويّ ثم تغيّر، كان العرف في العهد النبوي يقضي بوجود عُمَلَتَيْن؛ لأنّ العرب لم يكن لهم نقود، وإنّما اعتمدوا على نقود غيرهم، النقود الفضيّة جاءت من فارس، والنقود الذهبيّة جاءت من دولة الروم البيزنطيّة، فاضطرّ المجتمع إلى أن يتعامل بعُمَلَتَيْن يصرف إحداهما بالأخرى، ولم يعد هذا موجوداً الآن، أصبح لكلّ بلدٍ عُمَلَتُها الخاصّة، ولا بدّ لكي نقدر النصاب أن نقدره بالعملة المعمول بها، فمن أجل هذا قلنا بنسخ الإجماع المبنّي على نصّ مبنّي على علة لم يعد له وجود.

وبالنسبة لنصاب النقود أنا في كتابي «فقه الزكاة» قلت: إنهم إذا اكتشفوا مناجم ذهب، وأصبح الخمسة والثمانون جراماً من الذهب لا تساوي شيئاً، ولم تعد تُحقّق حاجات الناس، قلت: في هذه الحالة يمكن أن تنتقل إلى النصاب الحيواني؛ لأنّه جاء في تقدير نصاب النقد بنصف نصاب الحيوان، ومعناه أنّه إذا تغيّرت قيمة العملات ولم تعد تُجدي يمكن أن نجعل النصاب نصف نصاب الحيوان فنقدّره بقيمة عشرين شاة في هذه الحالة، لأنّ الحيوان لا يتغيّر فهو يؤدي إلى إشباع

(١) مقدمة ابن خلدون (٢/٦٩٥، ٦٩٦)، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، نشر لجنة البيان العربي،

ط٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

حاجات ثابتة، بخلاف النقود فهي تتغير، أمّا إذا قُدّرت بالحيوان أو بالقمح فلهذه الأشياء قيمة ثابتة إلى حدّ كبير.

الإجماع السكوتي: هو ما يذكره ابن قدامة وغيره بظهور قولٍ ما ظهر عن بعض الصحابة - صحابي أو اثنين أو كذا - وانتشر بينهم ولم يُنكر مع اشتهاره، فكان إجماعاً، مثل هذا الإجماع أُقِرّه.

وأما هل تنسخ الحقائق العلميّة المستجدة الإجماع، مثل ما يقال عن امرأة في أمريكا وضعت طفلاً بعد خمسة أشهر؟ أرى أنّ هذه نادرة النوادر، والعلماء قالوا: النادر لا حكم له. فكيف إذا كان أندر النوادر؟ وهذه حادثة شاذّة، والأصل أنّ ابن السّنة الأشهر لا يعيش، فهذه قضيّة شاذّة، والشاذُّ يُحفظ ولا يُقاس عليه.

أمّا إذا تعارضت الحقائق العلميّة الثابتة مع إجماع سابق فالحقائق تُلغى، فلو فرض أنّ هناك إجماعاً على إمكان أن تحمل المرأة أربعة سنوات أو سبع سنوات وجاءت الحقائق العلميّة تقول: هذا لا يمكن حدوثه. فالحقائق تنسخ هذا الإجماع، ولكن لا نفترض أشياء لا وجود لها.

أنا أرى أنّ الإجماع يمثل سياجاً لكثير من القضايا، ونحن حاجتنا بعض الناس بالإجماع، الذين يريدون أن يُحَلُّوا ما حرّمته الأُمّة، أو يُحرّموا ما أحلّته، أو يسقطوا ما أوجبته الأُمّة، وخصوصاً في بعض الأشياء التي يتّصل فيها العلم مع العمل، فهناك قضايا أجمع العلماء

عليها، والأُمَّة عمليًا تنفذها من قرون، كقضيّة حجاب المرأة مثلاً، بمعنى أنّه لا يجوز للمرأة كشف الذراعين والساقين وكشف الرأس، والصدر إلى آخره، فهذا إجماعٌ علميٌّ عمليٌّ، إجماع نظريٌّ من فقهاء الأُمَّة، استمرّت الأُمَّة عليه ثلاثة عشر قرنًا، لم تُعرف امرأة واحدة كشفت رأسها أو ساقها أو نحو ذلك حتّى غزا الاستعمار بلاد المسلمين، فهذا إجماعٌ مُقْتَرَنٌ بالعمل.

* * *

هل الإجماع بعد خلافٍ يرفع الخلاف كما في قضيّة فناء النار وانتهاء أمد المَعَذِّبين فيها؟

أَوَّلًا: هذه قضيّة غير فقهية، ولكن عمومًا قضيّة فناء النار قديمة، وقد أحيّاها الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم، ولا زال بعض العلماء يذكرونها، ذكرها الشيخ شلتوت في كتبه، وأنا في الحقيقة ممّن يؤيّدون ابن القيم وابن تيمية في هذه القضية؛ لأنّها قضيّة في غاية الأهمية، وممّا يُعترض به على الأديان كلّها بصفة عامّة، أنّ الله ﷻ يُعَذِّب عباده الذين عاشوا سبعين أو مائة أو مائتي سنة ملايين وبلايين وتريليونات ودشيليونات السنين فهذا صعب، ابن القيم قال: إذا ذكرنا حكمة الله، ورحمته التي وسعت كلّ شيء، والتي سبقت غضبه، وكذا وكذا تجعلنا على الأقل لا نجزم بهذا الأمر، ويكفي أنّ القرآن قال بالنسبة للجنة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨]. وقال عن النار: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧]. فحسبنا أن

نترك الأمر لله وَعَلَى اللَّهِ بدل أن نجزم أن الله سيظلُّ يُعَذِّبُ النَّاسَ أبد الدهر في مقابل سبعين أو ثمانين سنة، فهذا يصعب القول به^(١).

* * *

نحن لا يمكن أن ننكر الفائدة العملية من الإجماع، وخصوصاً الإجماع المستند إلى النصوص لا يجوز أن نُقَلِّلَ منه، فهذا الإجماع مهمٌّ جدًّا، ولذلك نجد كلَّ الفقهاء في جميع المذاهب حريصين على أن يذكروا أن هذا الأمر أو ذاك ثابت بالقرآن والسُّنَّة والإجماع، فالإجماع يعطي قيمة، وقيمة الإجماع أو فائدته غير الدليل عليه، ولكنها مهمة أيضاً، فنحن مستمسكون بالإجماع من هذه الناحية، وكما قال شيخنا الشيخ شلتوت: الإجماع في المسائل الاجتهادية يكاد يكون مستحيلاً. يقول: ما دامت القضية اجتهادية تختلف فيها الأنظار يصعب أن يقوم واحد أو اثنان لا يوافقان فيها. ولذلك قال: أنا أعتبر الكثرة هنا تقوم مقام الكل^(٢).

وهذا يصلح في الحقيقة في المجالس النيابية والمؤسسات أن يأخذ الناس بالأكثرية أو الأغلبية، وهو ما أشار إليه الحديث: «لَوْ اتَّفَقْتُمَا عَلَى رَأْيٍ مَا خَالَفْتُكُمَا»^(٣). وما عمله سيّدنا عمر في الستة أصحاب الشورى أن على الأقلية أن تتبع الأغلبية، وهكذا، فلو اتَّفَقَ المسلمون حقيقة على أن

(١) راجع كلام ابن القيم في حادي الأرواح ص ٣٤٨ - ٣٨٨، نشر مطبعة المدني، القاهرة، وانظر: شفاء العليل ص ٢٥٢ - ٢٦٤.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة للإمام الأكبر محمود شلتوت ص ٤٧٣ - ٤٧٥، نشر الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

(٣) رواه أحمد (١٧٩٩٤)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٣٥٥): رواه أحمد، ورجاله ثقات إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ.



الأغلبية تُغني عن الإجماع في بعض المواقف والقضايا على الأقلّ لكان هذا نافعاً للأمة في وقتنا هذا، وخصوصاً أنّي مع الإخوة الذين قالوا: يصعب أن تجمع كلّ فقهاء الأمة الآن في مكانٍ واحد. حتّى المجمع الفقهيّة في عصرنا هي لا تُمثّل الأمة حقيقة، فإذا كان يُمثّل مصرَ عالمٍ واحد في المجمع فهل مصر فيها عالم واحد؟! وكذلك باقي الدول، ولعلّ مَنْ يمثّلها في المجمع من ضعفاء العلماء، قد يكون هذا، ورغم أنّ المجمع لا تُمثّل الإجماع، فهي أيضاً تأخذ بالأغلبية أو الأكثرية، ولذلك حبذا لو اكتفي بأغلبية الحاضرين إذا كانوا علماء حقّاً؛ لأنّ كثيراً من النّاس خصوصاً في البلاد التي تقوم على التمثيل، البلاد التي تُرشّح أحياناً قريب رئيس الوزراء، وقريب رئيس الأوقاف، ولا تُرشّح العالم الكفء القويّ الأمين الذي يُعتبر حقيقةً ممثلاً لأهل بلده.



مدارس الأصوليين في القديم والحديث^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مَنْ أرسله الله رحمة للعالمين، وحُجَّة على النَّاس أجمعين، ونعمة للمؤمنين، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، صلوات الله عليه، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

وأحييكم - أيها الإخوة والأبناء - بتحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأرحب بكم مرّة أخرى، وبالإخوة الذين قدموا، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل لقاءنا هذا لقاءً خالصاً لوجهه، وأن يجعل غايتنا منه مرضاة الله ﷻ، وخدمة هذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به، وأتمم به

(١) أُلقيت في جلسات: الملتقى الأول لتلاميذ القرضاوي، المنعقد في الدوحة تحت عنوان: نحو منهجية راشدة في التأصيل والتنزيل، ٢ - ١١ فبراير ٢٠١٠م.

علينا النعمة، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

أكّدت عليكم - أيها الإخوة - بالأمس أن تتعارفوا وتتواصلوا، وأن يعرف بعضكم بعضاً، وهذا مقصد أساسي من مقاصد هذا اللقاء، ليس المقصد دراسة فقط ولا علماً فقط، نحن أيضاً نقصد إلى أن هذه المجموعة التي تنتمي إلى مدرسة واحدة، وتحمل هموم الأمة، وهموم الدعوة، أن تتعارف بعضها مع بعض، وأن تتواصل بعضها مع بعض، وأن يستمر هذا التواصل، وهذا التواصل ليس لدنياً ولا لشهوة ولا لمنفعة، ولكنه تواصل في الله، ولذلك نرجو أن يصبحنا هذا التواصل طَوَالِ دُنْيَانَا؛ لأن ما كان لله دام واتّصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، فهذا التآخي والتواصل مستمرّ طوال هذه الدنيا، ثمّ ننتفع به بعد ذلك حينما يُظِلُّنا الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه، حيث من هؤلاء السبعة الذين صحّ عنهم الحديث: «اثنان تحابّا في الله، اجتمعا عليه وتفرّقا عليه»^(١). ونحن نعلم أن أصدقاء الدنيا أعداء يوم القيامة إلا من كانت صداقتهم وخلصتهم ومودّتهم لله ورسوله كما قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. فالمتّقون مُسْتَشْنُونَ من هؤلاء الذين يعيشون في الدنيا على مودّة حتّى إذا جاء يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض، المتّقون تظلّ مودّتهم وأخوتهم وخلصتهم حتّى يدخلوا بها الجنة إخواناً على سُرُرٍ متقابلين إن شاء الله، أرجو من الإخوة أن يحفظوا هذه الوصيّة وينفّذوها.

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

وكما قلت بالأمس: إنني لست مُعلِّماً لكم، وإنَّما يتعلَّم بعضنا من بعض، فكلُّكم أساتذة والحمد لله، ولعلَّ منكم من هو أعلم مِنِّي، ومن المعروف أنَّ التلميذ أحياناً يكون أكثر علماً من الأستاذ، ولكننا نتعلَّم عن طريق الحلقة، كما كان أبو حنيفة وأصحابه يُعلِّم بعضهم بعضاً في حلقة، وكانوا يقولون: إذا قاس أبو حنيفة نازعناه المقاييس، وإذا قال: أستحسن فلا يلحق به أحد^(١). والاستحسان هنا يعني الترجيح، إذا قاس أتى أصحابه بالأقيسة، وإذا رجَّح لا يستطيعون أن يلحقوا به، فنحن نتعلَّم عن طريق هذه الحلقات، ومن ضمن التعليم الأسئلة؛ لأنَّ حُسن السؤال نصفُ العلم، وحينما جاء جبريل ﷺ وسأل النبي ﷺ: «ما الإسلام؟ ما الإحسان؟ ما الساعة؟ فلما فرغ قال النبي ﷺ: «هذا جبريلُ أتاكم يُعلِّمكم دينكم»^(٢). مع أنَّه لم يفعل شيئاً سوى أنَّه سأل، لكنَّه أحسن السؤال، فحينما يُحسِّن الطالب السؤال يُعلِّم المُعلِّم، فنحن جميعاً يتعلَّم بعضنا من بعض.

وأحبُّ أن أقول لكم: أنا خريج كلية أصول الدين، وتعرفون أنَّها كُليَّة الثقافة الإسلامية العامَّة، درسنا فيها التوحيد والمنطق والفلسفة والتفسير والحديث والتاريخ والأخلاق، ودرسنا فيها أصول الفقه، كان يُدرِّسه لنا الشيخ الطيّب النجار والد الشيخ محمد الطيّب النجار الذي صار بعد ذلك مدير جامعة الأزهر، وكانت مُذَكِّرة في علم أصول الفقه على طريقة المؤلِّفين الجامعيِّين، وكان الطلاب لا يهتمُّون بهذا العلم، يعتبرونه دخيلاً على كُليَّة أصول الدِّين، وكنتُ مع قليلٍ من الطُّلاب

(١) مالك لأبي زهرة ص ٣٧٨، نشر دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٥٢م.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٨)، وأحمد (٣٦٧)، عن عمر بن الخطاب.

نهتمُّ بهذا العلم، ونقرأ عنه في بعض الكتب الأخرى، مثل كتاب الشيخ خَلَّاف كان قد ظهر في ذلك الوقت، وكتاب الشيخ الخُضري، له كتابات مُجَدَّدة في «أصول الفقه»، و«تاريخ التشريع»، وله محاضرات في التاريخ أيضًا، وهو من العلماء المُجَدِّدين في هذا العصر، وبعد ذلك قرأنا كتاب الشوكاني «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول»، وبدأنا نتعرَّف على الشاطبي، وأذكر حينما اقتادونا إلى السجن الحربي في أكتوبر سنة ١٩٥٤م كان معي كتابان: كتاب «الموافقات» للإمام الشاطبي، وكتاب «إعلام المُوقَّعين» للإمام ابن القيم، فكانا من الكتب التي صحبتها معي على أساس أنَّ المُقام سيطول، وفعلاً قرأنا فيها عدَّة أسابيع، ثُمَّ وجدوا أننا نتعلَّم ونقضي الوقت في القراءة فسحبوا مِنَّا كُلَّ الكتب إلَّا المصحف، وبعد أسابيع سحبوا مِنَّا المُصحف، ولم يُبقوا معنا ورقة ولا قلمًا، ثم بدأنا شيئًا فشيئًا نطلع على كتب الفقه والأصول القديمة والمعاصرة، ومن أهم الكتب التي اطلعنا عليها كتاب «المستصفى» للإمام الغزالي، عرفناه قبل أن نعرف «البرهان» لشيخه إمام الحَرَمَيْن؛ لأنَّ «المُسْتَصْفَى» طبع من قديم، أمَّا «البرهان» فلم يُطبع إلَّا بعد أن حَقَّقه أخونا الدكتور عبد العظيم الدِّيب رَحِمَهُ اللهُ، ومن أهم الكتب التي قرأناها كتاب «البحر المحيط» للإمام الزركشي، وهو كتاب واسع، ومن المعروف أنَّ هناك طريقتين في التَّأليف في أصول الفقه: طريقة المالكيَّة والشافعيَّة، ويُسمُّونها طريقة المُتَكَلِّمين، والطريقة الأخرى للحنفيَّة، فهناك طريقة الشافعي الذي يُعتبر واضع علم أصول الفقه، وإن كان علماء الأحناف يقولون: إنهم كانت عندهم أصولٌ أيضًا، وأنَّ أبا يوسف أَلَّف في الأصول، ومُحَمَّد بن الحسن أَلَّف في الأصول، وقد أَلَّف فِعْلاً مثل كتاب: «الحُجَّة على أهل

المدينة»، ولكن لم نجد لأئمة مذهب الحنفيّة كتابًا جامعًا في الأصول، وطريقة الحنفيّة أنّهم يأخذون الأصول من الفروع، فهي طريقة أقرب إلى الناحية العملية، وطريقة المالكيّة والشافعيّة أنّهم يؤصّلون الأصول من الناحية النظرية، ولذلك منهجهم أقرب إلى علم الكلام، ويُسمّونها طريقة المُتكلّمين التي يغلب فيها الجانب العقلي، وقد أخذوها من المعتزلة الذين سبقوهم في هذه الطريقة، كما في كتاب «المعتمد» لأبي الحُسَيْن البصري، ثمّ بعد ذلك جاءت فرقة تحاول أن تمزج بين الفريقين كما هي عادة العلم دائماً، يحدث في الأوّل تمايز شديد، ثمّ يحدث نوع من المزج التقريبي كما رأينا في مدرسة الرأي ومدرسة الأثر، كانا في البداية متميزتين، ثمّ بدأت تأخذ كلّ مدرسة من الأخرى، فنجد الإمام محمد بن الحسن يروي الموطأ عن الإمام مالك، والإمام أبو يوسف يلقي مالكا في المدينة، ويأخذ عنه أشياء يرجع فيها عن رأيه، ويقول: لو رأى صاحبي ما رأيْتُ لقال بمثل ما قلت^(١). ونجد مدرسة الأثر تأخذ أيضاً من المدرسة الحنفيّة، فالإمام الشافعي قرأ كتب الإمام محمد بن الحسن مُدوّن المذهب الحنفي، طلب منه أوّل الأمر فامتنع عليه، فكتب له شعراً معروفاً:

قُلْ لِمَنْ لَمْ تَرَ عِيْ - نْ مَنْ رَأَهُ مِثْلُهُ
وَمَنْ كَانَ مَنْ رَأَى - هُ قَدْ رَأَى مَنْ قَبْلَهُ
الْعِلْمُ يَأْبَى أَهْلَهُ - أَنْ يَمْنَعُوهُ أَهْلَهُ
لَعَلَّهُ يَبْذُلُهُ - لِأَهْلِهِ لَعَلَّهُ^(٢)

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٦/٢٠، ٣٠٧).

(٢) رواه البيهقي في مناقب الشافعي (٨٦/٢)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

فتأثر محمد بن الحسن بشعر الشافعي، وأعطاه فوق ما أراد، يقول الشافعي: أخذت منه وقرّ بعير^(١). فالذي يزعم أنّ المدرستين ظلّتا على الرأي فقط أو الحديث فقط كلامه غير صحيح.

والشيخ محمد أبو زهرة يقول: الإمام مالك من أهل الرأي^(٢). وأنا معه في هذا القول، يكفي للدلالة عليه أنّ الإمام مالك يقول بالمصالح المرسلة، وأنّه يقدم عمل أهل المدينة على حديث الأحاد في بعض المواضع، وعنده اعتبارات مصلحيّة وعرفيّة، كما أنّ عند الحنفيّة محدّثين كثيرين، منهم الإمام الطحاوي المعروف، وآخرون ذكرهم الشيخ محمد زاهد الكوثري في رسالته «فقه أهل العراق وحديثهم»، في مقدمته لكتاب «نصب الراية لأحاديث الهداية» للزيلعي، ولعلّكم تعلمون أنّ أعظم كتاب في تخريج الأحاديث بدأ به الأحناف وهو «نصب الراية»، قبل «التلخيص الحبير» وغيره، فأنا أقول: تبدأ المدارس متباعدة ومتباينة ثمّ تتداخل وتتمازج ويأخذ بعضها من بعض، ومن ذلك طريقة الأحناف وطريقة المتكلمين في أصول الفقه بدأ بعد ذلك أناسٌ يمزجون بين الطريقتين، من الحنفيّة أنفسهم مثل فخر الإسلام البزدوي وغيره، ومن الشافعيّة مثل تاج الدين الشُّبكي في «جمع الجوامع»، وأصبح المعاصرون أيضًا يمثّلون المدرستين، كما يظهر في كتب الشيخ الخُضري، والشيخ خلاّف، والشيخ أحمد إبراهيم، والشيخ أبي زهرة، كل هذه كتب تُمثّل المدرستين، تعمل على تأصيل الأصول، وتفريع الفروع، وضرب الأمثلة، ومن أهم الكتب التي قرأتها واستمتعت بها في

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ص ٦٩، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) مالك حياته وعصره آراؤه وفقهه ص ٢٧٢ وما بعدها.

الحقيقة كتاب الشيخ أبي زهرة، رغم أنه لم يذكر فيه مرجعاً، هو كتبه بسلاسة وسهولة لكن بعد أن نضج، وبعد كتاب الشيخ خلاف بسنين.

طبعاً كانت «طريقة المُتَكَلِّمين» في التأليف في أصول الفقه نتيجة غزو الفلسفة اليونانية للمجتمع الإسلامي، وأثرت هذه الفلسفة اليونانية في الثقافة الإسلامية بصفة عامة، وخصوصاً في علم الكلام، وظهر ذلك في كتاب «المُستَصْفَى» للإمام الغزالي، كتب لهذا الكتاب مُقدِّمة وقال: هذه المقدمة لازمة لعلم الأصول ولكل علم، ومن لا يعلم هذه المقدمة لا يُوثَق بعلمه^(١). وذلك لأنَّ الإمام الغزالي كان يرى أنَّ تعلم المنطق فريضة على كلِّ عالم مسلم، وقد خالفه العلماء الآخرون في هذا، ونحن في ثانوي الأزهر كنَّا ندرس كتاباً في المنطق اسمه «السُّلَم» للأخضري، وهو عبارة عن منظومة، تعرفون كانت العلوم قديماً تُنظم، وقد درسنا في توحيد منظومة «الجوهرة» للقاني، فكان يقول:

وَمَالِكُ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ كَذَا أَبُو الْقَاسِمِ هَذَا الْأُمَّةُ
فَوَاجِبُ تَقْلِيدِ حَبْرٍ مِنْهُمْ كَذَا حكا الْقَوْمِ بِلَفْظٍ يُفْهَمُ^(٢)

وكان الأخضري يقول:

فَابْنُ الصَّلَاحِ وَالنَّوَاوِي حَرَمَا وَقَالَ قَوْمٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَا
وَالْقَوْلَةُ الْمَشْهُورَةُ الصَّحِيحَةُ جَوَازُهُ لِكَامِلِ الْقَرِيحَةِ
مُمَارِسِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ لِيَهْتَدِيَ بِهِ إِلَى الصَّوَابِ^(٣)

(١) المستصفى ص ١٠.

(٢) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني وعلى هامشه التحرير الحميد ص ٤٠٢، نشر مكتبة الإرشاد، إستانبول، ط ١، ٢٠٠٧م.

(٣) انظر: نتيجة المهتم بتوضيح السلم لأصف عبد القادر جيلاني ص ٨٩، ٩٩، نشر دار الضياء، الكويت، وهي حاشية على شرح الدمنهوري على السلم المنورق للأخضري.

فهو يشير إلى الغزالي بقوله: وقال قوم ينبغي أن يُعلّمَا. فعلماء الشافعية أنفسهم خالفوا الإمام الغزالي في هذا، وعابوا عليه أنه ذكر هذه المقدمة في علم الأصول، وهي ليست منه، وما كان له أن يفعل هذا، ولكن كان هذا من تأثر الإمام الغزالي بالفلسفة رغم أنه ردّ على الفلاسفة كما نعلم في كتابه «تهافت الفلاسفة»، ولكنه استثنى المنطق من الفلسفة، واعتبره معيار العلم، وله كتاب «معيّار العلم»، و«محكّ النظر»، فكان هذا الجو الفكري هو الذي تأثر به الغزالي أكثر من الجو السياسي. أمّا الأحناف، فلم يتأثروا بهذا الجو؛ لأنّهم انطلقوا من الواقع الفقهي حينما كتبوا في الأصول.

والشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الأسبق رَحِمَهُ اللهُ له كتاب في تاريخ الفلسفة الإسلامية: «تمهيد في الفلسفة الإسلامية»، وقال فيه: إنّ علم أصول الفقه هو أقرب إلى تمثيل الفلسفة الإسلامية من فلسفة الفارابي وابن سينا والكندي وهؤلاء. قال: إنّ هذا التراث الفلسفي لهؤلاء الذين يُسمّون: فلاسفة إسلاميين هو ظلال باهتة للفلسفة اليونانية. وهؤلاء الفلاسفة يُمثّلون المدرسة المشائية الإسلامية مدرسة أرسطو، بدأت بالكندي ثمّ الفارابي ثمّ ابن سينا، ولذلك كان يُسمّون أرسطو «المُعَلِّم الأول»، مع أنّ مُعَلِّمنا الأوّل نحن المسلمين هو محمد ﷺ، وطبعًا هذه المدرسة عليها مآخذ، وتعلمون أنّ الإمام الغزالي في «تهافت الفلاسفة» خطّأهم في سبع عشرة مسألة، وكفرهم في ثلاث مسائل: قولهم بقدّم العالم، وإنكارهم علم الله تعالى بالجزئيات دون الكلّيات، وإنكار البعث الجسماني، وأنّه رُوحاني فقط، وإن كان بعض الفلاسفة فيما بعد ومنهم ابن رشد في كتابه «تهافت التهافت» حاولوا أن يعتذروا لهؤلاء ويقولوا: إنّهم لم يقولوا بهذه الأمور. فهناك معركة معروفة حول هذا الأمر.

المهم أنَّ الشيخ مصطفى عبد الرازق يقول: إنَّ علم أصول الفقه هو أقرب إلى تمثيل الفلسفة الإسلامية الحقيقيَّة من الفلسفة الإسلاميَّة الرسميَّة. وأنا أعتقد أن هذا الرأي صحيحٌ، وخصوصًا حينما يهتمُّ علم أصول الفقه بالمقاصد، فالاهتمام بالمقاصد في الحقيقة هو اهتمام بأسرار الشريعة، وهذا معناه الاهتمام بفلسفة الإسلام الحقيقيَّة، لأنَّ الفلسفة معناها البحث في الأعماق والأسرار، هذا ما قالوه بالنسبة لأصول الفقه.

والإمام الغزالي بحث المقاصد على الهامش حينما كان يتكلَّم عن المصلحة التي يعتبرها أصلًا من الأصول الموهومة، هكذا، كان شيخه إمام الحرمين قد بدأ الأمر، ولكنَّه فصَّل في الحقيقة في المقاصد، وتكلَّم عن الضروريَّات، والحاجيَّات، والتحسينيَّات، كل هذا جاء وهو يبحث عن هذا الأصل الموهوم (المصلحة المُرسَلة).

فلَمَّا جاء الشاطبي أصبح علم المقاصد على يديه علمًا مستقلًّا، يمكن أن يُدرس وحده، وأن تُفصَّل فيه الأمور، وإن كان هناك طبعًا من استدرك على الغزالي وعلى الشاطبي.

وأنا شخصيًّا أرى أنَّه ليس من الضروري أن تُعرض المقاصد بهذه الطريقة، فمثلاً نستطيع أن نقول: إنَّ المقاصد تتمثَّل في بناء الفرد الصالح، والأسرة الصالحة، والمجتمع الصالح، والدولة الصالحة، والأُمَّة الصالحة، والإنسانيَّة المتعارفة، هذا تصوري في عرض المقاصد، وليس من الضروري أن نلتزم بتقسيم القدماء.

وأذكر أنَّ الدكتور محمد نجاة الله الصديقي سألني مرَّة، وهو أستاذ في الاقتصاد الإسلامي في جامعة الملك عبد العزيز، وفي مركز أبحاث

الاقتصاد الإسلامي في جُدة، وهو هندي الأصل، فسألني هو والدكتور أنس الزرقا، قالاً: هل لمسألة حفظ النفس والعقل والدين والمال والنسل أصل يوناني؟ قلتُ له: ما أظنُّ أنَّ لها أصلاً يونانيّاً، هناك أشياء أخرى كذلك في مجال الأخلاق لها أصل في فلسفة اليونان، لكن هذه لا أعلم لها أي أصل يوناني، هذه أصلها إسلامي.

والمعروف أنَّ علم أصول الفقه علم إسلامي صرف، يمكن أن نجد بعض الناس يتهم الفقه الإسلامي بأنّه أخذ عن الفقه الروماني، تهمة قيلت في وقت من الأوقات ورُدَّ عليها حتّى من رجال القانون، وأعتقد أنَّ أفضل من ردَّ على هذه الفرية الدكتور صوفي أبو طالب أستاذ القانون في الجامعات المصريّة وجامعة القاهرة، وكان في وقت من الأوقات رئيس مجلس الشعب المصري، وفي وقت آخر كان رئيس الجمهورية بعد مقتل السادات، كتب هو يُردُّ على من يقول: إنّ الفقه الإسلامي اقتبس من القانون الروماني. وكان ردّاً قوياً جدّاً، قال: إنّ المصادر غير المصادر، والفلسفة غير الفلسفة، والنشأة غير النشأة. ومن يتّبع كيف نشأت المدارس الفقهيّة في الحجاز والعراق وفي غيرها، ابن مسعود وتلاميذه إلى إبراهيم النخعي إلى حمّاد إلى أبي حنيفة، ويتّبع مدرسة مكة، ومدرسة المدينة يرى أنَّ الأمر أبعد ما يكون بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني، هذا عن الفقه الإسلامي.

أمّا أصول الفقه فلم يقل أحد عنه: إنّهُ أخذ من أي فلسفة أخرى، أو أمّة أخرى، فهو علم إسلامي مائة في المائة، وهو من ابتكار المسلمين ومن مفاخرهم بحمد الله، يضبط عمليّة الاستدلال فيما لا نصّ فيه، وفيما فيه نصّ، حتّى إن بعض الكاتبين في أصول الفقه؛ الدكتور معروف الدواليبي رَحِمَهُ اللهُ له كتاب اسمه «المدخل إلى علم أصول الفقه»، قال:

الاجتهاد عندنا ثلاثة أنواع: هناك الاجتهاد البياني الذي يقوم على فهم النصوص، والذي تتعلّق به معظم الأبحاث اللغويّة: المُطلَق والمُقَيّد، والعامُّ والخاصُّ، والمفهوم والمنطوق، إلى آخره، وهناك الاجتهاد القياسي الذي يقاس فيه الفرع على الأصل إذا كانت بينهما علّة مشتركة، وانعدم الفارق المعتبر بينهما، ثمّ هناك الاجتهاد الاستصلاحي الذي يقوم على رعاية المصلحة المرسلّة، والاستحسان، والعُرف.

وأنا - كما قلت في بعض المقامات - عندي ثلاثة كتب أرجو أن أُوفّق إلى كتابتها: كتاب في علم أصول الفقه، وأنا كتبتُ مُتَفَرِّقات في هذا العلم، وفي لواحقه: عندي كتاب في الاجتهاد كما تعلمون، وعندي ثلاثة كتب في الفتوى: «الفتوى بين الانضباط والتسيّب»، و«موجبات تغيير الفتوى»، و«الفتاوى الشاذّة: معاييرها وتطبيقاتها وأسبابها وكيف نعالجها ونتوقّأها»، فهذه الكتب أيضاً من لواحق علم أصول الفقه، ولنا أيضاً كتب في ضوابط فهم القرآن وفهم السنّة، وهناك كلام عن الإجماع، وكلام عن القياس، ولأخي الشيخ سالم الشبيخي اهتمامات باختياراتي الأصوليّة واختياراتي الفقهيّة، فهناك كتاب آمّل أن أكتبه في أصول الفقه، وكتاب آخر في السيرة النبويّة^(١)، ولا أكتبه بطريقة سرد الأحداث، ولكن أكتب عن محمد ﷺ الداعية، العابد، الزاهد، الأب، الزوج، الجد، المجاهد، المحارب والمسالّم، إلى آخره، والكتاب الثالث مختصر في التفسير على هامش المصحف، كان أخي الشيخ راشد الغنوشي قد اقترح عليّ من عدّة سنوات أن أكتب تفسيراً، فقلت له: ما عاد الأمر يصلح الآن، أذكر أنّي بعد أن جئت إلى قطر سنة ١٩٦١م بسنتين كلّمني الشيخ

(١) وقد كتبت فيما بعد كتاباً في السيرة النبويّة: نبي الرحمة، وتفسير جزء عم وجزء تبارك تفسيراً تحليليّاً، والحمد لله رب العالمين.

عبد الله بن زيد آل محمود، وكان رئيس القضاة، ورئيس المحاكم الشرعيّة هنا في قطر، وهو عالم من علماء الحنابلة الأفذاذ، وله اجتهادات وآراء أغضبت أحياناً مشايخ المملكة السعوديّة، وله رأي من حوالي ستين سنة في جواز الرمي قبل الزوال، فالشيخ عبد الله بن زيد اقترح عليّ حينها وقال: ما رأيك أن تُكمل «تفسير المنار»؟ فهذا التفسير بقي فيه اثنا عشر جزءاً ويحتاج إلى من يُكمّله، وأنا أرى أنك أهل لأن تكمله على طريقة الشيخ محمد رشيد رضا. وأنا أقول لكم: أنا أعتبر الشيخ رشيد رضا شيخاً، وهو من الناس الذين أومن بعبقريّتهم، وسداد طريقتهم، بعض الناس يقول: إنّ المدرسة الإصلاحية التي بدأت بجمال الدين الأفغاني، ثم ثنّت بمحمد عبده، ثم ثلّثت برشيد رضا، ثم ربّعت بحسن البنا، قالوا: إنّها بدأت واسعة ثم بدأت تضيق شيئاً فشيئاً، إلى أن وصلت عند حسن البنا فضاقت أكثر وأكثر. ولكن أقول: ليس هذا صحيحاً، فهذه المدرسة بدأت بجمال الدين الأفغاني، وهو أشبه برجل فيلسوف ثوري يريد أن يوقظ الأمة لتقاوم الاستعمار، وكان علمه قليلاً في عصره، وكتابه الذي قرأناه «الردّ على الدهريين» الذين يلحدون ولا يؤمنون بالله ولا برسالاته ولا بالدار الآخرة، إذا تأملت ردّه بمنطقنا الآن تجده ردّاً بسيطاً جدّاً، ولكن مهما كان علمه قليلاً في عصره، فله تميّزه، ثمّ جاء محمد عبده، فضبط الأمور أكثر؛ لأنّه عالم كبير من علماء الأزهر، وعقليّته من العقليّات القويّة والمُسْتَوْعِبة، عرف المعتزلة والأشاعرة والماتريديّة، وقرأ وهضم، وكانت له آراء في علم الكلام، وآراء في الأصول، وآراء في الفقه، وفسر الخمسة الأجزاء الأولى من القرآن، ولخصّها الشيخ رشيد في «تفسير المنار»، فبدأ الشيخ محمد عبده يضبط الأمور أكثر، ولكن الشيخ محمد لم يكن له اطلاع كثير على

السنن والآثار، ولم يتوسّع في دراسة مدرسة ابن تيمية وابن القيم كما فعل الشيخ الإمام محمد رشيد رضا الذي توسّع في هذا، وبدأ يُؤسّس لمدرسة السُنّة، والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي الذي أخرج كما تعرفون عددًا من الكتب فيها قال: تعلّمتُ أوّل ما تعلّمتُ من الشيخ رشيد رضا. فالشيخ رشيد رضا ضبط المسائل في تفسيره، وفي فتاواه التي نُشرت في «مَجَلَّة المنار»، وجمعت في ستّة مُجلّدات كبيرة، فأنا أتلمذ على الشيخ رشيد رضا، وأتبعه في الفقه أكثر ممّا أتبع إمامي الأستاذ حسن البنا، فالأستاذ حسن البنا أميل إلى التشدّد من الأستاذ رشيد رضا.

وحين زرتُ عُمان أوّل مرة اقترح عليّ أيضًا الشيخ أحمد الخليلي مفتي سلطنة عُمان أن أكمل «تفسير المنار»، ولكنّي تهيبّت في ذلك الوقت، حتّى جاء أخونا الشيخ راشد الغنوشي من ثلاث أو أربع سنوات وأنا أقارب الثمانين واقترح عليّ أن أكمل تفسير المنار، فقلت له: أنا لم أبدأ في تفسيره وعمري أربعون، فهل أبدأ فيه وعمري ثمانون؟! ما عاد الأمر يصلح، لكن الآن أريد أن أعمل تفسيرًا على هامش المصحف، وقفات مُعيّنة في مواضع لي فيها فهم معيّن، أمّا تفسير كبير فلا يتّسع له العمر، فهذه هي الكتب الثلاثة التي أرجو أن يُوفّقني الله تعالى إلى كتابتها، اللهم آمين.

بالنسبة للقواعد والضوابط الفقهيّة والفروق الفقهيّة هذه علوم مهمّة جدًّا، وإن كان بعضهم يجعلها من الفقه، ولكنّها في الحقيقة لأهميّتها يمكن أن تُضمّ إلى الأصول لأنّه يتعلّق بالفهم والاستنباط، وهي تتعلّق بتقعيد القواعد، وأحيانًا يُسمّونها «الأشباه والنظائر»، كما رأينا عند الإمام السيوطي في «أشباهه ونظائره»، والإمام ابن نجيم الحنفي الذي أخذ عن السيوطي، وأحيانًا ينقل عنه نقلًا حرفيًا ولا ينسبها إليه، وكتاب «الفروق»

للإمام شهاب الدين القَرَّافي، وهذا إمامٌ عظيمٌ في الحقيقة، وهو مصري، وأحياناً بعض الناس يظنُّ بعض العلماء أنَّهم غير مصريين وينسبهم إلى بلاد أخرى، مثل الحافظ ابن حجر العسقلاني، لم يكن في عمره في عسقلان، بل ولد في مصر، وعاش في مصر، وتولَّى القضاء في مصر، ومات في مصر، ولكنَّهم قالوا: عسقلاني. لكن أحياناً النسبة تكون غير دقيقة، يمكن أن يكون أحد أجداده مثلاً كان في عسقلان فنسب إليها.

وكذلك الإمام القرافي معرف أنَّ للمذهب المالكي رجالاً في مصر كما أنَّ له رجالاً في المغرب، ولرجال المالكيَّة في مصر باعٌ طويل، خصوصاً المتأخِّرين الشيخ الدردير في «الشرح الصغير» و«الشرح الكبير»، والدسوقي صاحب «حاشية الدسوقي» عليه، والخرشي، وهؤلاء لهم باع في خدمة المذهب المالكي، ونحن عندنا صعيد مصر كلُّه مالكي، وبعض بلاد الوجه البحري مالكيَّة، ومعظم قرى الوجه البحري شافعية، ومنها قريننا «صفط تراب»، ومع هذا كان مذهبي حنفيًّا، لأنِّي حينما أردتُ أن أقدم في الأزهر كان من شباب علماء قريننا المُتميِّزين الشيخ عبد المطلب البتة وكان حنفيًّا، وكان هو الذي يكتب لي ورقة الانتساب، فلما جاء إلى خانة المذهب كدت أقول له: اجعلني شافعيًّا. ولكنَّه بادرني قائلاً: ما رأيك يا شيخ يوسف أن تجعل مذهبك حنفيًّا مثلي؟ فقلت له: ليكن مذهبي حنفيًّا مثلك. وكان للمذهب الحنفي أوقاف كثيرة فكُنَّا نستفيد منها، كانوا يصرفوه لنا عشرين أو ثلاثين قرشاً أو نحوها فكُنَّا نسعد بها في ذلك الزمان.

ثمَّ لَمَّا وفَّقنا الله وانتسبنا إلى مدرسة الإخوان المسلمين كان شيخنا في الفقه هو الشيخ سيِّد سابق رَحِمَهُ اللهُ، وكان قد بدأ يكتب في مجلَّة الإخوان صفحة في فقه الطهارة كلَّ أسبوع، ثم أخرج كتاب «فقه السنَّة»

في الطهارة، وكتب له الإمام الشهيد حسن البنا مُقدّمة، وكان الشيخ سابق على المذهب السائد في ذلك الوقت في الجمعيات الإسلامية، كان عند الجمعية الشرعية كتاب «الدّين الخالص» لمؤسّس الجمعية الشيخ محمود خطّاب الشُّبكي، وهو كتاب قيّم من عشرة أجزاء تقريباً، وكان لمدرسة أنصار السُّنة المحمديّة ورئيسها الشيخ محمد حامد الفقي، وهو أحد علماء الحديث، وأحد المُحقّقين، وكثيراً ما شارك الشيخ أحمد شاكر في تحقيق بعض كتب الحديث، فكان السائد في ذلك الوقت هو الفقه المُقارن، أو ما يسمّى فقه السُّنة، أو فقه الحديث، فوجّهني هذا أن أتعلّم غير فقه الأحناف، فأقرأ في كتاب «الدّين الخاصّ» وكتاب «فقه السُّنة»، وبعدها بدأتُ أقرأ في «نيل الأوطار» و«سُبُل السلام»، وغيرها.

وحينما بدأتُ أدرس الفقه وأنا طالب في السُّنة الأولى من الثانوي كنتُ أدّرسه على هذا المنوال، كان علماء قريتنا يُدّرّسون الفقه على مذهب الشافعي، حتّى الأحناف منهم كانوا يراعون مذهب البلد، ومذهب الشافعي أشدُّ المذاهب في مسائل الطهارة والعبادات، وهذا لا يناسب أهل القرية، فكنتُ أُيسّر على النّاس في مسائل الطهارة، وأنّ كل ما يؤكل لحمه فبوله وروثه طاهر، وأنّ لمس المرأة لا ينقض الوضوء، وكما تعرفون هناك في الريف المصري رجال ليسوا علماء، لكنّهم جالسوا العلماء عشرات السنين فتكوّن عندهم فقه من هذه الجلسات، وكانوا يعصرون أي عالم أو مُتحدّث عصرًا، فأول ما ظهرت قالوا: ما هذا الولد الَّذي جاء يخالف كبار المشايخ؟ وقد آتاني الله الحجّة فكنتُ أقنعهم وأفحمهم، ومنها قضية أنّ لمس المرأة لا ينقض الوضوء، وقالوا: من أين جئت بهذا الكلام، وهذا يخالف كلّ العلماء، والقرآن يقول: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة: ٦]؟ فقلت لهم: اللمس في الآية لا يعني لمس البشرة

للبشرة، ولكن كما قال ابن عباس: اللمس والمس والملاسة في القرآن كناية عن الجماع^(١). كما قالت السيّدة مريم: ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]. وهكذا.

صلة علم أصول الفقه بالعلوم الإنسانيّة:

عرضتُ في كتابي «الاجتهاد في الشريعة الإسلاميّة» لشروط المجتهد، وهناك شروط متّفق عليها، وشروط مختلف فيها، والشروط والمعروفة: العلم بالعربيّة، والعلم بالكتاب، والعلم بالسُنّة، والعلم بمقاصد الشريعة، إلى آخره، وإن كان الإمام الشاطبي لم يعتبر العلم بمقاصد الشريعة شرطاً في الاجتهاد، بل اعتبره سبباً فيه، واهتمّ هو بعلم المقاصد، وعلى كلّ حالٍ هو أمرٌ لا بدّ منه، سواء اعتبرناه سبباً أو شرطاً.

وهناك شروط اعتبروها مثل أن تكون لدى المجتهد ملكة الاجتهاد، وهذا أمر يصعب ضبطه، لكن هي إمكانيّة أو قدرة يستطيع بها المجتهد أن يستنبط الأحكام، هناك بعض الناس يقرأ الكتب ويحصل الكثير منها، ولكن ليست عنده هذه ملكة الاجتهاد، مثل هذا أفضل له أن يعكف على ما يحسنه، ولا يشتغل بالاجتهاد، وهناك أناس عندهم ملكة الحفظ، ولذلك كان من الخلاف بين الفقهاء والمُحدّثين في أن المُحدّث يهتمّ بالحفظ، والفقهاء يهتمّ بالاستنباط، وحينما ننظر نجد المُتقدّمين يهتمّون بالفقه، على حين نجد المُتأخّرين يهتمّون بالحفظ، يقولون: الحافظ فلان. والمعروف أن الذين قادوا الأُمّة الإسلاميّة حقيقة ليسوا هم المُحدّثين وإنّما هم الفقهاء، ولذلك فمن المهمّ أن تكون لدى الإنسان

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٩٠/٨).

ملكة الاستنباط، ويمكن أن تكون بمعاشرة المجتهدين، والوقوف على مشاربهم ومنازعهم وغير ذلك.

ومن الشروط المهمة التي ذكرها الإمام أحمد في المفتي، والمفتي هو المجتهد، قال: أن تكون عنده معرفة الناس^(١). وأخذ ابن القيم هذه الكلمة وحللها وبنى عليها أن معرفة الناس تعني معرفة الواقع، واقع الناس ومكرهم ودهائهم، وكيف لا يُستغفل المفتي في فتواه، وتدخل عليه أشياء في صورة أشياء أخرى فيحلّ الحرام ويحرّم الحلال بناء على خداع الناس، فيجب أن يعرف الواقع، ومما نحفظه عن ابن القيم قوله: الفقيه هو من يزاوج بين الواجب والواقع، فلا يعيش فيما يجب أن يكون وينسى ما هو كائن أو ما هو واقع، لا بدّ أن يُعمل الأمرين كلاهما في الآخر^(٢).

وأنا بنيت على هذا الأمر أن على المجتهد أن يكون ملماً بثقافة عصره، فلا يعرف الواقع من لم يكن ملماً بثقافة عصره، من لا يعرف شيئاً في علم النفس، ولا في علم الاجتماع، ولا في علم السياسة، ولا في علم التاريخ، وهكذا كيف يكون مجتهداً؟ بل ينبغي أن يكون له قدر من العلم بالعلوم الكونية، لا بدّ أن يعرف شيئاً من علم الكيمياء، وعلم الفيزياء، وعلم الأحياء، وعلم الرياضيات، ولهذا أدخل الأزهر في المعاهد الدينية هذه العلوم في دراسته في العصر الحديث، وكان هذا الأمر ضرورياً.

(١) رواه ابن بطة في إبطال الحيل ص ٣٤، تحقيق زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

(٢) إعلام الموقعين (١٦٩/٤)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

وأنا أذكر أنني سئلت مرّة عن قضيّة شكل الجنين، وبعض القضايا المتعلّقة بهذا الموضوع من الدكتور حسان حتوت رَحِمَهُ اللهُ، كان هذا في مجلة «العربي» من حوالي خمس وثلاثين سنة، وكان سكرتير التحرير أخونا فهمي هو يدي في ذلك الوقت، وأجبت عن هذه القضايا، وتحدّثت عن الحيوان المنوي وبيضة المرأة، فقال بعض المشايخ مُتَعَجِّبًا: ما هذا الذي يقوله القرضاوي، هل تلد المرأة أم تبيض؟! ليس عنده فكرة عن هذه الأشياء التي تعتبر بديهيات في عصرنا، ذلك أنّ كثيرًا من المشايخ في بلاد الخليج لم يكونوا يدرسون هذه الأشياء قطّ.

لا بدّ أيضًا أن يكون عند الإنسان فكرة عن أوّلّيات علم الفلك، وإلّا أوقع الجهل بها في مشكلات، وأذكر أنّنا حين كنّا في المجمع الفقهي سنة ١٩٧٨م في عمّان بالأردن، وكُنّا نبحث في قضيّة ثبوت الأهلة، خصوصًا أهلة رمضان وشوّال وذو الحجة وهي التي تترتب عليها عبادات شهيرة، وكان معنا أحد الإخوة من علماء الفلك المشهورين، وجاء الرجل بوسائل الإيضاح وأخذ يشرح منازل القمر، وكيف يتحرّك، إلى آخره، وقال: إنّ نسبة الخطأ في علم الفلك الحديث (١/١٠٠٠٠٠) في الثانية، تأمل الدقّة إلى أي مدى؟ وكان الفقيه العالمي المعروف الشيخ مصطفى الزرقا يرى أنّنا يجب أن نأخذ بالحساب الفلكي في النفي وفي الإثبات، وهو رأي العلامة المُحدّث الشيخ أحمد محمد شاكر في رسالته «أوائل الشهور العربيّة»، ولكنّ المجمع رفض رأي الشيخ مصطفى الزرقا، حتّى قال له رئيس المجمع في ذلك الوقت أخونا الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: يا شيخ مصطفى، لقد رفض رأيك مجمع رابطة العالم الإسلاميّ رأيك، ورفض مجمع الفقه الإسلاميّ الدوليّ رأيك، فأنت وحيد المُجمّعين. فقلت: لقد شَرّفه الله أن يكون وحيد المُجمّعين. قال:

أنا مع القرضاوي. فقال له: القرضاوي ليس عضوًا، القرضاوي خبير. المهمُّ أنَّ كثيرًا من الموجودين لم تكن عندهم فكرة عن علم الفلك، وأنا اخترت في ذلك الوقت مذهبًا وسطًا، قلت: يا جماعة نأخذ بالحساب الفلكي في النفي لا في الإثبات، أي إذا قال علم الفلك القطعي: لا يمكن رؤية الهلال بحالٍ في وقت ما نأخذ به، على أساس علم الفلك الذي وصل الإنسان إلى القمر، حتّى يقول: سيصل إلى المكان الفلاني في الساعة الفلانية في الدقيقة الفلانية في الثانية الفلانية. ويصل كما قالوا، فهذا علم دقيق يختلف عن التنجيم أو ما يسمّى مجازًا قديمًا علم النجوم، وهو ما جاء فيه: «من اقتبس شُعبَةً من النجوم فقد اقتبس شُعبَةً من السّحر، زاد ما زاد»^(١). فقلت: إذا قال علم الفلك القطعي: إنّ رؤية الهلال مستحيلة فلا يجوز أن نطلب من الشهود أن يشهدوا. هذا ما رأيته، وكاد هذا الرأي يأخذ أغلبيةً، ولكن قام أحد إخواننا العلماء من كبار الفقهاء الشيخ صديق الضرير من إخواننا فقهاء السودان، قام وقال: مَنْ قال: إنّ علم الفلك قطعي؟! علم الفلك ظنّي، بدليل أن أصحاب التقاويم والرزنامات يختلفون بعضهم مع بعضهم، يختلف تقويم أمّ القرى مع العجيري في الكويت مع الأنصاري في قطر مع الزغبّي في مصر مع فلانٍ وفلان، فليس هناك قطعيّ في هذا. وبناء على هذا الكلام رفض هذا الرأي، وقالوا: يُستأنس بعلم الفلك فقط. والاستئناس ليس مُلزمًا، والعجيب أنّني وجدتُ في تراثنا فتوى للشيخ تقي الدّين السُّبكي، وهو إمام عند الشافعيّة، وقالوا: إنّهُ بلغ مرتبة الاجتهاد المُطلق. قال في رسالته عن الأهلة: إذا قال الحساب القطعي: إنّ الرؤية غير مُمكنة. يجب أن تُرد

(١) رواه أحمد (٢٨٤٠)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الطب (٣٩٠٥)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٢٦)، وصحّحه إسناده النووي في رياض الصالحين (١٦٧١)، عن ابن عباس.

شهادة الشهود؛ لأنَّ شهادة الشهود ظنيَّة والحساب قطعي، والظَّني لا يقاوم القطعي فضلاً عن أن يُفضَّل عليه^(١).

ولذلك أقول: في الاجتهاد الأصولي تجب المعرفة بثقافة العصر، بعلم العصر، ولذلك لا تجوز أن تخلو المعاهد الدينيَّة والشرعيَّة من تعليم هذه العلوم، ومن ثقافة العصر العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، يجب على الأقلَّ أن يكون عند الإنسان إلمام بهذه العلوم، فإذا لم يكن عنده إلمام فيستعان بالخبراء في هذه الحالة، ونحن كُنَّا في المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وفي مجمع الفقه الدولي كُنَّا نستعين بالخبراء، فكُنَّا نستعين بالأطباء كلَّ في اختصاصه في القضايا الطَّبيَّة، ونستعين بالفلكيِّين، ونستعين بالاقتصاديِّين في مسائل الاقتصاد، وهكذا، فإذا لم يكن عند الشخص إلمام بهذه العلوم فلا بدَّ لكي يعرف الواقعة على حقيقتها أن يستعين بمن يستطيع تجليتها.

على أنَّ من اللازم حقًّا إذا أراد الفقيه المجتهد الأصولي أن يجتهد أن يكون عنده على الأقلَّ إلمامٌ - لا نقول: يتخصَّص - بثقافات العصر الضروريَّة: الثقافة الإنسانيَّة، والثقافة الاجتماعيَّة، وإذا كان موضوعه يحتاج إلى ثقافة خاصَّة، فلا بدَّ أن يُحصِّلها، كما حدث وأنا أبحث في فقه الزكاة، كان لا بدَّ أن أقرأ في الكتب الاقتصاديَّة، وقرأت في كتب الاقتصاد السياسي، ولم أجد فيها ضالَّتي، وأخذت أسأل: يا جماعة، أنا لا أجد حاجتي في هذه الكتب؟! فقال لي أحدهم: ماذا تريد؟ فقلت:

(١) انظر: فتاوى السبكي (٢٠٩/١)، نشر دار المعارف، وانظر ما كتبناه عن هذه المسألة في كتابينا: كيف نتعامل مع السُّنة النبويَّة ص ١٥٩ - ١٦٣، فصل: التمييز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٦، ٢٠١٠م، وتيسير فقه الصيام ص ٢٣ - ٣٠، تحت عنوان: ثلاث طرق لإثبات رمضان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

أريد كذا. قال: إذن أنت في حاجة إلى علم الماليّة العامّة، وأحسن ما تقرأ فيه كتاب «أصول علم المالية العامة» للأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي. والعجيب أنّي ظللتُ أبحث عن هذا الكتاب طويلاً فلم أجده؛ لأنّه كتاب جامعي، وما دام الأستاذ يُدرّس فالكُتب موجودة، فإذا أُحيل على المعاش تبدّلت كُتبه بمذكراتٍ أخرى، وظللتُ أبحث عن الكتاب إلى أن جاءني واحدٌ بنسخة منه، فهذه صلة علم أصول الفقه بالعلوم الإنسانيّة والعلوم الكونيّة والرياضيّة.

نعم، يمكن الاستفادة من علم أصول الفقه في علم أصول الدعوة، وفي ضبط كثير من الأمور الدعويّة، ووضع القواعد لها حتّى لا تكون فضفاضة وهلاميّة، وإخواننا في المغرب دراسات في هذا الموضوع، مثل أخيّنَا الدكتور سعد الدين العثماني، وبعض الإخوة جمعوا بعض الأمور من أصول الفقه ووضعوها في أصول الدعوة، ومن ضمن هذه الأمور ضوابط التكفير وغيرها؛ لأنّ من الأمور الخطيرة في الدعوة استباحة دماء الناس، واستباحة عقائدهم، فهذه أمور لا بدّ منها، ولذلك نحتاج إلى أصول الفقه في تكميل أصول الدعوة.

الأحكام التكليفيّة والأحكام الوضعيّة:

بالنسبة لقضيّة الأحكام التكليفيّة والأحكام الوضعيّة، أو ما يعبر عنه البعض بالتشريع والتوجيه، وإن كانت هذه قضيّة غير الأولى؛ لأنّ التوجيه وسيلة من وسائل تحقيق مقاصد الإسلام، والتشريع وسيلة

أخرى، فهناك وسيلة الدعوة والترغيب والترهيب، والتوجيه والتربية، هذه وسيلة، وهناك وسيلة التشريع والتقنين والسلطة، هذا أمر آخر، وكما قال عثمان بن عفان: إِنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالْسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن^(١). فلا بدّ من الوسيّلتين معاً، ومن أخطر الأمور أن يفصل القرآن عن السلطان، أو الدعوة عن الدولة، أو الحقّ عن القوّة، فيجب الجمع بين هذه الأمور.

كما يجب وضع كلّ منها في موضعه، وهو ما سمّيته في كتابي «الصحوة الإسلاميّة بين الجحود والتطرف» فقه مراتب الأعمال، أي وضع التكاليف الشرعيّة في مراتبها، وهو الذي سمّيته بعد ذلك «فقه الأولويّات»، فلكلّ تكليفٍ تسعيرة أو درجة، ليست كلّها سواء، ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]، والنبّي ﷺ يقول في الحديث الصحيح المتفق عليه: «الإيمان بضغّ وسُتُون - أو بضغّ وسبعون - شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٢). فهناك أعلى وهناك أدنى، فمن الخطر والخطأ والخلط أن تضع الأدنى في موضع الأعلى، والأعلى في موضع الأدنى، من أخطر الأشياء أن تُقدّم ما يستحقّ التأخير، وتؤخّر ما يستحقّ التقديم، أو تُهوّن العظيم، وتُعظّم الهين، وتُصغّر الكبير وتُكبّر الصغير، هذه مشكلة، ولهذا اهتمنا بفقه الأولويّات لنعرف أي الأعمال أولى من غيرها، فنقدّم الكيف على الكمّ، والإيمان على العمل، والتربية على الجهاد، وهكذا.

(١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤١٦/١١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٩) مختصراً، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

وقد بدأ النبي ﷺ في مكة، وظلّ ثلاثة عشر عامًا يعمل على تكوين الفرد المسلم على أساس العقائد والأخلاق وأصول الفضائل، ومن هنا لم تنزل تشريعات تُذكر في العهد المكي، والقرآن المكي غير القرآن المدني، فالقرآن المكي يضع الأصول، والقرآن المدني يُنظم الحياة بفروعها المختلفة، ومن هنا لم تنزل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِلَّا فِي المدينة، ولذلك كان من مراعاة الشروط والأسباب والموانع التي يُسمونها الأحكام الوضعية، ففي هذه الأحكام تُراعى الشروط والأسباب التي لا بدّ منها، وتُراعى الموانع؛ لأنّه لا يمكن أن يتمّ أمرٌ إلا إذا تحققت أسبابه، وزالت موانعه، أمّا إذا كانت هناك موانع، أو لم تتحقّق الأسباب، أو لم تتهيأ الشروط، فكيف يتمّ الأمر؟

ولذلك وقع كثير من الحركات والجماعات الإسلامية في أخطاء - بل في بلايا - كبيرة؛ لأنّها بدأت أشياء لم تُهيئ لها أسبابها، ولم تُحقّق الشروط المطلوبة، ولم تراعى الموانع التي تقف في الطريق، فبدأ بعضهم بقتال الحكومات، ولم يستطيعوا أن يُحقّقوا شيئاً. لم نر جماعة اتّخذت العنف منهجاً أنّها غيرت حكماً، أو أسقطت نظاماً، لم يحدث، أقصى ما تستطيعه جماعة من جماعات العنف أن تغتال واحداً، وهذا لا يُحقّق هدفاً؛ لأنّه قد يذهب ظالم، ويأتي من هو أظلم منه.

حينما حلّت جماعة الإخوان في مصر في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م ذهب الأستاذ حسن البنا إلى كثير من السياسيين يُوسّطهم في أن يصلحوا الحكومة مع الإخوان بدل هذا الصراع الذي لا يستفيد منه غير الأعداء، إلى آخره، وكان ممّا قاله الأستاذ البنا: أخشى أن تقوم فتنة من وراء ذلك. فقال له أحد السياسيين: ما تكون الفتنة يا شيخ حسن؟ هل هي

قتل رئيس الوزراء؟ إن ذهب عَيْرُ فَعَيْرُ في الرِّباط. أي يذهب حمار فيأتي حمار آخر، وهذا ما حدث فعلاً، قُتِلَ النقراشي فجاء من هو أشدُّ قسوةً وسوءاً من النقراشي بمَرَّات وهو إبراهيم عبد الهادي، وتكرَّر هذا الأمر يُغتال واحد ويأتي واحد أشدُّ منه، هذا كله نتيجة أننا لا نراعي الأحكام الوضعية، لا نراعي الأسباب والشروط والموانع.

ومن ذلك ما نراه في عالم الفتوى، الذين يتعرَّضون للفتوى ويفتون في أخطر الأمور وهم لا يتوفر فيهم شروط المفتي، لا يستطيع بعضهم أن يقرأ صفحة واحدة قراءة سليمة، لو أعطيته كتاباً من كتب الفقه، أو أصول الفقه، أو التفسير، أو الحديث، أو النحو، وقلتُ له: اقرأ صفحة منه. سيغلط فيها ثلاثين أو أربعين غلطة، فهؤلاء يفتون الناس وهم ليسوا مؤهلين، لم يستجمعوا شروط الفتوى، واستجماع الشروط والأسباب هو الذي نراه للأسف غير مَرْعِيٍّ.

ولذلك نحن نقول: لكي تطبق الأحكام التكليفية بالإيجاب أو بالتحريم أو بالكراهة أو بالندب، أو بالإباحة لا بدَّ من قبلها أن تتحقَّق الأحكام الوضعية، فكثير من الأمور تُؤتى من غير أهلها، أو تؤتى من غير أبوابها، وهذا معناه أن هناك خللاً في رعاية الأحكام الوضعية.

وبالنسبة لدراسة أصول الفقه أرى أننا لا بدَّ أن نجمع بين القديم والجديد، ولا أرى أن نسقط الكتب القديمة نهائياً كما تفعل بعض الكليات، وتعتمد على كتب مؤلَّفة من الأساتذة، أرى أنه لا بدَّ من قراءات على الأقل في الكتب الأصلية، وكلَّما رجعنا إلى المُتقدِّمين أكثر يكون هذا أيضاً مهماً ونافعاً، فلا ينبغي أن نكتفي بالكتب الحديثة، ولا نستغني عنها أيضاً، وهناك كتب لأناسٍ موثوقين مثل كتاب الشيخ

أبي زهرة، وكتاب الشيخ خلّاف، وكتاب أخينا الدكتور عبد الكريم زيدان، هناك بعض الكتب لعلماء مُقدّرين.

ثمرة الاختلاف بين المدرستين المعروفتين في أصول الفقه هي الارتباط بالواقع الفقهي، بالأمثلة العملية، بطريقة المُتكلّمين في أصول الفقه تُعنى بإقرار المبدأ من الناحية النظرية، ولا تهتمُّ بالربط بالفروع العملية، ونحن نريد أن نجمع بين الأمرين، ولذلك نحن نُشجّع في الحقيقة ما قام به المُتأخرون من أمثال تاج الدين السُّبكي، والمُتأخرون من الحنفية أيضًا مثل «كشف الأسرار» وغيره، فهؤلاء جمعوا بين الطريقتين، وحصل تمازج بينهما، فنحن نستفيد من هذا التمازج ونعتمده، وهو ما يعتمده المؤلّفون المعاصرون عادة.

ليس المهمُّ البحث عن الأسهل، ولكن المهمُّ البحث عن الأرجح، وقد يكون الأرجح أسهل، وقد يكون أثقل، ولذلك ليس اعتبار الأسهل قائمًا، ولذلك لم أَمنع القول بقاعدة: العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب. ولكن قلت: إنها ليست دائمة. وذكرت ما ذكره الإمام الشاطبي، وما نقله عن ابن عبّاس، وابن عمر، وذكرت أنّ هذا لا يتّفق مع الواقع أحيانًا، ولا يتّفق مع القرآن، فهي ليست قاعدة مُطرّدة باستمرار.

وكذلك القول بأنّ الأمر القرآني للوجوب، والأمر النبوي للاستحباب ليس اتّباعًا للأسهل، ولكن لأنّه يتّفق مع طبيعة القرآن، وطبيعة السُّنة، فالقرآن يُؤصّل الأصول، ويخاطب العموم، بخلاف السُّنة التي تتعرّض

لتوجيهات يومية وجزئية وتفصيلية، فالأمر في القرآن غير الأمر في السنة من غير شك، وباستقراء الواقع كما قلت لكم حينما استقرأت كتاب «رياض الصالحين» وجدت فعلاً ما يقول فيه بالاستحباب هو أمر نبوي، وما يقول فيه بالكراهة هو نهْي نبوي إلا ما كان فيه قرينة تصرفه عن هذه الدلالة، فليس المقصود هو البحث عن الأسهل لنا.

ولكن أريد أن أقول: نحن بالاستقراء وجدنا الراجح في الشريعة هو الأيسر دائماً، كل ما نُرجّحه نجده هو الأيسر على عباد الله، وهذا هو الذي يتفق ما قرّرتَه الشريعة في القرآن الكريم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. ولقوله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُيسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»^(١). ولتوجيهه ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»^(٢).

ولهذا قال الإمام ابن القيم هذه القولة بإطلاق: الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كُلُّها، ورحمةٌ كُلُّها، ومصالح كُلُّها، وحكمةٌ كُلُّها، فكلُّ مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أُدْخِلَتْ فيها بالتأويل^(٣). ولذلك نحن نرى أن كلَّ ما هو راجح هو مُيسِّر لطبيعة الشريعة نفسها.

(١) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٥.

(٣) إعلام الموقعين (١١/٣).

أقول: أنا لا أرى في القرآن أمراً لغير الوجوب، لكن إذا جاء الأمر بعد الحظر يفيد الإباحة كما هو معلوم، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]. فالصيد كان محرماً بالنسبة للمُحَرَّم، فإذا تحلَّ المُحَرَّم له أن يصطاد، وليس واجباً عليه أن يصطاد، ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فهذا أيضاً للإباحة، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]. هذا أيضاً للإباحة، فالأمر بالحظر لا يدخل في هذه القضية.

* * *

أنا قلتُ من قبل: لا أريد من تلاميذي أن يكونوا نُسخاً مِنِّي. ونحن هنا في هذا الملتقى نقدح آراءً جديدة، فلا بدَّ أن يكون عندنا الاستعداد للتغيير، وإلا لم تكن هناك قيمة لهذا الملتقى كله، لا بدَّ أن يكون كل منا عنده قدرة على أن يُغيّر آراءه، ويمتحن أفكاره، وقد كنّا قبل يومين مجتمعين حوالي عشرين شخصاً في لقاء بشأن الفيلم العالمي الذي يُراد إصداره في قطر، وكان البحث عن الرسول هل يمكن ظهوره في الفيلم بالصوت والصورة أو بالصوت فقط؟ وكذلك أمّهات المؤمنين والصحابة، وهكذا، وأنا كان لي رأيٌ قبل أن ألتقي بهؤلاء الإخوة بعدم جواز ظهور الصحابة العشرة المُبَشَّرين بالجنة إطلاقاً، ولكن في اللقاء مع الإخوة، وبحث الأمر، وإظهار أشياء جديدة فيه جعلني أُغيّر رأيي، فأنا أريد منكم أن تكونوا مُستَعِدِّين لتغيير آراءكم إذا وجدتم وجهة نظر جديدة بالتغيير.

وأنا بحمد الله لستُ مُتَعَصِّباً لا لأبي رأيي، ولا لأبي شخص، لا لابن تيمية ولا لغيره، أنا تتلمذتُ أولاً على الإمام الغزالي، ثمَّ عرفت ابن تيمية، لكنني لم أطلق الإمام الغزالي كما يفعل بعض الناس الذين عرفوا

ابن تيمية، لا، أنا لا زلت أتعلّم من الإمام الغزالي، وآخذ خير ما فيه، وأترك ما لا خير فيه، وأنا هكذا أريد منكم، أن تأخذوا من الآراء بعد أن تنضج، ويكون عندكم استعداد للتغيير، فأنا أقول: إذا جئنا هنا، ثمّ يبقى كل واحد على ما عنده، فلا فائدة من هذا الملتقى، لم نعمل شيئاً، أتعبنا أنفسنا وجئنا من بلاد شتّى وكل واحد على ما هو عليه، فماذا فعلنا؟ لا شيء.

* * *

شرع من قبلنا وشرع من معنا:

الَّذِينَ بَحَثُوا فِي قَضِيَّةِ شَرَعٍ مِنْ قَبْلِنَا قَالُوا: إِنَّ هَذَا الشَّرْعَ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَهُ اعْتِبَارُهُ. رَبَّمَا قِيلَ: مَضَى زَمَنُهُ. وَلَكِنْ كَمَا قَالُوا: إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا يَنْسَخُهُ فَلَا مَانِعَ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ. وَلَمَّاذَا إِذْنُ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَفِي السُّنَّةِ؟ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّةَ مُوسَى مَعَ الْمَرَاتِينِ: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]. يُمْكِنُ أَنْ نَأْخُذَ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَرَى الْمَرْأَةَ الْأَجْنَبِيَّةَ فِي غَيْرِ خُلُوةٍ، وَأَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْهَا وَتَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ. وَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْمَرْأَةَ بِقَوْلِهَا: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَعْجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦]: إِنَّهَا وَضَعَتِ الشَّرُوطَ الْإِذْنَ لِلْعَمَلِ الْإِدَارِيِّ، وَهِيَ الْقُوَّةُ وَالْأَمَانَةُ؛ فَفِي هَذَا أَصْلٌ قُرْآنِي.

أَمَّا مَقُولَةُ شَرَعٍ مِنْ مَعْنَا فَيُمْكِنُ أَنْ نَصِلَ إِلَى مَقْصُودِهَا بِغَيْرِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ، وَهُوَ أَنَّ مَنْ حَقَّنَا أَنْ نَقْتَبِسَ الْحِكْمَةَ مِنْ أَيٍّْ وَعَاءٍ خَرَجَتْ، فَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، وَسَيِّدُنَا عَمْرٌ أَخَذَ قَضِيَّةَ الْخَرَاكِ مِنَ الْفُرسِ، وَقَضِيَّةَ الدَّوَاوِينِ مِنَ الرُّومِ، وَهَكَذَا، فَلَا مَانِعَ مِنْ هَذَا، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ الْضَرُورِيِّ أَنْ نَقُولَ: شَرَعٌ مِنْ مَعْنَا.



الوسطية والاجتهاد^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّمِ الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرُّشد، ومُخرجِ الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبیبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون؛ اهْدِنَا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم يا مُعَلِّمَ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا، نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ.

(١) أُلْقِيَتْ فِي الْمُلْتَقَى الْأَوَّلِ لِتَلَامِيذِ الْقُرْظَاوِيِّ، الْمُنْعَقِدِ فِي الدَّوْحَةِ تَحْتَ عُنْوَانٍ: نَحْوُ مِنْهَجِيَّةٍ رَاشِدَةٍ فِي التَّأْصِيلِ وَالتَّنْزِيلِ، ٢ - ١١ فَبْرَايِرَ ٢٠١٠ م.

هذه مُقدّمتي لبرنامج «هدي الإسلام» من قديم؛ ما يقرب من أربعين سنة في تليفزيون قطر، وفيها: يا مُعلّم آدم وإبراهيم علّمنا. لأنّ بعض العلماء قالوا: إذا استشكل عليك شيءٌ فقل يا مُعلّم إبراهيم علّمني^(١). فأنا أضفتُ إليها آدم أيضًا لأنّ الله علّم آدم قبل إبراهيم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وقلنا: اللهم يا مُعلّم آدم وإبراهيم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علّمًا. وأضفنا إليها ما روته عائشة رضي الله عنها: أنّ النبي ﷺ كان إذا قام من الليل دعا بهذا الدعاء: «اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون؛ اهْدِنِي لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك؛ إنّك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم»^(٢).

وقد بدأتُ بعض كتبي في الفتاوى بهذا الدعاء، وجرت عادتي أن أذكر آية أو أكثر من الدستور الإلهي القرآن الكريم، وحديثًا أو أكثر من مشكاة النبوة، وكان هذا الحديث من مشكاة النبوة: «اهْدِنِي لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك؛ إنّك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم».

أحبُّ أن أوكد ما قاله الأخ الكريم الدكتور خالد السعد، أنّ علاقتي بهذه المجموعة أكثر من علاقة الشيخ بمريديه، أو الأستاذ بتلاميذه، إنّها علاقة الأب بأبنائه من الناحية العاطفيّة، والأستاذ بتلاميذه من الناحية العلميّة، والشيخ بمريديه من الناحية الروحيّة، وكان بعض الشباب من ذوي النزعة الصوفيّة الربّانيّة يقول: الحمد لله أنّ في تلاميذك صوفيّة وسلفيّة وحنفيّة ومالكيّة ومقاصديّة وأثريّة. فأنا يسرّني هذا التنوّع كما

(١) إعلام الموقعين (١٩٨/٤).

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧٠)، وأحمد (٢٥٢٢٥)، عن عائشة.

ظهر في مناقشات هذا الملتقى، وهي تدلُّ على أنَّ هؤلاء التلاميذ ليسوا مجرد تلاميذ، إنّما هم علماء حقيقةً، كما كان تلاميذ أبي حنيفة، فأبو يوسف ومحمد وزفر لم يكونوا مجرد تلاميذ، كانوا أئمةً، ولذلك جرت عادة الحنفيّة أن يُسمُّوا أبا حنيفة «الإمام الأعظم»، لا يقصدون هذا بالنسبة لمالكٍ والشافعي، ولكن هو الإمام الأعظم بالنسبة لأئمة المذهب، وربّما كان بعضهم أعلم من أبي حنيفة، أنا أظنُّ أن محمد بن الحسن أعلم من شيخه، وهو الذي دوّن المذهب، وذكر فيه هذه المسائل المختلفة، ويعتبرونه مؤسس القانون الدولي بكتابه «السّير» والكتابات المختلفة، فأنا يسعدني هؤلاء التلاميذ النوابغ، أسأل الله تعالى أن ينفع بهم.

ليس من الضروري أن أجيب عن كل سؤال، فقد أعجز عن بعض الأسئلة ولا أجد لها جواباً، وهذا لا يضيرني، فليس مطلوباً من العالم أن يجيب عن كل سؤال، فليس هناك من يعرف العلم كلّهُ، كل عالم يعرف بعض العلم ولا يعرف البعض، كما قال الشاعر:

فقل لمن يدّعي في العلم فلسفةً حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء^(١)
ولهذا نجيب عمّا نستطيع.

في البداية أنصح الإخوة أن يعتمدوا على ما كتبتُ، لا على ما أقول؛ لأنّي مهما قلت لن أستطيع أن أحرّر الكلام كما كتبتُ، الكلام المقول لا يمكن للإنسان أن يقوله منضبطاً بشروطه، وقيوده، وعباراته بشكل تامّ، ولذلك أرجو الاعتماد على كلامي المكتوب.

(١) ديوان أبي نواس برواية الصولي ص ٤٥، تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط ١، ٢٠١٠م.

وأنبه الإخوة إلى بعض الكتب التي رُبما يظنون أنها لا علاقة لها بأصول الفقه، مثل كتبي في شرحي الأصول العشرين للإمام حسن البنّا التي نشرتها في سلسلة تحت هذا العنوان الجامع «نحو وحدة فكريّة للعاملين للإسلام»؛ لأنّ الإمام حسن البنّا أراد أن يوحد أبناءه فكريًا فيما سمّاه «ركن الفهم»، وهو أوّل ركن في الأركان العشرة التي ذكرها، وأراد أن يفهم الإسلام في حدود هذه الأصول العشرين، وبعض هذه الأصول تتعلق بأصول الفقه، حتّى إنّ أستاذنا البهيّ الخولي اعترض على بعض الإخوان حينما بدأ يشرح هذه الأصول، وقال: إنّ هذه الأصول نتيجة مركّزة لقراءات طويلة لحسن البنّا في أصول الفقه، وفي كتب العقائد، فلا ينبغي أن تُتناول تناوّلًا وعظيًّا. وهذا كلامٌ صحيح.

وفي هذه الأصول كتابي «المرجعيّة العليا في الإسلام للقرآن والسنة»، وذكرت فيه أشياء مهمّة جدًّا، وفيها أيضًا «الموقف من الرّوى والإلهام والكهانة» ومن كذا، وفيها «السياسة الشرعيّة بين نصوص الشريعة ومقاصدها»، وفيها الموقف من التّمدّج والاختلاف.

وللإمام حسن البنّا في هذه الأصول كلام لم أجده لمثله يُمثّل المنهج الوسطي حقًّا، مثل كلامه في التّمدّج، يقول: «ولكلّ مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلّة الأحكام الفرعيّة أن يتّبع إمامًا من أئمّة الدين، ويحسن به - مع هذا الاتّباع - أن يجتهد ما استطاع في تعرّف أدلّته، وأن يتقبّل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صحّ عنده صلاح مَنْ أرشده وكفائيته، وأن يستكمل نقصه العلمي - إن كان من أهل العلم - حتّى يبلغ درجة النظر»^(١). فهذه قضية أصولية مهمّة.

(١) رسالة التعاليم ضمن مجموعة الرسائل ص ٣٥٧.

نحن نعرف أنَّ هناك مَنْ يوجب التقليد كما حفظنا في ثانوي الأزهر
في شرح «الجوهرة» من كتب العقيدة:

وَمَالِكُ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ كَذَا أَبُو الْقَاسِمِ ^(١) هَذَا الْأَمَّةُ
فَوَاجِبُ تَقْلِيدُ حَبْرٍ مِنْهُمْ كَذَا حكا الْقَوْمُ بِلَفْظٍ يُفْهَمُ ^(٢)

كان مالكيًا ولذلك خصَّ مالكا بالذكر، وذكر أبا القاسم الجنيد يقصد
أنَّ على كل واحد أن يكون له مذهب في الفقه وطريقة في السلوك، كما
يحفظ إخواننا في المغرب من أبيات عبد الواحد ابن عاشر قوله:

فِي عَقْدِ الْأَشْعَرِيِّ وَفِيهِ مَالِكٍ وَفِي طَرِيقَةِ الْجُنَيْدِ السَّالِكِ ^(٣)

فحتى العالم يجب أن يُقلَّد، وإن كان عالمًا وتبحَّر ما تبحَّر عليه أن يُقلَّد.
وفي مقابل هذا الذين يُحرِّمون التقليد تحريمًا مطلقًا، مثل ابن حزم
والشوكانى وغيرهم.

ومذهب الإمام حسن البنا هو المذهب الذي اختاره حقيقة، وهو أنَّ
التقليد ليس مُحَرَّمًا على كلِّ الناس، فليس كلُّ النَّاسِ قادرين على
الاجتهاد كليًا أو جزئيًا، وعندما ننظر نجد أنَّ أربعة أخماس المسلمين
من غير العرب، فكيف توجب على الإنسان العادي غير العربي الذي
ليس من أهل العلم أن يعرف الدليل في كل مسألة، هذا تكليف له بما
لا يُطيق، كما أنَّ الاجتهاد ليس مُحَرَّمًا على كلِّ الناس، كلا الأمرين
طرف مرفوض، والوسط المقبول ما قاله حسن البنا: «المسلم الذي لم

(١) ساكنة للوزن.

(٢) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني وعلى هامشه التحرير الحميد ص ٤٠٢.

(٣) متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من أمور الدين ص ٢، نشر مكتبة القاهرة.

يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام». وهذا تعبير جيّد، فلم يقل: درجة الاجتهاد. فليس من الضروري أن يصل إلى درجة الاجتهاد، لكن إذا كان يستطيع النظر في الأدلة، وأن يقول: هذا الرأي راجح، وهذا الرأي مرجوح، مثل هذا ليس عليه أن يُقلّد، وله أن يتبع إمامًا من أئمة الدين، قال: له. أي يجوز له، أو له الحق في ذلك، وعبر بكلمة الاتباع وليس بكلمة التقليد، لأنّ الاتباع محمود، والتقليد مذموم عادة، كما قال ابن الجوزي: أعلم أنّ المُقلّد على غير ثقة فيما قلّد فيه، وفي التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنّه إنّما خلق للتأمّل والتدبّر. وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يُطفئها ويمشي في الظلمة^(١). فنحن نريد ممّن بلغ درجة النظر في أدلة الأحكام أن ينظر في الأدلة، ويختار الرأي الذي يراه أصحّ أو أرجح أو أقوى ما دام من أهل العلم، فمن لم يبلغ هذه الدرجة له أن يتبع إمامًا من أئمة الدين، كما قال القرآن في قصّة إبراهيم: ﴿يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]. ومعناه أن من ليس عنده علم عليه أن يتبع من كان عنده علم أقوى منه، وكما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَقَوْمِ أَتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]. فالاتباع محمود، ولذلك قال: «يتبع إمامًا من أئمة الدين»، وليس من الضروري أن يكون من أئمة المذاهب الأربعة، يمكن أن يتبع إمامًا غيرهم، فلم يلزمنا الله ولا رسوله بالمذاهب الأربعة.

و«عليه أن يتعرّف على أدلة إمامه ما استطاع»، خصوصًا في مواضع الشبهات، ومواضع الخلاف، مثل واحد يتبع المذهب الحنفي، وجاءه آخر يقول: لم لا ترفع يديك عند التكبير وهناك أكثر من عشرين صحابي

(١) تلبس إبليس ص ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

رووا ما يفيد هذا؟ فإذا كان هذا الخبر صحيحًا، وصحَّ عنده صلاح من أخبره، وكفايته بأنَّه من أهل العلم، فتقواه وعلمه ثابتان، هنا ينبغي أنْ «يتقبَّل الإرشاد المصحوب بالدليل، وعليه أنْ يستكمل نقصه العلمي حتَّى يبلغ درجة النظر».

يمكن للمُقلِّد أنْ ينتقل من مذهبه إلى مذهبٍ آخر في بعض المسائل، ونحن نعرف أنَّ المسلمين في الهند وباكستان وبنغلاديش وتركيا أحناف، وقرابة نصف الأُمَّة الإسلاميَّة أحنافٌ حقيقة، ولذلك لو ضلَّلنا الحنفيَّة كما يذهب إلى ذلك إمام الحرمين رَحِمَهُ اللهُ^(١) لضلَّلنا نصف الأُمَّة الإسلاميَّة، ولذلك أنا مع شيخ الإسلام ابن تيمية في أنَّ كلَّ الأئمَّة الذين قبلتهم الأُمَّة مقبولون، ولا يوجد منهم أحد تعمَّد أن يخالف رسول الله ﷺ، ولذلك أَلَّف ابن تيمية كتابه الشهير والقيم والمُرَكِّز «رفع الملام عن الأئمَّة الأعلام»، فكل أئمة المذاهب مُعْتَبَرُونَ ومُحْتَرَمُونَ، ولا يوجد منهم أحد تعمَّد مخالفة رسول الله، إنَّما هو اجتهاد ربَّما لم يصل إلى أحدهم الحديث، وربَّما وصل ولم يصحَّ، وربَّما وجد هناك معارضًا له، إلى آخره، والمُتَّبِع كأنَّه نوع من الوسط بين المجتهد والمُقلِّد، وبلوغ درجة النظر الذي ذكره الإمام حسن البنا هو بداية الاجتهاد، فإذا استطاع أنْ ينظر في الأدلَّة فهذا يوصله إلى الاجتهاد، لكن ليس هو الاجتهاد، فالنظر هو طريق الاجتهاد.

هذه في الحقيقة قواعد ذكرتها لإيضاح أنَّ هذه الكتب التي شرحتُ فيها الأصول العشرين تتضمَّن أشياء كثيرة في أصول الفقه، حتَّى إنَّ

(١) طبع الكتاب في مصر سنة ١٣٥٢هـ، وفي باكستان سنة ١٤٠٠هـ، وردَّ عليه الشيخ محمد زاهد الكوثري بكتاب سمَّاه: إحقاق الحق وإبطال الباطل في مغيث الخلق.

بعض علماء السعودية قال لي: ليتك تُجَرِّدها عن الأصول العشرين؛ لأنَّ الناس ينظرون إليها على أنَّها ليست كُتُبًا علميَّة، وإنَّما كُتُب حركيَّة. وهذا ظلمٌ لها، ولكن في الحقيقة لم ينشر صدرى لهذا التجريد، ولكن بالنسبة لتلاميذنا نُنَبِّههم على أنَّ هذه العناوين ينبغي ألاَّ تخذعنا عمَّا في هذه الشروح من علم الأصول أو علم العقائد، فلي فيها أيضًا اجتهادات مثل قضيَّة الصفات، خالفت فيها ابن تيمية، وخالفت فيها الأشعرية^(١)، أرجو أن تُقرأ هذه القضايا بعناية.

أمَّا قضيَّة الاجتهاد والفتوى، فقد أصدرت فيها عدَّة كتب، فكما قلت لكم من قبل: أصدرت أكثر من كتاب في الفتوى، هناك من قديم كتاب «الفتوى بين الانضباط والتسيُّب»، وهناك الكتاب الذي ظهر منذ سنوات ونشره «مركز الوسطية» في الكويت، ثم نشرته «دار الشروق» بمصر، وهو كتاب «موجبات تغيُّر الفتوى في عصرنا»، وقد رأى أخونا خالد السعد أن بعض الموجبات التي أفردناها بالبيان، يمكن أن تندرج في تغيُّر الإنسان، فليس للمكان والزمان والحال اعتبار إلا إذا تغيَّر الإنسان، فيمكن أن نقول: تغيُّر الفتوى بتغيُّر الإنسان. لكن التفصيل في هذا أفضل من الإجمال، فإذا قلت مثلاً: تغيُّر المعلومات من موجبات تغيُّر الفتوى. وتذكر أمثلة لتغير المعلومات، وتغير الحكم تبعاً لذلك، تتغيَّر المعلومات الشرعيَّة كما تغيَّرت معلومات الإمام أبي يوسف حينما سمع ما سمع من الإمام مالك، وقال: لو رأى صاحبي ما رأيت - يقصد أبا حنيفة - لقال بمثل ما قلت^(٢). ومثل الإمام الشافعي لمَّا جاء إلى مصر سمع ما لم يكن

(١) راجع كتابنا: فصول في العقيدة بين السلف والخلف ص ١١٨ - ١٣٢، فصل: موقفنا من قضية الصفات، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٤٧).

قد سمع، ورأى ما لم يكن قد رأى فغيّر اجتهاده، ويمكن أن تتغير المعلومات ليس فقط بالأدلة، بل تتغير أيضاً بالوقائع المُجْتَهَد فيها، مثل قضية الحمل، نحن نعلم أنّ المذاهب اختلفت في تحديد أقصى مدة الحمل، أقل مدة في المذاهب المتبوعة سنتان تقريباً، ورووا عن السيدة عائشة: لا يطول الحمل في بطن الأم أكثر من سنتين، ولو بفركة مغزل. ولمّا سمع الإمام هذا الكلام قال: مَنْ يقول هذا؟ وهذه جارتنا امرأة محمد بن عجلان، وهي امرأة صدق، وزوجها رجل صدق، حملت ثلاثة أبطن، كل حمل في ثلاث سنوات^(١).

هذه الأشياء بنوا عليها أحكاماً بناء على وقائع رأوها وصدقوا أهلها. ونحن لا نكذب مُحَمَّد بن عجلان ولا امرأته، وهما أهل صدق، ولكن العلم في عصرنا بيّن أنّ هناك شيئاً اسمه «الحمل الكاذب»، أنّ المرأة قد تحمل حملاً كاذباً، وتُحسّ بكل أعراض الحمل، بالوحم والغثيان والقيء وانتفاخ بطنها وتحركها، إلى آخره، وتظل هذه الأعراض مدة طويلة، ثمّ يشاء الله تعالى أن تحمل المرأة حملاً صادقاً فتعتبر أنّها كانت حاملاً كل هذه المدة، والناس يرونها منتفخة البطن وتتوحم وتتقيأ فيقولون: إنّها حامل. والحقيقة أنّ المرأة ليست كذّابة ولا زوجها كذّاباً ولا من حولها كذّابين، ولكنّه الحمل الكاذب الذي لم يكونوا يعرفون عنه شيئاً، فإذا عرفنا نحن هذا الأمر فلا يسعنا أن نبني الحكم الشرعي على أقوال العجائز وأمّثالهنّ؛ لأنهنّ واهمات، فأنت لا تستطيع أن تُبيّن تغير المعلومات إذا أدمجته في تغير الإنسان إلا إذا فصلت في هذه الاعتبارات: تغير المعلومات، وتغير الإمكانات، وتغير الحاجات، وتغير

(١) رواه الدارقطني النكاح (٣٨٧٧)، والبيهقي العدد (٤٤٣/٧).

الأحوال، فهذه أشياء يترتب عليها في الحقيقة أمور كثيرة، هذا عن كتابي «موجبات تغير الفتوى».

والكتاب الثالث في الفتوى هو كتاب «الفتاوى الشاذة: معاييرها وتطبيقاتها وأسبابها وكيف نعالجها ونتوقاها» الذي وُزِعَ عليكم هنا، وقد كان بحثًا مطلوبًا مِنِّي في رابطة العالم الإسلامي في مؤتمر الفتوى العالمي، وذكرت هذه الفتاوى الشاذة ومعاييرها، وأُطِلْتُ في هذا، ليس من السهل أن أُلْخِصَ هنا ما ذكرته في الكتاب، وذكرت كيف نتجنب هذه الفتاوى الشاذة؟ وكيف نتوقاها أيضًا؟ وما اقترحت له لتوقّي هذه الفتاوى: أن من المهم جدًا أن يوجد معهد عالٍ، أو تخصص عالٍ للفتوى.

قبل أن ينظم الأزهر الكليات الأزهرية أو التعليم العالي في الأزهر في عصرنا الحديث كان العالم يتعلّم كل شيء: النحو والصرف والبلاغة والفقه والحديث والتوحيد والمنطق، إلى آخره، فقالوا: لا، سنجعلها ثلاث كليات: كلية أصول الدين، وكلية الشريعة، وكلية اللغة العربية. وعملوا مع هذه الكليات تخصصين: تخصص مادة، وتخصص مهنة. تخصص المادة أن يتخصص الطالب في علم من العلوم، ويأخذ منه شهادة تسمى «العالمية» من درجة أستاذ، ففي كلية أصول الدين تخصص التفسير والحديث، وتخصص العقيدة والفلسفة، وتخصص التاريخ، ثم لما نظّموا من جديد جعلوا التاريخ تابعًا لكلية اللغة العربية، وبقي في أصول الدين علوم القرآن والسنة، والعقيدة والفلسفة.

وأحكي لكم قصة: حينما أردت أن ألتحق بالدراسات العليا كنت مترددًا: أي الشعبتين أدخل: العقيدة والفلسفة أم القرآن والسنة؟ وأنا في كلتا الشعبتين حائز على أزيد من المطلوب من الدرجات، كانوا

يشترطون أن يحوز الطالب على (٨٠٪) على الأقل، وكنت حائزاً على أكثر من (٩٠٪)، وكنت في الفلسفة والمنطق أعلى من التفسير والحديث، ومع هذا كنت في حيرة شديدة، ولم يُخرجني من هذه الحيرة إلا أستاذنا الدكتور محمد يوسف موسى رحمته الله، ذهبت إليه وقلت له: أنا والله في حيرة أرجو أن تخرجني منها. قال: ماذا يا قرضاوي؟ قلت له: أنا بإمكانني في الدراسات العليا أن أدخل أيّاً من الشُعْبَتَيْن، ولكنني حائر بينهما. قال: أنا ظلتُ عمري في كلية أصول الدين أدرس الفلسفة وعلم الكلام، ثم في السنوات الأخيرة أصبحت أستاذاً للشريعة الإسلامية في كليات الحقوق، ووجدت فيها نفسي. وقال: كلُّ هذه العلوم وسائل لفهم القرآن والسُّنة، وأنت درستَ الفلسفة أربع سنوات في كلية أصول الدين وأصبح عندك مفاتيح تكفيك أن تتابع الفكر الفلسفي العالمي بعد ذلك وحدك، أمّا القرآن والسُّنة والشريعة، فهي الأساس فعليك بشعبة القرآن والسُّنة مباشرة. ودخلت هذه الشعبة والحمد لله.

المهم - أيُّها الإخوة - هو أنني أصدرتُ هذه الكتب حول الفتوى، وأصدرتُ كتابي «الاجتهاد في الشريعة الإسلامية»، واستخرجت منه الجزء الخاص بالاجتهاد المعاصر فقد تكلمت في جزء عن الاجتهاد، وحكمه، ومجاله، وشروطه، وما يتعلق بالاجتهاد والمجتهد، وتكلمت في جزء عن تطبيقات الاجتهاد المعاصر، وكيف تجاوز المتجاوزون، وادّعى المدّعون، وهم ليسوا له أهلاً، وجعلت هناك عشرة عناصر للاجتهاد المعاصر القويم، وضربت أمثلة كثيرة للاجتهادات الباطلة التي تناقض القرآن الكريم، أو تناقض السنن الصحيحة، أو تناقض الإجماع، أو تناقض القياس البين، أو تدّعي المصلحة وليس هناك مصلحة، ذكرت هذا كله في كتابي «الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط»، فأنا

أدعوكم إلى قراءة هذه الكتب فلا يغني عنها أن أعطيكم ملخصًا بسيطًا، ولو أردت فليس هناك وقت لأدنى تلخيص.

بالنسبة لشروط المجتهد فقد ذكرتها سريعًا في بعض الجلسات، وهي معرفة اللغة العربيّة، ومعرفة القرآن، ومعرفة السنّة، ومعرفة مواضع الإجماع والخلاف، حتّى قالوا: مَنْ لم يعرف مواضع الإجماع والخلاف لم تَشَمَّ أنْفُه رائحة الفقه^(١). فلا بدّ أن يعرف هذا، ويعرف أيضًا القياس والعلل، وبعضهم جعل معرفة القواعد والمقاصد شرطًا، وأنا أوّيد هذا الشرط، والإمام الشاطبي جعل هذا سببًا في الاجتهاد وليس مجرد شرط، وهذا معناه أنّه إذا وُجِدَت معرفة المقاصد وُجِدَ الاجتهاد.

وأنا أضفت إلى هذه الشروط: أنّه لا بدّ أن يُلَمَّ بثقافة العصر، فلا يمكن لإنسان أن يجتهد في عصرنا وهو يجهل العلوم الكونيّة، والعلوم الإنسانيّة، ونحوها؛ لأنّ هذا يعني أنّه لا يعرف الواقع، ومدارس الفكر، وتيارات الحياة المختلفة، فمن لم يعرف هذا لا يمكن أن يكون اجتهاده اجتهادًا صحيحًا، فالاجتهاد الصحيح هو علاقة ثلاثيّة بين الدليل والمجتهد والواقع، وكما قال ابن القيم: لا بدّ أن يزاوج الفقيه بين الواجب والواقع^(٢). فلا يعيش فيما هو واجب فقط، وينسى ما هو واقع، لا بدّ أن يزاوج بين الأمرين.

وبالنسبة لحجم المسائل التي يُحتاج إليها في القياس فأنا مع الرأي الذي يقول: إنّ لا توجد مسائل كثيرة، وأضيف: إنّ القياس ليس على المسائل، وإنّما القياس على الدليل، فكما قال الإمام الغزالي: إمّا أن

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٥٢٣)، عن هشام بن عبيد الله الرازي.

(٢) إعلام الموقعين (١٦٩/٤).

تقيس على نصٍّ أو إجماع^(١). فإذا لم يكن هناك نصٌّ أو إجماع لا يصح القياس، كما قاس بعضهم انعدام الربا بين الشعب والحكومة على انعدام الربا بين الوالد وولده، وقول: لا ربا بين الوالد وولده. ليس حديثاً، إنّما هو رأي بعض المذاهب فلا يصلح أن يكون أصلاً يقاس عليه، فالمسائل لا يقاس عليها.

ويمكن أن يوجد القياس في عصرنا، وأنا في بحثي عن الزكاة - وهم يعتبرونها عبادة، والعبادات لا يقاس عليها - قرّرت - أيّها الإخوة - أنّها ليست مجرد عبادة، هي من وجهٍ ما عبادة، ولذلك النية ركن فيها، وهي من وجه آخر حقٌّ معلوم، جزء من نظام الدولة الاقتصادي والاجتماعي، ولذلك نرى علماء الماليّة مثل أبي يوسف في «الخراج»، وأبي عبيد القاسم بن سلام وابن زنجويه في «الأموال»، هؤلاء كلّهم ذكروا الزكاة في النظام المالي، كما نجد علماء السياسة مثل الماوردي في «الأحكام السلطانيّة»، وأبو يعلى أيضاً في «الأحكام السلطانيّة»، وابن تيمية في «السياسة الشرعيّة» يذكرون الزكاة على أنّها إحدى الولايات المطلوبة بالنسبة للحاكم الراعي والمسؤول، فهذه الزكاة يدخل فيها القياس، وذكرت أنا القياس في عدد من الأشياء فيها، والأئمّة من قبل أدخلوا القياس في زكاة الفطر، وقاسوا على الأطعمة الأربعة المذكورة، قالوا: قد يكون قوتُ البلد الأرز فيخرج منه زكاة الفطر، وهكذا.

نحن نحتاج إلى القياس في عصرنا أحياناً، فالقياس إذا اتّضحت علّته، ولا يوجد فرق بين الأصل والفرع أو بين المقيس والمقيس عليه، فلا يسعنا إلا أن نقول به، أن نلحق النظير بنظيره، كما قال سيّدنا عمر:

(١) المستصفى ص ١٧٤.



وقسِ الأشباه والنظائر^(١). والعلماء الذين كتبوا في القواعد مثل السيوطي الشافعي، وابن نجيم الحنفي سمّوا هذه القواعد «الأشباه والنظائر» على أساس أن الشبه والنظير يُعطى حُكمَ نظيره إذا لم يكن بينهما فَرْقٌ معتبر، فإذا كان هناك فرقاً يقولون: هذا قياسٌ مع الفارق. فالقياس يظلُّ أمراً يُعمل به عند توفُّر شروطه: تحقُّق العِلَّة، وانعدام الفارق المعتبر.

وبالنسبة للتلفيق والانتقاء أيُّها الإخوة: أنا لا أقول بالتلفيق، وإنَّما أقول بالترجيح، فالتلفيق كالتقليد، وهو أن تأخذ رأي الآخر بغير حُجَّة، بغير دليل، بغير أن تقول: هذا الرأي قويٌّ، وهذا ضعيف. فالمُلَفَّق يأخذ من أقوال الآخرين ويكوِّن بها صورة قد لا يقول بها أحد ممَّن قلدَهم. أمَّا أنا فأقول بالترجيح، وخصوصاً إذا قلنا بتجزؤ الاجتهاد، وهذا يفتح باباً لكثيرين يستطيعون أن يجتهدوا من خلاله.

وإن كان هناك بعض العلماء يقول: إنَّ الاجتهاد لا يتجزأ، وإنَّ من امتلك القدرة على الاجتهاد في قضية لا بدَّ أن يكون قادراً على الاجتهاد في القضايا الأخرى.

ولكن بالنظر إلى الواقع فعلاً نرى أن بعض النَّاس مُتَخَصِّصٌ في فقه المعاملات مثلاً، ويستطيع أن يجتهد في هذه الناحية، لكنَّه بالنسبة للنواحي الأخرى مثل الفقه السياسي والدستوري حتَّى فقه الأحوال الشخصية لا يُحسِنُها، والعكس موجود، فإذا قلنا بتجزؤ الاجتهاد نفتح الباب للاجتهاد التَّرجيحي - أو الانتقائي كما نُسَمِّيهِ - والاجتهاد الإنشائي الإبداعي، فنحن محتاجون إلى هذين النوعين، فنحن عندنا من تراثنا تركة هائلة من مختلف المذاهب، ومن خارج المذاهب من فقه الصحابة

(١) انظر: إعلام الموقعين (٦٨/١).

والتابعين، نستطيع أن نختار من هذه التركة ما نراه راجحاً بالاعتبارات الشرعيّة، وهذا ما نُسَمِّيه الاجتهاد الانتقائي أو الترجيحي، وعندنا الاجتهاد الإنشائي أو الإبداعي في المسائل التي لم يعرفها السابقون فيما يتعلّق بالطبّ وزراعة الأعضاء وغيرها، وما يتعلّق بالاقتصاد والبنوك والشركات، لم تعد الشركات القديمة: شركة الوجوه والعنان ونحوها، أصبحت هناك شركات المساهمة والتوصية وكذا، وأصبحت هناك تغييرات كثيرة في حياتنا المعاصرة، وإذا كان الفرق الزمني قليلاً بين الإمام أبي حنيفة وآخر أصحابه، ومع هذا اختلفوا وقال الحنفية: هذا اختلاف عصرٍ وزمان، وليس اختلاف حُجّة وبرهان^(١). هذا عن عشرات السنين، فما بالك ونحن بين عصرنا وبين الأقدمين قرن وقرون؟! وعصرنا تغيّرت فيه الحياة تغيّراً هائلاً، فجاء عصر البخار والكهرباء، وجاء عصر الثورات العلميّة التي تخطاها عصرنا في الثورة الإلكترونيّة، والثورة التكنولوجيّة، والثورة البيولوجيّة، وثورة الفضاء، وثورة المعلومات، وثورة الاتصالات، هذه الثورات غيّرت وجه العالم، فلا يمكن أن يكون كلُّ اجتهادٍ قديمٍ صالحاً لكلِّ زمان، فتغيّر العصر يفتح أمامنا الاجتهاد الإنشائي في الأمور الجديدة.

فنحن - إذن - لا نقول بالتلفيق، بأن نأخذ من هذا المذهب وذاك دون نظر، لا، فإذا أدخلت النظر في الاجتهاد خرج عن التلفيق المذموم، لأنّ التلفيق أن تأخذ القول دون حُجّة، تجمع صورة من المذاهب والآراء دون النظر إلى الأدلّة، لكن إذا نظرت إلى الأدلّة خرجت من التلفيق، وهذا ما أقول به: أن ننظر في الأدلّة ونُرجّح.

(١) فتح القدير لابن الهمام (٤٢٢/٥)، نشر دار الفكر.

رابطة تلاميذ القرضاوي^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّمِ الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرُّشد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبَعُوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عَمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجَاهَدَ جِهَادَهُ إلى يوم الدين.

يقول الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُثْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. وإِنِّي أعتبر من ذُرِّيَّتِي أبنائي العِلْمِيِّين، فذُرِّيَّةُ الْعَالِمِ ليست من يخرج من صُلْبِهِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا ذُرِّيَّتُهُ من يتعلَّم على يديه كذلك، فَاللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي وَأبنائي وورثة منهجي وبارك فيهم، وأَيِّدْهم بِرُوحٍ من عندك؛ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

(١) أَلْقِيتُ فِي خَتَامِ الْمُلْتَقَى الْأَوَّلِ لِتَلَامِيذِ الْقُرْظَاوِيِّ، الْمُنْعَقِدِ فِي الدَّوْحَةِ تَحْتَ عُنْوَانٍ: نَحْوُ مِنْهَجِيَّةٍ رَاشِدَةٍ فِي التَّأْصِيلِ وَالتَّنْزِيلِ، ٢ - ١١ فَبْرَايِرَ ٢٠١٠ م.

أيُّها الإخوة الأحبة، لقد منَّ الله علينا خلال أسبوع كامل بهذا اللقاء المبارك المُكثَّف الذي سعدت فيه بلقاء إخوتي وأبنائي، فهم أبناء وهم إخوة أيضًا، جمعتنا أخوة العلم، وأخوة الإيمان، وأخوة الدعوة، فالحمد لله تعالى على ما يسّر لنا من هذا اللقاء.

والذي زادني سعادة هو شعوري بروح المحبة والتآخي والتآلف والتقارب بين هذه المجموعة المباركة التي جاءت من بلاد الدنيا المختلفة، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى، فهناك نعمتان لا تعادلها نعم أخرى: نعمة الإيمان بالله وَعَجَّلَ، كما قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]. فنعمة الهداية للإيمان والإسلام هي النعمة الكبرى.

وتتفرع منها نعمة أخرى هي نعمة الأخوة والمحبة في الله، كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. انظروا كيف كرّر نعمة الأخوة وأكدها، وهي التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. فهذه الألفة التي أحسستها - بل تذوّقتها - بين هذه المجموعة من أعظم نعم الله تبارك وتعالى.

رابطة تلاميذ القرضاوي:

وقد أثمرت هذه الأخوة، وهذه اللقاءات العليمة الإيمانية الربانية المباركة إنشاء هذه الرابطة الجديدة (رابطة تلاميذ القرضاوي).



رابطه إسلامية:

وهذه الرابطة هي رابطة إسلامية قبل كل شيء، إنها لا ترتبط بشخص القرضاوي، فالإسلام لا يُقدّس الأشخاص، حينما مات رسول الله ﷺ، وكاد موته أن يفت في عضد الصحابة رضوان الله عليهم تذكروا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فحتى محمد ﷺ، الالتفات ليس حول شخصه، إنما حول رسالته باعتباره مُمثلاً للسماء في الأرض، ولذلك فرابطة تلاميذ القرضاوي ليست رابطة حول شخص، لا، إنما هي حول منهج، هذا المنهج هو منهج الإسلام، ثم ما نؤكد وندعو إليه من ملامح هذا المنهج، وهو المنهج الوسطي، المنهج التجديدي، المنهج الشمولي، هذا كله فرع عن الإسلام، ولذلك نقول: هذه الرابطة رابطة إسلامية، الاعتزاز فيها بالإسلام قبل كل شيء، نعتز فيها بنسبتنا إلى الله، أننا لله وَجَلُّ كما قال الشاعر الصالح يناجي ربه:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدتُ بأخمصِي أطأُ الثرى
دُخولي تحتَ قولِكَ: يا عبادي وأن أُرسلتُ أحمدُ لي نبياً^(١)

فهذا هو الذي ينبغي أن نعتز به أيها الإخوة: أن هذه الرابطة رابطة إسلامية، ليست رابطة قُطريّة ولا عربيّة ولا آسيويّة ولا إفريقيّة، هي رابطة تنتسب إلى الإسلام قبل كل شيء.

(١) البيتان للقاضي عياض اليعصبي، كما في حاشية القليوبي على شرح المحلي على المنهاج

(٧/١) مطبوع مع حاشية عميرة، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

رابطه علمية:

ثم هي رابطة علمية، تقوم على أساس العلم، لم نجتمع حول استثمار اقتصادي، ولا حول ترابط اجتماعي، إنما نجتمع حول العلم، و«العلماء ورثة الأنبياء»^(١)، فهذه الرابطة تقوم على أساس العلم الموروث من رسول الله ﷺ الذي أورثه الله كل تركات الأنبياء، تجمعت موارد الأنبياء خلال القرون في ميراث مُحَمَّد ﷺ، وناط الله حفظ هذا الميراث بأهل العلم كما جاء في الحديث: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»^(٢). هؤلاء هم ورثة الأنبياء، «والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم»^(٣)، علم النبوة، علم الهداية الإلهية التي جاء بها القرآن خاتم كتب الله، وجاء بها محمد خاتم أنبياء الله ورسله، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فهذه رابطة علمية، ولذلك ينبغي أن يكون همنا في هذه الرابطة نشر العلم، وتقوية اتصالنا بالعلم، وخدمة العلم، والذهاب إلى أقصى مدى لكل واحد من تلاميذ القرضاوي في ناحية العلم، فالعلم بحر لا ساحل له ولا قرار له، مهما تعلّمنا نحتاج إلى المزيد

(١) رواه أبو داود في العلم (٣٦٤١)، والترمذي في العلم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٢)، عن أبي الدرداء.

(٢) سبق تخريجه ص ٩١.

(٣) رواه أحمد (٢١٧١٥)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، كلاهما في العلم، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣)، وابن حبان في العلم (٨٨)، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٧٠٣): صحّحه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسنه حمزة الكتاني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها. عن أبي الدرداء.

من العلم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. وكما تعلمنا من إمامنا الشافعي رحمه الله قوله:

كُلَّمَا أَدْبَنِي الدَّهْرُ — رَأَانِي نَقْصَ عَقْلِي
أَوْ أَرَانِي أَزْدَدْتُ عِلْمًا — زَادَنِي عِلْمًا بِجَهْلِي^(١)

وأنا لي أكثر من سبعين سنة أتعلّم، أتعلّم وأنا عمري ست سنوات، وأنا الآن في الرابعة والثمانين الآن لا زلت أتعلّم، وفي كلّ مدّة أكتشف أنّي أجهل الكثير، تُقابلني أشياء أقول: كيف لم أكن أعرفها من قبل؟ وأحياناً أتعلّم من تلاميذي، يُنبّهونني إلى أشياء غفلت عنها، والإنسان يتعلّم من كلّ أحد، وقد يتعلّم الإنسان من الغراب، كما قال ابن آدم: ﴿يَوَلَيْتَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورَى سَوَاءَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١]. وتعلم سيّدنا سليمان من الهدهد، قال له: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]. فالعلم مطلوبٌ باستمرار، ولذلك أنصح إخواني وأبنائي في «رابطة تلاميذ القرضاوي» أن ينهلوا من العلم، ولا يشبعوا من العلم، كما قيل: «منهومان لا يشبعان: منهومٌ في العلم لا يشبع منه، ومنهومٌ في الدنيا لا يشبع منها»^(٢). فكما أنّ طالب الدنيا لا يشبع، يجمع المليون فيريد عشرة، ويجمع العشرة يريد مائة، ويجمع المائة فيريد أن يكون مليارديراً، وهكذا مثل جهنّم تطلب المزيد دائماً، فنريد من أهل العلم أن يستمرّوا في طلب العلم، فهذه الرابطة علميّة.

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١٦٧/٤).

(٢) رواه الحاكم في العلم (٩١/١)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب (٩٧٩٨)، عن أنس.

رابطة أخلاقيّة:

ثم هي رابطة أخلاقيّة، أنا أريد من تلاميذ القرضاوي أن يكونوا ذوي أخلاق، كما وصف الله تعالى مُحَمَّدًا ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وصفه بعظمة الخلق قبل كل شيء، قبل أن يصفه بأنّه يقوم الليل، أو يصوم النهار، أو يفعل كذا، وقد قال ﷺ في حديثه: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١). فأريد من تلاميذ القرضاوي أن يكون كلّ منهم نموذجاً أخلاقياً يتعلّم منه الناس حُسن الخلق، حينما سئلت السيّدّة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت جملة واحدة مُعَبَّرَةٌ كُلَّ التعبير، وأجمل التعبير وأبلغه، قالت: كان خلقه القرآن^(٢). افتح المصحف واقرأ صفات المتّقين في أوّل سورة البقرة، أو صفات المؤمنين في أوّل سورة المؤمنین، أو صفات أولي الألباب في سورة الرعد، أو صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان، إلى آخره، ثم انظر في سيرة محمد ﷺ تجد القرآن مُجَسِّمًا، هذه الأخلاق كلّها تتجسّد في مُحَمَّد ﷺ.

ونحن نريد من تلاميذ القرضاوي أن يقتبسوا من المشكاة المُحمّديّة من خلق رسول الله ﷺ، مهما جمعت من علم فلن ينفعك هذا العلم ما لم تعمل به، كان السلف يقولون: الرّبّاني هو الَّذي يعلم ويعمل ويُعلّم. هكذا العلم والعمل والتعليم، ونحن لسنا مستشرقين بحيث تكون مُهمّتنا أن نقرأ في التراث الإسلامي، ونعرف المصادر، ونعرف

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١)، عن عائشة.

كذا، ولا شأن لنا بالعمل، لا، نحن مُهَمَّتْنَا أَنْ نطبق هذا الذي تعلّمناه في حياتنا وحياة من حولنا، فهذه الرابطة أخلاقية.

رابطة دعوية:

ثُمَّ هي رابطة دعوية، لا بدّ لنا أن نحمل الدعوة إلى العالم كلّهُ، لا ينفعنا مُجَرَّد أن نحمل العلم، وأن نكون أناسًا صالحين وطيبين في أنفسنا، لا بدّ مع ذلك أن نحمل الدعوة إلى غيرنا، هذا ما أوصي به إخواني وأبنائي وتلاميذي، أن يكونوا حملة الدعوة.

وليس طريق الدعوة مفروشًا بالورود ولا بالأزهار والرياحين، وإنّما هو طريقٌ مفروشٌ بالجُثث وبالدماء أحيانًا، فلا بدّ أن نُوطِن أنفسنا على ما يُصيبنا في سبيل الدعوة، وكما جاء في الأثر: «المؤمنُ بين خمس شدائد: بين مسلم يحسّده، ومنافق يُبغضه، وكافر يُقاتله، وشيطان يُضِلُّه، ونفسٍ تُنازعه»^(١). فهو في معركة في الداخل والخارج، وإذا كان صاحب دعوةٍ ازدادت عليه الصعوبات والمتاعب، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، يستعجلون النصر لِمَا أصابهم من تعب، ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾؟ ويأتي التعقيب الإلهي: ﴿أَلَا إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، نصر الله لا بدّ منه، ولكن الناس أحيانًا تستيسس، ولا ينبغي للمؤمن أن يئس من رَوْح الله، ولا من نصر الله أبدًا؛

(١) رواه أبو بكر بن الخلال في مكارم الأخلاق، بسند ضعيف، كما قال العراقي في تخريج الإحياء ص ٩٤٨. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٢/٢٤) موقوفًا على أبي أمامة بلفظ: المؤمن في الدنيا بين أربعة: بين مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان قد توكل به. وإسناده حسن.

فإن الله تعالى لا يئس من رَوْحِهِ إِلَّا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إِلَّا الضالُّون، وهو دائماً مع عباده المؤمنين.

والدعوة إلى الإسلام - أيُّها الإخوة - تكون بأسلوب العصر، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وما أفهمه اللسان في هذه الآية أنه ليس مُجَرَّد أن يُكَلِّم الإنجليز بالإنجليزية، والطلّيان بالطلّانية، والصينين بالصينية، لا بدّ من هذا طبعاً، ولكن عليه أيضاً أن يُكَلِّم الخواصّ بلسان الخواصّ، والعوامّ بلسان العوامّ، يكلم أهل البادية بلسانهم، وأهل الحضر بلسانهم، يُكَلِّم أهل الشرق بلسانهم، وأهل الغرب بلسانهم، أهل القرن الحادي والعشرين لهم لسان، وقبل ذلك بقرن لهم لسان آخر، وعليك أن تُكَلِّم كُلَّ قومٍ بلسانهم.

بعض الإخوة ذهب إلى أمريكا، وأقام محاضرة عن حُرمة زيارة أضرحة الأولياء، وحمل على هؤلاء الذين يزورون الأضرحة ويُقدِّسون الأولياء! ما دَخَلَ أمريكا بالأولياء والأضرحة وهذه الأشياء؟ لكنّه يمتلئ دماغه بأشياء يقولها في أيّ مكان، لا لا بدّ - أيُّها الإخوة - أن نعرف أنّ الفتوى تتغيّر بتغيّر الزمان، والمكان، والعُرف، والحال، إلى آخره، والدعوة تتغيّر أكثر بتغيّر هذه الأشياء، فأنا أوصي إخواني وأبنائي وتلاميذي أن يراعوا ظروف الدعوة، ويتسلَّحوا لها بما ينبغي.

أنا عندي نقص مُعَيَّن في وسائل الدعوة أرجو من أبنائي أن يتداركوه، أنّي لا أعرف اللغات، ولذلك أوصي أبنائي من أتيحت له فرصة أن يعرف لغة أجنبية إلى حدّ الإتقان، بحيث يستطيع أن يُحاضر بها، وأن يكتب بها، من أتيحت له هذه الفرصة فليتمسك بها، الشباب الذين لا زالوا في بكورة حياتهم ومقبل أعمارهم أمامهم فرصة لأن يتعلَّموا اللغات المختلفة.

حين أذهب إلى بعض البلاد غير العربيّة تكون هناك مشكلة، أنّ المحاضرة تستغرق أحياناً ضعف الوقت، وأحياناً أكثر من الضعف؛ لأنّ بعض الترجمات تستغرق أكثر من الكلام العربي، بالإضافة إلى قطع الأفكار حين أسكت ليرجم المترجم، وأنا أحبُّ أن أتكلّم كلامي كلّ مرّة واحدة حتّى لا تضيع الفكرة منّي، ويغني عن هذا أن نتعلّم اللغات. والنبي ﷺ أمر سيّدنا زيد بن ثابت أن يتعلّم اللغة السريانيّة^(١)، وكان حوله ﷺ عدد من الناس يعرفون اللغات، سلمان يعرف الفارسيّة، وبلال يعرف الحبشيّة، وهكذا.

رابطة عالميّة:

وأريد من تلاميذي أيضاً أن يهتمّوا بقضايا الأُمّة الإسلاميّة، هؤلاء التلاميذ ليسوا من بلاد الخليج وحدها، ولا من بلاد العرب وحدها، رأينا فيهم التركي والماليزي والإندونيسي والصيني، وعدد من الإخوة من قارّات مختلفة، ولكن وقفت في سبيل مجيئهم بعض العقبات، ومنهم من هو من أمريكا الجنوبيّة، فلنا تلاميذ والحمد لله في كل هذه البلاد، فأنا أريد من هذه الرابطة أن تكون رابطة الأُمّة الإسلاميّة، ليست رابطة قطر، ولا إقليم، ولا جنس، ولكن رابطة الأُمّة.

ولذلك أريد من تلاميذي أن يهتموا بأمر المسلمين كل المسلمين، ومن لم يهتمّ لأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ناصحاً لله ورسوله ولأُمّة المسلمين وعامّتهم فليس منهم، ولذلك لا يجوز أن تهتمّ رابطة تلاميذ القرضاوي بالعلم فقط، وتترك قضايا الإسلام، إذا لم يهتمّ

(١) رواه أحمد (٢١٦١٨)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في العلم (٣٦٤٥)، والترمذي في الاستئذان (٢٧١٥)، وقال: حسن صحيح. وعلّق البخاري في الأحكام (٧١٩٥) بصيغة الجزم.

علماء المسلمين بقضايا الأمة فمن الذي يهتمُّ بها؟ العلماء هم قادة الأمة، والمفروض أنهم الذين يقودون المسيرة.

عليهم أن يهتموا بكل قضايا الأمة الإسلامية وعلى رأسها القضية الفلسطينية، أرض الإسراء والمعراج، أرض القدس والأقصى، أرض النبوات التي بارك الله فيها للعالمين، وهي أعدل قضية حقيقة، فأرجو من إخواني وتلاميذي أن يهتموا بهذا الأمر.

كما أرجو من إخواني وتلاميذي أن يهتموا باستمرار ارتباط بعضهم ببعض، وسؤال بعضهم عن بعض، ونحن في عصرنا تقارب العالم حتى قالوا: إنَّ العالم أصبح قريتنا الكبرى. وقلت مُعلِّقًا: بل هو قرية صغرى، لم يُعد قرية كبرى، أنا نشأت في قرية كبرى، كانت وأنا صغير حوالي خمسة وعشرين ألف، وكان يموت الميِّت في شرق القرية فلا يعرف أهل غرب القرية به، لكن القرية الصغرى يعرف أهلها أيَّ حدث يحدث، ونحن الآن نعرف الأحداث حين وقوعها، ونتابعها وهي تقع، ولذلك أرجو من أبنائي أن يتعارفوا بواسطة وسائل التواصل الحديثة المختلفة، وأن يستمرَّ تواصلهم، وأنا أرجو أن أكون على تواصلٍ دائمٍ معهم.

شكْر واجب:

يا أيُّها الإخوة، في ختام هذا الملتقى المبارك الذي أراه بحمد الله ناجحًا كلَّ النجاح، وحقق فوق ما كُنَّا نبتغيه، لا يسعُنِي إِلَّا أن أشكر كلَّ من ساهم فيه بنصيب، ابتداءً من الأخ الذي اقترح هذا الملتقى وتابعه، الأخ سالم الشخي هو الذي بدأ هذا المُقترح تنفيذًا لما أوصى به «ملتقى أصحاب وتلاميذ القرضاوي» سنة ٢٠٠٧م، واضطرَّ أن يسافر، فنشكر له ونعترف له بحقه.

ونشكر الإخوة الذين جاؤوا من بلاد بعيدة، وجشّموا أنفسهم المشاق، وكثير منهم تحمّل نفقات السفر، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجزيهم خيرًا، وأن يتحقّق فيهم قول الله تعالى في المجاهدين: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١].

وأشكر الإخوة الذين ساهموا في النفقة على هذا الملتقى، تحمّل بعضهم نفقات الإقامة والفندق، وتحمّل بعضهم نفقات السفر والتذاكر، فهوّلاء جزاهم الله خيرًا، ولا أحبُّ أن أذكر أسماءهم؛ لأنّهم لا يُحِبُّون أن أذكر أسماءهم.

وأشكر لدولة قطر ابتداء من أميرها، وأنا أقول لكم أيّها الإخوة: إنّ الله أكرمني بدولة قطر، وأنا الذي اخترتُ دولة قطر، فحينما كنتُ موظّفًا في الأزهر كان من حقّ الموظف أن يطلب السفر في بعثة، فأنا طلبتُ الابتعاث بعد ثلاث سنوات، وكانوا في العادة يقومون باختبار المُبتعثين ولا أدري هل ما زال هذا قائمًا أم لا؟ كانوا يقومون بامتحان شفوي في القرآن وبعض العلوم، فعملوا لي امتحانًا وكنتُ أوّل الفائزين، فقالوا لي: من حقّك أن تختار أحسنَ بلد. وأحسنَ بلد في ذلك الوقت كانت الكويت، قالوا: رواتب الكويت أفضل رواتب. قلت لهم: لا، ولكنّي اختارُ قطر. قالوا: هل يترك الكويت أحد؟ قلت لهم: والله هذا قدرّي. واخترتُ قطر، ولم أجد في تلك السّنة لأنّ الأمن منعني، كان مقرّرًا أن آتي إليها سنة ١٩٦٠م فتأخّرتُ إلى سنة ١٩٦١م.

وأقول: لولا أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة لكنتُ في قائمة الإرهابيين التي وضعتها أمريكا، فالأمريكيّون كانوا مُصرّين على أن

يدخلوني في هذه القائمة، والذي وقف بقوة وشجاعة وإصرار هو الشيخ حمد بن خليفة، فلم أدخل في هذه القائمة، فقطر أتاحت لي فرصة كبيرة في الحقيقة، وكثيراً ما أذهب إلى البلاد البعيدة على نفقة قطر، وأنا ذهبت قريباً إلى الصين ومعني مرافقان على حساب دولة قطر.

كما أقامت دولة قطر «مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد» الذي يُديره أخونا الدكتور محمد خليفة، والمفروض أنّ عليهم أن ينشروا تراث القرضاوي، وقد أراد أخونا الحبيب الدكتور حمد الكواري وزير الثقافة أن يقوم بهذا الأمر أيضاً فجزاه الله خيراً، والتنافس في هذا خير.

وأنا أقترح عليك يا معالي الوزير أن تنشروا هذا آثار الملتقى هذه اللقاءات والمحاضرات، فأرجو من شبابنا أن يُفَرِّغُوا هذه اللقاءات ويُسَلِّمُوا إليها لتكون من إصدارات الدوحة عاصمة للثقافة، وجزاكم الله خيراً.

شكر الله لسعادة الوزير، وشكر الله لوزارة الأوقاف على ما قامت به، وما أمدّتنا به من بعض الكتب التراثية المرجعية الكبيرة والمهمّة، وشكر الله لكلّ من عاوننا، وشكر الله لكم.

وأرجو من إخواني وأبنائي إذا كنتُ قصّرت في حقّ أحدهم أو أسأتُ إليه قولاً أو فعلاً من قريبٍ أو من بعيدٍ أن يُسامحني ويغفر لي، وأسألُ الله تعالى أن يرحمنا ويغفر لنا؛ إنّه خير الغافرين، وأرحم الراحمين.



وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَحْسِنَ خَوَاتِمَنَا، وَأَنْ يَجْعَلَ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ
أَمْسِنَا، وَيَجْعَلَ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا، وَيَحْسِنَ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا،
وَيَجِيرَنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، وَآخِرُ دَعْوَانَا
أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ * وَسَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الصفات: ١٨٠ - ١٨٢]،﴾ * وَالْعَصْرُ * إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ ﴿[العصر: ١ - ٣].﴾





الاعتزاز بالإسلام^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على من أرسله الله رحمةً للعالمين، وحُجَّةً على النَّاسِ أجمعين، ونعمةً للمؤمنين، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا الرسول الكريم ذي الخلق العظيم، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عنَّمن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّتِهِ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحْيَيْكُمْ به أيها الإخوة والأخوات تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(أمَّا بعد)

أيُّها الإخوة، كم كان في نفسي من قديم أن أزور هذه البلاد وألتقي المسلمين فيها وأتعرَّف عليهم، ولكن كل شيء عند الله بأجل مسمى، وكل

(١) أُلقيت ضمن زيارتي إلى جنوب إفريقيا، بدعوة من مجلس القضاء الإسلامي، في أبريل ٢٠١٠م.

شيء عنده بمقدار، حينما أذن الله أن نلتقيكم هيئاً الأسباب، وأزال الموانع، فالحمد لله أننا التقينا على خير، وأعظم خير نلتقي عليه هو الإسلام العظيم، الذي أكرمنا الله تعالى به، وأتم به النعمة علينا حين قال: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الاعتزاز بالإسلام:

إنَّ على كل مسلم في عصرنا عدَّة واجبات، أوَّل هذه الواجبات أن يعتزَّ بإسلامه، وأن يعلم أنَّ الله ﷻ قد اختار له أعظم دينٍ وأكرم رسالة، وأنَّ الله أكرمنا بخير نبيٍّ أرسل، وبخير كتابٍ أنزل، وبخير منهاجٍ شرع، فليس هناك أعظم من الإسلام دينًا، وليس هناك أعظم من مُحَمَّد رسولًا، وليس هناك أعظم من القرآن كتابًا، ولهذا نحن المسلمين نعتزُّ بالإسلام.

وعلى كل مسلم أن يعتزَّ بأنَّه مسلم، وهذا بفضل الله، لو سألت أحدًا تريد أن تتعرَّف عليه: هل أنت مسلم؟ يقول: مسلم والحمد لله. فهذه النعمة الكبرى ينبغي أن نعتز بها، كما قال الله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد علمنا سيدنا عمر بن الخطاب فقال: نحن كنا أذلَّ قوم؛ فأعزنا الله بالإسلام، فمهما التمسنا العزَّة بغيره أذلَّنا الله. قال هذا في مناسبة ذهابه لافتتاح مدينة القدس نسأل الله أن يحررها من اليهود الغاصبين، وأن ينقذها منهم ويردها إلى المسلمين، ويخرجهم منها مدحورين صاغرين مخذولين إن شاء الله!

في طريقه إلى القدس قابلته مخاضة من الوحل والمياه؛ فخلع نعليه وشمر عن ساقيه، ومشى في هذه المخاضة، وكان سيِّدنا أبو عُبَيْدة بن الجراح وبعض الصحابة يقابلونه؛ فقال له: ليتك لم تفعل هذا يا أمير

المؤمنين. قال: ولم لا؟ قال: هؤلاء القوم يهتُمون بالمظاهر والأُبْهة وكذا، وحينما يرونك تخوض في الطين والوحل؛ يهتُرُ مقامك عندهم. فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عُبَيْدة! كنتُ أنتظر هذه الكلمة من واحدٍ غيرك، لكن أنت أمين الأمة كيف تقول هذا الكلام؟! نحن كُنَّا أذلَّ قوم؛ فأعزَّنَّا الله بالإسلام، فمهما التمسنا العزة بغيره أذلَّنَّا الله^(١). فأول واجب أن نعتزَّ بالإسلام.

القرآن يعلمنا هذه العزة الإيمانية فيقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]. لا تطلب العزة إلا بإيمانك بالله، واعتمادك عليه، لا تطلب العزة من مخلوق، ولكن اطلبها من بابٍ واحدٍ، هو باب الله، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وقد ذمَّ الله المنافقين بقوله: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُوتَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٣٩]. فاطلب العزة من باب الله وحده.

ولذلك كان الرجل المسلم يناجي ربه مزهُوًّا فخورًا ويقول:

وممَّا زادني شرفًا وتيها وكِدتُ بأخمصِي أطأ الثُّرَيَّا
دخولي تحت قولِكَ يا عبادي وأن أرسلتُ أحمَدَ لي نبيًّا^(٢)

أفتخر بأنِّي من عبادك، وأنك أرسلت مُحمَّدًا ﷺ لي نبيًّا، وأكاد بذلك أن أطأ نجم الثُّريا في السماء، فهذا ممَّا يعتز به المسلم، حتَّى إنَّ

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٢) غداء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (٤٧٥/٢).

النبي ﷺ يُعَلِّمُنَا إِذَا أَكَلْنَا أَوْ شَرَبْنَا بَعْدَ الطَّعَامِ أَنْ نَقُولَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ»^(١). فاعتزاز المسلم بإسلامه يتذكره مع كل وجبة، ويتذكره مع كل صباح ومساء، يُسْتَحَبُّ أَنْ تَقُولَ فِي الصَّبَاحِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَفِي الْمَسَاءِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ هَذِهِ الْكَلِمَةُ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٢).

عَزَّةُ الْإِسْلَامِ قُوَّةُ نَفْسِيَّةٍ لِلْمُسْلِمِ:

المسلم عزيز، بل ليس هناك أعز من الإنسان المسلم؛ لأنَّه يستمد عزته من هذا الدين العظيم، ومن صلته بالله ﷻ، ومن حُسن فهمه لهذا الدين العظيم، فهذا الدين يعطيه قُوَّةَ نَفْسِيَّةٍ لَا تَعَادِلُهَا قُوَّةٌ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ حِينَمَا التَّقَوُا بِجِيُوشِ الْفَرَسِ، وَكَانَ رَسْتِمُ قَائِدِ قَوَادِ الْفَرَسِ يَسْأَلُ بَعْضَ الصَّحَابَةِ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكُمْ مِنْ جَزِيرَتِكُمْ؟ كُنْتُمْ تَأْتُونَ إِلَى كَسْرَى تَمْدَحُونَهُ بِبَعْضِ قِصَائِدِ الشَّعْرِ، وَيُعْطِيكُمْ بَعْضُ الْجَوَائِزِ، وَتَعُودُوا مُسْرُورِينَ، الْآنَ جِئْتُمْ لَتَحَارِبُوا بِلَادَ كَسْرَى! مَا الَّذِي دَفَعَكُمْ إِلَى هَذَا؟ فِيرُدُّ أَحَدُ الصَّحَابَةِ، وَاسْمُهُ رَبِيعِي بْنُ عَامِرٍ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ، لَمْ يَدْخُلْ جَامِعَةً وَلَا مَدْرَسَةً، وَإِنَّمَا تَعَلَّمَ فِي مَدْرَسَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ

(١) رواه أحمد (١١٢٧٦)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأُطْعَمَةِ (٣٨٥٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٥٧)، وسكت عنه، وابن ماجه في الأُطْعَمَةِ (٣٢٨٣)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٣٦)، عن أبي سعيد.

(٢) رواه أحمد (١٥٣٦٠)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٧٤٣)، عن عبد الرحمن بن أبزى.

جَوْر الأديان وانحرافاتهما وغلوائهما إلى دين الإسلام، الدين الوسط، الصراط المستقيم^(١).

فهكذا كانت عزة المسلمين أمام البلاد التي كانت تُعتبر بلادًا مدنيّة، ولم يكن عند العرب مدنية الفرس، ولا تشريعات الرومان، ولا فلسفة اليونان، ولا حكمة الهند، ولا صنعة الصين، ما كان عندهم إلا هذا الإيمان الجديد، حتّى إنَّهم سألوا خالد بن الوليد: مَنْ أنتم؟ فأجاب قائلاً: نحن قدر الله، ابتلانا الله بكم، وابتلاكُم بنا؛ فلو كنتم في سحابة لارتفعنا إليكم، أو لنزلتم إلينا^(٢)! هذا هو الاعتزاز بهذا الدين.

الإسلام دين التوحيد الخالص:

ولذلك نريد من كل مسلم في هذا العصر أن يعتز بأنه هو وحده الذي عنده دين التوحيد، كل الأديان للأسف: إما وثنيات تعبد الأحجار أو الأبقار أو الأنهار، أو الإنسان أو الشيطان، حتّى الأديان الكتابية انحرفت وحرّفت أصولها فأصبحت بعيدة عن التوحيد الذي بعث الله به كل الأنبياء، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، أصبحت كل الأديان مُحرّفة، حتّى المسيح الذي كان أوّل كلمة نطقها: إني عبد الله. جعلوه ربًّا، فهو عندهم إله ابن إله، كما قال القرآن: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

(٢) تاريخ الطبري (٦٠١/٣).

أنت وحدك أيها المسلم الذي تعبد الله وحده، وتقرأ الفاتحة كل يوم على الأقل سبع عشرة مرة تقول فيها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. أي نُفردك ونخصك يا ربُّ بالعبادة؛ فلا نعبد أحداً غيرك، ونخصُّك يا ربُّ بالاستعانة؛ فلا نستعين بأحد غيرك، كما علم النبي ﷺ ابن عباس فقال له: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١). لا تستعنُ بصنم، ولا تستعنُ بكاهن، ولا تستعنُ بمُخَرَّف، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فهذا التوحيد هو أساس من أُسُس عِزَّة المسلم.

قوة ارتباط المسلم بربه:

ومما يعتزُّ به المسلم أنه المُتَدَيِّن الوحيد في العالم، الذي يربطه دينه بربه في كلِّ يومٍ عدَّة مرَّات. في أوائل القرن العشرين أسلم أحد اللوردات البريطانيين، اسمه اللورد هيدلي، وألَّف كتاباً سماه «إيقاظ الغرب للإسلام»، وقال فيه: إِنَّ مَمَّا حَبَّبَ إِلَيَّ الْإِسْلَامَ أَنِّي وَجَدْتُ الأديان الأخرى لا تصل الإنسان بربه كما يصله به الإسلام، فأنا عشت طفولتي في المسيحية وكل ما تطلبه مني أن أذهب إلى الكنيسة يوم الأحد، أمَّا الإسلام فيطلب من المسلم الصلاة كلِّ يومٍ خمس مرَّات، عندما ينشق الفجر، وعندما تزول الشمس عن كبد السماء في وسط النهار، وعندما يصبح ظل كل شيء مثله أو مثليه، وعندما تغرب الشمس، وعندما يغيب الشفق الأحمر، في كل وقت من هذه الأوقات، مع اختلاف حالات الطبيعة: يهرول المسلم ويتوضأ، وينهض إلى ربه قائماً راکعاً ساجداً مناجياً ربه، هذا غير الأذكار والأوراد، والصدقات

(١) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مخرَّجوه: إسناده قوي. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال:

حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٣٠٢)، عن ابن عباس.

والزكاة، والصيام والحج والعمرة، وأشياء تجعل الإنسان دائماً على موعد مع الله، وعلى صلة دائمة بالله. هذه واحدة.

القرآن الوثيقة الإلهية الصحيحة:

الأمر الآخر أن المسلم يعتز بشيء مهم جداً، يعتز بالقرآن، أن المسلمين هم وحدهم الذين يملكون الوثيقة الإلهية السماوية، التي تتضمن كلمات الله الأخيرة إلى البشر، لا يوجد أحد عنده ما عند المسلمين، فالتوراة حُرِّفت، والأنجيل بُدِّلَت، حتَّى الإنجيل الأصلي لم يعد موجوداً! هناك أناجيل أربعة اختاروها من سبعين إنجيلاً أخرى، وهي عبارة عن سيرة المسيح، مع بعض أقواله لتلاميذه وحوارييه، المسلمون هم الذين يملكون كلام الله، القرآن المحفوظ، هات لي أعظم كاردينال أو أسقف واسأله: هل تحفظ الكتاب المقدس أو نصفه أو رבעه؟ لا تجد، لكن تجد ملايين المسلمين يحفظون القرآن الكريم!

وأعجب ما في هذا القرآن أيُّها الإخوة والأخوات: أن يحفظه من لا يفهمه، أنا امتحنت طلاباً في قطر، من أوّل ما ذهب إلى قطر من حوالي خمسين سنة، كانوا يقيمون مسابقة لحفاظ القرآن الكريم، فكان بعض القطريين يحفظ خمسة أجزاء أو عشرة، لكن الذين يحفظون القرآن الكريم كله هم الباكستانيون والهنود، والبنغاليون والبورميون ومسلمو آسيا، أمتحن المتقدم منهم في معضلات القرآن ومتشابهاته؛ فيجيب كأنه ريكوردر مسجل، وفي النهاية أسأله: ما اسمك؟ فلا يعرف معنى السؤال، حفظ القرآن ولا يعرف معناه، فهذا الكتاب العظيم هو الوثيقة الإلهية المحفوظة التي لا يملكها أحد إلا المسلمون، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].



الاعتزاز بالنبي مُحَمَّد ﷺ :

ومن مَقَوِّمات اعتزاز المسلم بهذا الدين العظيم أَنَّهُ يَتَّبِعَ أَعْظَمَ مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، يَتَّبِعَ مُحَمَّدًا ﷺ، هذا النبي الَّذِي خَتَمَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ كُلَّ النَّبَوَاتِ، وَالَّذِي أَدَّبَهُ رَبُّهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، وَعَلَّمَهُ فَأَكْمَلَ تَعْلِيمَهُ، وَزَكَّاهُ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. هذا الرسول الكريم ذو الخلق العظيم هو من أسباب اعتزازنا، أننا من أتباعه ﷺ.

من أراد أن يعرف هذا الرسول الكريم فليقرأ سنته وليقرأ سيرته، هذه السيرة الحافلة العاطرة الجامعة الشاملة، وخير من كتب في هذه السيرة وخصائصها هو العلامة الشيخ سليمان الندوي الَّذِي كَمَّلَ السيرة النبويَّة الَّتِي بَدَأَهَا الشَّيْخُ شَبْلِي النِّعْمَانِي، وَهُمْ جَمِيعًا مِنْ مُؤَسَّسِي (ندوة العلماء)، هذه الندوة الإسلامية الإصلاحية العالمية العظيمة، والشيخ سليمان الندوي له محاضرات أو خُطَبَات أَلْقَاهَا فِي جَامِعَةِ مَدْرَاس يعرفها إخواننا بِاسْمِ (خُطَبَات مَدْرَاس)، وَتَكَلَّمَ فِيهَا عَنْ خِصَائِصِ هَذِهِ السِّيرَةِ، وَأَنَا سَأَذْكَرُ لَكُمْ خَصِيصَةً وَاحِدَةً مِمَّا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ النَّدَوِي.

هذه الخصيصة هي أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَجِدُ فِي سِيرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَكَانًا لِلْأَسْوَةِ، يُمْكِنُ أَنْ تَقْتَدِيَ بِالْأَنْبِيَاءِ الْآخَرِينَ فِي جَوَانِبٍ مَعِينَةٍ، هِيَ الَّتِي وَصَلْتَنَا عَنْهُمْ، الْمَسِيحُ مَثَلًا يُمْكِنُ أَنْ تَقْتَدِيَ بِهِ فِي زَهْدِهِ فِي الدُّنْيَا، لَكِنْ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْتَدِيَ بِالْمَسِيحِ فِي مَعَامَلَةِ الزَّوْجِ لَزَوْجَتِهِ؟ أَوْ فِي مَعَامَلَةِ الْآبِ لِأَوْلَادِهِ؟ أَوْ فِي مَعَامَلَةِ الْجَدِّ لِأَحْفَادِهِ؟ لَا تَسْتَطِيعُ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ وَلَمْ يَنْجُبْ، هَلْ تَسْتَطِيعُ الْغِنَى أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ عِنْدَمَا يَمْلِكُ الْمَالُ؟ لَا يَسْتَطِيعُ لِأَنَّهُ لَمْ يَمْلِكِ الْمَالُ، هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْتَدِيَ بِهِ فِي حَالَتِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ؟ هُوَ لَمْ يَحَارِبْ وَلَمْ يَسَالَمْ، هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْتَدِيَ بِهِ فِي حَالَةِ الْحُكْمِ؟ هُوَ لَمْ

يحكم، كذلك كل نبي من الأنبياء، تستطيع أن تقتدي بسليمان عليه السلام إذا كنت ملكًا أو حاكمًا، ولا تستطيع أن تقتدي به في أمور أخرى.

أمّا محمد صلى الله عليه وآله فتستطيع أن تقتدي به في كل جوانب الحياة، يجد العزب في حياته صلى الله عليه وآله أسوة، فقد عاش خمسًا وعشرين سنة شابًا عزبًا؛ فكان مستقيمًا حافظًا نفسه من الدنيا.

والمتزوج يجد في حياته صلى الله عليه وآله الأسوة، فمن تزوج امرأة واحدة يستطيع أن يقتدي به؛ لأنّه عاش معظم عمره مع امرأة واحدة، هي السيدة خديجة رضي الله عنها، ومن تزوج عدة زوجات يجد أيضًا في حياته صلى الله عليه وآله الأسوة، وقد كان من بين أزواجه الصغيرة والكبيرة، والبكر والثيب، والعربيّة والإسراييليّة، من كلّ الأصناف.

والأب حينما يُرزق الأولاد، وحينما يموت أولاده يستطيع أن يجد في سيرته صلى الله عليه وآله مكانًا للأسوة، وكذلك الجد يتعلم من سيرته صلى الله عليه وآله كيف يعيش مع أحفاده، وكيف يلاطفهم ويلاعبهم، كما كان صلى الله عليه وآله يفعل مع الحسن والحسين، ركب ظهره مرة وهو ساجد وأطال السجود حتّى ظن الصحابة أنّ الأجل قد جاءه، فلما قام سألوه عن هذا، فقال لهم: «إنّ ابني ارتحلني؛ فكرهتُ أن أُعجله»^(١). ركب الحسن أو الحسين على ظهره صلى الله عليه وآله وأطال الولد الركوبة؛ فلم يحب النبي صلى الله عليه وآله أن ينزل؛ فتركه حتّى شبع مما أراد، ونزل عن ظهره باختياره.

والمسالمة يجد في حياته صلى الله عليه وآله الأسوة، وقد كان أكره شيء على نفسه الحرب، ولا يدخلها إلا مضطرًا، وإذا انتهت المعركة بغير قتال؛ يقول القرآن: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

(١) رواه أحمد (١٦٠٣٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٥/٣)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن شداد بن الهاد.

والمحارب يجد في حياته ﷺ الأسوة، كما قال سيّدنا عليّ وهو البطل الشجاع: كنّا إذا اشتدّ الحرب، وحمي الوطيس، اتّقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه^(١). وهكذا، لا أريد أن أطيل، وإنّما حسبكم أن هذه خصيصة واضحة، أنّ محمداً ﷺ هو الأسوة المثلى، والمثل الأعلى للمؤمنين وللناس جميعاً، في كل ناحية من نواحي الحياة.

من واجبات المسلم:

أيّها الإخوة، كنتُ قد أعددتُ في نفسي أن أحدثكم عن واجبات المسلم في عصرنا، والواجب الأول هو أن يعتزّ بالإسلام، والواجب الثاني هو أن يفقه الإسلام، فيعرفه من ينابيعه الصافية، من القرآن والسنة، ومن ثقات العلماء.

والواجب الثالث أن يعمل للإسلام، فيحقّق الإسلام في نفسه وأهله، ويكون إسلاماً حيّاً يسعى على قدمين.

والواجب الرابع أن يعمل للإسلام ويدعو إليه، فالأصل أنّ الإسلام دعوة عالمية، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿لِيَكُونَ لِّلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، كنت أود أن أحدثكم عن هذه الواجبات الأربع، ولكن الحديث استرسل معي، فنكتفي بهذا القدر من الحديث عن الاعتزاز بالإسلام، وإذا اعتزنا بالإسلام؛ فإنّه إن شاء الله يؤدّي إلى هذه الأمور الأخرى.

(١) رواه أحمد (١٣٤٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٨٥)، والحاكم في قسم الفيء (١٤٣/٢)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي.

صلاة المرأة في المسجد:

ولكن قبل أن أغادر مقامي أريد أن أتحدث مع الإخوة من مشايخ الأحناف في قضية صلاة المرأة في المسجد، وحضور المرأة في المسجد، وأنا حنفي؛ إذ درست الفقه الحنفي في (نور الإيضاح)، و(مراقي الفلاح)، و(اللباب شرح الكتاب)، أو ما يسمونه (الميداني على القدوري)، و(الاختيار شرح المختار) للموصلي، درست هذا في فترة الابتدائي والثانوي، ودرست بعد ذلك بتوسع في موسوعات الفقه الحنفي، لكن الأئمة أنفسهم لم يقولوا: إننا معصومون!

هناك أشياء تتغير، فالإمام أبو حنيفة خالفه أصحابه أبو يوسف ومحمد في أكثر من ثلث المذهب، هل معنى هذا أنهم يحتقرون أبا حنيفة؟ لا، وإنما تراءى لهما ما لم يترأى له، ذهب أبو يوسف أكبر أصحاب أبي حنيفة إلى المدينة وتجادل مع الإمام مالك في أشياء، منها مقدار الصاع، قال أبو يوسف: الصاع عندنا كذا. فقال الإمام مالك: يا فلان ويا أبا فلان ويا أم فلان، هاتوا الصيعان التي كنتم تخرجون بها زكاة الفطر، عن آبائكم وأجدادكم، من عهد النبي ﷺ. فجاءوا بها؛ فغير أبو يوسف من قناعته وقال: لو رأى صاحبي - يقصد أبا حنيفة - ما رأيت لقال بمثل ما قلت^(١). وكثيراً ما يقول علماء الأحناف، في اختلاف أبي يوسف ومحمد عن الإمام الأعظم أبي حنيفة، إذا هم أئمة ويعدون أبا حنيفة الإمام الأعظم في المذهب، فكانوا يقولون عن الخلاف بينهما وبين شيخهما: هذا اختلاف عصر وزمان، وليس اختلاف حجة وبرهان^(٢). اختلف العصر فاختلف الرأي.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠٦/٢٠، ٣٠٧).

(٢) المبسوط للسرخسي (١٧٨/٨)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

ولذلك أنا أقول للذين يقولون بعدم جواز ذهاب المرأة إلى المسجد: ما عاد هذا يصلح في عصرنا أبدًا؛ لأن المرأة الآن ذهبت إلى السوق، وإلى المدرسة، وإلى الجامعة، وسافرت بالطائرات، وذهبت إلى كل مكان، فلم يظل المسجد وحده هو المحرم عليها؟!

ثم إن العلماء قالوا: إنَّ على أبيها أن يعلمها، وعلى زوجها أن يفقهها. لكن هل هذا يحدث بالفعل الآن؟ الواحد منكم إذا كان أبًا أو زوجًا؛ هل يقول لابنته أو زوجته بعد أن يعود إلى البيت: قال لنا الشيخ القرضاوي: كذا وكذا؟ لا أحد يفعل هذا، فلماذا تُحرم المرأة من هذا الخير؟ فأنا لا أرى في الحقيقة وجهًا لمنع المرأة من حضور المساجد، ومن حضور هذه الدروس.

ومعروف الآن أنَّ النساء أكثر إقبالًا على الدين من الرجال، أشهد بهذا، وأُفتي الناس من حوالي أربعين سنة، معظم الرسائل التي تأتيني من النساء، البنات في جامعة قطر أكثر إقبالًا على الدين من الأولاد الذكور، حتَّى إنَّنا حينما كان يأتينا ضيف كبير نقول له: اذهب إلى كلية البنات. لأنَّه لو ذهب عند الذكور سيحضر عشرة أو خمسة عشر، لكن لو ذهب عند البنات سيحضر خمسمائة.

وأنا بهذا لا أستنكر على أبي حنيفة اجتهاده، فهو مجتهد، والمجتهد مأجور فيما أخطأ فيه، إذا أصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد، فأنا أرى أن على إخواننا المشايخ أن ينظروا في هذا الأمر، فحتى تكون هذه الزيارة تاريخية حقًا لا بدَّ أن يحصل فيها شيء، أفسحوا المجال لبناتنا وأخواتنا وأمهاتنا؛ ليحضرن إلى المساجد ويشاركن في هذه اللقاءات، المرأة نصف المجتمع، وأنا أقول: هي نصف المجتمع بالنسبة

للعدد، لكن بالنسبة للتأثير ربما كانت أكثر من النصف؛ لأنها تؤثر في زوجها، وتؤثر في أولادها؛ فلماذا نحرّمها من هذا الخير، أرجو من الإخوة أن ينظروا في هذا الأمر، على ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا إِلَى مَا يَحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ يَهْدِينَا سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَأَنْ يَجْعَلَ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، وَيَجْعَلَ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا، وَأَنْ يَنْصُرَ أُمَّتَنَا عَلَى أَعْدَائِهَا، اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِكَ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى الْيَهُودِ الْغَاصِبِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى الصَّهَابَةِ الْغَاصِبِينَ الطَّاغِينَ، اللَّهُمَّ حَرِّرِ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى مِنَ الظَّالِمِينَ، اللَّهُمَّ خُذْهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، اللَّهُمَّ يَا مَنْزِلَ الْكِتَابِ، وَيَا مُجْرِيَ السَّحَابِ، وَيَا سَرِيعَ الْحِسَابِ، وَيَا هَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَاَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ، اللَّهُمَّ أَيْدِ إِخْوَانَنَا الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِكَ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لَهُمْ فَتْحًا مُبِينًا، وَاَهْدِهِمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَاَنْصُرْهُمْ نَصْرًا عَزِيزًا، وَأَتِمِّمْ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَكَ، وَأَنْزِلْ فِي قُلُوبِهِمْ سَكِينَتَكَ، وَاَنْشُرْ عَلَيْهِمْ فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ.

رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، وَاعْفُ عَنَّا، وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، اللَّهُمَّ آمِينَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.



مشاركة المرأة والتذكير بقضية القدس^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدوان إلا على الظالمين، وصلوات الله وسلامه على المبعوث رحمة للعالمين، ونعمةً على المؤمنين، وحجةً على الناس أجمعين، سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلمنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه، واتّبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عنّ دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحْيَيْكُمْ به أيها الإخوة والأخوات تحية الإسلام، وتحية الإسلام السّلام، فالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعضكم من بعض:

ومن بركات القدس والمسجد الأقصى أنّني أستطيع أن أقول في هذا المكان المبارك: أيّها الإخوة والأخوات. كان الإخوة قبل ذلك بدون أخوات، مع أنّ الرجل لا يصلح بدون المرأة، والله تعالى يقول:

(١) ألقى ضمن زيارتي إلى جنوب أفريقيا، بدعوة من مجلس القضاء الإسلامي، في أبريل

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بِعَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، لا يستغني الرجل عن المرأة، ولا تستغني المرأة عن الرجل!

منذ آدم إلى اليوم، حتى حينما خلق الله آدم لم يتركه وحده في الجنة، فخلق له من نفسه زوجًا وقال له: ﴿أَسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. فأنا أجد من بركات القدس أن يجتمع الرجل والمرأة في هذا الميدان، جمعتهما هذه الفكرة المباركة، وهي الدفاع عن المقدسات، والدفاع عن هذا المسجد الذي بارك الله حوله، والذي ربطه بالمسجد الحرام في قوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

النساء في عهد النبي ﷺ:

إنَّ الإسلام ربط بين الجنسين في الصلاة، فليس هناك في الإسلام مسجد خاص بالنساء، المسجد للرجال والنساء، الآن هناك من جعل المسجد للرجال فقط! وأين كان النساء في عهد رسول الله ﷺ؟ كان النساء وراء الرجال لا يوجد بينهم أي حاجز، لا حاجز من بناء، ولا حاجز من خشب، ولا حاجز من زجاج، ولا حاجز من قماش، كان النساء يصلين وراء الرجال مباشرة، ويتزاحمون ويتزاحمن عند الدخول والخروج، فالنبي ﷺ قال: «لو خصصتم هذا الباب للنساء». أي حتى لا يحدث احتكاك، قال ابن عمر: فلم أدخل من هذا الباب منذ قال النبي ﷺ ذلك^(١). وهذا الباب معروف حتى الآن، من يذهب إلى المدينة

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٦٢، ٥٧١)، مرفوعًا وموقوفًا على عمر، ورجح أبو داود الموقوف، وكذلك الدارقطني في العلل (٣١/١٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤٨٣)، عن ابن عمر.



المنورة يجد باب النساء، فالإسلام لم يفرق هذا التفريق الحاصل اليوم: مسجد للرجال، ومسجد للنساء، أنا لا أتصور أنا أبا حنيفة لو رأى هذا المنظر يقبل به، المرأة البوذية تذهب إلى المعبد، والهندوسية تذهب إلى المعبد، واليهودية تذهب إلى الكنيس، والنصرانية تذهب إلى الكنيسة، والمسلمة هي الوحيدة التي تُحرّم من الذهاب إلى المسجد، معناه الحرمان من المشاركة في الحياة الاجتماعية.

أنا أقول هذا أيّها الإخوة لأنني ممتلئ غيظًا، نحن نتكلم الآن عن القدس، لكنني أمتلئ غيظًا لصنع المسلمين، واتهام أئمة الإسلام بأنهم الذين أوصلونا إلى هذا، وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد برآء والله من هذا، لا يمكن أن يقبلوا هذا الوضع، أن يحرموا نصف المجتمع من المشاركة في الحياة الاجتماعية، فأنا أرى أن فتح المساجد للجنسين معناه دخول المرأة الحياة الاجتماعية، وحياة الجهاد وعمل الخير.

وكثير من النساء يشاركن، وأحيانًا يشاركن أكثر من الرجال، والله أجد النساء أحيانًا يجمعن لفلسطين والقدس والأقصى أكثر مما يجمع الرجال، وتأتيني في قطر مجموعات من التبرعات معظمها من الأخوات المسلمات، فلذلك ينبغي أن نفعل هذه القضية، وندخل فيها المرأة؛ حتى تأخذ دورها الإسلامي بجوار الرجل جنبًا إلى جنب.

قضية المسجد الأقصى:

نحن الآن أيّها الإخوة أمام قضية تعتبر أخطر قضية تواجه الأمة الإسلامية الآن، وهي قضية المسجد الأقصى، المسجد الأقصى حقيقة في خطر، اليهود يدبرون ويخططون، ويعملون ليل نهار للحلم القديم عندهم؛ ببناء الهيكل الثالث أو هيكل سليمان المزعوم، على أنقاض



المسجد الأقصى، يزعمون أن هذا الهيكل كان موجودًا من سنة ٦٧م. إلى اليوم، وهم يبحثون على أي أثر لهذا الهيكل، ولم يعثروا على حجر واحد، ولا أي شيء يدل على هذا الهيكل، ولكن هو حلم قديم أن يبنوا هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى!

وهم يحفرون حفراً، ويبنون تحت المسجد الأقصى؛ حتى عملوا تحته مدينة سياحية، ويهددون جدران المسجد الأقصى، بات المسجد مهدداً ومخلخلاً، ولا ندري في أي وقت من الأوقات يسقط المسجد، لعله وقت محدد عند اليهود، أن ينتهزوا غفلة من المسلمين، أو مصيبة كبيرة تحدث في العالم ينشغل الناس بها؛ وفي هذه الحالة يُقدمون على هذه الكبيرة الموبقة، وهذا الإثم العظيم بهدم المسجد الأقصى.

ولا نستبعد هذا أيها الإخوة، كان الناس قديماً يستبعدون على اليهود أحرص الناس على حياة، الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة: أن يحتلوا فلسطين، ويقيموا عليها دولة! ولكن حصل هذا، ورفض العرب قرار تقسيم فلسطين بينهم وبين اليهود، وبعد ذلك قالوا: ليتنا قبلنا التقسيم!

تزئيف التاريخ:

وكانت سياسة العرب في الزمن الماضي أن إسرائيل باطل قامت على باطل، قامت على دعاوى لا أصل لها: أنها أرضهم التاريخية، وهم لم يبقوا فيها إلا مئات السنين، والمسلمون لهم أكثر من ألف وأربعمئة سنة في فلسطين، والعرب لهم فيها آلاف السنين من قبل، اليبوسيون والكنعانيون هم عرب، وهم من قديم الزمان في فلسطين، دخل العبرانيون وأهل فلسطين موجودون، وخرجوا وهم موجودون، فليس لليهود حق في فلسطين.





ضعف الأمة الإسلامية:

الآن هذه القضية في غاية الخطر، اليهود يعملون، والأمة الإسلامية لا تعمل، الأمة الإسلامية مفككة، نريد صلاح الدين، نريد نور الدين محمود، نريد عماد الدين زنكي، هؤلاء الأبطال الذين حاربوا الصليبيين، الذين احتلوا فلسطين من قبل، لا نجد صلاح الدين من جديد ينادي في الناس بالجهاد، وماذا فعل صلاح الدين أيها الإخوة؟ نفخ روح الجهاد في الناس، أحيّا العزائم الميته، قوّى همم الرجال والنساء، ودفع الناس إلى صناعة السلاح، وبدأ يدرب الأمة، وعندما سمع الناس أن صلاح الدين يريد أن يدخل معركة لتحرير القدس: جاءه الناس من أنحاء العالم: الصالحون والعُباد، والزهاد وكل من يرغب في الآخرة ولقاء الله ويريد الجنة، ولذلك انتصر صلاح الدين، ودخل القدس، وخطب فيها خطبة الجمعة بعد تسعين سنة من تعطيل هذا المسجد، أسأل الله ألا يطول بقاء هؤلاء الأنجاس فيه.

امتحان الأمة:

الأمة الآن في امتحان خطير، هل هناك أمة إسلامية أم لا؟ نقول: أمة إسلامية. ولا نقول: أمة عربية ولا فلسطينيين. المسجد الأقصى ليس ملك الفلسطينيين ولا ملك العرب وحدهم، هو ملك كل مسلم، كل مسلم يجب أن يدافع عن هذا المسجد الأقصى، والذين دافعوا عنه من قبل لم يكونوا عربًا، فصلاح الدين الأيوبي كان كرديًا، ونور الدين محمود الشهيد كان تركيًّا، وأبوه عماد الدين زنكي كان تركيًّا، فهؤلاء هم الذين جاؤوا وحرروا بلاد العرب؛ لأن أرض الإسلام ملك المسلمين جميعًا، اسمها (دار الإسلام)، فكل مسلم له جزء من هذه الدار، حتى لو

تخلي الفلسطينيون وتقاعسوا عن القيام بواجب الدفاع عن هذه الدار؛ لوجب على المسلمين أن يقوموا عنهم، لكن الفلسطينيين الحقيقة ضربوا أروع الأمثلة؛ خصوصاً في غزة! رأينا غزة كيف صمدت وصبرت، ولا تزال تصبر على الجوع والتجويع والحصار، وكل هذه الأشياء.

واجب الأمة:

صبر إخواننا وبذلوا، ونحن علينا أن نبذل، كل واحد يبذل ما يستطيع، من استطاع أن يدفع مالا فليدفع، ومن لم يستطع يحرر غيره من شحّه، ويحضّه على طعام المسكين، وهؤلاء مساكين، وهذا واجب الأمة رجالاً ونساءً، شيوخاً وشباباً، حتى الأطفال الصغار يجب أن يحسوا بأن هناك قضية اسمها قضية فلسطين، يحسوا أن هناك بذلاً للمسجد الأقصى والقدس الشريف؛ من أجل تحريره من اليهود الظلمة، والأمريكيين المستكبرين، الذين يساعدون في الحق وفي الباطل، يجب أن نوعي أمتنا بهذه القضية، ونعيش لها ونبيت ونصحو وهي في ضميرنا، وفي أقدس مكان من قلوبنا؛ حتى ينصرنا الله على أعدائنا.

إن تنصروا الله ينصركم:

ونصر الله مضمون لمن أخذ بأسبابه، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وليس من الضروري أن تملك ما يملك اليهود، عند اليهود أسلحة نووية وليس عندنا، والله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. أعدوا ما تقدرون عليه، المهم لا تتقاعسوا ولا تهونوا، قوموا وابذلوا ما تستطيعون، ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].



أيُّها الإخوة، قيل لي: إن بعض الإخوة يصومون كل خميس حتى يتحرر المسجد الأقصى. أنا عندي ملاحظة على هذه القضية، كأن الشخص يعاقب نفسه بالصيام، الصيام ليس عقوبة، أن نمتنع عن الأكل ونضرب عن الطعام حتى يتحرر المسجد الأقصى، النظرة ليست سليمة في نظري، نحن نصلي لله ونقوم بالليل ونتعبد لله، وندعوه حتى يتقبل دعاءنا، وحتى يستجيب استغاثتنا، وينصرنا على أعدائه وأعدائنا، أرجو أن تكون الفكرة هكذا، وليست بأننا نعاقب أنفسنا بالصيام حتى يتحقق هدفنا، لا يجوز أن يُنظر إلى الصيام هذه النظرة.

شكر الله لكم أيُّها الإخوة، شكر الله للأخ الشيخ إحسان، والذين قاموا على هذا المكان الكريم، وهذه المؤسسة في هذه الديار، شكر الله للإخوة، وشكر الله لأخواتنا وبناتنا، وأسأل الله أن ينفخ في روح الجميع، ويثبت على الحق أقدامهم، ويجعل الجميع من أهل الجهاد في سبيله، حتى يتحرر الأقصى وهو متحرر إن شاء الله، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





أهمية تكوين العلماء لإحياء الأمة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّمِ الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرُّشد، ومُخرجِ الناس من الظُّلمات إلى النور، سيِّدنا وإمامنا وأُسُوتنا وحبیبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحییکم به أئُّها الإخوة والأخوات تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فقد كنت تَوَاقًّا من سنين طويلة إلى أن ألقى هذا الجمع الكريم، في هذا البلد الكريم، وهذا الشعب الكريم، هذا الشعب العربي المسلم العريق، شعب العلماء والأدباء والشعراء، من سنين طويلة وأنا في شوق إلى أن ألقى أحبتي في موريتانيا.

(١) أُلقيت في العاصمة الموريتانية نواكشوط، بدعوة من مركز تكوين العلماء، في مايو ٢٠١٠م.

ولكن لا أكتممكم: أنه كان يحجزني حاجز، ويمنعني مانع، وهو أنني لم أكن أريد أن أدخل موريتانيا وعلم العدو الصهيوني خفاق في ربوعها، وقد قلت هذا لرئيس الجمهورية حينما لقيته من قريب، قلت له: جزاك الله خيرًا؛ أنت الذي فتحت لي الباب لزيارة موريتانيا، وربما طال المدى، ولم أدخل هذا البلد الحبيب إليّ، العزيز عليّ، الأثير لديّ؛ ما دام فيه هذا النجس الصهيوني. فالحمد لله طهر الله هذه الأرض الطيبة من هذا الرجس، ومن هذا العدو، القاتل السفاح، السفاك للدماء، الهتاك للأعراض، الحمد لله الذي خلّص موريتانيا من هذا الرجس وهذا النجس.

عدم الغرور أو الإعجاب بالنفس:

تحدث الإخوة الكرام شعراً ونثرًا متحدثين عني، وما أنا إلا جندي من جنود الإسلام، وأنا والله مقصر في حق هذا الدين، ولا يخدعني عن حقيقة نفسي مدح المادحين لي، وثناء المثنيين عليّ، وقد قال ابن عطاء الله السكندري في حكمه: الناس يمدحونك لما يظنونهم فيك، فكن أنت دائمًا لنفسك لما تستيقنه منها، أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظنّ ما عند الناس^(١). وأنا أعرف يقين ما عندي، أنني مفرط في جنب الله، مقصر في حقوق الناس، ومن ستر الله علينا كما قال أبو العتاهية:

أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمُسْتَوْرُ مِنَّا بَيْنَ جَنْبِيهِ فَضُوحُ
من ستر الله ومن نعمة الله: أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْمَعَاصِي رَوَائِحَ؛
فَلَا يَعْرِفُ النَّاسُ إِذَا مَرَوْا عَلَيْكَ أَنَّكَ عَصَيْتَ اللَّهَ فِي كَذَا، وَخُصُوصًا

(١) حكم ابن عطاء الله شرح العارف بالله الشيخ زروق ص ٢٧٩ - ٢٨١.

معاصي القلوب، إن معاصي القلوب هي أشد خطراً من معاصي الجوارح، فمعصية إبليس كانت معصية قلب: كبر وحسد، ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. أمّا معصية آدم فكانت معصية جارحة؛ أكل من الشجرة التي نُهي عنها، ولذلك سرعان ما رجع إلى ربه، ووقف على بابهِ، واستغفر وتاب، فقال هو وزوجه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ثُمَّ أَجْبَاهُ رَبُّهُ فَلَبَّابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿طه: ١٢١ - ١٢٢﴾.

أنا أعرف نفسي، وأقول كما قال الشاعر:

أحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ عَسَانِي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً
وَأَكْرَهُ مِنْ بُضَاعَتِهِ الْمَعَاصِي وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ^(١)

كل ما يمكن أن يميزني: أَنَّ الله أعطاني قلباً يحترق من أجل هذا الإسلام، أعطاني عيناً تدمع من أجل هذا الدين، أعطاني همّة للعمل على إحياء هذا الدين في نفوس المسلمين، أعطاني عزمًا على أن أقاوم أعداء الإسلام أينما كانوا، أعطاني صبرًا لأتحمل المآسي والمتاعب في سبيل الله، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل ذلك في ميزاني يوم القيامة: حسناتٍ ودرجات، وكفارة للسيئات.

يا أيُّها الإخوة الأحبة، ويا أيُّها الأخوات العزيزات، إن هذا الإسلام هو آخر الأديان، والقرآن هو خاتمة الكتب، ومحمد هو خاتم المرسلين

(١) ذكرهما ابن الجوزي من غير نسبة في بحر الدموع ص ٨٦ - تحقيق جمال محمود مصطفى، نشر دار الفجر للتراث، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، وعزاه ابن علان الصديقي للإمام الشافعي في الفتوحات الربانية (٤/٤٠٠)، نشر جمعية النشر والتأليف الأزهرية.

والنبيين، لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ، ولا شريعة بعد الإسلام، ليس هناك أنبياء بعد محمد، ولكن هناك ورثة للأنبياء، هؤلاء الورثة هم العلماء، الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

أهمية الإخلاص:

والعالم الحقيقي هو الذي يعلم ويعمل ويُعلم، ويخلص في ذلك كله، اللهم اجعلنا من عبادك الذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون. المهم هو القبول عند الله.

أحد السلف مرض مرضًا خطيرًا حسبوه مرض الموت، فذهب إليه بعض أصحابه وتلاميذه فوجدوه يبكي، فقالوا: مالك تبكي وأنت الذي فعلت كذا وكذا، صليت وصمت، وحججت واعتمرت وزكيت، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، وعلمت الناس؟! قال لهم: وما يدريني أن شيئًا من هذا قد قبل مني، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. والنبي ﷺ يقول: «التقوى هاهنا». وأشار إلى صدره^(١). المهم أن تعمل ويُقبل منك العمل.

دور العلماء الربانيين:

إنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء في هذه الأمة، وهم الذين يمسكون السفينة أن تغرق، وإذا غفل الناس فهم الذين ينهون الغافلين، وهم الذين يوقظون النائمين، وهم الذين يحركون الجامدين، وهم الذين يقدون القافلة، الأمة بخير إذا كان علماؤها هم قوادها.

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة

أَمَّا إِذَا قَادَ السَّفِينَةَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ، وَلَا يَعْرِفُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا يَعْرِفُ الضَّلَالَةَ مِنَ الْهُدَى، فَهَذَا هُوَ الْخَطَرُ كُلُّ الْخَطَرِ، وَهُوَ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الشَّهِيرِ، الَّذِي رَوَاهُ حَزِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يَدْرِكَنِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دُخَانٌ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، وَيَسْتَنُونَ بِغَيْرِ سُنْتِي». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قَالَ: صِفْهُمْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنْتِ»^(١). دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ يَدْعُونَ إِلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى أَنْ نَجْعَلَ قَبْلَتَنَا غَيْرَ مَكَّةَ، يَدْعُونَ إِلَى أَنْ نَجْعَلَ دُسْتُورَنَا غَيْرَ الْقُرْآنِ، يَدْعُونَ إِلَى أَنْ نَتَّخِذَ الْغَرْبَ قِبْلَةً لَنَا، يَدْعُونَ أَنْ نَتَّخِذَ أُمَّةً غَيْرَ أُمَّتِنَا، لَيْسَ أُمَّتُنَا عَنْدهُمْ مَالِكًا وَأَبَا حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ وَابْنَ حَنْبَلٍ وَأَمْثَالَهُمْ، وَإِنَّمَا أُمَّتُنَا عَنْدهُمْ فِي لَنْدُنْ، وَفِي وَاشْنَطْنِ، وَفِي مُوسْكُو، وَفِي غَيْرِهَا، هَؤُلَاءِ هُمُ الدُّعَاةُ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ.

ثَبَاتُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْحَقِّ:

وَلَا يَكُونُ هَذَا أَيُّْهَا الْإِخْوَةُ إِلَّا إِذَا فَرَّطَ الْعُلَمَاءُ فِي مَهْمَتِهِمْ وَفِي وَاجِبِهِمْ، يَجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَظْلُوا ثَابِتِينَ عَلَى مَوَاقِفِهِمْ كَالْجَبَلِ الْأَشْمِ، كَالصَّخْرَةِ الصُّلْبَةِ، لَا يَتَزَحْزَحُونَ عَنْهَا أَبَدًا، فَالْمَهْمَةُ مَهْمَتُهُمْ، مَهْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ.

وَلِذَلِكَ أَنْصَحُ إِخْوَانِي مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَبْنَائِي مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَحْفَادِي مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ سِلْسِلَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ، لَا يَجِبُ وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقِفَ عِنْدَ حَلْقَةٍ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ (٣٦٠٦)، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِمَارَةِ (١٨٤٧).

من الحلقات، العالم يرث العالم، ويورث عالمًا آخر، وهكذا السند متصل، والسلسلة موصولة بعضها ببعض، ولذلك أنا معني بموريتانيا، كنا نسمعها قديمًا (شنقيط): الشناقطة، وعلماء الشناقطة، وشعراء الشناقطة، وأدباء الشناقطة، هذا البلد بلد العلماء، حتى في هذه الجلسة الشيخ محمد الحسن ولد الددو كلما قدم لي وزيرًا من الوزراء، أو قائدًا من القواد؛ يقول: هذا أبوه عالم، وهذا جده عالم، وهذا من أسرة علم ودين، ووالده له كتاب كذا، وكتاب كذا. وكأن هؤلاء الناس كلهم من أهل العلم، فأنا قلت: والله هذا البلد بخير إن شاء الله، ما دام العلم فيه له منزلة إلى هذا الحد، وله هذه المساحة الواسعة فلن يضيع أبدًا.

الاعتزاز بالإسلام:

نحن أيُّها الإخوة نعتز بأننا مسلمون، سيدنا عمر بن الخطاب وهو في رحلته إلى فلسطين ليتسلم مدينة القدس أو إيلياء - كما كانوا يسمونها في ذلك الزمن - من بطريك المدينة صفرنيوس، قال لهم: لا أعطي مفاتيح المدينة إلا لأكبر قائد عندكم. فقالوا: أكبر قائد أمير المؤمنين. قال: له وحده أسلم المفاتيح. فأمر المؤمنين عمر وهو في طريقه إلى فلسطين، قابله مخاضة: ماء ووحل وطين، فشمر عن ساقيه وخلع نعليه وخاض هذا الوحل، وكان أبو عبيدة بن الجراح من الذين يستقبلونه فقال له: يا أمير المؤمنين، ليتك لم تفعل هذا. يعني أن هؤلاء الناس يكثرثون بالمظاهر، فقال عمر له: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! أنت أمين الأمة، ما كنت أحسبها تصدر من مثلك، نحن كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، ومهما نلتمس العزة بغيره أذلنا الله^(١). فاعتزازنا إنمّا هو بهذا الدين.

(١) سبق تخريجه ص ٢٨٢.

وفي بعض الأحاديث المروية في آداب الأكل والشرب، أَنَّ الإنسان بعد أن يفرغ من أكله وشربه يقول: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»^(١). حينما تقابل بعض الناس من غير العرب في مناسبة من المناسبات وتساءله: الأخ مسلم؟ يقول: مسلم والحمد لله. يعتز بهذا الدين، فنحن أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة محمد ﷺ، نحن خاتمة الأمم، أمة الخلود، ليس وراءنا أمة من الأمم، لا نعز بجنسيتنا ولا بعرقيتنا ولا بإقليمنا، ولا بأننا ننتسب إلى فلان أو فلان، وإنما نعز بانتسابنا إلى هذا الدين، بنسبنا إلى الله، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهَ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

أهمية تكوين العلماء:

الأمة بخير ما دام العلماء يقودون السفينة، ولقد سُررت بهذا الذي ذكره الإخوة (مركز تكوين العلماء) الذي يشرف عليه الشيخ محمد الحسن ولد الددو، وهذا أمر مهم جدًا، أن نُكوّن العلماء، نحن في حاجة إلى علماء يتكونون، العلم لا يأتي إلا بتكوين، وتكوين عميق، وتكوين شامل، وتكوين متكامل، وتكوين متوازن.

ليس كل ما كان ينفع بالأمس ينفع اليوم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، ما كان يُبين للناس في العصور الماضية ربما لا يُبين للناس في عصرنا، وأنا أفهم من قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾. ليس مجرد أن تُكلّم الإنجليز بالإنجليزية، والفرنسيين بالفرنسية، والصينيين بالصينية، هذا مطلوب؛ ولكن أن تكلم الخواص

(١) سبق تخريجه ص ٢٨٣.

بلسان الخواص، وأن تكلم العوام بلسان العوام، وأن تكلم أهل الشرق بلسان أهل الشرق، وأن تكلم أهل الغرب بلسان أهل الغرب، وأن تكلم الناس في القرن العشرين بلسانهم، وفي القرن الحادي والعشرين بلسانهم، ولهذا قال علماؤنا: الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، والعرف والحال. إذا كان هذا شأن الفتوى، فما بالك بشأن الدعوة، شأن البيان، لا بد أن يتغير، فلا بد إذن أن نعلم العلماء كيف يخاطبون الناس بلسانهم، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، فهذا مطلوب من العالم المسلم!

ذهب أحدهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ فشن غارة على الناس الذين يزورون الأضرحة، ويتوسلون بالأولياء، وأمريكا ليس فيها أضرحة ولا أولياء، فهذا لم يعرف كيف يبين للقوم.

ولذلك أنا مسرور أن هذا المركز لتكوين العلماء يريد أن يُعَلِّم العلماء كيف يرجعون إلى الأصول، وكيف يعيشون العصر، فلا بد من هذا، أن نوازن بين عصرنا وتراثنا، نأخذ من التراث ونستلهم من التراث، ولكن نعيش العصر الذي نحيا فيه حتى نبين للناس ما يجب عليهم.

مكانة العلماء:

إنني أرى أهل موريتانيا على خير؛ لأنهم لا زالوا يُكْرَمون علماءهم، ولا زالوا يرجعون إلى علمائهم، ولا زالوا يستفتون علماءهم، والأمة بخير ما دامت ترجع إلى هؤلاء الأعلام، الذين ينيرون لها الطريق، ويهدونها سواء السبيل، مستمدين من كتاب ربهم ومن سنة نبيهم، ومهتمين بثقافة عصرهم، وبهداية قومهم، وبالتعاون مع العالم كله، نحن لسنا أمة إقليمية، نحن أمة عالمية، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وأول آية

في القرآن بعد البسملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وآخر آيات في القرآن الكريم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]. هذا دليل على عالمية الإسلام.

ولذلك نحن علينا واجب نحو عالمنا الذي نعيش فيه، أن نبين لهم حقيقة الإسلام، كثير من الناس لا يعرفون حقيقة الإسلام، بعض الناس يعيشون ويموتون ولم يعرفوا الإسلام، وبعض الناس عرفوا عنه أشياء غير صحيحة، صورة مشوهة من عهد الحروب الصليبية، ونحن علينا أن نزيل هذه الصورة المشوهة، ونبلغهم الإسلام الحقيقي، الذي يدعو إلى الحوار والتفاهم لا إلى الصدام، وإلى التعارف لا إلى التناكر، وإلى الحب لا إلى البغض، وإلى السلام لا إلى الحرب، ويكفي أن الله تعالى عقّب على سورة الأحزاب فقال: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمِنَ الْإِسْلَامِ خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ليس دينا يتعطش للدماء من يقول: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾. وسمى صلح الحديبية فتحًا، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]. ولما سأل عمر: أفتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم هو فتح»^(١). لم يظنوا أن هناك فتحًا بغير حرب، لم يخوضوا في مكة حربًا؛ فكيف يُسمى فتحًا؟ لكنه فتح، فتح سلمى.

هذا هو الإسلام العظيم الذي يجب أن يحمل رايته العلماء، الذين يجب أن يقوم آباؤهم من العلماء على تكوينهم، تكوين جيل العلماء

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٥)، عن سهل بن حنيف.



المعاصر؛ حتى يحمل الراية ويقوم بالمهمة على ما يحبه الله تعالى ويرضى، وهذا ما نتمناه لعلماء الغد.

وأشكر للإخوة جميعاً الذين كرّموني، وما أنا إلا واحد منهم، أنا لا أشعر في هذا البلد أنني ضيف، ولكن أشعر أنني واحد من أهلها، أنا منهم وهم مني، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل حبنا خالصاً لوجهه، وأن يظلمنا ببركته يوم لا ظل إلا ظله، وأن يجعلنا من الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، وكفى بالله حسيباً، وجزاكم الله عني خيراً، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *





التطبيع مع الكيان الصهيوني^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا
ومعلمنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، ربنا آتنا من لدنك
رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً، ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا
من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم انصرنا ولا تخذلنا، وأكرمنا
ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.
أحييكم أيها الإخوة والأخوات بتحية الإسلام، تحية من عند الله
مباركة طيبة، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

(وبعد)

يوم القدس:

فكلمتي إليكم بمناسبة يوم القدس، قد اختار الإخوة الكرام أن يكون
يوم القدس هو اليوم السابع عشر من رمضان وليلة السابع عشر من

(١) ألفت هذه الكلمة ضمن حملة يوم القدس العالمي الثامن على الإنترنت، بتاريخ ٢٦

أغسطس ٢٠١٠م.

رمضان لأنّ هذا اليوم هو يوم بدر^(١) الذي سماه الله في كتابه ﴿يَوْمَ
الْفُرْقَانِ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وهو اليوم الذي نصر الله فيه أهل
الإيمان على أهل الكفر، وأهل التوحيد على أهل الشرك، وأتباع محمد
على أتباع أبي جهل، وأنصار الله على أنصار الطاغوت، كما قال تعالى:
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

معركة بدر هي معركة أدارها الله من فوق سبع سماوات، كما قال
تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]. الله هو الذي ربّ اللقاء، وربّ المواعيد، كما قال
تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِئُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ
مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

ما أحوَجنا نحن المسلمين إلى يوم كيوم بدر! يشفي فيه الله صدور
قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم، وينتقم من أعدائه وأعداء دينه،
وأعداء الأمة الإسلامية، نسأل الله أن يمن علينا بيوم كيوم بدر، تعلق فيه
كلمة الإسلام، وترتفع فيه راية القرآن، ويتحرر الأقصى الشريف المبارك،
الذي بارك الله حوله، يتحرر من رجس اليهود، ومن نير الصهاينة، ويعود
إلينا نحن المسلمين، نصلي فيه، ونتعبّد فيه كما نشاء.

زيارة المسجد الأقصى تحت الاحتلال:

وبهذه المناسبة أحبُّ أن أذكر فتوى كنتُ ذكرتها من عدة سنوات؛
حينما سألني بعض الإخوة عن زيارة المسجد الأقصى وهو تحت

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٢٦)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مطبعة مصطفى البابي

الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي: هل يجوز للمسلم أن يذهب إلى سفارات إسرائيل؛ ليأخذ منها تأشيرة، ويدمغ بها جوازه، توضع نقطة سوداء في جوازه، أن دخل سفارة إسرائيل، وأخذ تأشيرة من إسرائيل، ودخل تحت حراسة إسرائيل، وتحت علم إسرائيل؛ ليزور المسجد الأقصى؟

فأنا أفتيت بتحريم زيارة المسجد الأقصى لغير الفلسطينيين، الفلسطينيون مُستثنون؛ لأنَّ الفلسطيني أهله هناك، وأرضه هناك، يريد أن يزور أباه وأمه وإخوته وأقاربه، فلا مانع للفلسطيني أن يزور المسجد الأقصى، أمّا من عدا الفلسطيني فلا يجوز له أن يزور المسجد الأقصى؛ إلا محرراً تحت الراية الإسلامية، أمّا أن يدخل تحت الراية الصهيونية الإسرائيلية، تحت النجمة السداسية، تحت أسنة رماح الجنود الإسرائيليين، ويذهب ليتسول تأشيرة من سفارات إسرائيل؛ كما يدعو إلى ذلك بعض المشايخ في مثل هذه الأيام، يريد أن يهرول المسلمون في كل مكان إلى سفارات إسرائيل أفراداً وجماعات؛ ليتسولوا من إسرائيل التأشيرة، ويدخلوا تحت سلطان إسرائيل؛ فهذا ما أحرمه.

تحرير المسجد الأقصى لا زيارته:

نحن نشاق إلى المسجد الأقصى، وإلى أن نصلي في المسجد الأقصى، وكما كان يدعو الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ: أن يهيئ الله فرصة ليصلي في المسجد الأقصى قبل أن يموت، هل كان يريد أن يصلي تحت العلم الإسرائيلي؟ لو أراد أن يذهب إلى إسرائيل في أي وقت لفتحت له الدنيا، إنّما يريد أن يصلي في المسجد الأقصى وهو محرر، قد عاد إلى سلطان المسلمين، وإلى أيدي المسلمين.

الذي ينبغي أن نفكر فيه ليس زيارة المسجد الأقصى، وإنما تحرير المسجد الأقصى، الذي ينبغي أن يكون همّ المسلم ليلاً ونهاراً، والذي يشغل فكره وقلبه، ويكون همّ حياته هو كيف نحرر المسجد الأقصى؟ أمّا أن يكون همي أن أذهب لأصلي ركعات في المسجد الأقصى، واليهود حولي في كل ناحية، وأدفع لهم رسوماً، وأدخل تحت رايتهم، فهذا لا ينبغي لمسلم يفكر تفكيراً إسلامياً أن يكون هذا شأنه أبداً!

مقاومة المحتل لا تطبيع العلاقات:

مطلوب منا أن نقاتل هؤلاء القوم، وأن نخرجهم من ديارنا، وأن نردهم على أعقابهم كما كانوا، فإذا لم نستطع فعلى الأقل نقاطعهم، هذا هو الحد الأدنى، الله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فإذا لم نستطع أن نحاربهم نقاطعهم، أمّا أن يكون الحبل موصولاً بيني وبينهم، وأن أكون معهم كالسمن على العسل فهذا لا يجوز، لا بد أن يظل قلبي يغلي ويتمزق على أن المسجد الأقصى تحت سلطان اليهود، فلا أريد أن يراني اليهود إلا مقاوماً لهم، أمّا أن أزورهم ويزوروني فهؤلاء هم دعاة التطبيع، الذين يريدون أن يطبعوا العلاقات بيننا وبين إسرائيل.

ما معنى التطبيع؟ أن يجعل الشيء غير الطبيعي طبيعياً، فليس من الطبيعي أن يقتل اليهود إخواننا في فلسطين، يسفكون دماءهم، يدوسون مقدساتهم، يحرقون مزارعهم، يدمرون بيوتهم ومساجدهم ومدارسهم، يحاصرونهم ويجوعونهم، يحرمونهم من ضروريات الحياة، يتحكمون في رقابهم، وفي كهربائهم، ثم بعد ذلك نجعل الأمور بيننا وبينهم طبيعية؛ كأن شيئاً من هذا لم يحدث!

حق الشعب الفلسطيني:

أيُّها الإخوة، إنّ الحج ركنٌ من أركان الإسلام، ومع هذا فلو كان عليك دينٌ ومطلوب منك أن تسدده، فلا يجوز لك أن تذهب إلى الحج وأنت مدين بهذا الدين حتى لا تكون آثمًا، إلا إذا استأذنت صاحب الدين، وكانت لديك ثقة من نفسك أنك قادر على سداد الدين.

بل إذا نال المسلم أعظم ما يتمناه مسلم في حياته، وهو الشهادة في سبيل الله، وكان عليه دين؛ فإن النبي ﷺ يقول: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»^(١). وجاء رجل إلى رسول الله يقول: يا رسول الله، أرأيت إن قُتِلْتُ في سبيل الله تُكْفَّرَ عني خطاياي؟ قال: «نعم». فمشي الرجل، فنادوه، فقال له النبي ﷺ: «تُكْفَّرُ عَنْكَ خطاياك إِلَّا الدَّيْنَ، أخبرني جبريل بها الساعة»^(٢). بعدما سألتني وأجبتك، استدرك عليّ جبريل، «إِلَّا الدَّيْنَ»، يُسْتثنى الدين.

فإذا كان حق الإنسان ولو كان فردًا يمنع غيره أداء الحج، ويمنع قبول الشهادة في سبيل الله، فكيف يريد هؤلاء أن يُسقطوا حق الشعب الفلسطيني المُحاصر المُجوع المُشرد، ملايين الفلسطينيين شردوا في الآفاق، وهؤلاء اليهود شذاذ الآفاق الذين جاؤوا من بلاد العالم، جاؤوا واحتلوا أرضًا غير أرضهم، وديارًا غير ديارهم، وملكوا بيوتًا غير بيوتهم، وأصحاب البيوت موجودون لا زال بعضهم يحمل مفتاح بيته على أمل أن يعود له يومًا ما؛ كيف نُضيع هذا الحق؛ من أجل أن أذهب لأستمتع بالصلاة في المسجد

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٦)، وأحمد (٧٠٥١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٥)، وأحمد (٢٢٥٨٥)، عن أبي قتادة الأنصاري.

الأقصى، إن كان ولا بد أن تستمع؛ فاذهب إلى ما هو أفضل من المسجد الأقصى، وهو المسجد النبوي، أو إلى ما هو أعظم من هذا وذاك وهو المسجد الحرام، حيث الصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه.

لا لكسر الحاجز النفسي:

ولذلك، فأنا لا أجزع العلاقات بيننا وبين هذه الدولة الظالمة الطاغية الباغية، المستكبرة في الأرض بغير الحق، التي سفكت الدماء، وشردت الأهلين، وداست المقدسات، فعلت ما لم يفعل أحد، يجب أن تظل العلاقة معها هكذا: لا نكسر الحاجز النفسي، هم يريدون أن نختلط بهم، وليس وراء الاختلاط بهم إلا الشر، إذا جاؤوا إلى بلادنا سائحين، وذهبنا إليهم مسافرين لن نكسب من ورائهم شيئاً، ولن يأتونا إلا بالشر معهم: المخدرات، والفساد، والتحلل وكل شرٍّ، ولذلك يجب أن تستمر مقاطعتهم، فهذه فتواي التي أفيتت بها من سنين، ولا زلت أصرُّ عليها أكثر مما كنتُ من قبل.

ويجب على المسلمين أن يعوا هذا الأمر، ولا يستجيبوا لتضليلات المضللين، الذين يريدون أن يُذيبوا الفوارق والحواجز بيننا وبين اليهود، الذين لا زالوا يقيمون المستوطنات في فلسطين، وحول القدس إلى اليوم، ولما أراد أوباما أن يقرب بينهم وبين الفلسطينيين قال: أوقفوا الاستيطان مدة من الزمن، عدة شهور أو سنة. أبى الصهاينة أن يستجيبوا له، أو أن يوقفوا الاستيطان، وقالوا: نريد أن نتفاوض بدون شروط. يقولون هذا ثم يأتي نتيما هو ويفرض شروطاً، هو يفرض شروطاً وليس من حق أحد أن يفرض شروطاً.

التمسك بالحقوق:

نحن نريد من أمتنا أن تستمسك بحقوقها، وأن تدافع عن أقصاها، وعن هذا القدس، فالمدينة المقدسة ثلاثة المدائن بعد مكة والمدينة، والتي تتعرض لأخطار كل يوم، المسجد الأقصى يتعرض لأخطار من فوقه، ومن تحته، ومن حوله.. من فوقه يمنعون الناس من الصلاة فيه، ويريدون أن يقتحموه، ويريدون أن يقسموه بينهم وبين المسلمين؛ كما فعلوا في المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل.

ومن تحته الحفريات مستمرة، فقد عملوا مدينة تحت المسجد الأقصى، كما أن الاستيطان حول القدس وتغيير معالم مدينة القدس يجري على قدم وساق، ويريدون تهجير المقدسين من ديارهم، لا يسمحون لهم بأن يبنوا بيتًا، الأسرة التي كانت تتكون من خمسة أفراد أصبحت اليوم تتكون من ثلاثين؛ فهي محتاجة إلى بيوت تسعهم، وعندهم الأرض؛ لكن اليهود لا يسمحون لهم بالبناء، لا يعطونهم رخصة للبناء! وحتى المسيحيون يريدون أن يهجروهم، وهكذا والمخطط مستمر.

قضية الوعي:

نحن علينا أن نعي هذه الحقائق، ونعمل على توعية المسلمين بهذه القضية، وعلى الشباب الذين يعملون على الإنترنت وغير الإنترنت أن يعوا هذه القضايا، ويعملوا باستمرار على إمداد المقدسين بما يحتاجون إليه، وعندنا في مؤسسة القدس الدولية التي أتشرف برئاسة مجلس أمنائها عملٌ على تثبيت صمود المقدسين في بيت المقدس، لأنهم يريدون أن يهجروهم إلى أنحاء العالم وتبقى المدينة فارغة لهم، نحن



علينا أن نثبتهم وندعم صمودهم، ونرعى كل مصالحهم التعليمية والتربوية والثقافية، والصحية والبيئية، والعمرانية والاجتماعية، علينا أن نعمل على تسديد خُطاهم، وتثبيت أقدامهم في أرضهم؛ حتى ينصرهم الله على عدوه وعدوهم.

أسأل الله ﷻ أن يجعل يوم إخواننا في بيت المقدس وفي غزة وفي فلسطين عامة خيرًا من أمسهم، ويجعل غدهم خيرًا من يومهم، وأن يُحسن عاقبتهم في الأمور كلها، وأن يفتح لهم فتحًا مبينًا، ويهديهم صراطًا مستقيمًا، وينصرهم نصرًا عزيزًا، ويتم عليهم نعمته، وينزل في قلوبهم سكينته، وينشر عليهم فضله ورحمته، اللهم آمين.



في حفل تكريم الدكتور محمد عمارة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا
ومُعَلِّمنا رسول الله، وعلى آله وصحبه، وَمَنْ اتَّبَعَ هَدَاهُ.

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا لَا تُزِغْ
قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

سَمَّاني أبي (يوسف)، فبدأ اسمي بحرف الياء، وهو ختام الحروف
العربيّة، ولذلك آتي دائماً في آخر الناس، ولكي يرضوني يقولون:
مسك الختام.

أنا أرجو فعلاً - كما قال الأستاذ صلاح عبد المقصود - أَنْ أُعْطَى
شيئاً من حقي - ولو قليلاً - في هذه الكلمة عن الدكتور محمد عمارة؛
ونحن لا نستطيع طبعاً أن نوفي الأخ الكبير المعطاء الدكتور محمد
عمارة حقّه، ولكن أيضاً لا أستطيع أن أتحدث عنه في خمس دقائق،
ومن حقي أن يكون لي نصيب أكبر لعدة أسباب:

(١) أُلقيت في الندوة التكريمية التي نظمها مركز الإعلام العربي تحت عنوان: الدكتور محمد
عمارة مفكر الوسطية والتجديد، في القاعة الكبرى بنقابة الصحفيين بالقاهرة، مساء الثلاثاء

أولاً: لأنني أتحدث في الختام، فلا يُنتظر أن يتحدث أحد بعدي.

ثانياً: أنني أكبركم سنّاً، ولهذا الأمر حقه وأهميته.

ثالثاً: أنني جئتُ من مسافة بعيدة، ولهذا الأمر حقه أيضاً.

تكريم الرموز سنة إسلامية:

أنا أشكر في الحقيقة الأخ صلاح عبد المقصود، ومركز الإعلام العربي على تكريمه للرموز الإسلامية، وتكريم الرموز سنة إسلامية، فالله ﷻ كرم كثيراً من الأنبياء والمؤمنين، ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦]، ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]، وكان سيدنا إبراهيم يدعو: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

وحدثنا الله ﷻ عن فتية أهل الكهف، ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وحدثنا عن مؤمن آل فرعون، ومؤمن آل يس، وحدثنا عن مريم وعن أمها امرأة عمران، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، كل هذا نوع من التكريم الإلهي.

والنبي ﷺ كرم كثيراً من الصحابة، كما يظهر ذلك في ألقاب الصحابة، كان يُسمِّي أبا بكر: الصديق، ويُسمِّي عمر: الفاروق، ويُسمِّي عثمان: ذا النورين، ويُسمِّي خالدًا: سيف الله، هذا كله من تكريم الرسول لأصحابه، غير الأحاديث التي جاءت تُنوّه عن فضائل الكثير من الصحابة.

لهذا أنا أقول: تكريم مَنْ يستحقُّ التكريم هو سنة إسلامية، ومن حقَّ المُحْسِن أن تقول له: أحسنت. والإنسان بطبيعته يحب أن يرى أثر عمله عند الناس.

صحيح الأصل أن يعمل المؤمن عمله لله ﷻ، لا يشرك فيه أحداً من خلقه، فكما قال ابن عطاء في حكمه: «إن الله لا يحبُّ العمل المُشْتَرَك، ولا القلب المُشْتَرَك؛ العمل المُشْتَرَك لا يقبله، والقلب المُشْتَرَك لا يُقبلُ عليه»^(١). فيجب أن يكون عمل الإنسان كله لله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. لا يفعل الإنسان ما يفعل، ولا يقول ما يقول، ولا يكتب ما يكتب ابتغاء مَحَمْدَةَ الناس، لو دخلت هذه النية في عمله لضاع، هذا هو الأصل.

ولكن أيضاً: من واجب الناس أن يقولوا للإنسان إذا أحسن: أحسن الله إليك، جزاك الله خيراً. وفي الحديث: «من صنَّعَ إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً. فقد أبلغ في الثناء»^(٢). وفي حديث آخر: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(٣). والشاعر يقول:

لَوْ كَانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَاجِدٌ لِعِزَّةِ مُلِكٍ أَوْ بَرَفَةِ شَانٍ
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ وَقَالَ: اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ^(٤)

فالله ﷻ يحب من الناس أن يشكروا له؛ فكيف بنا نحن المخلوقين؟ فمن حق الإنسان المحسن أن نقول له: أحسنت.

(١) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق ص ٣٦٠.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٧.

(٣) سبق تخريجه ص ٧٧.

(٤) نسبه الثعالبي إلى أبي نواس الحكمي، كما في المنتحل (٨٠/١)، تحقيق أحمد أبو علي، نشر

المطبعة التجارية عزوزي وجاويش، الإسكندرية، ١٣١٩هـ - ١٩٠١م.

ونسبه ياقوت الحموي للعتابي الشاعر كلثوم بن عمرو، انظر: معجم الأدباء، تحقيق إحسان

عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

ونحن جميعاً نقول لأخيـنا الدكتور محمد عمارة: أحسنت، وجزاك الله خيراً فيما خدمت به الإسلام من هذا العطاء الثر الذي لا يزال موصولاً. وأنا أجد الشيخ عمارة - وأنا أقول عنه: الشيخ عمارة. فمهما كان أفندياً فهو الشيخ عمارة، هو شيخ أزهرى - أجد الشيخ عمارة في بعض كتبه يُعرّف نفسه في آخر الكتاب بسيرة ذاتية مختصرة، فأقرأ أنّ له ما يقرب من مائة وخمسين كتاباً، وبعد مدة يقول: مائة وسبعين. وبعد مدة يقول: مائة وتسعين. واليوم شاهدت في الفيلم الذي قدّموه عنه قالوا: إنّ له مائتين وخمسين كتاباً. ما شاء الله! هذا يعني أنّ الله يبارك في عطائه، وهذا العطاء من حقّنا، هو لهذه الأمة، فنحن نقول للدكتور عمارة: شكر الله لك.

قَلّة احتفاء الإسلاميين بعلمائهم:

أنا أقول: نحن - الإسلاميين - أقلّ الناس تقديرًا لعلمائنا ودعاتنا ومُفكّرنا، هذه حقيقة أقولها بصراحة: نحن الدعاة والعلماء وأهل الفكر لا يُنوّه بعضنا ببعض بالقدر الكافي، لا يتحدّث بعضنا عن بعض، لا يقتبس بعضنا من بعض، على خلاف العلمانيين والليبراليين والماركسيين، فهؤلاء يُعلي بعضهم شأن بعض، ويُضخّم بعضهم بعضاً على حدّ ما قال الشاعر:

ذهبَ الرّجالُ المُقتدى بِفِعَالِهِمْ والمُنكِرُونَ لِكُلِّ أمرٍ مُنكِرِ
وبَقِيَتْ في خَلْفٍ يُزَكِّي بَعْضُهُمْ بعضًا لِيَدْفَعَ مُعَوِّرٌ عَن مُعَوِّرٍ^(١)

فهؤلاء يُزيّن بعضهم بعضاً، ونحن لا يزيّن بعضنا بعضاً، ولا يحتفي بعضنا ببعض.

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي صنعة أبي سعيد السكري ص-٣٩٧.

تكريم الرموز في حياتهم:

ولذلك أنا أشكر للأخ صلاح عبد المقصود، ولمركزه (مركز الإعلام العربي)، أشكره مرتين: مرة على تكريمه للعلماء، ومرة على تكريمهم في حياتهم، لأننا كثيرًا ما لا نتحدث عن عظمائنا إلا بعد أن يفارقونا فنعرف قدرهم، ولكن الأولى أن نتحدث عنهم في حياتهم.

وأنا كتبت عن شيخنا الغزالي كتابًا سمّيته: «الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن»، وقرأه في حياته قبل وفاته، وكان معه في رحلته إلى الجنادرية التي لقي فيها ربّه، وسرّ بهذا الكتاب، وكتبت كذلك عن الشيخ أبي الحسن كتابًا سمّيته: «الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته»، ومعظم الكتاب كتبه في حياته، فمن واجبنا أن نُحيي رجالنا في حياتهم. والدكتور محمد عمارة هو من هؤلاء الرجال الذين ادّخرهم الله تعالى لنصرة هذا الدين، نحن نعلم أن الله ﷻ يهيئ لهذا الدين من يقوم بنصرته، كما قال ﷻ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

والعلماء يسمون هذه الأمة بالطائفة المنصورة، هذه الطائفة تبقى إلى يوم القيامة، كما استفاضت بذلك الأحاديث الصحاح: «لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق، لا يضُرُّهم من خالفهم حتّى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك»^(١). روى هذا الحديث باستفاضة عن عدد من الصحابة^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية.
(٢) صحّ من حديث عمر، والمغيرة، وثوبان، وأبي هريرة، وقرة بن إياس، وجابر بن عبد الله، وعمران بن حصين، وعقبة بن عامر، وجابر بن سمرة، وأبي أمامة، انظر: الأحاديث (٧٢٨٧) إلى (٧٢٩٦)، ومن (٧٧٠١) إلى (٧٧٠٤) من صحيح الجامع الصغير وزيادته.

هذه الطائفة المنصورة هي التي جاء بها الحديث الذي روي عن الإمام أحمد تصحيحه، ورواه البيهقي، وقوّاه ابن القيم: «يحمل هذا العلم من كلّ خلفٍ عدّوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»^(١).

وجاء في الحديث الآخر المشهور الذي رواه أبو داود، والحاكم، والبيهقي، وغيره: «إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنةٍ مَنْ يُجدّد لها دينها»^(٢).

وأنا لي رأي كتبه في هذا الحديث: أن «مَنْ» في هذا الحديث تصلح للمفرد، وتصلح للجمع، اختار العلماء السابقون أنّ المُجدّد واحد، ولكنني اخترت ما اختاره ابن الأثير^(٣)، وابن كثير^(٤)، وعدد من شراح الحديث: أنّ المجدّدين جماعة، قد يكونون في بلد واحد، وقد يكونون في أكثر من بلد، قد يكون بعضهم عالمًا، محدّثًا، أو فقيهاً، أو أصوليًا، وقد يكون بعضهم مجاهدًا عسكريًا، أو قائدًا سياسيًا، وهكذا.

وأنا أقول: يمكن أن يكون التّجديد في مدرسة، في جماعة تعمل على تجديد الإسلام، وهنا بدل أن تكون مهمّة المسلم أن يسأل: متى يأتي

(١) سبق تخريجه ص ٩١.

(٢) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه، ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (١٨٤٥)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي، عن أبي هريرة.

(٣) جامع الأصول لابن الأثير (٣٢٠/١١ - ٣٢٥)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر مطبعة الملاح ومكتبة الحلواني ودار البيان، ط ١، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٤٢/١٩)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

المجدّد؟ فيكون كل عمله الانتظار، تكون مهمّته أن يسأل: ما دوري في عمليّة التجديد؟ فيكون مشاركاً في التّجديد، والتّجديد قائم بحمد الله.

وأنا أشرح الحديث رأيت أن معظم الشُّراح يجعلون المُجَدِّدين على رأس المائة، فعمر بن عبد العزيز مجدّد السنة الأولى توفي سنة ١٠١هـ، والإمام الشافعي مجدّد السنة الثانية توفي سنة ٢٠٢هـ، وفلان توفي ٣٠٣هـ، النسائي أو كذا، والغزالي توفي سنة ٥٠٥هـ، وكأنّ الحديث يقول: إنّ الله يقبضه على رأس مائة سنة! ولا يقول: يبعثه. ومعنى يبعثه أنّه يبدأ في العمل.

ولذلك أنا أرى أنّ ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ أحق أن يكون من المجدّدين من ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢هـ، لكنهم لا يعدون ابن تيمية من المجدّدين.

وأنا أرى أنّ التّجديد ممتد، وخصوصاً أنّهم مختلفون في تحديد رأس السنة المذكورة في الحديث: هل تبدأ من البعثة، أم من الهجرة، أم من وفاة النبي ﷺ؟

محمد عمارة مجدّد وسطي:

لهذا أرى أنّ الدكتور محمد عمارة من مجدّدي هذا القرن، ومن مجدّدي هذه المائة مع إخوانه من المجدّدين، وليس معنى التّجديد أن يأتي يبتكر المجدّد لنا إسلاماً جديداً، يعمل لنا طبعة جديدة منقّحة من القرآن، كما نقرأ عن الأناجيل: هذه الطبعة منقّحة ومزينة وكذا. لا، نحن ليس عندنا في القرآن طبعة منقّحة ومزينة.

أنا أقول: إنّ أخانا الدكتور محمد عمارة هو من الذين هيّأهم الله لنصرة هذا الدين، وتجديد هذا الدين على المنهج الوسطي، والأخ

صلاح جعل هذه الندوة بعنوان: «الدكتور محمد عمارة مفكر الوسطية والتجديد»، وأنا مع محمد عمارة في الوسطية والتجديد، حتى إن قطر حينما أنشأت مركز القرضاوي، قالوا: إلى ماذا تنسبه؟ قلت: «مركز القرضاوي للوسطية والتجديد». فأنا أرى أن الوسطية في الحقيقة لا تكون إلا مجددة، والتجديد لا يكون إلا وسطياً، فمحمد عمارة وسطي مجدّد، لا بالمعنى الرياضي كما ذكر بعض الإخوة، وكما شرح الدكتور عمارة في عدد من كتبه وسطية أرسطو، وأنها تعني الفضيلة التي هي وسط بين رذيلتين، وليس هذا هو المقصود بالوسطية.

وإنما المقصود بالوسطية تلك التي تجمع بين المتقابلات في اتّساق وتوازن، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧-٩]. فهي تمزج بين الروح والمادة، وتجمع بين المثالية والواقعية، وبين الربانية والإنسانية، وتصل السماء بالأرض، والمخلوق بالخالق، والدنيا بالآخرة، إلى آخره.

محمد عمارة عالم موسوعي:

أردت في الحقيقة أن أكتب شيئاً عن الدكتور محمد عمارة، وأتي به لأقرأه، وإن كنت في الحقيقة لا أحسن قراءة ما أكتب، لم أتعوّد على ذلك، وحتى لو كتبت شيئاً أتركه، وأقول من رأسي، كنت قريباً في إسطنبول في اجتماع الجمعية العمومية للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وحضرت كلمة، وعند الإلقاء تركت الكلمة، وألقيت من رأسي، وقال لي الإخوة: هذا أحسن من المكتوب. قلت: الحمد لله.

لكن كنت أريد أن أخلص كلامي في شيء، إلا أنني غرقت في بحر محمد عمارة، ولم أستطع أن أخرج، لأنني احترت: في أي شيء

أكتب عن محمد عمارة: هل أكتب عن محمد عمارة الداعية الذي وقف بالمرصاد لكل من يعمل ضد الإسلام في الداخل أو في الخارج؟ أم عن محمد عمارة الباحث المنهجي الموضوعي؟ أو عن محمد عمارة المحقق؟ فهناك محمد عمارة المؤلف، وهناك محمد عمارة المحقق، تكلم ابننا عصام تليمة عن تحقيقه للأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، وهو حقّق الأعمال الفكرية لعدد من المُحدّثين من أعلام النهضة فجزاه الله خيرًا.

وإن كنتُ أتحمّضُ أنّه أدخل فيهم واحدًا عليه كلام هو قاسم أمين، كان قاسم أمين في مرحلته الأولى أقرب إلى الإسلام، وفي مرحلته الآخرة أقرب إلى الفكر الغربي، لكن هو أدخله فيهم، ولا مانع.

أنت إذن تتعب حينما تريد أن تكتب عن محمد عمارة، هل تكتب عنه محاضرًا؟ أم تكتب عنه مُتحدّثًا؟ أم تكتب عنه كاتبًا؟ أم تكتب عنه أديبًا؟ وله أسلوبه الخاص، أم تكتب عنه مفكرًا؟ وللدكتور محمد عمارة رؤيته الخاصّة في عرض الإسلام، وهو من الذين نقلوا الفكر الإسلامي من الأسلوب الاعتذاري أو التبريري أو الدفاعي إلى فكر المواجهة.

من الاعتذار والتبرير إلى المواجهة والهجوم:

نحن نعرف أنّ الفكر الإسلامي مرّ في وقت من الأوقات بما يسمونه فكر التبرير الذي يبرر الإسلام حتّى يوافق الغرب، فإذا كان الغرب يبيع الربا يأتي مَنْ يُبرر مسألة الربا، أنّ هناك ربا الإنتاج، وربما الاستهلاك، وأنّ ربا الاستهلاك هو المُحرّم، أمّا ربا الإنتاج والتجارة لا شيء فيه، وأنّ هناك ربا الجاهليّة ربا الأضعاف المضاعفة، وهناك ربا (٨٪)، وربما (١٠٪)، وأنّ ربا الأضعاف المضاعفة هو الحرام، وليس هذا الربا القليل.

والأضعاف المضاعفة - كما ذكر أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز - تعني الضعف مرتين، أي مثل الشيء مرتين، فإذا كان أقل الجمع ثلاثة يكون ثلاثة أضعاف على الأقل، فإذا كانت مضاعفة فاضرب الضعف الواحد في ست مرات يساوي (٦٠٠٪)، هل هذا معقول؟!

فالفكر الإسلامي مرّ بمرحلة التبرير هذه، ثم جاء الفكر الدفاعي أو الاعتذاري، أن نضع الإسلام في قفص الاتهام ونحاول أن ندافع عنه، بأنّ الإسلام يا جماعه معذور حين دعا الناس إلى الجهاد، وأنّه معذور حين عمل كذا، كأنّ مهمّتنا أن نوافق الفلسفة الغربية، والحضارة الغربية، فجاء الدكتور محمد عمارة ونقل الفكر الإسلامي إلى المواجهة، مواجهة الإسلام مع خصومه، والإسلام هو الحقّ، وحينما يواجه الحقّ الباطل لا نعتذر ولا ندافع، فالحقّ أحقّ أن يتبع، فهذه هي المواجهة، وقد نسميها الهجوم كما يقولون: خير وسائل الدفاع الهجوم.

وللدكتور محمد عمارة الفضل في أنّه وقف يدافع عن الصحوة الإسلاميّة، ويدافع عن الشباب الذين يتهمونهم بالتطرف وكذا، ويدافع عن أصحاب اللحي، وعن الحجاب، وعن النقاب، ويقول: هذه رموز التّحدّي. هكذا يقف للدفاع عن هذه الأمور بقوة، لا يريد أن يعتذر عنها، وهكذا يقف مع هؤلاء الشباب حتّى وإن أخطؤوا أو كذا، فهم أيضًا مدفوعون إلى هذا.

محمد عمارة بحر زخّار:

أنا أقول: حينما أردت أن أكتب عن الدكتور محمد عمارة - كما قلت لكم - غرقت في هذا البحر، وهو بحر لجّي، وبحر زخّار، وما استطعت أن أكتب في كل الجوانب، نعم كتبت ولكن طال بي المدى، وربما

يكون كتابًا بعد ذلك إذا وفقنا الله وَعَجَّلَ^(١)، مثل كتابنا عن الشيخ الغزالي وكتابنا عن الشيخ الندوي وهؤلاء الأعلام، ومن حقّ أخي الدكتور عمارة أن يكتب عنه الكاتبون، ويكتب عنه المفكرون جميعًا.

محمد عمارة مدافعًا عن الإسلام:

ومما ينبغي ألا ننساه للدكتور عمارة أنه يتتبع الموضوع الذي يكتب فيه، ويكتب فيه مرة واثنين وثلاثة وأربعة، أنا أعتبر الدكتور عمارة هو الآن - بعد الشيخ الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ - المدافع الأول عن الإسلام ضد خصومه، وهو يدافع عن العقيدة، ويدافع عن الشريعة، ويدافع عن القيم، ويدافع عن المفاهيم، ويدافع عن القرآن، ويدافع عن السنّة، ويدافع عن السيرة، ويدافع عن الصحابة، ويدافع عن التاريخ، ويدافع عن الحضارة، ويدافع عن الأمّة، ويدافع دفاعًا ما رأيت مثله، وعنده من الأسلحة ما يمكنه من أن يقف موقف هذا الدفاع، وسلاحه في ذلك المعرفة العلميّة، تكوينه العلمي الأزهري الدرعي، وكذلك قراءته الخاصّة.

قارئ متقن من الطراز الأول:

وقد تبين لي - مما قرأت له - أنه قارئ من الطراز الأول، يقرأ في القديم، ويقرأ في الحديث، ويقرأ في المترجمات، لعله لا يعرف مثلي الإنجليزية واللغات الأخرى، لكنّه يقرأ المترجمات ويتتبعها، وعنده حاسة يقظة في التقاط ما ينفعه، حتّى إنني وجدته يجمع من الصحف والمجلات ونحوها إحصائيات وتعليقات مهمة جدًّا.

(١) وقد وفقنا الله وَعَجَّلَ فصدر الكتاب في حياة الدكتور محمد عمارة رَحِمَهُ اللَّهُ، تحت عنوان: الدكتور محمد عمارة الحارس اليقظ المرابط على ثغور الإسلام، ونشرت دار المقاصد طبعته الأولى.



قضية الفتنة الطائفية:

وهناك موضوع تتبعته فيه، وهو موضوع كشف مكاييد النصارى ضد الإسلام، سواء في الداخل أو في الخارج، موضوع الفتنة الطائفية، وجدت أنه تتبع هذا الموضوع، وأتقنه في الحقيقة غاية الإلتقان، وتتبعه من جذوره منذ الفتح الإسلامي، وبداية تاريخ المسلمين.

ومن يقرأ هذا الموضوع في الحقيقة يجد أن المسلمين لم يظلموا النصارى يوماً، وأن النصارى هم الذين رحّبوا بالفتح الإسلامي، فلا يستطيع أحد أن يفتح بلداً كان يستعمره الرومان بثمانية آلاف جندي، كانوا المصريون أنفسهم أول مَنْ ساعد عمرو بن العاص وجنوده، وظلت مصر مدة من الزمن لا يدخل الإسلام منها إلا القليل، حتّى إنَّ الرجل الذي ذهب لسيدنا عمر واشتكاه إليه، وقال عمر: متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد ولدتهم أمّهاتهم أحراراً^(١)؟ رجع هذا الرجل إلى مصر ولم يسلم، لم يقل له أحد: لِمَ لَمْ تسلم؟

وبعد ذلك بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا، حتّى أنّهم في زمن بني أمية كانوا يفرضون الجزية على مَنْ أسلم، لأنَّ الناس أسلموا كثيراً، وسقطت عنهم الجزية، ولا يجب عليهم الزكاة إلا بعد حول، فأثر ذلك على ميزانية الدولة، فقال بعض الولاة: لا بدّ أن نبقي الجزية مفروضة في السنة الأولى على مَنْ أسلم. ولما جاء عمر بن عبد العزيز استفتاه واليه على مصر، قال له: مَنْ كان قبلي من الولاة يفعلون كذا فأرسل له

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

عمر رسالته الشهيرة يقول له: قبح الله رأيك؛ إِنَّ الله بعث محمدًا هاديًا، ولم يبعثه جابيًا^(١).

وبدأ الناس في مصر يدخلون في الإسلام حتَّى دخلت مصر كلها تقريبًا في دين الله، وأنا من قرية كبيرة جدًّا في مديرية الغربية ليس فيها مسيحي واحد، وفيها آخر من مات من الصحابة سيدنا عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معديكرب الزُبَيْدي، من قبيلة زُبَيْدة في اليمن، أعني أَنَّها قرية قديمة من أيام الصحابة وليس فيها مسيحي واحد، وهذا معناه أن كل البلد أسلمت، كل المصريين تقريبًا أصبحوا مسلمين، وأنا لا أعرف إن كنت أنتسب إلى تحتمس، أم إلى أحد من العرب؟ الله أعلم، والغالب أَنِّي في الأصل مصري تحتمسي فرعوني.

أقول: تتبع أخونا الدكتور عمارة هذه الأمور وكشفها، بل أكثر من ذلك: أَنَّهُ رد بالإحصائيات على الجماعة الذين هاجموه بمناسبة كتابه «فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية»، وأنا كنت فعلاً خائف عليه من الوهابيين والصوفيين والشيعة، فإذا بهم يقولوا لي: الدكتور محمد عمارة قامت عليه حملة كبيرة جدًّا من أجل كلمة مسّت اليهود أو النصارى أو شيء من هذا، وردت في كتابه وهو ينقل عن الإمام الغزالي.

وهو في الحقيقة تتبع الموضوع منذ عهد الجماعة القبطية إلى اليوم، ونحن شاهدنا الجماعة القبطية وعاشناها في أوائل الخمسينات، وكانوا يريدون إقامة دولة قبطية، حتَّى كانت لهم شعارات أشبه بشعارات الإخوان: الدولة القبطية غايتنا، والمسيح زعيمنا، والإنجيل دستورنا،

(١) رواه سعيد بن منصور، كما في سير أعلام النبلاء (١٤٧/٥)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات.

والقبطية لغتنا، إلى آخره، وبعد ذلك حلت الدولة المصرية - دولة ثورة يوليو - هذا التنظيم، ولكنهم وصلوا بطريقة أخرى طريق الانتخاب لا بطريق الانقلاب.

قضية التنصير:

تتبع الدكتور عمارة قضية الفتنة الطائفية، وتتبع أيضًا قضية التنصير الخارجي، تنصير الأمة الإسلامية، هذا أمر تتبّعه من جذوره، وتتبع بالذات مؤتمر كولورادو سنة ١٩٧٨م.

وأنا كنت مهتمًا بهذا الأمر، ودعوت الأمة الإسلامية أن تقف أمام هذا الغزو، دعوت إلى إقامة عمل آخر مضاد، إذا كان المنصرون قد رصدوا في هذا المؤتمر ألف مليون دولار لتنصير المسلمين في العالم، وأنشؤوا لذلك «معهد زويمر» ليحيوا ذكرى هذا المنصر العتيد زويمر الذي رأس المؤتمر التبشيري سنة ١٩٠٦م هنا في القاهرة.

في ذلك الوقت ناديت بإنشاء مؤسسة خيرية إسلامية عالمية لتقاوم هذا الغزو التنصيري، وأن نجمع ألف مليون دولار من المسلمين من أجل أن تقوم هذه المؤسسة، لو دفع كل مسلم دولارًا واحدًا نستطيع جمع الألف مليون، وتمّ هذا بالفعل، وأقمنا «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» لتقوم بدورها.

وبعد ذلك نُشر الكتاب الخطير الذي نتج عن هذا المؤتمر، ولم نكن قد قرأناه بعد: «التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي»، خطة خطيرة جدًا في الحقيقة لو نجحوا فيها معناه أنه لم يعد إسلام، ولكن نحن مؤمنون يقينًا بأن حقنا أقوى من باطلهم.

كان مؤتمر كولورادو خاصًا بالبروتستانت، وقبله قال الكاثوليك: إننا سننصرّ إندونيسيا في خمسين عامًا، ووضعوا لذلك خطة أيضًا. ولكن قام جماعة من المسلمين، على رأسهم الدكتور محمد ناصر وإخوانه، ووقفوا ضدّ هذا المخطط، وتبخر هذا الحلم، وازدادت الصحوّة الإسلاميّة في إندونيسيا قوة، وازدادت معها قوّة الإسلام هناك.

فشل محاولات التنصير:

وأنا أقول: الإسلام سيزداد - إن شاء الله - قوّة بعد قوّة، كان هؤلاء سنة ١٩٠٦م يذهبون إلى بلاد الصعيد وقرى مصر، ويقوم واحد منهم يكلم الناس عن المسيح والحواريين، ومريم العذراء، وكذا، ويظنون أنّ الناس استجابوا لهم، ثم قبل أنّ يختم كلمته يمر عليهم واحد فيقول: وحدّوه. فيقول الجميع: لا إله إلا الله. فيقول: صلوا على النبي. فيقولوا جميعًا: عليه السلام. ولذلك كتب رئيس الحملة التبشيرية: سيظل الإسلام صخرة عاتية في مصر تتحطّم عليها محاولات التبشير المسيحي ما دامت هناك هذه الدعائم الأربع في مصر: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي. ما دام القرآن يُتلى ويُحفظ في كل مكان، وعلماء الأزهر يفتون الناس ويعلمونهم، ويجتمع الناس كل يوم جمعة على هذه الصلاة وهذه الموعظة، وكل سنة يذهب الآلاف من الناس ليعودوا تائبين وأكثر اتصالًا بالله - سيظلّ الإسلام صخرة عاتية تتحطّم عليها محاولات التنصير المسيحي، فنحن مطمئنون.

محمد عمارة مدافع شديد الصبر:

الذي يهم من ذلك أنّ الدكتور محمد عمارة قام بمهمة كبيرة لفضح أعداء الإسلام وتعريتهم، كل أعداء الإسلام: العلمانيون،

والماركسيون، وحتى الدينيون والمتطرفون، نقد الغلو والتشدد الديني كما نقد الغلو العلماني، ونقد الغلو الماركسي، تتبّع هؤلاء وفضح مخططاتهم.

بل إنني أتعجب من صبر الدكتور عمارة في هذا، هناك واحد علماني واحد اسمه محمد سعيد العشماوي، لم أر أسمع ولا أسفه ولا أقبح ممّا يكتبه، يعدم نصوص القرآن والسنة إعدامًا، لا أعرف كيف صبر عليه الدكتور عمارة، وأنا كلما قرأت لهذا الرجل لا أطيق ما يكتبه، لكن الدكتور صبر عليه وعزّاه، تركه في العراء، مكشوف العورات، لا يستتر حتّى بورقة توت، هذا في الحقيقة ممّا يُشكر عليه الأخ الدكتور محمد عمارة.

اختلافي مع الدكتور محمد عمارة:

وقبل أن أختم أقول: فيم اختلفت مع الدكتور محمد عمارة؟

شدة التقارب بيني وبين عمارة:

أنا والدكتور عمارة من مدرسة واحدة، وأهدافنا واحدة، ومنطلقاتنا واحدة، وكلانا قرويان، هو فلاح وأنا فلاح، وبلده قديمًا كانت من الغربية، ولذلك جاء إلى معهد طنطا ليدرس فيه، أنا تخرجت من معهد طنطا، ثم لحق بالمعهد بعد ذلك، هو يصغرني بخمس سنوات، ونحن مشتركان في أشياء كثيرة، ولذلك نحن في الأفكار والمفاهيم متقاربان جدًّا والحمد لله.

ولكن هناك أشياء بسيطة، مثل مسألة عد قاسم أمين من رموز النهضة التي ذكرتها، وأذكر أنني اختلفت معه في أمرين: أمر علمي، وأمر لغوي.

الاجتهاد في القطعيات:

الأمر الأول العلمي: أنّه حينما ألف كتابه «معالم المنهج الإسلامي»، وفي حديثه عن الوسطية الجامعة، وهو في هذا الأمر فعلاً أستاذ إمام، ناقشته في قضية ولم يسلم لي فيها، قضية العلاقة بين النص والاجتهاد. أنا أقول: إنّ النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة لا اجتهاد فيه. وهذا ما قاله علماؤنا حينما قالوا: لا اجتهاد مع النص. أي في مقابلته، لا يقصدون النص من القرآن والحديث، لا، بل النص الأصولي، وهو ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، أنا أقول: هذا النص الذي لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، ويعرفه العلماء بأنّه القطعي الثبوت القطعي الدلالة، هذا النص لا مجال فيه للاجتهاد، وهو دائرة مغلقة تُمثل الثوابت الإسلامية: ثوابت العقيدة، وثوابت الشريعة، وثوابت الأخلاق، وثوابت المفاهيم والقيم، وهي تُجسّد وحدة الأمة الاعتقادية والفكرية والسلوكية، وهي قليلة جدًا، هذه الأحكام الثابتة بالنص القطعي ثبوتًا ودلالة قليلة جدًا، معظم أحكام الشريعة ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة، أمّا هذه الثوابت فهي قليلة جدًا، ولكنها مهمة جدًا لأنّها كما قلت: تمثل الثوابت.

الدكتور عمارة خالفني في هذا الأمر، ونحن مختلفان في هذه القضية تنظيرًا، ولكن من ناحية النتائج متفقان، ولذلك هو استدل بأشياء لا أرى أيًا منها قطعي الثبوت والدلالة، مثل قضية عمر والمؤلفة قلوبهم، وإيقاف قطع يد السارق في المجاعة، ومنعه الزواج من أهل الكتاب حتّى لا تكون هناك فتنة على المسلمين، وحتى لا توقعه المومسات منهن، وتجعله يُفرط في شرط الإحصان، هذه الأشياء أنا معه فيها لكن لا أرى شيئًا منها قطعي الثبوت والدلالة، وأرى أنّ يراجع الأخ محمد عمارة رأيّه، وينزل على رأي أخيه، لأنّ الأكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة؛ فكيف بخمس سنوات؟

ضبط مصطلح العلمانية:

الأمر الثاني قضية لغوية: وهي قضية العلمانية والعلمانية، والدكتور عمارة مُصِرٌّ على أنها علمانية، وهو معذور في هذا، لأنَّ الخطأ في ذلك يرجع إلى «المعجم الوسيط»، أرجو من الأخ الكبير الدكتور حسن الشافعي - وهو عضو مهم في مجمع اللغة العربية - أن يتبنّى هذا الأمر بعد أن أشرح له.

ليس في اللغة «عَلَم» بمعنى العالم، ولكن «المعجم الوسيط» قال: العَلَمُ العالم، ومنه العَلَماني^(١). هذا خطأ نشأ من قراءة خاطئة لمعجم «القاموس المحيط»، فالقاموس قال: المُعَلَمُ العلامة، ومظنة الشيء ودلالته، كُعَلَامَةٍ مثل رُمَانَةٍ، والعَلَم - أي بمعنى العلامة والدلالة - والعالم كل ما خلق الله^(٢). فَمَنْ يقرأ يجد العَلَمَ معطوفة على ما قبلها، لكنّه قرأها معطوفة على ما بعدها، هكذا: والعَلَمُ والعالمُ كل ما خلق الله. وهذا لم يقل به أحد من اللغويين، تقرأ لابن منظور تجده يقول: العَلَمُ العلامة^(٣). وتقرأ للزبيدي في شرح القاموس حينما جاء عند كلم العَلَم قال: ومنه ما قرأه بعضهم: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]. فالعَلَمُ العلامة، وليس العالم، فأننا أرجو من المجمع في طبعة لاحقة للمعجم الوسيط، أو في المعجم الكبير أن يراجع هذا الأمر، والدكتور عمارة طبعاً أخذ هذا عن المعجم الوسيط فهو معذور في ذلك. هذان هما الأمران الذين أذكر أنّي اختلفت معه فيهما، وبعد ذلك فأننا مع الأخ محمد عمارة في كل شيء، في عُجْرِهِ وَبُجْرِهِ، وَحُلُوهِ وَمُرِّهِ.

(١) المعجم الوسيط مادة (ع. ل. م).

(٢) القاموس المحيط مادة (ع. ل. م).

(٣) لسان العرب مادة (ع. ل. م).



الدكتور محمد عمارة في الحقيقة قمة من القمم الإسلامية، ورجل موسوعي كتب في أنواع الدراسات الإسلامية، وألف وحقق، وخطب وحاضر، وله ما شاء الله وَعَجَّلَ من المؤلفات الكثير، وأنا أرى أنه قد أدى ما يجب عليه لهذه الأمة، وعلينا أن نسأل الله جميعاً أن يبارك في عمره، ويبارك في عطائه، وأن يجزيه خيراً عن دين الإسلام، وعن أمة الإسلام، وعن حضارة الإسلام؛ إنه سميع قريب.

أعتذر منكم أيها الإخوة، وشكر الله لكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *





كلمة إلى الأمة في عيد الأضحى المبارك^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا
رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. ربنا آتانا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من أمرنا رشداً، ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من
لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

خير ما أحييكم به أيّها الإخوة والأخوات تحية الإسلام، وتحية
الإسلام السّلام، فالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تهنئة الأمة بعيد الأضحى المبارك:

ويسرني بهذه المناسبة الطيبة أن أتوجه إلى إخواني وأخواتي
المسلمين والمسلمات في مشارق الأرض ومغاربها بتهنئتهم بعيد
الأضحى المبارك، الذي أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعله بشير خير
وبركة على أمة الإسلام، وأن يجعله نذير وبال وحسرة على أعداء

(١) ألقىت بالدوحة، بمناسبة عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٣١هـ - الموافق ٢٠١٠م، ونقلتها قناة الجزيرة مباشر.

الإسلام، وأن يعيد أمثاله على أمتنا الكبرى بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما يحب ويرضى.

أهنتكم أيها الإخوة المسلمون في أنحاء العالم: في بلاد العرب، وبلاد الإسلام، وخارج بلاد الإسلام، فالحمد لله أصبح الإسلام في قارات الدنيا كلها، ما من مكان إلا وفيه مسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقىمون الصلاة، ويصومون رمضان، ويؤتون الزكاة، ويحجون البيت، ويرفعون شعائر الإسلام في كل مكان.

المعاني الإيمانية لشعائر الإسلام:

هذه الأمة الكبرى أتوجه إليها اليوم مهنتًا بهذا العيد، ومع هذه التهئة أود أن أقول: كنت أتمنى أن يكون هذا العيد كما أحب، وكما يحب كل مسلم، وكما يحب الله تعالى ورسوله، كنت أحب أن يكون المسلمون على صلة قوية بربهم، وبكتاب ربهم، وبسنة نبيهم، فلأجل هذا كانت الشعائر الإسلامية، لأجل هذا كان صيام رمضان الذي هو مربوط بعيد الفطر، ولأجل هذا كان حج البيت الحرام الذي هو مربوط بعيد الأضحى، فقد شرع الإسلام هذه الأعياد لمعانٍ ربانية ومعاني إسلامية.

ربط أعياد المسلمين بشعائر كبرى:

لهذه المعاني الربانية ربط الإسلام عيد الفطر بصيام رمضان، كأنما هو جائزة أو مكافأة على صيام هذا الشهر الكريم، كأنما هي الفرحة الكبرى بتوفيق الله إلى صيام هذا الشهر، صيام أيامه وقيام ليليه، كما

جاء في الحديث الصحيح: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(١). في كل يوم يفرح الصائم بتمام يوم من طاعة الله ﷻ، وفي آخر الشهر يفرح بالعيد أنه أتم هذه العبادة كلها، وفي يوم القيامة يفرح الفرحة الكبرى، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

كما ربط الإسلام عيد الأضحى بحج بيت الله الحرام، فيوم العيد هو يوم الحج الأكبر كما سماه القرآن الكريم، ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣]، فالعيد في الإسلام ليس مجرد يوم للهو واللعب، وإن كان الإسلام يشرع فيه اللهو اللب، والنبى ﷺ سمح للحبشة أن يلعبوا ويرقصوا بحرابهم في مسجده الشريف في يوم عيد، وسمح لزوجته عائشة أم المؤمنين ﷺ أن تتفرج على هؤلاء، وهي تنظر من النافذة من فوق كتف النبى ﷺ حتى شبت واكتفت، وقال النبى ﷺ: «حتى يعلم يهود أن في ديننا فُسحة، وأني بُعثت بحنيفية سمحة»^(٢).

مشروعية اللهو المباح في الأعياد:

سمح الإسلام باللهو واللعب في الأعياد، ولكنه لم يشرعها من أجل هذا، ثم إن اللهو واللعب في الأعياد مقيد بإطار الحلال، تمتع بالحلال ما شئت، كُلْ واشرب ما شئت، والبس من الثياب الجميلة والجديدة ما شئت، ولكن لا تتجاوز الحلال إلى الحرام. بعض الأديان يعتبرون يوم العيد يوم انطلاق للشهوة، فيفعل المرء ما يشاء!

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرجه: حديث قوي. وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في تغليق

التعليق (٤٣/٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٢٩)، عن عائشة.

ولكن العيد عندنا يبدأ بالعبادة، فيوم العيد يبدأ بصلاة العيد، ويبدأ بالتكبير، مع كل عيد تكبير، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، هذه المعاني الربانية المصاحبة للعيد.

المعاني الإنسانية في العيد:

ثم هناك معاني إنسانية مصاحبة للعيد، في عيد الفطر شرع الإسلام زكاة الفطر، زكاة عن الرؤوس: عن الأشخاص؛ يخرجها المسلم عند جمهور الفقهاء عن نفسه وعن يولي عليهم؛ من زوجة وأولاد وخدم ونحو ذلك؛ إذا كان عنده مقدار هذه الزكاة، فاضلاً عن قوت يومه وليلته.

فليس من الضروري أن يملك نصاب الزكاة، لأنّه يُعوّد المسلم أن يكون في يوم من الدهر معطيّاً لا سائلاً، يُعوّده أن تكون يده هي العليا، فلا يشترط أن يكون من أهل ملك الأنصبة الزكوية، ولكنّه يقول له: تعود على الإنفاق حتى وإن كان معسراً. كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ولذلك جاء في الحديث: «أَمَّا غِنْيُكُمْ فَيُزَكِّيهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَمَّا فَقِيرُكُمْ فَيُزَكِّيهِ اللَّهُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِمَّا أُعْطِيَ»^(١). فهو يعطي الزكاة، ويأخذ من الزكاة؛ فيرد الله عليه أكثر مما أعطى، هذا المعنى الإنساني: ألا يعيش الأغنياء وحدهم مستأثرين بفرحة العيد ومسرة العيد، ولا يشركون فيها الفقراء! هذا لا يجوز، ينبغي أن تعم الفرحة الجميع، ولذلك قال: «أَغْنُوهُمْ عَنِ السَّوَالِ فِي هَذَا الْيَوْمِ»^(٢). أي:

(١) رواه أحمد (٢٣٦٦٤)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الزكاة (١٦١٩)، عن عبد الله بن ثعلبة.

(٢) رواه الدارقطني في زكاة الفطر (٢١٣٣)، والبيهقي الزكاة (١٧٥/٤)، عن ابن عمر.

لا تدع الفقير يأتي ليسألك، اذهب أنت إلى بيته وأعطه زكاة الفطر؛ حتى يشترك معك في فرحة العيد، فهذا المعنى الإنساني في عيد الفطر.

والمعنى الإنساني في عيد الأضحى يظهر فيما شرع الله من الأضحية، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، ليوسع المسلم على نفسه وأهله، وأصدقائه وجيرانه، وعلى فقراء المسلمين بالأضحية؛ حتى يأكل الناس اللحم، هناك أناس لا يكادون يعرفون اللحم، كنت أسمع فقراء المسلمين يقولون هذا المثل: اللحم من العيد للعيد، والفاكهة في المرض الشديد. هؤلاء الناس محتاجون إلى أن يشاركوا الذين يذبحون الإبل والبقر والغنم، يشاركونهم في طيبات الطعام، فهذا المعنى الإنساني.

كيف يفرح المسلمون اليوم؟

هذه الأعياد بما فيها من دروس ينبغي أن يعتبر بها المسلمون، شُرعت الأعياد لكي يفرح المسلمون، ولكن قولوا لي: كيف يفرح المسلمون في هذه الأيام وحال المسلمين كما نرى؟

كان المسلمون يفرحون قديمًا بما يقدمون من انتصارات، وما يفتحون من فتوح، وما ينشرونه في بلاد العالم من نور الله ﷻ، كانوا يفرحون، ولكن الآن نحن ننتقل من سيئ إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأسوأ والعياذ بالله، العالم يتقدم ونحن نتخلف، العالم يتقارب ونحن نتباعد، العالم يتحد ونحن نختلف، أهذه حقًا أمة الإسلام؟!

تفرق الأمة هو سبب ضعفها وهوانها:

إنَّ الأمة التي تقوم على كلمة التوحيد وعلى توحيد الكلمة، نراها تتمزق فيما بينها، ويأكل بعضها بعضًا، ويعادي بعضها بعضًا، بل يجافي

بعضها بعضًا، بل يقاتل بعضها بعضًا، بل يقتل بعضها بعضًا، أهذه حقًا أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة محمد ﷺ؟! هل هذه الأمة التي نراها هي حقًا أمة البيت الحرام، أمة القبلة الواحدة، أمة العقيدة الواحدة، أمة الشريعة الواحدة، أمة النبي الواحد، أمة الكتاب الواحد، أمة الإله الواحد؟!

الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. وكأنما يشير القرآن بهاتين الآيتين إلى أنه لا تكمل العبادة ولا تتم التقوى إلا بالوحدة، إلا باتحاد الكلمة، إلا بجمع الصفوف.

العبادات توحد الأمة وتزيل الفوارق:

من أجل هذا شرع الله العبادات لتوحد الأمة، ولتزيل الفوارق فيما بينها، بصلاة الجماعة، بالحج حيث ينسى الجميع الخلاف الإقليمي، والخلاف الطبقي، والخلاف الجنسي والعرقي، واللغوي واللوني، فترى الأبيض مع الأسود، والغني مع الفقير، والأفريقي مع الأوروبي، كل هؤلاء يقفون ويقولون: لبيك اللهم لبيك. يلبسون لباسًا واحدًا، أشبه ما يكون بأكفان الموتى، يذكرهم بالآخرة، لا يُعرف أمير من مأمور، ولا كبير من حقير؛ لأنهم أصبحوا سواسية كأسنان المشط، ربهم واحد، وأبوهم واحد، لا فضل لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، كما علمهم النبي ﷺ في بيانه الرباني الإنساني الأخلاقي الرائع، في حجة الوداع: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد»^(١). فالإنسانية كلها أسرة

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرّجه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

واحدة، فما بالك بالأسرة الإسلامية؟ الأسرة الإسلامية أسرة واحدة جمع بينها الإيمان، وربط بينها الإسلام، وضمها في بوتقة واحدة القرآن الكريم، فكيف تتمزق هذه الأمة إلى ما نرى؟!

واقع المسلمين اليوم:

ماذا أقول؟! هناك في العراق من يقتل الآخرين، ومن يدمر الآخرين، وهناك في باكستان، وهناك في أفغانستان، وهناك في الصومال، وهناك الخلاف بين الفلسطينيين وبعضهم وبعض، هناك بلاد شتى متمزقة، هل هذا هو الإسلام الذي يقول قرآنه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. والذي يقول رسوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا». وشبك بين أصابعه^(١)، ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بَنِينَ مُرْضُوعًا﴾ [الصف: ٤]؟! في ساعة القتال - ساعة المعركة - لا يجوز أن يختلف واحد مع الآخر، ينسى الجميع كل شيء إلا المعركة، المعركة تُجمع ولا تُفرّق، كما قال الشاعر:

فإن يك الجنس يا ابن الطلح فرّقنا إن المصائب يجمعن المصابينا^(٢)

نحن في مصائب من شأنها أن تُجمع المتفرقين، وتوحد المختلفين، فكيف يختلف بعضنا مع بعض؟ وكيف يقاتل بعضنا بعضًا؟ وكيف نستجيب لدسائس أعداء الأمة، الذين يسرهم أن نكون متمزقين متفرقين؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) انظر: الشوقيات ص ٦٤٧، تعليق يحيى شامي، دار الفكر العربي بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

نحن في معارك متعددة: معركة عسكرية، ومعركة اقتصادية، ومعركة سياسية، ومعركة فكرية، ومعركة دينية، نحن مع أعدائنا في معارك شتى، لا مجال فيها لأن يختلف بعضنا مع بعض، فلا بد أن نتكتل، لا بد أن نكون صفًا واحدًا، هكذا يجب على هذه الأمة.

ولذلك حينما أنظر عن يميني وعن شمالي، أنظر في المشرق والمغرب، وفي الشمال والجنوب، وأرى هذه الفرقة بين أبناء هذه الأمة؛ أقول: كيف أفرح بالعيد؟ كيف يفرح الإنسان بالعيد؟ كيف يهون عليه أن يبتسم وهو يرى ما يرى؟

نور الدين محمود يأبى أن يبتسم:

كان السلطان نور الدين محمود الشهيد، الذي كان يُشبه بالخلفاء الراشدين في عدله وزهده، وشجاعته وحسن سيرته، كان لا يبتسم، حتى إنه روى حديثًا مسلسلًا بالابتسام، وهو الذي يبتسم فيه النبي ﷺ، والصحابي الذي روى الحديث يبتسم كما ابتسم النبي ﷺ، فهو يروي الواقعة قولًا وفعلاً، وكذلك يبتسم التابعي الذي روى الحديث، وهكذا يبتسم كل راوٍ روى الحديث، ولذلك يسمى (حديثًا مسلسلًا بالابتسام)، وكان نور الدين محمود ممن يقرؤون الحديث على مشايخهم؛ فلم يبتسم! فقال له شيخه: ابتسم. فلم يبتسم، قال: ابتسم حتى تكتمل الرواية. فلم يبتسم، فقال: لماذا لم تبتسم؟! قال: كيف لي أن ابتسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر^(١)؟! وكان الصليبيون إذ ذاك يحاصرون دمياط! فقال: تتعذر البسمة على فمي؛ لأن ثغراً من ثغور المسلمين محاصر. بهذا لم يستطع أن يبتسم وأن يكمل الرواية كما هو المعهود منها.

(١) ذكره السيوطي في حسن المحاضرة (٢/٢٨٩).



تخلف الأمة عن حضارة عصرها:

كيف نبتم نحن، كيف نضحك، كيف نستطيع أن نعيش حياة عادية إذا كانت أمتنا هكذا؟ نحن محسوبون في الأمم المتخلفة التي يسمونها (البلاد النامية) أو (بلاد العالم الثالث)، وعندنا بلاد لو كان هناك عالم رابع لُنُسبت إليه، الأمة منتشرة في بلادنا، والتخلف منتشر في بلادنا، كلنا نعاني التخلف، العالم يتقدم ونحن نتخلف، وكلما حاولنا أن نلحق بالعالم المتفوق المتقدم؛ نجده يسبقنا خطوات وخطوات، فنحن نريد أن نعوض ما فاتنا، وأن نعوض الخطوات الجديدة؛ لأننا إذا ركبنا الدواب ركب هو السيارات، فإذا ركبنا السيارات ركب هو الطائرات، فإذا ركبنا الطائرات ركب هو الصواريخ، والحقيقة أن السيارات والطائرات والصواريخ التي نركبها لم نصنعها نحن؛ صنعها الغرب المتقدم ونحن اشتريناها، فنحن لا زلنا عالة على غيرنا!

التخلف ليس شيئاً ذاتياً في أمتنا:

هل هذا التخلف شيء ذاتي في الأمة؟ لا والله، الأمة في وقت من الأوقات كانت رائدة العالم في العلوم والصناعات والتكنولوجيا، في الفيزياء والكيمياء والفلك، والأحياء والرياضيات، في كل شيء، علّمت الدنيا كلها هذا، وأخذ الغرب منها المنهج التجريبي الاستقرائي الذي يُنسب إلى روجر بيكون وفرنسيس بيكون، والحقيقة أنهم أخذوا هذا المنهج من الحضارة العربية الإسلامية؛ كما شهد بذلك مؤرخو العلم: جورج سارتون، وبريفولت، وغيرهم من المؤرخين للحضارات والعلوم والثقافات، ثم أصبح حالنا كما تعرفون، كيف نستطيع أن نفرح بالعيد وحالنا هكذا؟ أين مفكرو الأمة؟ أين أهل الرشد والحكمة؟!

تعادي الشعوب بسبب مباراة:

وآخر ما رأيناه وشهدناه بأعيننا، مأساة مباراة الكرة بين مصر والجزائر، من أجل لعبة الكرة، اسمها (لعبة) وتقام في ملعب، من أجل لعبة يفترق بلدان: شعبان شقيقان، بينهما تاريخ نضال مشترك، كل منهما وقف مع الآخر أيام حربه؟

الآن ينسى الجميع هذا، ويسبق الغوغاء والدهماء أهل الفكر والحكماء والعلم، يخطفون المسيرة من أهل الرشد والحكمة، ويقودون الشعب بالتهيج والتأجيج، والشحن والإشعال، ويصبح الشعبان متعاديّين، لِمَ هذا كله؟!!

كنا نقول: السياسة تفرق الناس، والرياضة تجمعهم. فأصبحت الرياضة تفرق أكثر من السياسة، هل هذا معقول؟ يقول الناس عادة في الرياضة: إنّما تنمي الروح الرياضية. ومعنى هذا أنّها تعلم الناس أن يصافح كل منهم منافسه؛ سواء كان غالباً أو مغلوباً، يهنئ المغلوب الغالب، ويقول الغالب للمغلوب: حظك موفق في المرة القادمة.

لماذا إذن أصبحت لعبة الكرة تفعل هذا بين شعبين وبين بلدين؟ أين العلماء والحكماء في البلدين؟ كأنّما لم يعد العلماء والحكماء موجودين، غلب صوت المهيجين والمؤججين والمهرجين صوت أهل الحكمة، أهذا يليق بأمة الإسلام، وأمة القرآن، وأمة محمد ﷺ؟! لا يليق هذا بأمّتنا.

مقارنة واقع اليوم بعراقه الأمس:

ولذلك يأتي علينا العيد بعد العيد؛ فلا نستطيع أن نفرح بالعيد كما ينبغي أن يكون الفرّح، لا نستطيع أن نضحك كما يضحك سائر الناس؛ لأن مصائبنا تغلب علينا، والأحزان تغلب الأفراح، وكما قال الأقدمون

بعد عهد النبوة بقليل، لبید بن ربیعہ شاعر من شعراء المعلقات أسلم، وكان له بيت ينشده باستمرار يقول:

ذهبَ الذين يُعاش في أكنافهم وبقيتُ في خلف كجلد الأجرِب^(١)

هكذا يقول لبید بن ربیعہ، وقد عاشت بعده أم المؤمنین السيدة عائشة عشرات السنين؛ فكانت تنشد البيت وتقول: رحم الله لبید بن ربیعہ؛ كيف لو عاش إلى زماننا^(٢)؟ وكان ابن أختها عروة بن الزبير - أبوه الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة - كان أيضًا ينشد البيت ويقول: رحم الله لبیدًا، ورحم الله عائشة؛ كيف لو عاشا إلى زماننا هذا^(٣)؟

ماذا نقول نحن في عصرنا هذا؟ نقول: رحم الله لبیدًا، ورحم الله عائشة، ورحم الله عروة، ورحم الله القرون التي بعدهم؛ كيف لو عاشوا إلى زماننا هذا؟! كيف لو نظروا إلى المسلمين يتقاتلون من أجل لعبة كرة؟!

هذا مما يوحي إلينا أنَّ المسلمين ليس عندهم في الواقع مشروع قومي كبير، تُعبأ من أجله الأمة، وتُحشد طاقاتها، وليس عندهم في الواقع مشروع رسالي دعوي كبير لدعوة العالم إلى هذا الدين؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما فعل الصحابة وتلاميذهم من التابعين.

(١) انظر: ديوان لبید بن ربیعہ ص ٢٦، تحقيق حمدو طماس، نشر دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٤٤٨).

(٣) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٩٢٤)، تحقيق عادل بن يوسف العزاوي، نشر دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

آثار المسلمين في الصين:

كنت في الأسبوع الماضي أزور الصين، وصليت الجمعة في مسجد له ألف وثلاثمائة سنة، ووجدت مسجدًا آخر له ثلاثة عشر قرنًا، ولعله أكبر مسجد بعد الحرمين، انظروا.. المسلمون وصلوا إلى الصين في القرن الأول الهجري، أوصلوا الإسلام إلى هذه البلاد، وفي وقت واحد كان هناك أربعة قادة من القواد العسكريين، كل منهم يحارب في جبهة: قتيبة بن مسلم يفتح الصين، ومسلمة بن عبد الملك يفتح سمرقند، ومحمد بن القاسم بن محمد يفتح الهند، وموسى بن نصير ومعه طارق بن زياد يفتح الأندلس في أسبانيا، أمة مشغولة بنشر هذا الإسلام في العالم، ماذا يشغل أمتنا الآن؟!

الأمة الإسلامية تحتاج من يحرك طاقاتها:

نحن نريد أناسًا يفجرون طاقات الأمة، والأمة والله فيها خير كثير، وفيها مصادر للقوة.

عندها القوة العددية، الأمة الإسلامية الآن يبلغ تعدادها في أحدث الإحصاءات مليارًا وخمسمائة وسبعون مليونًا، وبعضهم يقول: هم أكثر من هذا. فهم قوة عددية.

وعندها القوة الاقتصادية، يملكون الأراضي الزراعية الخصبة، وهذه المعادن والنفط والغاز وغيرها، في وسط قارات العالم.

وعندها القوة الحضارية، فالحضارات كلها نشأت في أرض الإسلام: الحضارة الفرعونية، والحضارة الفينيقية، والحضارة الآشورية، والحضارة البابلية والفارسية، والحضارة الهندية، كل هذه الحضارات نشأت في بلادنا.

ثم عندها القوة الروحية، رسالة الإسلام العظيمة، الرسالة التي تصل السماء بالأرض، وتصل الروح بالمادة، وتصل العقل بالقلب، وتوازن بين الفرد والجماعة، وبين الحقوق والواجبات، وبين الرجل والمرأة، وبين الحاكم والمحكوم، وتعطي كل ذي حق حقه، ﴿أَلَا تَطْغَوْنَ فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨ - ٩]، عندنا هذه الرسالة: قوة روحية لا تملكها أي أمة.

أمتنا إذن تملك الكثير، ولكن من يستغل هذه الطاقات؟ من يوجه طاقات الأمة وقدراتها إلى الإبداع، إلى عمل الخير وخير العمل، نحن في حاجة إلى قادة ينقذون الأمة، ويأخذون بزمامها؛ حتى تستطيع أن تنجز ما يجب أن تنجزه، أن تؤدي دورها في تحقيق عمارة الأرض، وعبادة الله، وهداية الناس إلى الحق والخير والجمال، إلى هذه الرسالة العظيمة التي جعلها رحمة، وجعل عنوانها الرحمة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهكذا وصف النبي ﷺ نفسه فقال: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَّهْدَاةٌ»^(١).

هذه الرحمة العامة العالمية يجب أن تُنقل إلى البشر جميعاً، ولن ينقلها المسلمون إذا حرموا أنفسهم منها، ما لم يطبقوا هذه الرحمة على أنفسهم ثم ينقلونها إلى الغير: لا يستطيعون أن يؤثروا في غيرهم!

هذه هي أمتنا في العيد، أمتنا في العيد لا يمكن أن تسر إنساناً يحب لها الخير، أمتنا في العيد تؤلم الإنسان المخلص الذي ينظر إليها بعين الإنصاف والحياد، ولكن الأمة لا يمكن أن تظل هكذا؛ إن معنا من

(١) سبق تخريجه ص ٧٣.



البشائر والمبشرات بأنّ هذا الدين لا بد أن ينتصر، ولا بدّ لكلمته أن
تعلو، ولا بد لرايته أن ترتفع، وإن مع العسر يسراً، وإن بعد الليل فجرًا،
﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته، وكل عام وأنتم بخير إن شاء الله.





الإنصاف والمصالحة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مَنْ أَرْسَلَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً للعالمين، وَحُجَّةً عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَنِعْمَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ، وَيُعَلِّمُهُم، وَيُزَكِّيهِمْ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، سَيِّدُنَا وَإِمَامُنَا وَأَسْوَتُنَا وَحَبِيبُنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ مَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ، وَاهْتَدَى بِسُنَّتِهِ، وَجَاهَدَ جِهَادَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

خير ما أُحْيِيكُمْ بِهِ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي طَرَابُلُسَ فِي هَذَا الْمَوْثَمَرِ الْعَظِيمِ - تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَتَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ السَّلَامِ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

(١) أَلْقَيْتُ فِي الْمَوْثَمَرِ الْأَوَّلِ لِلْحَوَارِ الْوَطْنِيِّ، بِعَنْوَانِ: الْإِنْصَافُ وَالْمَصَالِحَةُ، فِي طَرَابُلُسَ، لِيَبْيَا،

بِتَارِيخِ ١٠ دِيَسَمْبَرِ ٢٠١١ م.

(وبعد)

زيارة ليبيا ودواعيها:

فقد جئت مع إخواني من أعضاء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين لأزور ليبيا، مستجيباً لدعوتها لحضور هذا المؤتمر العظيم الذي يتصالح فيه أبناء ليبيا بعضهم مع بعض، بقيادة هذه الفئة الربّانية التي عاهدت الله تعالى على أن تقود هذا الشعب إلى ما فيه خير دينه ودنياه وآخرته، إلى ما ينفعه علماً وعملاً، وحاضراً ومستقبلاً.

مررت أولاً ببني غازي، رأيت أنّ لها حقاً عليّ، فقد مررت بها في أول مرة جئت فيها زائراً هذا البلد العظيم ليبيا سنة ١٩٧٢م، حينما حضرت ندوة التشريع الإسلامي في مدينة البيضاء، مررت ببني غازي في المساء، وحضرت المؤتمر في اليوم التالي، ثم غادرتها في المساء إلى طرابلس، لم تأخذ مني حقاً، ولم تسمع مني كلمة، فرأيت أنّ أمرّ بها هذه المرة، وأنّ أخطب فيها الجمعة استيفاء لحقّها قبل أن آتي إلى طرابلس.

ثم جئت إلى هذا البلد الطيب الذي لمست طيبته في عيون أبنائه، وفي قلوب أبنائه، وفي كلمات أبنائه، وفي وجوه أبنائه، لمست الطيبة الحقيقية، ولمست النخوة، ولمست الإسلام، ولمست العروبة، ولمست الوطنية في كلّ من ألقاه من أبناء ليبيا، والحمد لله رب العالمين.

لمست ذلك من رئيس المجلس الاستشاري مصطفى عبد الجليل، ومن رئيس الحكومة، ومن رئيس مجلس الإفتاء، ومن الوزراء الذين لقيتهم في قطر، ولقيتهم في مصر، ولقيتهم هنا في ليبيا، كلّ من لقيتهم من أبناء ليبيا أحمد الله وعجل أني استرحت إليهم، لم أر في هذا البلد أناساً

ملتوين، ظاهرهم غير باطنهم، رأيت أناساً ضُرحاء أقوياء، يقولون ما عندهم، ويفعلون ما يقولون، هذا هو الشعب الليبي.

من أجل هذا صممت وطلبت من أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني حفظه الله، وقد كان معي في الحقيقة في هذه الثورات العربية الخمسة كلها، كان أسبق مني، كان يعمل مع هذه الثورات، ويحس بها، ويتفاعل معها ككل واحد منا، قلت له: إنني ذاهب إلى ليبيا. فقال: ولكنني سمعت أن في ليبيا بعض القلق. قلت له: لا أستطيع أن أنتظر، هم طلبوني، وسيصيني ما أصابهم، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. قال: توكل على الله.

جئتُ إلى ليبيا لأحضر مؤتمر هذا، وهو مؤتمر للمصالحة والمسامحة والمصافحة، هذا شأن الشعب الليبي، أنه شعب متسامح متصالح متصافح، ليس شعباً يضرر الأحقاد، وقد حذر النبي ﷺ الأمة حينما قال: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلُقُ الدِّينَ»^(١). وهذا الشعب ليس شعباً حاقداً، وقد علّمنا القرآن أن التابعين للصحابه بإحسان يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. لا ينسوا مَنْ سبقوهم، ولذلك أعجبني من الإخوة الليبيين أن كل مَنْ تكلم منهم أول ما يبدأ يترحم على الشهداء.

(١) رواه أحمد (١٤٣٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لجهالة مولى آل الزبير. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

نترحم على شهداء ليبيا:

وأنا أترحم معهم على شهداء ليبيا، وهم ليسوا خسائر، صحيح أننا خسرناهم، أمّا هم فقد ربّحوا أنفسهم، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، أراد الله أن يتخذ من أبناء ليبيا شهداء، ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنْصَرَّ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٦].

نحن نحتسب هؤلاء الشهداء عند الله، ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، نحتسبهم أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين مستبشرين بمن بعدهم، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، هكذا علّمنا القرآن الكريم.

ولهذا نحن نترحم على شهدائنا، وندعو الله لجرحانا والمُعوقين منا، وهم كثر، نسأل الله ﷻ أن يشفي جراحهم، وأن يعوّضهم خيراً ممّا أخذ منهم، فالتعويض عند الله عظيم، والله تعالى يقول لرسوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠]. فالله يُعوّض ويزيد.

ويقول الله تعالى عن المؤمنين الذين بايعوا تحت الشجرة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿[الفتح: ١٨، ١٩].
فالله يعلم ما في هذه القلوب من صفاء، ومن إخلاص، ومن نيّة صادقة لله ﷻ، ويثيب على ذلك، فثقوا يا أهل ليبيا أن الله سيعوّضكم عوضاً كبيراً، ومغانم كثيرة تأخذونها، هذه نعمة الله ﷻ، وسيعطيكُم الله من نعمه

ما تعجزون عن شكره، نسأل الله أن يلهمنا شكر نعمه، وأن يوفينا هذه النعم، ويجعلنا أهلاً لها، ﴿وَكَاْنُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

شعب عزيز:

نحن جننا - أيها الإخوة - مع كبار أعضاء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين إلى ليبيا العزيزة علينا، الحبيبة إلينا، القرية من قلوبنا، التي نحُبُّها لله حبًّا جمًّا، ليس من أجل دنيا، ولا من أجل أحد، وإنما من أجل الله وَعَلَى.

هذا الشعب الليبي الذي أحبيناه - وهو جدير أن يُحَبَّ - آلى على نفسه أن يعيش حرًّا، رفضَ العبوديةَ لغير الله، رفضَ الذلَّ والهوان، وأبى أن يسجدَ إلا لله وحده، وقبِل أن يحني ظهره راعيًا لله، وأن يُعَفِّرَ جبهته ساجدًا لله، لا لمخلوق من المخلوقات، رفضَ المتألهين في الأرض، الذين كانوا يعاملون الناس على أنهم عبيد لهم، وأنهم آلهة لا يُسألون عما يفعلون، لقد انتهى عهد هؤلاء، وذهبوا كما يذهب كلُّ باطل، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

تحقيق التصالح والتسامح:

الآن يعيش الشعب الليبي حياته الجديدة، وهي حياة ينبغي أن تتسم بالتصالح والتسامح، بالأمس خطبت في بني غازي عن التسامح، وأن المسلمين أمة متسامحة، تتسامح دائماً ولا تتخاصم، وهي أمة تتصالح فيما بينها، هكذا يريد الإسلام.

إنَّ الله سُبْحَانَهُ يدعو المؤمنين إلى إصلاح ذات البين فيقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

ويدعوهم إلى الإصلاح بين الناس فيقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

حتى في مجال الأسرة يدعو إلى الإصلاح فيقول: ﴿وَإِن أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. الصلح خير، هذه جملة عامة، فكل صلح خير، ويقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

ولذلك حينما أرسل سيدنا عمر حَكَمَيْنِ ليصلحا بين زوجين متخاصمين، فذهبا وبقيأ أياما يحاولان أن يصلحا بينهما، فأخفقا وفشلا وعادا بالخيبة إلى سيدنا عمر، فقال لهما: أصلحا نياتكما وعُودا وحاولا. فرجع الرجلين بنية جديدة، بنية صادقة، وحاولا أن يصلحا ما بين الرجل وزوجته، واستطاعا أن يصلحا بينهما، وعادا إلى عمر بصلح جديد، فقال: أليس الله تعالى يقول: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾^(١)؟

والذين يقومون بالوساطة دورهم مهم أيضا في إصلاح ذات البين، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

هكذا يريد الإسلام أن نصلح بين الإخوة بعضهم مع بعض، لا نترك الأخوة تضيع في حماة الاختلاف، لا يجوز للاختلاف أن يصبح تفرقا،

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٤٩/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

من شأن الناس أن تختلف آراؤها، واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي. ولكن الخوف أن يصبح الاختلاف تفرقاً وتعادياً، وهو ما نبّه القرآن على التحذير منه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. لا تكونوا كالمترفين المختلفين، بل تختلف آراؤكم وتتحّد قلوبكم، وهكذا نريد من الشعب الليبي أن يتصالح.

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على الصلح، فحينما علم أن أهل قباء اختلفوا فيما بينهم، واقتتلوا حتى رمى بعضهم بعضاً بالحجارة، أراد أن يصلح بينهم، فأخذ جماعة من الصحابة وذهب ليصلح بينهم، وسمع أحدهم يتحدث إلى صاحبه، يحاول أن يسترفقه، ويعود به إلى حال الوفاق والتراضي والتواد، ولكن الآخر حلف بالله ألا يفعل، فغضب النبي ﷺ وقال: «أَيْنَ الْمُتَأَلَّى عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟» قال: أنا يا رسول الله، ولكن له عليّ أن أردّه إلى ما يريد. يأخذ من صاحبه ما أحبّ، ويترك ما أحبّ، فرضي النبي ﷺ^(١).

هكذا كان النبي ﷺ حريصاً على إصلاح ذات البين، حتى إنه يبيح لمن يصلح ذات البين أن يزيد في الكلام أو ينقص منه، ليس من الضروري أن يقول المصلح: إن فلاناً قال كذا وكذا. ويذكر كلامه القبيح نفسه، بل يجمل فيه حتى يقرب ما بين المتخاصمين، ولذلك روت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط: «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فيقول خيراً أو ينمي خيراً»^(٢). يزيد في بعض الكلام خيراً، هذا ليس بكذاب، فالإسلام يبيح في

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في الصلح (٢٧٠٥)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٧)، عن عائشة.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠٥).

بعض المقامات أن يزيد الإنسان في الكلام لمصلحة عظيمة، وأي مصلحة أعظم من إصلاح ذات البين، ما بين الناس بعضهم وبعض؟

لا يحب الإسلام أن يفسد ما بين الناس، حتى إن القرآن حينما علل تحريم الخمر - وهي أم الخبائث، وأم الكبائر - لم يقل: إنها تفسد العقول، وتضيع الألباب. فهذا معروف، وإنما قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ [المائدة: ٩١]. هذا ما يريده الإسلام، ولذلك كان النبي ﷺ يقول: «ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: إنها تخلق الشعر. ولكن تخلق الدين»^(١). فإصلاح ذات البين أفضل من أن تتنفل بالصلاة والصيام والصدقة، أفضل من ذلك أن تذهب لتصلح بين فردين متخاصمين، بين أسرتين متخاصمتين، بين طائفتين متخاصمتين، بين شعبين متخاصمين، بين إقليمين متخاصمين، أصلح ما استطعت إذا كانت عندك قدرة على الإصلاح.

ومن هنا جئنا لنشارك إخواننا الأحباء الكبراء في هذا المؤتمر العظيم الذي يريد أن يصلح بين الشعب الليبي، لا يريد أن يكون هذا الشعب شعوباً، بل يبقى شعباً واحداً كما هو، يبقى أبناؤه يحملون نفوساً كبيرة، ضمائر حيّة، تعفو وتصفح كما علم الله سيدنا أبا بكر رضي الله عنه حينما نال الناس من ابنته وحبيبته، الصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله ﷺ، حينما نال الناس منها في حديث الإفك ما نالوا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النور: ١١]. كانوا عصابة من بينهم.

(١) سبق تخريجه ص ٣٥٣.

وكان منهم قريب لأبي بكر اسمه مسطح بن أثال، ابن خالة أبي بكر، نال من عائشة، وسمع كلام الناس، وتحدث في عرضها رضي الله عنها، فحلف أبو بكر ألا يناله منه خير أبداً، كان يعطيه في كل شهر ما يكفيه وأهله، ويبره ويحسن إليه، ولكن لم تحسن فيه الصدقة، ولم يحسن فيه البر والخير، فحلف أبو بكر هذا الحلف، ولكن الله تبارك وتعالى - وهو البر الرحيم، أرحم الراحمين، الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً - أبى هذا على أبي بكر، وأنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. لا يحلف أصحاب الإحسان والخير والسعة في المال أن يمنعوا فضلهم. فقال أبو بكر: بلى أحب أن يغفر الله لي، وهو الغفور الرحيم، قد عفوت ورددت على مسطح ما كنت أعطيه من قبل^(١). وصفح عنه فيما قاله، وهو قد أقيم عليه الحد، وانتهى والحمد لله.

هذا ما يريد الإسلام أن يقيم عليه أمته، أمة العفو والصفح، أمة المغفرة والرحمة، كما فعل يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٩ - ٩٢]. هكذا كان يوسف عليه السلام.

وهكذا كان رسول الله محمد ﷺ أكثر الناس عفواً وصفحاً، يعفو ويصفح عن كل من أساء إليه، ومن آذاه، هذا هو رسولنا ﷺ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، حينما

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في التفسير (٤٧٥٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

فتح الرسول ﷺ مكة، وتمكّن من قريش، جمعهم وكانّ على رؤوسهم الطير، قال: «يا أهل مكة، ما تظنّون أنّي فاعلٌ بكم؟» قالوا: خيرًا؛ أخٌ كريم وابنٌ أخٍ كريم. هؤلاء العُتاة الذين طالما أذاقوه مر العذاب قالوا هذا الكلام اللين، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١). أطلقهم وفكّ عنهم، هكذا محمد ﷺ، ونحن أتباع محمد ﷺ، وتلاميذ هذه المدرسة العظيمة، ولذلك نحن نسامح ونصالح ونصافح ونعفو، والله تعالى أهل أن يعفو عنا.

تحقيق العدل:

ولكن أيضًا للعفو شروط وله درجات، هناك أناس ارتكبوا مُوبقات، هناك أناس لا زالت آثارهم في أبدان بعض الناس، وهناك أناس قتلوا مَنْ قتلوا، وشرّدوا مَنْ شرّدوا، وفعلوا ما فعلوا، الذين قتلوهم، والذين شرّدوهم، والذين آذوهم منهم، والذين أساءوا إليهم لا زالوا موجودين، ولذلك لا بدّ من وضع ضوابط للمصالحات: مَنْ نُصالحه، ومَنْ نعفو عنه؟ وهل نُمكّن مَنْ نُصالحه من أن يحكمنا، ليصبح سيّدًا علينا؟

لا، ليس هذا، لا يجوز لهؤلاء الذين حكمونا وأذلّونا وأذاقونا مرّ العذاب طوّال هذه السنين أن نحكّمهم في رقابنا مرة أخرى، لا بدّ أن نريخهم من أن يحكمونا، لا بدّ من فترة من الزمن - حوالي سبع سنوات أو نحو ذلك - نقول لهم: ابتعدوا عن حكم بلدنا، وحكم شعبنا، نحن نصالحكم ونعاملكم معاملة طيّبة، ولكن على ألا تحكّمونا.

أعتقد أنّ هذا هو ما يجيء به الحق، وما يجيء به العدل، نحن نريد مصالحة عادلة تعطي كلّ ذي حقّ حقّه، والعدل هو هدف الرسالات السماوية جميعًا، ليس هدف الإسلام فقط، بل كل رسالات السماء

(١) انظر: السيرة النبويّة لابن هشام (٤١٢/٢)، عن ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم.

جاءت بالعدل، والقرآن يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. أرسل الله كلَّ الرسل بالبيّنات الناصعة والناطقة، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليتعلم الناس أنفسهم كيف يقوموا بالقسط، تعلموا أن يعدلوا بين الناس.

وحينما يأمر الله بثلاثة أمور يكون العدل أحدها أو أولها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، وإذا أمر بأمرين يكون العدل أحدهما، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وإذا أمر بأمر واحد يكون هو العدل، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩]، والقسط هو الأمر الأول في كلِّ الديانات، والله ﷻ هو العدل، ومن أسمائه الحكم العدل، ولذلك يريد من عباده أن يحكموا بالعدل.

ونحن نطلب من إخواننا أن يحكموا بالعدل، وأن يقضوا بين الناس بالعدل، وألا يخافوا في الله لومة لائم، نريد لهذا الشعب أن يضمّر الأحقاد في نفسه، انتهى عهد الأحقاد، نحن نريد عهدًا صافيًا، ظاهره كباطنه، هذا هو الشعب الليبي كما أراه، وكما أعرفه، وكما أحبه، نريد لهذا الشعب أن يتصافى بعضه مع بعض، ولكن لا بدّ مع هذا أن يأخذ كل ذي حقّ حقه، إلا أن يعفو، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فنحن نريد للشعب الليبي أن يقيم العدل.

تحقيق الرحمة:

ونريد للشعب الليبي أن يقيم الرحمة أيضًا، نريده أن يقيم مع العدل مبدأ الرحمة، وحينما أراد القرآن أن يصوّر رسالة محمد ﷺ

صَوَّرَهَا فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، آيَةٍ قَصِيرَةٍ جَدًّا، فِي نَصْفِ سَطْرٍ، قَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. هكذا بأسلوب القصر، فليس هناك غير الرحمة، وليست هذه الرحمة للعرب وحدهم، ولا للمسلمين وحدهم، بل هي لكلِّ العالمين، هذه رسالة محمد ﷺ، رسالة العدل، ورسالة الرحمة.

من أجل هذا جئنا ندعو إلى العدل، وإلى الرحمة، وإلى الصِّفح، وإلى العفو، وإلى المحبة بين هذا الشعب كلِّه، نريد من هذا الشعب أنْ يُمَدَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُ يَدَهُ إِلَى يَدِ أَخِيهِ، وَيَصَافِحَ أَخَاهُ، وَيَعْفُو عَنْهُ، وَيَعِيشَ الْجَمِيعُ لِبِنَاءِ لِبْيَا الْحُرَّةِ، لِبْيَا الْمُسْتَقْبَلِ، لِبْيَا الْعَظِيمَةِ، لِبْيَا الَّتِي تَرِيدُ أَنْ تَتَبَوَّأَ مَكَانَهَا تَحْتَ الشَّمْسِ بِلَدًّا عَظِيمًا، بِلَدًّا طَيِّبًا، بِلَدًّا مَثْمَرًا، يُوْتِي أَكْلَهُ، وَيَحَقِّقُ أَهْدَافَهُ، ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْكَرِيمَ أَنْ يَلْبِّي حَاجَاتِ أَبْنَاءِ لِبْيَا، وَأَنْ يَحَقِّقَ آمَالَهُمْ، وَيَحَقِّقَ أَهْدَافَهُمْ، وَيَهَيِّئَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ رَشَدًا، وَأَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْبَلَدَ بِلَدًّا طَيِّبًا آمِنًا، يَفْتَحُ لَهُ فَتْحًا مَبِينًا، وَيَهْدِيهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَيَنْصُرَهُ نَصْرًا عَزِيزًا، وَيَتِمَّ عَلَيْهِ نِعْمَتُهُ، وَيَنْزِلَ عَلَيْهِ سَكِينَتُهُ، وَيَنْشُرَ عَلَيْهِ فَضْلَهُ وَرَحْمَتَهُ، حَتَّى يَحْتَفِلَ مَعَ بَقِيَةِ الثُّورَاتِ الْعَرَبِيَّةِ.

لَقَدْ كَانَ الْمَجْلِسُ الْإِنْتِقَالِيُّ اللَّيْبِيُّ أَوَّلَ مَنْ اعْتَرَفَ بِالْمَجْلِسِ الْوَطَنِيِّ السُّورِيِّ، وَهَذَا مَا نَشْكُرُهُ لَهُ وَنُحْيِيهِ عَلَيْهِ، فَنَرْجُو أَنْ تَحْتَفِلَ لِبْيَا عَنْ قَرِيبٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِانْتِصَارِ الْحَقِّ فِي سُورِيَا عَلَى الْبَاطِلِ، وَانْتِصَارِ الْعَدْلِ عَلَى الظُّلْمِ، وَانْتِصَارِ الشَّعْبِ عَلَى الْجَنَازَةِ الطَّغَاةِ الظَّالِمِينَ،

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾
[الفجر: ٦ - ١٤].

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ تَحْتَفِلَ لِي بِهَا الْحُرَّةُ الْمُسْتَقْلَةُ الْأَبْيَّةُ عَنْ قَرِيبٍ
بِالْيَمَنِ الْحُرِّ الْمُسْتَقِلِّ، وَبِسُورِيَا الْحُرَّةِ الْمُسْتَقْلَةِ، اللَّهُمَّ آمِينَ.
وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا، وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ - وَرَحْمَةَ اللَّهِ
وَبَرَكَاتِهِ.



ليبيا في عهد جديد^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على المبعوث رحمةً للعالمين، وحنةً على الناس أجمعين، ونعمةً للمؤمنين، يتلو عليهم آيات ربهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، سيدنا وإمامنا وأسوتنا، وحبينا ومعلمنا وقائد ركبنا: محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحييكم به أئها الإخوة والأخوات تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام؛ فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهذه هي المرة الثانية التي أزور فيها هذا المسجد المحبب، وإمامه الشيخ محمد وإخوانه، الذين يعملون في هذا المسجد العظيم، وأسأل الله سبحانه أن يبارك في هذا المسجد وفي أهله ورواده، فالمساجد هي

(١) ألقىت بمسجد الشهداء، في العاصمة الليبية طرابلس، على هامش المؤتمر الأول للحوار الوطني: الإنصاف والمصالحة، في ١٠ ديسمبر ٢٠١١م.

مصانع التوحيد، المصانع التي تصنع الرجال وتصنع الأبطال، مصانع الأمة الإسلامية، إذا أردت أن تعرف من هم أبطال الأمة ورجالها فانظر من يكون في مساجدها، فإذا رأيت الشباب والأطفال الذين بدؤوا سن الصلاة يعمرون المساجد؛ فاعلم أن الأمة بخير.

سيرة عمر المختار:

ليبيا بلد مُحبب إليّ من قديم، كنت أتبع فيها سيرة عمر المختار والمجاهدين، الذين جاهدوا معه الاستعمار الإيطالي، وبلغوا ما بلغوا من هذا الجهاد، وضَحّوا بما ضَحّوا، وقَدّم عمر المختار رقبته لله وَجَلَّ، ونشروا رفاتهِ في الهواء، كما قال شوقي رَحِمَهُ اللهُ:

رَكَزُوا رِفَاتَكَ فِي الْعَرَاءِ لَوَاءً يَسْتَنْهَضُ الْمَاضِي صَبَاحَ مَسَاءٍ
يَا وَيْلَهُمْ رَكَزُوا لَوَاءً مِنْ دَمٍ يُوحِي إِلَى جِيلِ الْغَدِ الْبَغْضَاءُ^(١)

نشأة الحركة الإسلامية المعاصرة في ليبيا:

كنت أتبع وأقرأ سيرة الليبيين، وجاءت مِحْنة الإخوان المسلمين الأولى في سنة ١٩٤٩م. وأخذنا ونحن شباب، كنت في ذلك الوقت في السنة الخامسة الثانوية، في معهد طنطا الديني، أخذنا إلى معتقل الطور، وعرفنا أن بعض إخواننا ذهبوا إلى ليبيا، ثلاثة من الإخوان؛ منهم الأخ الكبير، العالم الداعية المربي: عز الدين إبراهيم، ومعه محمود يونس، وأخ ثالث، جاؤوا إلى الملك السنوسي فاحتضنهم الملك، هربوا مما يفعله إبراهيم عبد الهادي في ذلك الوقت بشباب الإخوان، فجاءوا من طريق الغرب، واستطاعوا أن يصلوا إلى ليبيا، ويصلوا إلى الملك إدريس السنوسي.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٧/٣).

كنا بالأمس في بني غازي، وقابلني بعض الإخوة من كبار الإخوان المسلمين، وقال: أنا من تلاميذ عز الدين إبراهيم. قلت: من سنة ١٩٤٩؟ قال: نعم. من سنة ١٩٤٩م. وهو يحمل الدعوة الإسلامية، أخذها عن عز الدين إبراهيم وإخوانه، وأصبح يحملها فكرة واضحة في رأسه، وعقيدة راسخة في قلبه، وبرنامجاً منظماً لحياته، هكذا كان، وهو كبير مثلي، فقلت له: جزاك الله خيراً وثبتك على عقيدتك وعلى إيمانك.

انقلاب القذافي على الملك السنوسي:

كانت هذه ليبيا عندنا، ثم جاءت الثورة، وكنت في ذلك الوقت في بيروت، ما كنت أستطيع أن أنزل إلى مصر في ذلك الوقت، كنت في دولة قطر الحبيبة، وما كنت أذهب إلى القاهرة، كنت أذهب وعائلي إلى بيروت، وهناك سمعنا أن انقلاباً حدث في ليبيا، وأُزيح بالملك إدريس السنوسي، وجاء مجموعة من العسكريين في ليبيا، وقلنا: نسأل الله أن يكون هذا لليبيا خيراً. فقد كنا نتوقع الشر من العسكريين، لأننا جربناهم في مصر، ولقينا على أيديهم الأمرين، شربنا الصّاب والعلقم، وخرجنا من مصر إلى قطر في ذلك الوقت، ثم جاءت محنة أخرى في سنة ١٩٦٥م. عافانا الله منها، لم ننزل إلى مصر، نزل بعض إخواننا وأخذوهم إلى السجون.

مشاركتي في ندوة التشريع الإسلامي:

وقامت هذه الثورة في ليبيا، وقالوا: قائدها شاب يُسمّى القذافي. وظهر القذافي وزعم أنه يطبق الشريعة الإسلامية، ودُعيت في سنة ١٩٧٢م. إلى ليبيا للمشاركة في ندوة التشريع الإسلامي، فكانت هذه أول مرة أدخل فيها أرض ليبيا، وللمشاركة في هذه الندوة (التشريع الإسلامي)، وكان قد أعلن القذافي أننا نريد أن نحرر التشريع الإسلامي

من القوانين المخالفة للإسلام، وكان المستشار علي منصور - من مستشاري القاهرة المعروفين - على رأس هذه الحملة، واستقبلنا في بني غازي ثم في البيضاء.

ذهبنا إلى البيضاء وأقمنا فيها أسبوعاً، وكان القذافي في خارج البلاد، فلما عاد من خارج البلاد استدعاني لأقبله فذهبنا إليه كلنا، كان هناك عدد من مشايخنا الكبار: الشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ علي الخفيف، والشيخ محمد بيسار، والشيخ مصطفى الزرقا من علماء سوريا، والشيخ صبحي الصالح من علماء لبنان، عدد من مشايخ مصر وسوريا والعراق، والأردن ولبنان وهذه البلاد كلها؛ جاؤوا للمشاركة في ندوة التشريع الإسلامي.

استدعانا معمر القذافي لنقابله في طرابلس، وذهبنا في طائرة خاصة من بني غازي إلى طرابلس، ظللنا ننتظره من الساعة العاشرة إلا قليلاً حتى جاء قرب الساعة الثانية عشر، وظللنا معه حتى الثالثة صباحاً نناقشه ويناقشنا في كثير من الأمور، وكان معه واحد يتحدث باسمه ويدافع عنه، وما لم يقولوه هم يقوله هو، وكان على يمينه عبد السلام جلود، وعلى يساره شخص لا نعرفه، بعد أن انتهى جاء هذا الشخص الذي على يساره وكلمني وقال: أنا أخوك بشير هوادي، أنا من قراء كتبك ومعجب بأفكارك وكذا وكذا. فقلت له: جزاك الله خيراً، إذن سأرسل إليك بقية كتبي. وخرج على القذافي بعد ذلك، وحدث ما حدث، وسمعت أنه عاد إليهم بعد مدة، وسبحان مقلب القلوب والأبصار!

كانت هذه هي الزيارة الأولى لليبيا، عرفت أن كتبي ممنوعة في ليبيا، قالوا: إن كتبك لا يُسمح لها في ليبيا، ولا يجوز أن تُشترى ولا أن تدخل المكتبات. قلت: إن شاء الله يفتح لها الأبواب.

جائزة البنك الإسلامي للتنمية:

ثم جئت إلى ليبيا بعد ذلك، كنت قد رُشحت لجائزة البنك الإسلامي للتنمية، في مسألة الاقتصاد والبحوث الإسلامية، أعطوها لي وقالوا: إن المحافظين سيجتمعون في ليبيا. قلت: ولكنني ممنوع من دخول ليبيا فكيف أدخلها؟ فقال لي صديقي الشيخ صالح كامل - وهو كما تعرفونه من رجال المال والأعمال المعروفين في المملكة العربية السعودية، وله بنوك البركة المنتشرة في العالم العربي والإسلامي - قال: أنا ذاهب إلى ليبيا في طائرتي الخاصة فتعالَ معي، ويجري عليك ما يجري علينا، وأعتقد أنه لن يجري شيء إن شاء الله. وجئت معه إلى ليبيا، وأخذوا جوازات السفر كلها بعضها مع بعض، ولم يلتفتوا إلى جوازي، ودخلت وألقيت كلمتي، وعُدت بحمد الله سالمًا، لم أحصل على شيء ولم ينلني شيء، فهذه هي المرة الثانية التي جئت فيها إلى ليبيا، ولكنني لم أجد ليبيا في ذلك الوقت تقدمت، ليبيا هي ليبيا، كأنها في السنين السابقة لم يُصنع فيها شيء يُذكر.

دعوة القذافي عام ٢٠٠٨م:

ثم جئت بعد ذلك بعدة سنوات في عام ٢٠٠٨م. تقريبًا مدعوا من القذافي نفسه، وقلت: والله نجعلها لإخواننا المحكوم عليهم بالإعدام، ويوشك أن يُطبَّق عليهم. فجئت وخطبت الجمعة في مسجد الدعوة الإسلامية خطبة لم يعلنوا عنها، ولم يحدثوا الناس بها، ولم يجعلوها في مسجد كبير في وسط البلد، فقلت: الحمد لله. وبعد الصلاة قال القذافي: تعالَ. وكان معي ابني الأكبر الدكتور محمد، وأحد الإخوة القطريين الدكتور حامد المرواني، وكان معنا من أمريكا الأخ عبد الرحمن العمودي نسأل الله أن يفك أسرهم، وقابلنا القذافي.

وظل القذافي يحدثنا أنه عمل وفعل، وكيف غيّر التاريخ العربي من التاريخ الهجري إلى تاريخ وفاة الرسول ﷺ، قلت له: ولكن التاريخ الهجري أصبح تاريخاً معروفاً، بُنيت عليه ثقافة وحضارة، وأُلفت آلاف وملايين الكتب خلال القرون الماضية، يكاد يمر أكثر من أربعة عشر قرناً على هذا التاريخ فكيف نغيره؟! قال: لا، سنغيره، الوفاة هي المهمة، الهجرة ليست مهمة، وظل يحدثني كيف غيّر التاريخ الهجري، وكيف غير التاريخ الميلادي غيّر أسماء الشهور، رجل عنده خلجات يعيش بها، ولا يستطيع أحد أن يقول له: لا!

ثم قلت له: أنا أريد أن أحدثك بيني وبينك. فقام الإخوة الذين كانوا معه، قلت له: أنا أحب أن أقول لك شيئاً مهماً، هناك قرارات يتخذها الإنسان ثم يندم عليها، ولكن حيث لا ينفع الندم، من هذه القرارات أن يتخذ أحكاماً بالإعدام وينفذها، ثم يندم حينما يجد أن هذا الإعدام لم يكن له ما يُوجبه ولم يكن له معنى، ولذلك أنا أنصحك ألا تنفذ حكم الإعدام، هؤلاء الذين حكمت عليهم لا تقطع رقابهم، لا تزهق دم أحد. فنظر إليّ وقال: لك مني هذا. وواعد ألا يحكم على هؤلاء الناس فعلاً بالإعدام، وهياً لي أن ألقاهم في وزارة الداخلية، يأتون وألتقي بهم، ويحضروا معنا، وأتحدث معهم، وظللنا نتحدث معهم عدة ساعات، وقد نجاهم الله من الإعدام بعد ذلك، هذه هي المرة الثالثة التي جئتها إلى ليبيا.

المرة الرابعة التي زرت فيها ليبيا منذ سنتين تقريباً، جئت وزرت هذا المسجد، ولعل بعضكم كان موجوداً في ذلك الوقت، ولم ألقَ القذافي حينها، ولكن لقيت وزير الأوقاف وبعض العلماء، وزُرت مصراته وبعض البلاد وبعض الأكاديميات، وألقيت بعض المحاضرات، كانت هذه هي زيارتي الرابعة لليبيا.

زيارتي بعد الثورة:

وهذه هي المرة الخامسة التي أزور فيها ليبيا بعد أن حررها الله ﷻ من الطاغوت، وتخلصت من الخبث والفساد، ومن النجاسة والأدناس، والرجس والأرجاس، وقُطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، دائماً نقول بعد قطع دابر الظالمين: الحمد لله. لأن قطع دابر الظالمين نعمة عظيمة، ليس هناك أسوأ من بقاء الظالمين في الأرض، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥]، ربوبية الله التي يُحمد عليها، هي التي تدل على أنه هو وحده المتحكم، ليس هناك ملك غيره، ولا مالك غيره، ولا حاكم غيره، هو الذي يتحكم في هذا الكون، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

عدم استفادة الليبيين من ثروات بلادهم:

تخلّص الشعب الليبي الحرُّ من الظّلمة، وعاد يمارس حياته بلا ضغط، ولا أوامر ولا نواهي لطاغية؛ يفرض نفسه على الناس كأنه إله، يتكلم في الأرض وكأنه إله الناس، الله ﷻ يقول عن نفسه ﷻ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ولكن القذافي كان لا يُسأل عما يفعل، ولا يحب أن يسأله أحد عما يفعل، وقد فعل أشياء كثيرة شائنة، وسيكشف الزمن كثيراً منها، وسترون فضائح ومصائب ومفاسد، ارتكبتها في حق هذا الشعب، وقد كانت آلاف المليارات في يده يبذلها على

ترهات وخرافات وضلالات، يزين له الشيطان بها في رأسه؛ فيعمل هنا وهناك في إفساد بلاد المسلمين، وفي الصرف على بلاد غير المسلمين، كم أنفق من الملايين على بلاد لا تستحق، والشعب الليبي كما هو!

كلما جئت إلى ليبيا قلت: أهذه ليبيا؟! عدة ملايين وعندها هذه الموارد، هذا البلد الكبير الهائل، لماذا لا يتطور؟ لماذا لا نرى فيه ما نرى في الدوحة وفي الإمارات، وفي الكويت وفي عمان وفي السعودية، وفي هذه البلاد النفطية كلها؟ لماذا لا تتطور ليبيا كما تطورت هذه البلاد؟ لكن القذافي هو الذي يتصرف في أموال الشعب الليبي، ليست هناك ميزانية معروفة، ولا بلد فيه برلمان يحكم، وفيه وزراء وفيه كذا.

هو قال: أنا لست حاكمًا ولا رئيسًا! ومن الذي يحكم إذن؟ كيف وقد جعلت نفسك أكثر من رئيس، كأنك إله تتحكم في خلق الله، فهذا الرجل فعل ما فعل بهذا البلد، ويشاء الله أن يفضحه ويرينا مخازيه، وسترون الكثير، عند الإخوة كثير من الأشياء لم ينشروها بعد، ولكنها موجودة، وأنا نصحتهم أن ينشروها شيئًا فشيئًا، لأن من حق الناس أن يعرفوا. قالوا: هي فضائح مخزية هل ننشرها أمام العالم؟ قلت: ننشرها بالحكمة، بالأناة، بالرفق بالمقتضيات، لا نذكر الأسماء، ولا نذكر الأعيان، ولا نذكر الفضائح، نحاول نخبي ما أمكن، ولكن لا بد للناس أن يعرفوا.

نصر الثورة الليبية:

نصر الله الشعب الليبي، وكان لا بد أن ينتصر، لأن من نصر الله نصره الله، والشعب الليبي نصر الله، والله تعالى يقول: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿[الحج: ٤٠، ٤١]. كان

لا بد أن ينتصر هذا الشعب لأنه نصر الله فاستحق نصر الله، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، لا بد أن ينصر رسله ويغلب أعداءه، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧٢، ١٧٣]، لا بد أن ينتصر جند الله.

كان لا بد أن تنتصر لبيبا، ولا بد أن ينهزم القذافي الذي لم تكن كتابته تهتم بأي شيء، لا بدم ولا بمال، ولا بعرض ولا بحياة، كم من دماء سُفكت، وكم من أعراض هُتكت، وكم من حُرُمات انتهكت، وكم من مساجد هُدمت، وكم من مدارس حُرقت، وكم من مزارع أُتلفت، وكم وكم وكم، فعل ذلك كله القذافي؛ فكان لا بد أن ينهزم، ولا بد أن يُؤخذ، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لِيُملِي لِلظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته». ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] ^(١). حينما يأخذ الله الظالمين يكون أخذه أليما شديداً، أخذ عزيز مقتدر، كما أخذ فرعون ومن معه أخذ عزيز مقتدر، هكذا أخذ الله هؤلاء الظلمة.

كان لا بد لهذا الشعب أن ينتصر، وكان لا بد لنا أن نأتي لنشارك هذا الشعب فرحته، نشاركه فيما حباه الله من فرح ومسرة، هذا هو الفرح، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤ - ٥]، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

طالما بكى الناس، وطالما حزن الناس، وطالما عاش الناس مكبوتين في بيوتهم، لا يستطيعون أن يتحدثوا عما يخبئونه في قرارة أنفسهم، اثنان وأربعون سنة عاشها الشعب الليبي هكذا، حتى هيا الله له هذه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.



الفرصة؛ فبدأ يفرح ويتجمل ويتزين، ويزين الحياة بالنصر، من حق الناس أن تفرح بالنصر، وأن تفرح بانهزام المتجبرين في الأرض، المستكبرين فيها بغير الحق.

كان لا بد للشعب الليبي أن يفرح، وكان لا بد للعلماء أن يشاركوا هذا الشعب، ولذلك دعاني الإخوة من أبناء هذا الشعب، زارني عدد من الوزراء، منهم وزير الدفاع، ووزير الداخلية، ووزير التربية والتعليم، من عدة وزارات، وقالوا: عندنا مؤتمر في مصراته، نرجو أن تزورنا في المؤتمر. قلت: إن شاء الله. وكان عندنا الأخ سالم الشخي وقال لي: إن المؤتمر الأسبوع القادم. قلت: إذن لا بد أن نهى الأسباب، ونذهب وفدًا من العلماء. واخترنا هؤلاء الإخوة، معنا الشيخ خالد المذكور من الكويت، وعدد من الإخوة من قطر، وجئنا لنشارككم في مؤتمر (الإنصاف والمصالحة)، وقلت: لا بد أن نمر على بني غازي، فبني غازي لم تأخذ حقها مني؟

زرت ليبيا خمس مرات ولم أمر على بني غازي إلا مرة واحدة، وكأنها غير مرة، فلم أقل فيها كلمة واحدة، تكلمت في البيضاء التي كان فيها المؤتمر، ولكن لم أتحدث في بني غازي، فقلت: لا بد أن نمر على بني غازي، ونعطيها بعض حقها الواجب علينا. بني غازي ظلمت من القذافي وكان يتحداها ويريق دماءها ويبخسها حقها، فمررنا أنا وإخواني على بني غازي، ثم جئنا إليكم لنحضر المصالحة.

مجتمع متصالح متسامح:

المجتمع الليبي مجتمع متصالح، مجتمع متسامح، مجتمع متصافح، مجتمع متحاب، ليست هنا أقلية دينية كما عندنا في مصر، فعندنا أقباط،

وأنتم ليس عندكم أقباط ولا يهود، كلكم مسلمون، شعب ليبيا شعب مسلم، فنحمد الله وَعَجَّلْ، عندكم أمازيغ، والأمازيغ مسلمون رضوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا، وبالقرآن إمامًا ومنهaja، فهم منكم وأنتم منهم، ليسوا فئة مخالفة، ولا فئة منقطعة عن هذا الشعب، وقد جاهدت في سبيل الله ووقفت ضد القذافي، فالحمد لله هذا شعب مجتمع، هذا شعب يقف وقفة رجل واحد، فلا بد من المصالحة العامة، لا بد أن يكون الجميع على قلب رجل واحد.

من عصر الثورة إلى عصر الدولة:

علينا أن نسلم الأسلحة لأهل الاختصاص، وهم الذين يسلمون الأسلحة لمن يعمل بالسلح، كان المسلحون في وقت ما كلهم يعملون، الآن أصبحت الدولة تعمل، انتهينا من عصر الثورة إلى عصر الدولة، هذا ما نريد أن يعيه الجميع، عصر الثورة شيء، وعصر الدولة شيء، ما حكاه أخي الشيخ عبد الغفار عزيز عن إخواننا في أفغانستان الذين لم يستطيعوا أن يفرقوا بين عصر الثورة وعصر الدولة، كانوا في عصر الثورة أبطالًا، ولكنهم في عصر الدولة للأسف لم يفهموا القضية، حينما أراد منهم القدر أن يضحوا بأنفسهم ضحوا بأنفسهم، ففهموا الموت ولم يفهموا الحياة، استطاعوا أن يموتوا في سبيل الله، ولم يستطيعوا أن يعيشوا في سبيل الله، وأنا قلت لهم هكذا: استطعتم أن تموتوا في سبيل الله وتقدموا شهداء، ولم تستطيعوا أن تقدموا رجالًا ليعيشوا بالإسلام وللإسلام في عصر الدولة!

فلا بد أن نفرق بين عصر الثورة وعصر الدولة، في عصر الثورة كل واحد يحمل سلاحه، وفي عصر الدولة كل واحد يعطي سلاحه للدولة.



حقوق الشهداء والمصابين:

وعلى الدولة أن ترى حق هؤلاء الذين حملوا السلاح دفاعاً عنهم، وقتل منهم من قُتل، واستشهد من استشهد، وجرح من جرح، وأصيب من أصيب في سبيل الله، ليس لنا أن نُنكر حق هؤلاء، الله اتخذ منا شهداء، فلا بد لهؤلاء الشهداء أن نترحم عليهم، ولا بد أن نرعى أهلهم وذويهم، ولا بد أن نرعى إخوانهم الذين عاشوا من بعدهم، هؤلاء لهم حق علينا، فأنا أدعو الإخوة في ليبيا، أدعوهم أن يرفعوا حق الشهداء، وأسر الشهداء، ويرفعوا حق الأحياء من المصابين والمعوقين وهم كثيرون.

لا يجوز لنا أن ننساهم أبداً، ولا ننسى الإخوة الذين بذلوا من أنفسهم، سهروا الليالي وتعبوا، وذاقوا الأمرين خلال الليل والنهار والأيام الصعبة، ورأوا إخوانهم يسقطون بين أيديهم ويودعونهم، يودع الأخ أخاه، والصديق صديقه، والحبيب حبيبه، وأبقى الله من أراد له البقاء، فلا بد أن نرعاهم، لا بد أن نحتوي الثوار، احتواء الثوار أمر لازم، وإعطائهم حقوقهم. وكذلك المهجرون نعطيهم أماكنهم اللائقة بهم، لا يجوز أن نغفل أمرهم، هذا واجب الدولة، وهذا واجب الأمة، وهذا واجب المجتمع نحو أبنائه، هذا ما ندعو الأمة إليه.

مواقف عادلة:

وأدعو أن نبادر بمواقف عادلة من الذين وقفوا ضد الأمة، لا نريد أن نظلم أحداً، لقد عانينا من الظلم، فلا نحب أن نظلم أحداً، الظلم كبير على النفس، الله لا يحب الظالمين، فلا نريد أن نخسر حب الله، نريد أن يحبنا الله، لا نريد أن نظلم هؤلاء، كل واحد يأخذ جزاءه، إلا من عفا الله

عنه، من يريد أن يعفو عن ظالمه فهو حر، ولكن هناك حق للأمة، حق للدولة، ليس من حق الدولة أن تعفو عن الجميع؛ إلا فيما تراه بعد ذلك. لكن كل فرد لا بد أن يأخذ حقه، كل واحد عنده قضية يحييها، ويحكي ما جرى له، ويستطيع أن يأخذ حقوقه: الحقوق المالية، والحقوق الأدبية، والحقوق البدنية، كل حق لا بد أن يؤخذ، فالإسلام لا يضيع حقًا أبدًا، كل من له حق لا بد أن يؤخذ في ضوء شريعة الإسلام، هذا ما تنادي به الشريعة، وما ينادي به الحق والعدل، الحق الذي قامت به السماوات والأرض، هو ما بعث الله به محمدًا ﷺ.

فهذه دعوتنا إلى إخواننا في هذا البلد الطيب، حينما تحدثت صباح اليوم في مؤتمر المصالحة، وكان المستشار مصطفى عبد الجليل موجودًا، والأخ رئيس الوزراء عبد الكريم موجودًا، والوزراء موجودين، تحدثت في هذه الأمور بكل صراحة، وليس عند الإخوة مانع من تطبيق هذه الأحكام الشرعية على الناس، والناس عندهم كلهم سواء، لا يتحيزون لأحد ضد أحد، هم إخوة للجميع، والعدل للجميع.

لقد أنزل الله من القرآن تسع آيات في سورة النساء؛ انتصارًا لليهودي اتهم بالسرقة ظلمًا، وكان السارق من الأنصار، فاتهم الأنصار اليهودي، ولم يكن لليهودي يد في هذا الأمر، فكأنما صدق النبي هؤلاء، وأراد أن يجادل عنهم؛ فنزل القرآن يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، لا تكن محاميًا ولا مدافعًا عن الخائنين، ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ

أَقُولُ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿ [النساء: ١٠٦ - ١٠٨] . إلى آخر هذه الآيات، فهكذا دافع القرآن عن يهودي مظلوم؛ ليكون الحق في موضعه.

نريد أن ينتصر الحق:

هذا ما جاء به الإسلام، نريد أن ننصر الحق وننصر أهله، ونخذل الباطل ونخذل أهله، نريد أن نقيم العدل في الأرض، جاء الله بالعدل في رسالات السماء كلها، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، انظر إلى هذه الآية: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾، كل رسلنا أرسلناهم بالآيات الناصعة، التي تدل على الحق: معجزات، وبيانات، ودلائل عقلية وعملية قاطعة، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾، الدلائل النقلية والدلائل العقلية؛ ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، تأمل، ليس لنقوم نحن بالقسط؛ بل ليقوم الناس أنفسهم بالقسط، نعلم الناس أن يقيموا العدل، ليعرفوا العدل بعقولهم، بأنفسهم، ولذلك يطبقوه، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، فيه قوة نستعملها مع الذين يقفون ضد الحق، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾، الصناعات المدنية كلها من الحديد، ولذلك أنا قلت: الأمة الإسلامية لم تتعلم من القرآن، القرآن يعلمنا أهمية الحديد، وقوة الحديد، وثمره الحديد، ﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾، ولكننا لم نستطع أن نستفيد من الحديد في البأس الشديد؛ فنصنع الطائرات والدبابات، وإنما نشترها، لماذا نشترها؟! لماذا لا نصنع؟! ولم نستطع أن ننتفع به في الحياة؛ فنصنع الطائرات المدنية، والسيارات، والآلات المختلفة، معظم هذا نشتره ولا نصنعه، الأمة الإسلامية يجب أن تكون أمة قوية.

ليبيا الجديدة:

ونريد ليبيا في عصرها الجديد أن تكون بلداً قوياً، ولا بد أن تكون بلداً قوياً، لا بد أن تُبنى بناء الأحرار، لم يعد أحد يتحكم في أحد، ليبيا الحرة، ليبيا الأصيلة، ليبيا المستقلة، ليبيا التي أصبح أمرها بيدها، ليس بيد سلطان غاشم ولا متجبر، ليبيا بلد أهلها، فيا أيها الليبيون اصنعوا بلدكم، اعملوا كل ما تستطيعون لخير هذا البلد.

ليحبّ بعضكم بعضاً، ليؤثر بعضكم بعضاً، جُع ليشبع أخوك، اسهر لينام أخوك، اتعب ليرتاح أخوك، عرّض نفسك للخطر ليأمن أخوك، أنتم كلكم أبناء بلد واحد، فلا بد أن نعمل جميعاً لحفظ هذا البلد ورفعة هذا البلد، وإقامة هذا البلد على أفضل الأسس وأرفع المناهج: المناهج العلمية، والمناهج العملية، والمناهج الدينية، والمناهج الأخلاقية، نريد أن نبني المساجد بناء يقوم على علماء جدد، نحن قلنا لوزير الأوقاف اليوم: نحن في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين مستعدون أن نمذك بالعلماء القادرين؛ ليكونوا مع علماء ليبيا، يعطوك برامج ودروساً وتعاليم ترفع شأن الأمة، ترفع شأن العلماء والدعاة والأئمة والوعاظ والخطباء، وهم يرفعون شأن الأمة، هذا هو الواجب علينا.

ليبيا لا بد أن تتطور وتتغير، وهي متطورة ومتغيرة بكم إن شاء الله، أصروا على أن تتطور ليبيا وتتغير من حال إلى حال، من سيئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن، ومن أحسن إلى الأحسن، هذا هو الذي نريده.

نسأل الله ﷻ أن يُكرم أهل ليبيا، وأن يجعل أهل ليبيا من الأخيار الصالحين، الذين ينفعون بلدهم، وينفعون دينهم، وينفعون أمتهم،

ويرفعون شأنهم، اللهم أكرم أهل ليبيا وقادة الأمر فيها يا رب العالمين، وأكرم أهل قطر وحاكم أهل قطر التي كانت مع أهل ليبيا في كل مراحل حياتهم.

والله رأيت الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني حاكم قطر يهتم بهذا البلد اهتمامًا بالغًا، ويتابع أخبارهم الصغيرة والكبيرة، ويسأل عنها، وليس مجرد السؤال، بل يهتم بالفعل أيضًا، نسأل الله أن يجزيهم خيرًا عن كل ما بذل، وعن كل ما قدّم للليبيا، وأن يجعل المسلمين متعاونين بعضهم مع بعض، وأن ينصر إخواننا في تونس، وإخواننا في مصر، وإخواننا في اليمن، وإخواننا في سوريا، وأن يجعل منهم أمة مختارة تعمل لخير الإسلام، ولمصلحة الإسلام، ولإعلاء كلمة الإسلام.

اللهم افتح لهذا البلد الكريم فتحًا مبيّنًا، واهداهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهم هب لنا من أمرنا رشدًا، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، وصلّ اللهم على نبيك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نسخة مجانية



مصر الثورة وثقافة التعايش^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبیبنا
رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه.
ربنا آتانا من لدنك رحمةً، وهيئ لنا من أمرنا رشداً، ربنا لا تُزغ
قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً؛ إنك أنت الوهاب.
خير ما أحییكم به أيها الإخوة والأخوات تحية الإسلام، وتحية
الإسلام السّلام، فالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فإني أحمد الله تعالى حمداً كثيراً، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم
سلطانه، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء
ربنا من شيء بعد، أحمد الله على أن أعاد إلينا الأزهر بعد ما سرقوه منا،
سرقوا منا الأوقاف، واليوم تعود إلينا الأوقاف، سرقوا منا مصر، واليوم
تعود إلينا مصر.

(١) ألقى في ندوة دور العلماء والدعاة في صناعة السلم الاجتماعي، التي أقامتها مؤسسة بناء، بالتعاون مع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وتحت رعاية شيخ الأزهر د. أحمد الطيب، في قاعة مؤتمرات الأزهر بالقاهرة، يوم الأربعاء ٩ ربيع أول ١٤٣٣هـ - الموافق ١ فبراير ٢٠١٢م.

أحمد الله وعجلَ حمداً كثيراً، فأنا الآن أعيش في مصر الحرة، مصر الثورة، مصر الدعوة، مصر الثقافة الإسلامية، مصر القيادة والريادة، حينما دخلت هذا المؤتمر شعرت بأنني أدخله لأول مرة، وقد دخلته من قبل مرات كثيرة، ولكنني كنت أشعر أنني أدخل بجسمي لا بقلبي، والآن أدخل هذا المكان بجسمي، وقلبي، وعقلي، وروحي، ووجداني، وكُلِّي.

شباب الأزهر:

وأجد هذا الشباب الأزهري، الآلاف المؤلفة من أبناء الأزهر المسروق العائد، هؤلاء الشباب المُعمَّمون الملتحون، الذين عاهدوا الله تبارك وتعالى أن يكونوا لأزهر الحق، لا لأزهر الباطل، أن يكونوا لمصر، لا لغير مصر، أن يكونوا للإسلام، لا لغير الإسلام، لا يعبدون إلا الله تبارك وتعالى، هؤلاء الشباب يمثلون الإسلام الحق، يمثلون الثقافة الإسلامية الحقيقية الحصينة، ويمثلون الشباب، فكل مَنْ أراهم أمامي في الثلاثينيات، أو الأربعينيات، وقد جاء في الحديث: «عَجِبَ رَبُّنا من شابٍّ لا صبوة له»^(١). هؤلاء الشباب هم الذين يحملون همَّ الأمة، ويقودون الأمة في ربيع الثورات العربيّة.

ثورة مصر:

كانت ثورة مصر هي الثورة الثانية، وكانت قبلها ثورة تونس، ونحن نحمل لتونس هذا الفضل، فالفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي، نذكر لتونس أنّها بدأت هذه المسيرة الخيرة، مسيرة الثورة على الظلم

(١) رواه أحمد (١٧٣٧١)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو يعلى (١٧٤٩)، وقال محققه: إسناده ضعيف. والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٩٣)، عن عقبه بن عامر.

والظلمات، الثورة على الباطل، الثورة على الكبرياء المزيفة، الثورة على الذين سرقوا الشعوب، سرقوا منها حريتها، وسرقوا منها كرامتها، وسرقوا منها عقيدتها، وسرقوا منها كل شيء.

بدأت تونس هذه الثورات، وجاءت مصر بعدها، وكان لثورة مصر هذه الثمانية عشر يومًا، كان لكل يوم منها معنى، ولكل يوم منها طعم، ولكل يوم منها موضوع؛ علّمت الناس: كيف تكون الثورات؟ وقد اقترحت أن يسمى ميدان التحرير ميدان ثورة ٢٥ يناير.

كانت ثورة مصر ثورةً مُعلّمةً بحق، تعلمت منها ليبيا، وتعلمت منها سوريا، وتعلمت منها اليمن، تعلمت منها بلاد كثيرة قامت فيها ثورات، انتصر فيها مَنْ انتصر، وسيُنتصر الآخرون إن شاء الله، ستنصر سوريا، ثِقُوا أن سوريا ستنصر، ذهبَت هذه العائلات التي كانت تحكم بلادًا جمهورية، عائلة بمن يصاهاها ويصاحبها تحكم بلدًا كاملاً! انتهت هذه العائلات، عائلة زين العابدين بن علي، وعائلة مبارك، وعائلة القذافي، وعائلة صالح، وستلحق بهم عائلة الأسد إن شاء الله، لم يعد لهذه العائلات مكان في عهود الجمهورية.

مرور سنة على ثورة مصر:

نحن الآن أيُّها الإخوة نحتفل في مصر، بمناسبة مرور سنة على ثورتها، لا نحتفل بمصر وحدها، ولكننا احتفلنا معها بتونس، وليبيا، وسنحتفل عما قريب إن شاء الله بسوريا، واليمن، وسنحتفل بكل بلد ينتصر فيه الخير على الشر، وينتصر فيه العدل على الظلم، وينتصر فيه الحق على الباطل، وتنتصر فيه الشعوب على الطغاة، هذا ما لا بد منه.

تمضي مصر الآن إلى حياة جديدة، فثقوا أن هذه الحياة ستقوم لا محالة، هناك أناس يحاولون أن يعكروا الصفو، وأن يقفوا ضد المسيرة، وأن يشوشوا على الناس، ولكن الحق سيمضي، والباطل سيذهب، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

دور المرأة:

نحن هنا مع هذا الجمع نحتفل بمصر، كنت أظن في أول الأمر أنه لا توجد بيننا أخوات، كنت أظن الذين يجلسون في الخلف من النساء، فإذا هم رجال، والذين أمامي رجال، قلت: أين النساء؟ ما اكتشفت إلا الآن أن الأخوات ينزوين في هذا الجانب، وهم قلة، لماذا كان الأخوات قلة؟ لا أدري هل الداعون هم المسؤولون، أم المدعوات هن المسؤولات؟

لا نريد للمرأة أن تتأخر، فللمرأة دورها كالرجل تمامًا، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، نريد للمسلمات أن يكون لهن دورهن مع الرجل، في القيادة والريادة.

ثورة الجميع:

أيها الإخوة والأخوات؛ نحن نعيش في ربيع مصر، وفي ثورة مصر، وهي في الحقيقة ثورة لكل العرب، وثورة لكل المسلمين، وثورة لكل الأحرار من بني الإنسان، نحن نعمل للحق، ونعمل

للخير، ونعمل للجمال، للقيم العليا في العالم، نعمل لهذا كله، ونعمل لمصر كلها، بمسلميها ومسيحييها، بليبرالييها وإسلامييها، بعلمانييها وبغير علمانييها، نعمل لخير مصر كل مصر، هذا ما نؤمن به؛ لأن الإسلام جاء رحمةً للعالمين، لسنا نحن الذين نقول هذا، بل الله تعالى هو الذي قال ذلك بصريح كتابه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

انظر؛ بهذه الصيغة، وبهذه الألفاظ القليلة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا﴾، بهذا القصر، ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ليست رحمة للعرب فقط، ولا للمسلمين فقط، وإنما رحمة للعالمين، ولذلك حينما تأتي بهذه الرحمة فإنما تأتي بها للعالمين، للناس كافةً.

الأخوة الوطنية ومقتضيات التعايش:

وأريد أن أقول كلمة لإخواننا المسيحيين، وقد جادلني مرة بعض الناس لأنني أقول: إخواننا المسيحيين. فقلت له: أنا أحاجك بالقرآن الذي يقرُّ الأخوة لغير المسلمين، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتُ﴾ [الشعراء: ١٠٥، ١٠٦]. كذبه الناس وسماه القرآن أخاهم، لأنه من قومه، ويناديهم: يا قوم. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [المؤمنون: ٢٣]. وهكذا يقول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْقُوتُ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا نَنْقُوتُ﴾ [الشعراء: ١٤١، ١٤٢]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا نَنْقُوتُ﴾ [الشعراء: ١٦١، ١٦٠].

إلى أن قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُوتُ﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]. لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب. لأن شعيبًا لم يكن

منهم، وإنَّما كان من قوم مدين، ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقُومُ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥]. فهناك أخوة قومية.

ولذلك نحن مع إخواننا المسيحيين في أخوة وطنية، لأننا أبناء وطنٍ
واحدٍ، فهذه الأخوة أقرَّها الإسلام، ومن هنا فنحن نعمل لخير الأقباط،
نعمل باسم ديننا، لا مجاملة لهم، ونقول: هم منا، ونحن منهم. هكذا
جاء الإسلام.

وقد كتبت من قديم كتاباً سمّيته (غير المسلمين في المجتمع
الإسلامي)، البعض يسميهم أهل الذمة، والبعض يسميهم الكفار، ولكن
الإسلام علّمنا ألا نخاطب الناس بأنّهم كفّار، صحيح أنّهم كفّار بديننا،
كما أننا كفّار بدينهم، والكفر درجات، فهناك مَنْ يجحدون بالألوهية
وبالآخرة، ولكن هؤلاء لا يجحدون بهما، ولا يجحدون بالعبادة،
ولا بالقيم الأخلاقية، هم مؤمنون بهذا، ولذلك نثبت لهم هذا الإيمان،
ولكنهم ليسوا مؤمنين بالإسلام، فهم لهذا يعتبرون كفّاراً به.

من أجل هذا أثبت الإسلام لهم أنّهم أهل كتاب، ويناديهم القرآن:
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ويقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. هكذا يأمرنا القرآن أن
نجادل أهل الكتاب بالتي أحسن، ومن حسن الجدل ذكر الأشياء التي
تُقَرَّبُ بيننا وبينهم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ولهذا رفضت
أن أجلس في محاورات مع اليهود؛ لأنّهم ظلمونا، ظلموا إخواننا في
فلسطين، أكلوا حق هذا الشعب، ذهبوا بأرضه، وسحقوه سحقاً، هم أكبر
الظلمة في هذه الأرض، فعلام نتحاور معهم؟ ردوا إلينا أرضنا، ردوا

إلينا قدسنا، ردوا إلينا حقنا، حتى نتحاور معكم، ولذلك أهل الكتاب الحقيقيين الآن هم النصارى، واليهود الذين يرفضون إسرائيل، وقد التقينا معهم في قطر، وفي لندن، وفي أكثر من لقاء.

حقوق غير المسلمين في المجتمع المسلم:

نحن مع إخواننا المسيحيين في مصر، وأقول لهم: لا تخافوا من الإسلام؛ فالإسلام يضمن كل حق لكم، كما يضمن كل حق للمسلمين، يضمن لكم أن تعيشوا أحراراً، ولا يلزمكم أن تعتقدوا ما يعتقد المسلمون، أو تتعبدوا بما يتعبدون به، أو يوجب عليكم ما لا يوجبه عليهم، لم يفرض الإسلام هذا؛ بل أعطى الإسلام لكل إنسان حقه أن يعيش بدينه، ولا يُكره أحداً على الخروج من دينه بأي حال من الأحوال.

لقد أقرَّ الإسلام هذه الحقوق، وجعلها فرائض دينية، لم تعد مجرد حقوق، لأن الإنسان يمكن أن يتنازل عن حقه، ولهذا جعلها واجبات لئتمسك بها الناس، فتمسك بحقك، ودين الله معك، هكذا كان المسلمون، وهكذا كان النبي ﷺ، وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم، وهكذا كان أئمة الإسلام، يقولون: لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، إلا ما اقتضاه التميز الديني؛ حيث جعل الإسلام لغير المسلمين حقوقاً خاصة، كما جعل للمسلمين حقوقاً خاصة بحكم دينهم.

وأنا لا أطيل في هذا الأمر؛ فقد كتبت فيه من قديم في كتابي الذي أشرت إليه، وفي كتابي (الوطن والمواطنة)، ثم كتبت فيه في كتابي (فقه الجهاد)، خصوصاً الطبعة الثالثة منه، كتبت فصولاً فيما يفرضه الإسلام من واجب التسامح الإسلامي مع غير المسلمين، وهذا مما انفرد به الإسلام، أنه دين التسامح، ومن قرأ منكم تاريخ الإسلام تبين له ذلك،

وقد قرأ عليكم أخي الأستاذ الدكتور عدنان زرزور صفحات من هذا التاريخ، أرجو أن نتأمل فيها، ستجدون التسامح الحق!

سماحة الإسلام:

ونحن لا نتسامح لأننا ضعفاء، وإنما لأن الله أمرنا به، وأمرنا به رسوله، وأمرتنا به شريعته، هذا ما نعلّمه للناس، فينبغي لإخواننا المسيحيين ألا يخافوا من الإسلام؛ لأنّه لا يفرض عليهم شيئاً لا يريدونه، هم مواطنون، كل فقهاء الإسلام يقولون: أهل الذمة أهل دار الإسلام. أي أنّهم أهل الوطن، فهم مواطنون بإجماع الفقهاء، هم من أهل دارنا، والمواطن له حق المواطنة، مكتوب له، مُقدّر له، لا يستطيع أحد أن يأخذه منه، هذا ما ينبغي أن يعرفه الإخوة المسيحيون، أنّهم معنا، يبنون هذه الدار معنا، يبنون هذا الوطن معنا، نبنيه معاً كلنا، لا ينبغي أن ينفرد مسلم عن مسيحي، ولا مسيحي عن مسلم، نريد أن يطمئن إخواننا إلى هذه الحقائق، وأن يكونوا مسالمين مُسلمين، ولا ينازعوا فيما هو مفروض لهم، وما هو ممنوع عنهم، هذا أمور لا ينبغي الخلاف فيها.

الاختلاف لا يعني العداوة:

نحن أمة واحدة، بمسلميها ومسيحييها، نختلف في بعض الأمور، وهذا أمر طبيعي، فالله تعالى خلق الناس مختلفين، ولا يزالون مختلفين، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿[هود: ١١٨ - ١١٩]. المفسرون يقولون: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي للاختلاف خلقهم. لأن الله خلق لكل إنسان عقلاً معيناً، وإرادة معينة، ولو أراد أن يجمعهم جميعاً لخلقهم على عقل واحد، وإرادة واحدة، فمن شأن الناس أن يختلفوا، وهذا الاختلاف رحمة.

ونحن كما ندعو غير المسلمين من أهل مصر ألا يخافوا من المسلمين، وأن يتعاونوا معهم، ندعو كذلك غير المسلمين في البلاد الأخرى، فقد كان في سوريا رئيس وزراء مسيحي هو الأستاذ فارس الخوري، وكان المسلمون مُرحّبون به عن كثير من الوزراء المسلمين، وكان متحمسًا للإسلام أكثر من كثير ممن يرأسون الوزارات الإسلامية، وكلامه عن أنَّ الشريعة الإسلامية هي الدواء لكل داء، وأنها التي تقطع الجرائم من جذورها، هو كلام معروف ومنقول، وقد نقلته في كتابي (بيّنات الحل الإسلامي).

وفي الانتخابات السورية كانت زوجة فارس الخوري تُمثّل الأستاذ الفقيه، والداعية السوري الكبير: الدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللهُ، وقد كتب عنه أخونا الدكتور عدنان زرزور كتابًا كبيرًا ينبغي أن يُقرأ.

وكان حسن البنا يتعامل مع المسيحيين، رأيت معه في مؤتمر في طنطا واحدًا مسيحيًا هو الأستاذ ميخائيل نصيف، وكان يتحدث عن قضية قناة السويس، وكان الأستاذ لويس فانوس في اللجنة السياسية العليا بمكتب الإرشاد للإخوان المسلمين، وكتب أخونا الدكتور حسان حتحات (أخي جرجس) في مجلة الإخوان^(١)، لم تكن هناك مشكلة بيننا وبين المسيحيين، وتاريخنا في هذا معروف، والفتن التي ظهرت في فترات معينة لها أسباب معينة، لا ينبغي أن تثبت وكأنها هي الأساس، ينبغي أن نقتلعها من جذورها ونعيش إخوانًا.

الأخوة الإسلامية ومقتضيات التعايش:

وإذا كنا ندعو أن نعيش إخوانًا مع المسيحيين، فأولى أن نعيش نحن المسلمين إخوانًا، بعضنا مع بعض، لا ينبغي أن يتنازع المسلم مع

(١) مجلة الدعوة، العدد العاشر، بتاريخ ٣ أبريل سنة ١٩٥١م.

المسلم؛ لأنَّ له حزبًا آخر، أو مفهومًا آخر، فمهما يكن من اختلاف فالإسلام يجمعنا.

وللأسف كثير من المسلمين لا يفهمون الإسلام، يقول لك: أنا مسلم يا أخي. ولكنه مسلم يرفض ما أمر الله به، أو نهى عنه، أو ما شرعه الله ﷻ، وليس هذا شأن المؤمن، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

نحن ندعو إلى التآخي مع الأمة كلها، لا نريد أن نعيش في أمة يناطح بعضها بعضًا، ولماذا يتناطح الناس؟ لماذا يتقاتل الناس؟ ما هذه الروح؟! ينبغي أن نكون أمة واحدة تبني نفسها في هذا الوقت، ما هذا الذي نراه الآن عند ماسبيرو، وعند مجلس الشعب؟ لماذا يکید بعضنا لبعض، ويتربص بعضنا لبعض، وكأن كل واحد منا عدو للآخر؟ هذا ما نرفضه.

أنادي الأمة كلها، أنادي الشعب أن يقفوا صفًا واحدًا لیبنوا مصر، لقد كنا قبل ذلك معزولين عن البناء، كنا نتفرج، وكان منا مَنْ يعمل وهو كاره، ومَنْ لا يعمل، ومَنْ هو مقهور على عدم العمل، ومَنْ هو مقهور على العمل، ومَنْ هو محبوس في سجنه، ومَنْ هو، ومَنْ هو!

الآن انتهى هذا العهد، وتحرر هذا الشعب، وينبغي للشعب بعد أن تحرر أن يُجند للعمل، حتى نُعوّض ما فاتنا، نجبر هذا الكسر، وننهض من كبوتنا، هذا ما ندعو إليه أمتنا.

كلمة إلى شباب الأزهر:

أنا لا أريد أن أطيل في هذا الجانب، لأنني أريد أن أحدث الجمهور

من هذا الشباب المعمّم، الشباب الأزهري، الشباب الذي تثقف الثقافة الدينية، أريد لهذا الشباب في هذه المرحلة بالذات، باسم الأزهر، باسم الدعوة، باسم الإخوان، باسم مؤسسة بناء، باسم كل مَنْ يدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، نحن الذين جاء ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَقِيبُ الْأُمُورِ ﴿[الحج: ٤٠، ٤١].

وهذا الشباب يقوم بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يمثل لقول الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وأعظم الخيرات هو الإسلام، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، لا يفلح غيرهم، ولذلك أنا أفسر الفلاح في هذه الآية على أنه للأمة كلها، ليس لبعضها، فالأمة كلها تفلح إذا دعت إلى الخير، وأمرت بالمعروف، ونهت عن المنكر، فليفلح ذلك كل واحد بمقدار ما عنده من علم، وبمقدار ما عنده من مسؤولية، وما عنده من همّة وعزيمة.

أنا أدعو هذا الشباب، هؤلاء الآلاف الذين حضروا هذا اليوم، أن يجندوا أنفسهم لثقافة إسلامية أصيلة، قوية متينة رحبة، تُستمدُّ من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ادع إلى سبيل ربك، ادع إلى الإسلام، كل الإسلام: الإسلام للفرد، والإسلام للمجتمع، والإسلام للأمة، والإسلام للدولة، والإسلام للإنسانية.

ادع ﴿بِالْحُكْمَةِ﴾ التي تخاطب العقول بما تفهمه، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وكما تخاطب العقول

بالحكمة خاطب أيضاً القلوب التي تُحرّكها ﴿وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾، فنحن عقلِيُّون وعاطفيُّون، وهكذا الإسلام: عقل، وقلب؛ فخاطب عقله، وخاطب عاطفته، هذا للموافقين.

أمّا المخالفون: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، حاورهم بالتي هي أحسن، بعضهم قال: القرآن لم يقل: حاورهم. قلت له: الجدل هو الحوار، كما قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١]. أي تجادلكما، فالجدال هو الحوار.

والحوار المطلوب يجب أن يكون ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي إذا كانت هناك طريقتان للجدال، طريقة حسنة، وطريقة أحسن منها وأكمل، فحاورهم بأحسن الطرق وأكملها، لتعرف كيف تدخل إلى عقل هذا الإنسان، وكيف تتسلل إلى قلبه، كيف تخاطبه بما يجعله يستجيب إليك؟ هذا هو ما تعلمنا إياه الإسلام.

التزود من العلم الأصيل:

نحن مطالبون بأن نتعلّم الدعوة، ونتعلم الفقه، الدعوة تحتاج إلى فقه، فالناس يسألون الداعية عن الصلاة والزكاة، والصيام والحج، والزواج والطلاق، والمعاملات، وتساءله عن أمور كثيرة، فلا بد أن يكون عند الداعية قدر من الأحكام الفقهية، لا بد أن ندرس له الفقه وأصوله دراسة مبدئية أولية، هذا ما ندعو إليه كل إخواننا، حتى وإن كنت خريج كلية الدعوة، أو كلية أصول الدين.

وليس هذا صعباً أيّها الإخوة؛ بعض الناس يظن أنني خريج كلية الشريعة؛ لأنني اشتغلت بالفقه اشتغالاً كبيراً، منذ كنت في الثانوية، مع

أني خريج كلية أصول الدين، فأنا أدعو خريجي كلية الدعوة أو كلية أصول الدين: أن يشتغلوا بقدر من الفقه، لأنَّ الناس يحتاجون إلى الفقه، ونحن بحاجة إلى أن نفقه أنفسنا، ونُعلِّم أنفسنا، نتهياً للمرحلة المقبلة.

أنا أدعو إخواننا أن يتعلموا على أيدي إخواننا في الأزهر، وفي دار العلوم، وفي الكليات المختلفة، وعلى كل الأساتذة الكبار: أن يقوموا بدورهم لإعداد هؤلاء الدعاة، أنا أتعجب من كثير من الدعاة الذين يغلطون في القرآن، ويغلطون في الأحاديث، فيستدلون بالأحاديث الموضوعة، وبالأحاديث الضعيفة الواهية، ولا يحسنون الاستدلال بالأحاديث الصحيحة، ويغلطون في اللغة العربيَّة، وفي الفقه، وهذا لا يجوز، على كل داعية أن يُعلِّم نفسه، ويتعلَّم من غيره، فليست شهادة العالمية هي كل شيء، هي فقط تعطيك مفتاح العلم، أمَّا العلم ففي المكتبة، وعند العلماء، فخذ من أهلها، وابحث عنه في مصادره، لا بد أن تتعب، أن يكدَّ يمينك، ويعرق جبينك حتى تُحصِّل هذا العلم.

هذه وصيتي إلى إخواني الذين أراهم أمامي، وينشرح بهم صدري، ويبتسم لهم ثغري، ويطمئن بهم قلبي والله، والأمة إلى خير ما دام هؤلاء الشباب مصرِّين على أن يُعلِّموا أمتهم، ويدعوها إلى كل خير، فستصير إلى هذا الخير إن شاء الله.

أمة الرحمة والهداية:

أمتنا أمة مرحومة، أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة محمد ﷺ، أمة لا تجتمع على ضلالة، أمة هداها الله فلن تضل أبداً، أمة هي على الصراط المستقيم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَهُ﴾ [الأنعام: ٨٩، ٩٠]،



هناك قومٌ يكفرون بهذه الأمة، وبقرآن هذه الأمة، وبسنة هذه الأمة، وبأئمة هذه الأمة، فليذهبوا كما يشاؤون، لكننا مؤمنون بأننا على حق، بأننا على صراط مستقيم، متمسكون بالقرآن الكريم، وبسنة محمد ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين، وسنة الأئمة المتبوعين، وسنة السلف الصالحين.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك في هذه الأمة، وأن يهيئ لها من أمرها رشداً، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهم افتح لأبناء هذه الأمة في كل البلاد فتحاً مبيناً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً عزيزاً، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك؛ إنك أنت أرحم الراحمين.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا؛ إنك على كل شيء قدير، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا؛ أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



معالم الدولة في تونس الثورة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّمِ الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرُّشد، وقائد الخلق إلى الحق، ومُخرجِ الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبينا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عنّ دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

باسمي وباسم إخواني، الوفد المرافق من دولة قطر إلى تونس الحبيبة، وهو وفد عربي إسلامي، يُمثّل العرب جميعاً، جنّنا من قطر، ومن الكويت، ومن السعودية، ومن مصر، ومن السودان، ومن المغرب، ومن كل البلاد العربية، ومعنا الإخوة من البلاد الإسلامية، معنا من باكستان، ومعنا من الصين، باسم هذا الوفد - أيّها الإخوة والأخوات -

(١) أُلقيت في المؤتمر الجماهيري بالقاعة المغطاة بالملعب الأولمبي في مدينة رادس بتونس،

مساء يوم الخميس ٣ مايو ٢٠١٢م.

أُحْيِيكُمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، تَحِيَّةً طَيِّبَةً مَبَارَكَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَإِنِّي لِأَشْكُرُ لِلْإِخْوَةِ الْمُتَحَدِّثِينَ جَمِيعًا، الَّذِينَ أَلْبَسُونِي ثَوْبًا فَضْفَاضًا أَوْسَعَ مِنِّي، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْزِيَهُمْ عَنِّي خَيْرًا، وَأَنْ يَغْفِرَ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، فَمَا أَنَا وَاللَّهُ إِلَّا جَنْدِي صَغِيرٌ مِنْ جُنُودِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، جُنْدُهُ اللَّهُ وَجَبَّكَ لِلدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلِلدِّفَاعِ عَنْهُ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ خَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاهُ، وَأَنْ يَخْتِمَ لَنَا بِمَا يَخْتِمُ بِهِ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

شَكَرَ اللَّهُ لِأَخِي الْأَسْتَاذِ رَاشِدِ الْغَنُوشِيِّ، الَّذِي أَسَّسَ حَرَكَةَ النِّهْضَةِ، وَحَزْبَ النِّهْضَةِ، وَحَرَكَةَ الْإِتِّجَاهِ الْإِسْلَامِي، عَرَفْتُهُ مِنْذُ كَانَ شَابًّا لَيْسَ فِي رَأْسِهِ شَعْرَةٌ بِيضَاءٍ، وَالْآنَ لَيْسَ فِيهَا شَعْرَةٌ سَوْدَاءٍ؛ شَابٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَنْ شَابَ فِي الْإِسْلَامِ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَقَامٌ عَظِيمٌ، هَذَا الْأَخُ الْكَرِيمُ، وَإِخْوَانُهُ أَجْمَعُونَ مِنْ حَوْلِي، خُصُوصًا صَدِيقِي الْأَخُ الْفِيلَسُوفُ الْأَدِيبُ الْمَفْكَرُ أَخُونَا أَبُو يَعْرَبِ الْمَرْزُوقِي حَفِظَهُ اللَّهُ، وَالْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ الَّذِينَ أَعْرَفْتُهُمْ مِنْ تُونِسَ، وَهُمْ كَثِيرُونَ جَدًّا، عَرَفْتُهُمْ مِنْ قَدِيمٍ؛ حِينَمَا كَانَتْ حُكُومَةُ تُونِسَ تَعْتَبِرُنِي الْعَدُوَّ الْأَلَدَّ لِلدَّوْلَةِ التُّونِسِيَّةِ، حِينَمَا كُنْتُ فِي بَرْنَامِجِ (الشَّرِيعَةُ وَالْحَيَاةُ)، فَاتَّصَلُ الْأَخُ الَّذِي كَانَ يَقْدِمُنِي بِالشَّيْخِ رَاشِدِ الْغَنُوشِيِّ، فَتَسَبَّبَ هَذَا فِي فَصْلِهِ مِنَ الْبَرْنَامِجِ وَالْقَنَاةِ نَهَائِيًّا.

أَحِبُّ تُونِسَ:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ؛ أَحِبُّ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ: إِنِّي مِمَّنْ يَحِبُّ تُونِسَ الشَّقِيقَةَ وَالْحَبِيبَةَ، أَحِبُّ تُونِسَ كُلَّهَا وَاللَّهُ، أَحِبُّ الْإِسْلَامِيَّينَ وَغَيْرَ الْإِسْلَامِيَّينَ، حَتَّى الَّذِينَ يَعَادُونَنِي، وَالَّذِينَ يَتَهَمُونَنِي، وَالَّذِينَ يَشْتُمُونَنِي، حَتَّى هَؤُلَاءِ أَحِبَّهُمُ وَاللَّهُ، لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْبَلَدَ - بِكُلِّ مَنْ فِيهِ - بَلَدٌ

عربي إسلامي أصيل، إلا فئة معينة كانت تنهب البلد وتسرقه، وكم سرقوا من ملايين وبلايين، وتركوا الناس لا يجدون عملاً، ولا سكناً، ولا كفالة اجتماعية، هؤلاء هم الذين أكرههم، هؤلاء الذين يعادون الله ورسوله، ويعادون شعب تونس هم أعدائي، أمّا بقية شعب تونس فكلهم أصدقائي، وأنا صديقهم رضوا أم أبوا.

شعب مسلم:

أنا أعتقد أنّ الشعب التونسي شعب مسلم، ولا أخرج أحداً من الإسلام، فأنا ضد تكفير المسلمين، وقد أصدرت من قديم - منذ أن ظهرت هذه القضية في مصر - رسالة سميتها (ظاهرة الغلو في التكفير)، أنا ضد الذين يغالون في التكفير، ويريدون أن يكفّروا كل الناس، فالأصل في الناس الإسلام، مَنْ كان مسلماً فهو مسلم، وسيظل مسلماً، ولا يخرج من الإسلام إلا أن يكفر صراحة بالإسلام، فأنا أعتبر كل أهل تونس مسلمين، إلا مَنْ كفر صراحة، وارتد علناً، وشهد الناس عليه، وأجمعوا على ذلك، فهذا له شأنه.

حياة كريمة:

أنا أحب أن أقول أيّها الإخوة: نحن في هذا البلد الكريم نريد أن يحيا الشعب التونسي حياة طيبة، يقوى الضعيف، ويشغل المتعطّل، ويتدبّر العامل، ويأخذ الإنسان أجره الكافي، بحيث يجد كل جائع طعاماً، وكل مريض دواءً، وكل جاهل مدرسةً، وكل مريض مستشفى، وكل محتاج ما يكفيه، هذا ما نريده، خصوصاً بعد هذه الثورة.

لقد كانت ثورة تونس هي الثورة الأولى في الربيع العربي، والمثل العربي يقول: الفضل للمبتدي، وإنّ أحسن المقتدي. ابتدأت تونس

الثورات، وقلّدتها مصر بثورة هائلة، وثورة عظيمة، وثورة مُعلّمة، ولكن الفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي، فنحن نحیی ثورة تونس، ونحیی الثورات العربية كلها: ثورة مصر، وثورة ليبيا، وثورة اليمن، وثورة سوريا.

ستنتصر سوريا:

وأحبُّ أن أبشركم أيُّها الإخوة الأحبة، أنَّ ثورة سوريا ستنتصر إن شاء الله، والله العظيم ستنتصر ثورة سوريا، لا بد أن تنتصر ثورة سوريا؛ يأبى الله أن ينتصر الظلم على العدل، وأن ينتصر الاستبداد والفساد على الحرية والصّلاح؛ فسنة الله ﷻ أن يأخذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر، كما روى مسلم عن أبي موسى رضي عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] ^(١).

سيأخذ الله هؤلاء الظلمة، المستكبرين المتألهين في الأرض، الذين يظنون أنهم لا يحاسبون على ما يقولون، ولا يسألون عما يفعلون، سيأخذهم الله، سينزل عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اعتقادي الذي لا أشك فيه لحظة من اللحظات أنَّ هذا الشعب السوري الذي يُضحّي كل يوم منذ أربعة عشر شهراً، ويبذل بالعشرات، وأحياناً بالمئات، هذا الشعب لن يخذله الله أبداً، سينتصر الشعب السوري، وسيذهب الظالمون، سيذهب بشار الأسد وزبانيته وأعوانه، ممن ينصر الظالمين على أهل الحق والعدل، سينتصر الحق، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا آتَانِ يَتِمُّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

(١) سبق تخريجه ص ٣٧٢.

دولة ديمقراطية إسلامية:

يا أيُّها الإخوة، ماذا تريد تونس؟ تريد تونس دولة ديمقراطية إسلامية، هكذا باختصار، وربما يقول بعض الناس متعجبًا: دولة ديمقراطية! وقد سمعتهم منذ أكثر من عشرين سنة، حينما كنت مندبًا في الجزائر، قال بعضهم: الديمقراطية كُفِّر!

قلت له: أي كُفِّر في الديمقراطية؟ جوهر الديمقراطية الحقيقية من الإسلام. في أيام الشيوعية السوداء كان طواغيت الشيوعية يسمونها ديمقراطية شعبية، أمّا الديمقراطية الحقيقية؛ فهي التي يقرر الناس فيها مصيرهم بأيديهم، فيختارون مَنْ يريدون، ولا يُفرض عليهم حاكم يحكمهم.

بين الإمامة في الصلاة والإمامة الكبرى:

إنَّ الإسلام يكره أن يُفرض على الناس إمام يصلي بهم، كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه وغيره، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا تَرْفَعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ شَبْرًا: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَأَخْوَانٌ مُتَصَارِمَانِ»^(١). فهو يعبر عن قبول الله للشيء بأنه يرتفع إلى السماء، فالإسلام لا يحب أن يؤم الناس مَنْ يكرهونه، والإمامة في الصلاة صورة مُصَغَّرَةٌ للإمامة الكبرى، الإمامة العظمى، إمامة المسلمين.

(١) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٧١)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٩/١): إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وابن حبان في الصلاة (١٧٥٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والطبراني (٤٤٩/١١)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٢٠٦)، عن ابن عباس.

كما يقول الرسول ﷺ: «خيرُ أمرائكم الَّذِينَ تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَتُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ. وَشَرُّ أمرائكم الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»^(١). والصلاة في اللغة هي الدعاء، أي: تدعون لهم ويدعون لكم، فالإسلام يريد للناس أن يختاروا مَنْ يحكمهم، فلا يفرض على الناس حاكم يقود الناس بالعصا والسوط والسيف، لا يقبل الإسلام هذا أبدًا!

ذم الطغاة والفراعنة:

لا يقبل الإسلام هؤلاء الفراعنة الطغاة، والنمارذة الذين ذكرهم القرآن حين تحدث عن إبراهيم عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. جاء باثنين من الشارع، وأمر بضرب عنق أحدهما، وعفا عن الآخر، وقال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾! فلم يشأ سيدنا إبراهيم أن يناقشه في معنى الإحياء والإماتة، ولكن قال له: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. مثل هذا النمروذ الذي فعل هذا لا يقبله الله.

وكذلك فرعون الذي قال لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. هذا الفرعون لا يمكن أن يرضى بحكم الديمقراطية، هو ديكتاتور كبير، متأله في الأرض.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥)، وأحمد (٢٣٩٨١)، عن عوف بن مالك.

ذم أعوان الفراعنة:

على أن القرآن لم يذم فرعون وحده، بل ذم معه من فرعنه، من آلهه، من جعله يستكبر على الناس، هكذا يقول القرآن: ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ * فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أُنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤ - ٥٦].

كما قال عن قوم عاد: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٥٩، ٦٠]. فالذين يتبعون الجبابرة المعاندين، والفراعنة الطغاة مذمومون.

مدح القرآن ملكة سبأ:

وقد مدح القرآن امرأة حكمت اليمن في فترة من الفترات، وكانت امرأة كافرة، كما أخبر الهدهد سيدنا سليمان: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٣، ٢٤].

فبعث سيدنا سليمان بكتاب إليها، فجمعت قومها وقالت لهم: ﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلُوكُ إِنِّي الْفُقَىٰ إِلَيَّ كُنْتُ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلُوكُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٢٩ - ٣٢]. لا أتخذ قرارًا من دونكم، حتى تحضروا وتشهدوا، وتسمعوا وتقولوا رأيكم، فقالوا: ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٣، ٣٤]. إلى آخر القصة المعروفة

في سورة النمل، والتي انتهت بإسلامها، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]. المهم أن القرآن مدح عقلها واستشارتها لقومها.

مشاورة النبي أصحابه:

وحينما عقب القرآن على غزوة أحد، وما حدث فيها، قال للنبي ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. المشاورة مطلوبة في المعركة، حتى وإن خسرت؛ استمر على هذه المشاورة.

وما أكثر ما كان النبي ﷺ يشاور الصحابة، في كل الأمور! كما ذكر الإمام البخاري في صحيحه^(١). وقال الإمام الحسن البصري: ما تشاور قوم قط إلا هُتدوا لأرشد أمرهم^(٢). فالديمقراطية هي الشورى الحقيقية.

الديمقراطية ضد حكم الفرد:

ويقول بعض الناس: إن الديمقراطية ضد حكم الله ﷻ. قلت لهم: مَنْ قال هذا؟ ليست الديمقراطية ضد حكم الله؛ بل هي ضد حكم الطغاة، ضد حكم الفرد المطلق، فالديمقراطية أو الشورى تكون حسب المجتمع، فالمجتمع المسلم الذي يطبق الشورى أو الديمقراطية سيرعى إسلامه، وسيرعى عقيدته، والمجتمع الغير المسلم سيرعى عقيدته، الشورى تتعلق بنظم الحكم، وأدوات الحكم، فنحن مع الشورى، ومع الديمقراطية.

(١) انظر: صحيح البخاري (١١٢/٩).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٥٨)، وانظر: فتح الباري (٣٤٠/١٣).

الأخذ بالأكثرية:

ويقول بعض الناس: إِنَّ القرآن يذم الأكثرية، والديمقراطية تأخذ بالأكثرية. مَنْ قال: إِنَّ القرآن يذم الأكثرية بإطلاق؟ إِنَّه يذم الأكثرية التي لا تعقل، والتي لا تعلم، والتي لا تؤمن، والتي لا تشكر، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، إلى آخره.

أَمَّا إِذَا كَانَتْ أَكْثَرِيَّةٌ فِي الرَّأْيِ فَهَذَا مَا يَرْضَاهُ الْإِسْلَامُ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «اتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ»^(١). وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأُئِمَّةِ، وَحِينَما اسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ قَالَ لَهُمَا: «لَوْ اتَّفَقْتُمَا عَلَى رَأْيٍ مَا خَالَفْتُكُمَا»^(٢). لِأَنَّ اتِّفَاقَهُمَا يَعْنِي أَنَّ هُنَاكَ اثْنَيْنِ

(١) ثبت في الحديث التنويه بالسواد الأعظم، والأمر باتباعه، والسواد الأعظم يعني: جمهور الناس وعامتهم والعدد الكبير منهم، والحديث روي من طرق بعضها قوي، ومن ذلك ما جاء عن ابن أبي أوفى قال: «يا ابن جهمان، عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كان السلطان يسمع منك فائته في بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك، وإلا فدعه فإنك لست أعلم منه». رواه أحمد (١٩٤١٥)، وقال مخرّجوه: رجاله ثقات غير حشرج بن نباته، فقد وثقه أحمد ويحيى بن معين، وأبو داود، والعباس بن عبد العظيم العنبري. وقال أبو زرعة: لا بأس به مستقيم الحديث، واختلف قول النسائي فيه... وسعيد بن جهمان صدوق له أفراد فيما قاله الحافظ في التريب، وقال البخاري: في حديثه عجائب. وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات (٤١٤/٥). كما رواه ابن أبي عاصم في السنة عن ابن عمر رقم (٨٠) بلفظ: «ما كان الله ليجمع هذه الأمة على ضلالة أبداً، ويد الله مع الجماعة هكذا، فعليكم بالسواد الأعظم، فإنه من شدّد شدّد إلى النار». وقال الألباني: إسناده ضعيف، ورواه الحاكم بنحوه عن المعتمر بن سلمان (٢٠٠/١، ١٩٩)، وقال: المعتمر أحد أركان الحديث وأئمة، فلا بد أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد. انظر كتابنا: من فقه الدولة في الإسلام ص ١٤٣، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٦، ٢٠٠٩م.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٢٢.

في مقابل واحد، أمّا إذا لم يتفقوا تصبح الآراء متساوية، رأيہ ﷺ مثل رأي أبي بكر، ورأي عمر.

ووجدنا سيدنا عمر حينما عقد البيعة لسته من بعده، قال لهم: إذا اجتمع خمسة، وخالف واحد، يجب أن نطيع الخمسة، وإذا أبى اضربوا عنقه، فلا يجوز أن يفرق الجماعة، وكذلك إذا اتفق أربعة، وخالف اثنان، أمّا إذا تساوا، ثلاثة في مقابل ثلاثة، فيمكن أن يستعينوا بعبد الله بن عمر مُرجّحًا، أو الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، اعتبر أن لعبد الرحمن بن عوف مزية ترجيحية، ولذلك لما وجد عبد الرحمن بن عوف الأمر هكذا انسلخ من هذه المجموعة، ليفرغ لأخذ آراء الناس، ويستشير كل المجتمع المدني.

التمسك بالديمقراطية:

هذا ما جاء به الإسلام، فلماذا نرفض الديمقراطية إذن؟ بعض الناس الذين ليس لهم حظ في الفقه يتصورون أنّ الديمقراطية تخالف الإسلام، وهذا خطأ، ويضللون الناس، ويفسدون أفكارهم، وهذا لا يُقبل، نحن بالعكس نتمسك بالديمقراطية، ونقاتل في سبيلها، نحن نريد بلدًا ديمقراطيًا، حقيقة لا زيفًا، فنحن نجد بلدًا يدعي الديمقراطية، ويفوز الحاكم فيه بالتزوير بنسبة ٩٩,٩٩٪، هذه ديمقراطية مزيفة، لكننا نريد الديمقراطية الحقيقية، التي تقوم على استفتاء حقيقي، على عدم التزوير إطلاقًا، هذه هي الديمقراطية التي نرحب بها، وهي الديمقراطية الإسلامية.

نريد تونس ديمقراطية:

نحن إذن نريد أن تقوم في تونس ديمقراطية حقيقية، تُمثّل أهل تونس دون تزوير، فالذين زوّروا الانتخابات في العصور الماضية،

وسرقوا الملايين والبلايين، وهربوها إلى الخارج انتهى عهدهم، وأصبحنا في عهد جديد، يحكم فيه تونس أبناؤها، نريد أن تستمر هذه الديمقراطية.

نريد تونس دولة إسلامية:

ثم نريد دولة إسلامية، لتكون تونس دولة ديمقراطية إسلامية، بعض الناس يخافون من كلمة إسلامية، وأنا أقول بصراحة: من حقهم أن يخافوا؛ لأن هناك أناسًا في بلاد شتى يدعون أنهم يحكمون باسم الإسلام، وباسم الشريعة الإسلامية، ويُطبّقون الحدود؛ ولكنهم في الحقيقة لا يُطبّقون إلا شيئًا قليلًا جدًا من الشريعة الإسلامية.

أمّا الشريعة الإسلامية الحقيقية التي جاءت لتقيم عدل الله، في أرض الله، على عباد الله، التي جاءت لتُحق الحق، وتُبطل الباطل، التي جاءت لتغني الناس من فقر، وتُعزّهم من ذلّ، وتُعَلّمهم من جهل، هذه الشريعة تبرا من هؤلاء الحكام الذين يدعون أنهم يحكمون باسمها، وهم أبعد ما يكونون عنها.

تحقيق الحريات:

نحن نريد لتونس أن تُحكّم الإسلام الصحيح، الإسلام الحقيقي، الإسلام الذي يقيم العدل، الإسلام الذي يقيم الحرية، كما أشار الشيخ راشد الغنوشي إلى أنني قلت في برنامج الشريعة والحياة: أنا أفضل أن تتحقق الحرية في حياة الناس قبل أن ندعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، فإذا ماتت الحرية فلا معنى لتطبيق الشريعة الإسلامية، إذا كانت الحرية معدومة فلا يستطيع أحد أن يصحح خطأ، أو يُقوّم معوجًا، فنحن نريد الحرية.

تحقيق العدل:

ونريد العدالة، فالحرية يكملها العدل ويضبطها، لأن الحرية وحدها لا تكفي، والعدل من الأمور المهمة في الإسلام، إذا أمر الله بثلاثة أمور يكون العدل أحدها أو أولها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، وإذا أمر بأمرين يكون العدل أحدها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وإذا أمر بأمر واحد يكون هو العدل، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩]، والقسط هو العدل.

العدل للجميع:

والله يحب القسط، للمسلمين ولغير المسلمين، ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]، هؤلاء ليسوا مسلمين، ولكن لا يقاتلون المسلمين في الدين، ولا يخرجون المسلمين من ديارهم، ولا يظاهرون على إخراجهم، هؤلاء أناس مسالمين للمسلمين، ولذلك لم ينهنا الله تبارك وتعالى من أن نبرهم، وأن نقسط إليهم، وهو لم ينهنا بناء على ما كان شائعاً، لكنّه في الحقيقة يأمرنا في نصوص كثيرة أن نبرهم، ونقسط إليهم.

والبر كلمة إسلامية عُرِفَتْ لأقدس حق بعد حق الله، وهو بر الوالدين، فالله أمرنا أن نبر هؤلاء المسالمين، ونعدل معهم، يمكن أن تعطي أحداً حقه، وهذا هو العدل، ويمكن أن تزده على حقه، أو تتنازل عن حقه له، وهذا هو البر، ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، وختام الآية يدل على أنه تعالى لا ينهانا فقط عن برهم والقسط إليهم، بل هو كذلك يحب المقسطين.

لقد جاء الإسلام بالعدل، وهو عدل للناس جميعاً، ليس هناك أحد يُحرم من العدل، العدل للمسلم ولغير المسلم، للرجل والمرأة، للشاب وللشيخ، للقوي والضعيف، فالعدل مطلوب للجميع، هذا ما جاء بالإسلام، وما جاء به القرآن، وما جاء به محمد ﷺ، وما طبّقه الخلفاء الراشدون، وما طبّقه الأئمة العادلون، وما نادى به الفقهاء الصالحون، فنحن نطلب العدل للأمة.

الظلم يجلب الخراب:

العدل قيمة إسلامية عظيمة، ولكن للأسف كم حُرمت الأمة الإسلامية من العدل، وكم أصيبت في تاريخها الطويل بالحكام الظلمة الطغاة، الذين لا يخافون الله، ولا يحترمون خلقه، ولا يقفون عند حدوده، فضاع العدل، وانتشر الظلم، وإذا انتشر الظلم انتشر الخراب، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]، إذا انتشر الظلم في بلد انتشر معه الفساد، والبطالة، والفقر، والضياع.

تحقيق الغنى والرخاء والأمن:

والإسلام يطلب للناس الغنى والرخاء والأمن، وكلنا نحفظ سورة قريش، وما امتن الله فيها عليهم، ﴿لَا يَلْفُ قَرِيشٌ * إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤]، لماذا يعبد القرشيون ربهم؟ لأنه أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، فإذا كان الرجل لا يجد قوته، أو قوت زوجته، أو قوت أولاده، أو قوت أبنائه فكيف يعبد ربه؟ ستنتهي حياتهم.

لذلك جعل الإسلام هدفين أساسيين لكل مجتمع: أن يطعموا من جوع، ويأمنوا من خوف. ومعنى يطعموا من جوع أن يكونوا في حالة

رخاء، وفي حالة رفاهية، ولا يكفي أن تأمن الجوع، وتعيش مرتعد الفرائص، تخاف مَنْ يأتي في منتصف الليل، أو بعد منتصف الليل ليأخذك إلى حيث لا يُعرف مكانك، لا يعرف أهلك أين أنت، ولا يستطيعون أن يصلوا إليك.

هذه الحكومات الجائرة الطاغية، الباغية الظالمة، هي التي حرمت الناس من العدل، فلم يطعموا من جوع، ولم يأمنوا من خوف، ولم يقووا من ضعف، ولم يسعدوا من شقاء، عاشوا مبتلون بما يقاسيه الناس في عالمنا العربي، وعالمنا الإسلامي، الذين لا يجدون العمل، والذين لا يجدون من عملهم ما يكفيهم، الذين يعيشون وهم يتضورون من الجوع، ويتألمون ألم الملسوع، هؤلاء مَنْ يسمع لشكواهم؟ لقد عاشت مجتمعاتنا سنين، وعقودًا، وقرونًا، وهي محرومة من العدل الذي جاء به الإسلام.

هناك مئات الآيات في القرآن الكريم التي جاءت تحت على العدل، وتحارب الظلم، حتى لا تظلم: لا تكن ظالمًا، ولا تكن مع ظالم، ولا تؤيد ظالمًا، كما يقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، والطغيان هو نوع زائد من الظلم، يطغى صاحبه على غيره، يستقوي على الضعفاء، يذبحهم إذا قدر على ذلك، ثم يقول: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، لا تركن: أي لا تميل، مجرد الميل إلى الظلمة يؤدي بصاحبه إلى النار، ويحرمه ولاية الله ونصره، فلا يجوز أن تكون عونًا لظالم. كان السلف يقولون: مَنْ مشى مع ظالم ليقويه فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. ويقول الحسن: مَنْ دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن

يُعَصَى الله في أرضه^(١). فطول عمر الظالم هو طول عمر للفساد والجور والاستبداد، فدولة الإسلام هي دولة الحرية والعدل.

تحقيق الرحمة:

ودولة الإسلام كذلك أيها الإخوة هي دولة الرحمة، فالمجتمع المسلم مجتمع متراحم، لو أردنا أن نصف الإسلام بكلمة واحدة لقلنا: إنه دين الرحمة. لأن الله تعالى حينما وصف رسالة رسوله محمد وصفها بهذه الكلمة وحدها، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. هكذا بصيغة الحصر، صيغة الاستثناء بعد النفي، فليست رحمة للعرب وحدهم، ولا للمسلمين وحدهم، هي رحمة للعالمين، لكل الناس: مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، فالإسلام رحمة للعالمين، وهذا ما نريده.

نحن نريد مجتمعاً متراحماً، الذي يرحم بعضه بعضه، «ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء»^(٢)، حينما دخل بعض الأعراب على النبي ﷺ، فوجده يُقَبِّلُ بعض الصبيان، فقال: أتقبلون صبيانكم؟! إن لي عشرة من الأولاد ما قبَّلتُ واحداً منهم. فقال له النبي ﷺ: «أوأملكُ لك أن نزع الله الرحمة من قلبك»^(٣)، «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(٤). هذا ما جاء به

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٣٠)، والبيهقي في الشعب (٤١/١٢)، عن الحسن البصري. وروي من قول غيره كذلك. انظر: المقاصد الحسنة (١١٢١).

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٧)، عن عائشة.

(٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)، عن أبي هريرة.

الإسلام، ترحم أولادك، وترحم الصغار، وترحم الضعفاء، وترحم الناس، فلو تراحم الناس لما كان فيهم عارٍ ولا مغبون، ولا طمأنت الجنوب في المضاجع، ولخلت العيون من المدامع. لا تجد باكيًا يبكي، ومؤرّفًا لا يجد النوم، فنحن نريد أن يكون المجتمع المسلم مجتمع رحمة.

تحقيق التكافل الاجتماعي:

ونريد أن يكون المجتمع المسلم مجتمع تكافل، فلا بد أن تتمثل الرحمة فيما نسميه نحن الآن التكافل الاجتماعي، وللعلامة الدكتور مصطفى السباعي كتاب اسمه (اشتراكية الإسلام)، وإن كنت لا أحب هذه التسمية، وإلا جاز لآخرين أن يؤلفوا كتابًا ويسمونه (رأسمالية الإسلام)، والإسلام لا هو اشتراكي، ولا هو رأسمالي، وإنما يُقرُّ أحسن ما في الاشتراكية، وأحسن ما في الرأسمالية، ويتنزه عن كل مساوئهما، المهم أن الدكتور السباعي ذكر في كتابه أن للتكافل الاجتماعي عشرة أقسام: التكافل الأدبي، والتكافل العلمي، والتكافل السياسي، والتكافل الدفاعي، والتكافل الجنائي، والتكافل الأخلاقي، والتكافل الاقتصادي، والتكافل العبادي، والتكافل الحضاري، والتكافل المعاشي.

هناك التكافل المادي، بأن تنظر ما الذي يحتاج إليه الإنسان؟ يحتاج الطعام، والشراب، والكساء، والسكن، والحماية من الأخطار، يحتاج إلى تأمين، هذا ما يجب أن يقوم به المجتمع، بعضه مع بعض، لا يجوز أن يوجد في المجتمع مجموعة صغيرة تلعب بالملايين والبلايين، وهناك آخرون لا يملكون الملايين، هذا لا يجوز في المجتمع المسلم، بل يجب أن يهتم الغني في هذا المجتمع بالفقير، ويأخذ القوي بيد الضعيف، والعالم يُعلِّم الجاهل، كل واحد مسؤول عن غيره، هذا هو

المجتمع المسلم، لا يجوز أن يقول كل أحد: نفسي، نفسي. لا، فنفسك هي نفس غيرك، وإذا ضاع غيرك ضعت أنت.

في زمن عمر بن عبد العزيز اشترى أحد أقاربه - ويقال أنه أحد أبنائه - خاتماً فضّه بألف درهم، فأرسل إليه كتاباً يقول فيه: إذا بلغك كتابي هذا فبع هذا الخاتم، واشتر خاتماً فضّه بدرهم، واكتب عليه: رحم الله امرأً عرف قدر نفسه^(١). ألف درهم تكفي طعاماً لألف شخص في هذا الزمان، كانت الشاه بخمسة دراهم، فبعض الناس يتوسّعون في المباحات على حساب غيرهم، كما يقول معاوية رضي الله عنه: ما رأيت إسرافاً إلا وبجانبه حق مُضَيِّع^(٢). فالإسراف يكون على حساب حقوق آخرين ضيّعت.

ولذلك نحن ندعو الأمة الإسلامية عامة، والشعب العربي المسلم في تونس خاصة، إلى أن يقيم التكافل الاجتماعي، وخصوصاً في الجانب المادي، والجانب الأدبي.

معالم الفلاح في سورة العصر:

والجانب الأدبي هو ما نسميه التناصح، أو الدعوة إلى الحق، أو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو التواصي بالحق والصبر، فلا يكفي في الإسلام أن يكون المسلم صالحاً في نفسه، ويترك غيره، ليس هذا من الإسلام؛ بل يجب أن تُصلح نفسك، وتدعو غيرك، هذا هو الإسلام الصحيح.

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٨٩/١٠)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٢) ذكره الجاحظ عن معاوية في البيان والتبيين (١٧٧/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

في القرآن سورة نحفظها جميعاً، كان الصحابة إذا ودّع بعضهم بعضاً يقرؤونها، ليس لمجرد البركة، بل لتذكّرهم بما اشتملت عليه، وهي سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

أقسم الله بالعصر، وهو الوقت، ليعرفنا أهميته، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، ال هنا تفيد الاستغراق، أي أن كل إنسان في هلاك وضياع في الدنيا والآخرة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، استثنى الله من هذا الخسران صنفاً من الناس يجمع أربع خصال، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، والإيمان هو أساس المجتمع الإسلامي، وما عدا ذلك فرعٌ عن الإيمان، وقد ألف الإمام البيهقي كتاباً من سبعة عشر مجلداً، سمّاه (الجامع لشعب الإيمان): الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والعمرة، والذكر، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الأقارب، وإلى الأيتام، والبر، وفعل الخير، كل عمل خير هو من شعب الإيمان، والنبى ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون - أو بضع وسبعون - شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى من الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(١). فالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر هو الأساس الذي يقوم عليه المجتمع المسلم.

ولكن الإيمان الحقيقي ليس فقط عقيدة في القلب، بل لا بد كذلك أن يؤثر الإيمان في الجوارح كلها، وفي حياة الإنسان، ولذلك قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. والصالحات من التعبيرات القرآنية العظيمة: ما يصلح به الفرد، وما تصلح به الأسرة، وما يصلح به المجتمع، وما تصلح به الأمة، وما تصلح به الإنسانية.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

ما يصلح به الإنسان في حياته الروحية، وفي حياته المادية، وفي حياته العقلية، وفي حياته الوجدانية، وفي حياته الاجتماعية، وما تصلح به كل جوانب حياته، هذه هي الصالحات، الصالحات في أمور الدين، والصالحات في أمور الدنيا.

وعلى المجتمع المسلم أن يتواصى بالحق، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، ففي عنق كل مسلم وصية الله أن يوصي بالحق؛ إذا رأى الحق يضيع، وأن يوصي برفض الباطل إذا رأى الباطل يشيع، فليس هناك أحد أصغر من أن يُوصي، وليس هناك أحد أكبر من أن يُوصي، كل إنسان يوصي ويقبل الوصية بالحق، هذا معنى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، والتواصي صيغة تفاعل، فالمجتمع يوصي بعضه بعضاً.

كما أن على المجتمع المسلم أن يتواصى بالصبر، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، فالصبر لا بد منه، لأنه عدة المسلم، وهو الطريق إلى الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، هو طريق طويل، ومُكَلَّف، ويحتاج إلى إرادة قوية، وتضحية بالمصالح الشخصية، وبالغنائم العاجلة، ولذلك يحتاج إلى صبر، والصبر مرٌّ، لا يتجرّعه إلا حُرٌّ، ولذلك قال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. هذا هو المجتمع المسلم الذي نريده، مجتمع الإيمان، مجتمع الرحمة، مجتمع المحبة.

إشاعة المحبة:

بعض الناس يجعل المحبة من خصائص المسيحية، مع أن في المسيحية كلمة واحدة، هي (الله محبة)، لكن الإسلام مليء في قرآنه، وفي أحاديث رسوله بالمحبة؛ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]،

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَتُومِنُوا، وَلَا تَتُومِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا»^(١)،
 «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٢)، ماذا ينفعه الإيمان إذا
 لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟ فالمحبة أصل إسلامي عظيم، فلا بد من
 هذه المحبة، ولا بد من هذا التكافل الاجتماعي، ولا بد من كل هذه الأمور
 التي ذكرناها، هذا هو شأن المجتمع المسلم.

لو أحببت - أيها الإخوة - أن أشرح المعاني الإسلامية التي نريد أن
 نقيم عليها مجتمعنا، أو دولتنا التي نريدها دولة ديمقراطية إسلامية،
 لطال الحديث، نحن نريد دولة إسلامية ترفع من شأن الناس، نريد لهم
 حياة عالية قوية متمكنة، ليست حياة ضعيفة تنهار بمجرد ضربة، أو
 مجرد كلمة؛ بل نريد حياة راسخة رسوخ الجبال في الأرض، وذلك
 بالإيمان والقيم، والأخلاق والمثل العليا التي جاء بها الإسلام،
 وبالتشريعات العظيمة التي جاء بها محمد ﷺ، هذا ما نريده.

تصحيح المفاهيم:

نريد للأمة أن تعرف دينها حقيقةً، نحن تحدثنا عن وجوب الأمر
 بالمعروف، والنهي عن المنكر، هناك كثير من الناس للأسف لا يعرف
 من المنكر إلا شرب الخمر، والقتل والزنى، ونحو ذلك؛ أليس تزوير
 الانتخابات منكرًا؟ أليست الشهادة بالباطل للناس منكرًا؟ أليس العمل
 مع الظالمين وخدمتهم منكرًا؟ أليس الإعلام الذي يروج للباطل
 والكذب منكرًا؟ أليس الاستبداد والفساد منكرًا؟

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٤)، وأحمد (٩٧٠٩)، وأبو داود في الأدب (٥١٩٣)، عن
 أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس بن مالك.

كل هذه منكرات تشيع في الناس، وما أكثر المنكرات التي يرتكبها الناس، ونحن ساكتون عنها، لا نهتم بتغييرها، يجب أن نهتم بكل منكر، وخصوصًا المنكرات التي تشيع في مجتمعاتنا.

نحن في حاجة إلى أن نصحح مفاهيمنا، والشعب التونسي شعب عظيم، وأكثره متعلم، وفيه مثقفون كثيرون، ونحتاج من هذا الشعب أن يُكَلِّف نفسه معرفة الإسلام، بعض الناس لا يُكَلِّف نفسه أن يقرأ كتابًا إسلاميًا، يتحدث عن الإسلام، ويهاجم الإسلام، وهو لم يقرأ هذا الدين، لم يجلس عند عالم حقيقي ويسمع منه درسًا، لم يقرأ كتابًا، وكتب المسلمين كثيرة ما شاء الله، والنافع الإيجابي منها كثير، ولكن هناك أناس لا تكلف أنفسهم أن تعرف الحق من مصادره الأساسية، ومع ذلك يسب ويلعن ويجادل، وليس هذا من أخلاق الرجال المنصفين.

نحن - أيها الإخوة الأحبة - ما زلنا معكم في هذا البلد الكريم أيامًا، فلا أريد أن أطيل عليكم أكثر من هذا، وقد سمعتم من الإخوة الكثير، وسمعتم مني ما يكفي، فأسأل الله تعالى أن يسبغ نعمته على هذا البلد الطيب، وأن يديم عليه نعمة الحرية، ونعمة الديمقراطية، وأن يجمع كلمة أبنائه على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة، وعزائمهم على عمل الخير، وخير العمل، وأن نرى هذا البلد في القريب العاجل - إن شاء الله - من البلاد الآمنة المطمئنة، القوية المكيئة، وأن نرى إخواننا في البلاد العربية الأخرى قد انتصروا، وحققوا آمالهم، وحققوا أهدافهم: في مصر، وفي ليبيا، وفي اليمن، وفي سوريا، وفي كل بلد عربي وإسلامي إن شاء الله.



أَسْأَلُ اللَّهَ وَجَّكَ الَّذِي جَعَلَ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، أَنْ يَجْعَلَ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا، وَأَنْ يُحَسِّنَ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَنْ يَجِيرَنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ هِيَ السُّفْلَى؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.





وصايا قرآنية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةًً لِلْعَالَمِينَ، وَحِجَّةً عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، سَيِّدَنَا وَإِمَامَنَا وَأَسْوَتَنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ مَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ، وَاهْتَدَى بِسُنَّتِهِ، وَجَاهَدَ جِهَادَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. خَيْرَ مَا أَحْيَيْكُمْ بِهِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَتَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ السَّلَامُ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

لقاءات ودلالات:

وإني والله لأشعر بالسعادة، وأشعر بقرّة العين، وأشعر بالزهو والفخر كلما التقيت الإخوة الأحبة من تونس في بلد من البلدان.

التقيت بالأمس بالإخوة في العاصمة، فسعدت بلقائهم، وقلت: أحمد الله على أن أبناء تونس يلتقون خفافاً سراعاً، فرحين مستبشرين بلقاء

(١) أُلْقِيتُ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ بِمَدِينَةِ سُوْسَةِ السَّاحِلِيَّةِ بِتُونِسَ، بِدَعْوَةِ مِنَ الْجَمْعِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ لِأُثْمَةِ الْمَسَاجِدِ، مَسَاءَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ٤ مَآيُو ٢٠١٢م.

العلماء والدعاة، الذين قدموا إليهم من قطر؛ فلست وحدي، وإنما قدم معي عدد من الإخوة، منهم مَنْ وُزَّعُوا على عدد من المساجد، ومنهم مَنْ يجلس هنا معي، إخوة من بلاد العرب، وإخوة من بلاد الإسلام، من باكستان، ومن الصين، جاءكم إخوة يمثلون ديار الإسلام، فالحمد لله الذي جمع الأمة على كلمة الهدى والتقى، نحمده وَجَلَّ، ونسأله أن يُتِمَّ علينا النعمة، بجمع كلمة هذه الأمة جميعًا، إن شاء الله.

التقيت بالإخوة في العاصمة بالأمس، والتقيت بالإخوة اليوم بعد الظهر في جامع القيروان، جامع عُقبة بن نافع، واليوم أيضًا ألتقي بالإخوة في جوهرة الساحل، كما قال أخي الأستاذ راشد الغنوشي، الذي عرفته من قديم، قبل أن تصير في رأسه شعرة بيضاء، والآن ابيضَّت رأسه، شابت في الإسلام، في الجهاد لهذا الدين.

وقد رأيت الإخوة هنا والحمد لله يملؤون هذا المسجد العظيم، في هذا البلد العريق، الذي رأى من الجاهليَّة ما رأى، ثم جاء الإسلام إلى هذه الديار مع فتوحاته العظيمة، فالحمد لله أنَّ الإخوة لا يزالون في تونس يمثلون الإسلام العظيم، هذه الجماهير الهادرة كلها تقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، محمد رسول الله. نسأل الله وَجَلَّ أن يديم هذه النعمة على تونس، أن تظل تونس مددًا للإسلام، وتحدث عن نعمة الإسلام، فهذا شرف لها، وهذه نعمة يجب أن تحمد الله تعالى عليها.

وصايا قرآنيَّة:

كنت مُتَحَيِّرًا أيُّها الإخوة؛ فيمَ أحدثكم؟ ولكنني حينما سمعت القارئ يتلو القرآن فتح لي حديثًا من القرآن، والقرآن كنوز لا تنفذ، وجدت في سورة آل عمران - التي قرأ منها ما قرأ - هذه الآيات الكريمة:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥].

وقلت: لأجعلن منها درسي هذه الليلة إن شاء الله.

نداء جماعة المؤمنين:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، هذا نداء جديد من نداءات القرآن، كان الناس يقولون: يا بني قريش، يا بني زهرة، يا عرب، يا عجم. يتنادون بالقبلية والقومية والعنصرية، ولكن الإسلام جاء بنداء جديد، يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. هذا نداء للأمة أن يكون اجتماعها على الإيمان.

والإيمان المعروف في القرآن هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، هذا هو الإيمان العظيم، أن يرضى الإنسان بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، وبالقرآن إمامًا ومنهاجًا، فلهذا يقول القرآن: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فأصغ لها سمعك؛ فإنه خيرٌ تؤمر به، أو شرٌّ تُصرف عنه ^(١). أصغ لها، افتح لها أذنيك.

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٥٠).

ومن العجيب أنَّ القرآن ينادي المؤمنين بصفاتهم الجماعية، هل رأيت آية في القرآن تقول: يا أيها المؤمن؟ لم نجد آية في القرآن تنادي المؤمن بصفة مفردة، ولكن تنادي ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]. لم يقل: إلا الذي آمن وعمل وتواصى. فالذين يفلحون، ويهربون من الخسر والضياع في الدنيا والآخرة هم الذين يجتمعون على الإيمان.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي الذين اجتمعوا على الإيمان، فهذه صفة أمتنا، أنَّها أمة جماعية، يجمعها الإيمان بالله، وبكتابه، وبرسوله، وبعقيدته الإسلام، وشريعته، وأخلاقياته، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، نادانا الله وَحَلَّ بهذا النداء الجماعي، وكل نداءات القرآن نداءات جماعية، ما عدا النداءات الخاصة برسول الله ﷺ، وهي وإن كانت خطاباً له إلا أنَّها تتعلق بالأمة، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: ١]. فالقرآن ينادي: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ﴾، ﴿يَبْنَىٰ ءَادَمَ﴾، ﴿يَعْبَادِي﴾، ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ﴾، كل هذه النداءات نداءات للجمع، هكذا اهتم الإسلام بالجماعة، واهتم بالأمة.

طلب التقوى:

والقرآن هنا ينادي الذين آمنوا، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾. والتقوى كلمة عظيمة، جاء بها الإسلام، جاء بها القرآن والسنة، وطلبها الله من الأولين والآخرين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، فالأولون والآخرون مطالبون بأن يتقوا الله.

ثمار التقوى:

وفي تقوى الله كل خير، والآيات في ذلك كثيرة، منها: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا﴾ [مريم: ٧٢]، فكل خير في الدنيا والآخرة مبني على التقوى.

أصل التقوى:

وأصل التقوى خشية الله، أن تخشى الله عز وجل، والنبى ﷺ يشير إلى صدره ويقول: «التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا»^(١). في القلب، أهم شيء في التقوى هو جذورها، في القلب.

خشية الله هي التي تمنعك أن ترتكب المحظورات، هي التي تمنعك أن تُقصر في أداء الواجبات، هي التي تدفعك إلى كل خير، وهي التي تُحرّضك على أن تفعل الحسنات، وأن تمتنع عن السيئات، وكم يخاف الأتقياء من الأشياء البسيطة، فهم لا يخافون فقط من ارتكاب الكبائر؛ بل من يخافون من ارتكاب الصغائر أيضًا؛ لأنهم يعلمون أن الله يراها. بكى أحدهم عند موته، فقال له مَنْ حوله: لماذا تبكي؛ ما رأينا عليك فريضة تركتها، ولا حُرمة ارتكبتها؟ فقال: لا أبكي على هذا، ولكني أبكي أن

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

أكون قد أتيت يوماً شيئاً أحسبه هيناً، وهو عند الله عظيم^(١). وهكذا تفعل التقوى بأصحابها.

التقوى في علم الشريعة الإسلامية كالوقاية في علم الشريعة الطبية، الأطباء يقولون: احفظ نفسك، وابتعد عن الأسباب المهلكة. والشريعة نفسها تقول هذا: ابتعد عن الأسباب المهلكة بالتقوى.

حقيقة التقوى:

وهناك تقوى بمجرد الكلام، ليس هذا هو المطلوب، وإنما المطلوب هو التقوى الحقيقية، التقوى الكاملة، كما يقول الله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾. بأن يُشكر الله فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُطاع فلا يُعصى، هذه هي التقوى الحقيقية.

ضابط التقوى:

وهذه الحقيقة يكملها، ويضبطها، ويفسرها قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. فاتقاء الله حق تقاته لا يعني أن يُكلف المرء ما لا يطيق، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لا تُكلف نفس ما لا يُطاق، فالتكليف بحسب الوسع، بحسب القدرة، فالله لا يكلف الناس بما لا يقدرُونَ عليه، وإنما يكلفهم بما يستطيعونه، ولذلك قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. فحق التقوى أن تؤديها بما تستطيع.

فإذا قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فهذا يعني أنه لا بد أن تهَيِّئ الجنود الذين يدافعون

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣٦٥).

عن دينك، وعن وطنك، وعن حرمايك، وعن أهلك، وعن بلدك، وأن تهَيَّئ لهم من الأسلحة كل ما يحتاجون إليه، بريّة، وبحريّة، وجويّة، وإلكترونية، وأهم ما يتحدث الناس عنه، وكذلك تهَيَّئ الضباط، والقادة الذين يقودونهم، هذا معنى ﴿مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾. وليس معناها الركون إلى العجز، لا، بل تؤدي ما استطعت حتى تكون تقواك حق التقوى.

أثر التقوى:

لو أنّ المسلمين عملوا بهذه الآية، واتقوا الله حق تقواه لتغير حالهم، ولذلك حينما كشف سيدنا يوسف لإخوته عن نفسه، قال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ * قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٨٩ - ٩٠].

لقد ألقى يوسف في الجُبِّ كما تُلقَى الأحجار، وبيع للناس كما تُباع البضائع، وعمل في بيت المشتري كما يعمل العبيد، ودخل السجن كما لو أنّه من المجرمين، ولبث فيه بضع سنين، ولقي فيه ما لقي!

ولكن حينما يريد الله ﷻ أن يُفَرِّجَ الكرب عن شخص، أو عن مجتمع، أو عن أمة، تأتي إرادات الله ﷻ، التي لا يحجزها حاجز، قال: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أصبح يوسف هو الذي يتحكم في أرض مصر، ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٥، ٥٦]، أصبح هو الذي يُطعم أهل مصر، وأهل المنطقة كلها، جاءه إخوته من فلسطين، وجاء الناس من الشام ومن ليبيا ومن كل البلاد التي تحيط بمصر، فقد كان هناك قحط عام.

هناك أناس لا يخشون الله:

من أجل هذا أيُّها الإخوة، نطالب أمتنا أن تتقي الله حق تقاته، هناك أناس لا يعرفون الله، ولا يذكرون الله، ولا يعرفون معنى تقوى الله، ولا معنى خشية الله، ولا يذكرون يوم القيامة، ولا يعرفون أنَّ الناس سيلقون ربهم، وسيجدون أعمالهم، سيرون الأعمال نفسها، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، لا يرى الجزاء فقط، بل يرى العمل كذلك، فالأعمال التي نعملها، والكلمات التي نلقيها لا تذهب، بل هي موجودة، وكما استطاع الناس أن يجمعوها في الدنيا بطرقهم، فالله ﷻ أقدر على أن يجمعها يوم القيامة، وسنراها كأنها شريط مسجل، تحركه كيف شئت، وترى نفسك وأنت تأكل، وأنت تشرب، وأنت تعمل طاعة، وأنت تعمل معصية، كله أمامك، ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

من عاش على الإسلام مات عليه:

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، موتوا على الإسلام، كيف يموت الإنسان على الإسلام؟ يموت الإنسان على ما عاش عليه، مَنْ عاش على الخير مات على الخير، وَمَنْ عاش على الشر مات على الشر، فَمَنْ عاش على الإسلام، وعاش للإسلام فإنه يموت على الإسلام، ولذلك قوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. يعني: لا تعيشوا إلا وأنتم مسلمون، حتى تموتوا وأنتم مسلمون، فاجعلوا الإسلام مصدر حياتكم لتموتوا على الإسلام، مرضيًا عنكم من الله تبارك وتعالى.

الاعتصام بالإسلام:

وبعد هذا النداء العظيم يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. من المهم جدًا لأمة الإيمان، أمة التقوى، أمة الطاعة المطلقة لله، الأمة التي تذكر ربها فلا تنساه، وتشكره فلا تكفره، وتطيعه فلا تعصيه، وتخشاه حق الخشية: أن تعتصم ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، وحبل الله هو القرآن الكريم، هو الإسلام، فالأمة مطالبة بأن تستمسك بهذا الحبل المتين، لا تنحرف عنه، ولا تفرط فيه، ولا تباعد عنه، هو مرجعها الذي ترجع إليه إذا اختلفت، وتحتكم إليه إذا تخاصمت، فيجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على المحبة.

الوحدة ونبذ الفرقة:

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، لا يجوز للفرقة أن تدخل بينكم، لا مانع أن تختلفوا في الرأي، ولكن لا يؤدي الاختلاف إلى الفرقة، الاختلاف الذي يؤدي إلى العداوة، ويؤدي إلى تفرق الكلمة، ويؤدي إلى أن تصبح الأمة أممًا، هذا الاختلاف ممنوع، كما أمر الله تعالى، وكما أوصى النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١)، يجب أن لا تنسى أنها أمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، فالعبادة لا تكمل، والتقوى لا تتم إلا بالوحدة، لا بد أن تتحد الأمة، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، لا يجوز لكم أن تتفرقوا، لا بأس أن تختلفوا، فالاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، ولكن لا يكون الخلاف سببًا للفرقة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

وبعد هذه الآية يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. فالاختلاف في الرأي، أو الاختلاف في الفكر، أو الاختلاف في الفهم لا يضر، ما دام وراءه عقل، والعقل يحتكم إلى النقل أيضًا، فالإنسان لا يحتكم إلى دليل واحد، ونحن في حياتنا الاجتهادية نعمل بالعقل الصريح، والنقل الصحيح، لا نحدث صدامًا بين صريح المعقول، وصحيح المنقول، وإنما نجمع هذا مع ذاك، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، هذه وصية الله للأمة.

الأخوة الإسلامية:

ويذكرنا الله تعالى بالأخوة الإسلامية، فيقول: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. المسلمون إخوة بعضهم لبعض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. أو (فَأَصْلَحُوا بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ) في القراءة الأخرى، فكل مؤمن أخ للمؤمن.

ويقول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلَمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»^(١). لا يظلمه ولا يتخلى عنه، ولا يُفَرِّط فيه أبدًا، هذه هي الأخوة الإسلامية، أخوة تتمثل في التجمع والتلاقي، والتساوي والتحاب، والتضامن والتكافل المادي والأدبي، كل مسلم يكفل أخاه ويرعاه؛ فيأخذ القوي بيد الضعيف، ويُعَلِّم العالم الجاهل، ويعطي الغني الفقير،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

الأمة كلها أمة واحدة، لا يصح أن يرى أحدهم نفسه أعظم من الآخر، لا، فكلهم متساوون أمام الله، فليس معنى أنك غني وأنني فقير أنك أحسن مني، الذي يعطي هذه الأشياء كلها هو الله، ولكننا كلنا أسوياء في الإيمان، كلنا مؤمنون، بل كلنا أسوياء في الإنسانية، كلنا أبناء آدم، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

الأخوة القومية والوطنية:

وقد قلت للإخوة الأقباط في مصر: أنتم إخواننا. فقال لي بعض الإخوة السلفيين: الأخوة أخوة الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. فقلت له: يا أخي؛ هناك أخوة إيمانية دينية، وهناك أخوة قومية وطنية. قال لي: كيف؟ قلت له: اقرأ القرآن؛ تجد أن الله تعالى يقول: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]. ويذكر الأنبياء مع مكذبيهم، فأثبت أخوتهم لهم مع تكذيبهم لهم، كما قال في سورة الشعراء مثلاً: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا نُنْقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤١، ١٤٢]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا نُنْقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠، ١٦١].

إلى أن قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٧٧]. لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب. لأن شعيباً لم يكن منهم، وإنما كان من قوم مدين، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]. فهذه أخوة قومية، وأخوة وطنية، ولذلك حينما نقول: إخواننا المسيحيين، أو إخواننا الأقباط. فليس هذا تدنيًا، وكذلك بالنسبة

للمسلمين: هناك أخوة في العروبة، وأخوة في الإسلام، فينبغي أن نرعى هذه الأخوة، ونحمد الله عليها، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

كل الأمة داعية إلى الخير:

ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. كلمة (مِنْ) تكون أحياناً للتبعية، ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾، أي بعضكم، يقوم جماعة منكم بالدعوة إلى الخير، يتهيئون لذلك.

وأحياناً تكون كلمة (مِنْ) للبيان، وللتجريد، كما تقول: ليكن لي منك الصديق الوفي. أي: كُنْ أنت الصديق الوفي، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾. يعني: كونوا أمةً. وأنا أرجح هذا، أن الإسلام يدعو الأمة كلها أن تكون داعية إلى الخير، أمة بالمعروف، ناهية عن المنكر؛ لأن هذا فرض على الجميع، ليس فرضاً على بعض الناس دون بعض؛ بل على كل أحد أن يدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، في حدود قدرته.

فإذا رأى تاركاً للصلاة يقول له: يا أخي؛ هذا حرام، فالصلاة عماد الدين، مَنْ أقامها أقام الدين، وَمَنْ هدمها هدم الدين. وإذا رأى عاقاً لوالديه يقول له: يا أخي؛ هذا حرام، هذا من الكبائر. وإذا رأى قاطعاً لرحمه يقول له: يا أخي؛ هذا لا يجوز، مَنْ قطع رحمه قطعه الله. وهكذا؛ فأَيُّ شخص مطالب بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في حدود معرفته، وحدود قدرته، ولذلك أرى أن الأولى لكلمة (مِنْ) في الآية

أَنَّهَا لِلْبَيَانِ وَالتَّجْرِيدِ، فكل الأمة مطالبة بذلك، ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وختام الآية يدل على المعنى الثاني، فالفلاح منشود للأمة جميعاً، وليس لبعضها دون الباقي.

الأمة مطالبة بالدعوة إلى الله:

كل الأمة مطالبة بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ليس هذا خطاباً لرسول الله ﷺ فقط؛ بل كل من يفهم الخطاب العربي مطالب بهذه الآية، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]. فإذا كنت ممن اتبع رسول الله ﷺ يجب أن تكون داعياً إلى الله، وتكون داعياً على بصيرة، هذا هو الفهم الصحيح للآية، فكل مسلم داعٍ إلى الله، أنتم في هذا المسجد جميعاً دُعاة إلى الله، فواحد يدعو بالخطبة، وواحد يدعو بتأليف كتاب، وواحد يدعو بتأليف رسالة، وواحد يدعو بالكلمة الطيبة، وواحد يدعو بالمعاملة الحسنة، كلنا دعاة إلى الله.

تونس إسلامية:

هذه أيها الإخوة مدلولات سريعة، اقتبستها من الآيات الكريمة التي قرأها الأخ الكريم مفتتحاً بها هذا الحفل، الذي يجمع هذه الآلاف المؤلفة، ليعلم كل الناس، وليعلم الذين يجادلون بالباطل أن تونس إسلامية، تونس بلد إسلامي، تونس مع الإسلام، تونس مع القرآن، تونس مع دعاة الإسلام، تونس مع المؤمنين بالقرآن، لا تتخلى تونس عن إسلامها أبداً، تونس مع العلماء الصادقين، مع الدعاة المخلصين،

نشهد لتونس بهذا، أن تونس قد رضيت بالله ربًّا، ورضيت بالإسلام دينًا، ورضيت بمحمد رسولًا، ورضيت بالقرآن إمامًا ومنهاجًا لحياتها، وستظل كذلك إلى أن تؤدي بالأمّة إلى خير حال إن شاء الله.

انتصار الإسلام:

ستنتصر الأمّة الإسلاميّة، والأمّة العربيّة، والأمّة في تونس، والأمّة في مصر، والأمّة في ليبيا، والأمّة في اليمن، والأمّة في سوريا، والأمّة في فلسطين إن شاء الله، وستنتصر الأمّة في كل بلد إسلامي، ستنتصر قضية الإسلام، وستعلو كلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ستنتصر راية القرآن، والله تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

ظهر الإسلام على بعض الأديان من قبل: على الوثنية، وعلى النصرانية، وعلى اليهودية، ولكن بقيت وثنيات كبرى لم ينتصر عليها الإسلام، سيأتي وقت ينتصر الإسلام على هذه الوثنيات كلها، وعلى المسيحية بكلّ مذاهبها، وعلى كل الأديان.

بماذا ينتصر الإسلام؟ قرأ رجل أجنبي عن الإسلام، فأعجب به، وقال: يا له من دين لو كان له رجال. وللإسلام الآن رجال، يُقدَّر تعداد أمته الآن في أحدث التقديرات بحوالي مليار وسبعمئة مليون، مع أن أعداءنا يحاولون باستمرار أن يقللوا من أعداد المسلمين، ولكن المسلمين كثرة، المسلمون أمة ولودة مهما قتلوا منهما، انظروا إلى الشعب الفلسطيني، يُقتل منهم مَنْ يُقتل، ولكن نساءه يلدن باستمرار، والمسلمون أكثر من مليار وثلاثي مليار، هؤلاء هم الذين يحملون رسالة الإسلام في العالم.

تمسك المسلمين بدينهم:

إنَّ المسلمين وحدهم المتمسكون بدينهم، لا يوجد دين يُكلّف أتباعه بالصلاة خمس مرات في اليوم، والصيام شهرًا كاملاً، وأداء الزكاة، والحج إلى بيت الله، المسلمون وحدهم الذين يجتمعون على هذه الأمور، انظر.. الناس في رمضان يُقبلون على العمرة، وفي ليلة ٢٧ رمضان تجد في الحرمين ثلاثة ملايين أو أكثر، وفي بلاد العالم تجد المساجد مملوءة بمئات الملايين، فالمسلمون وحدهم هم أصحاب الدين الحقيقي.

ونحن نحبُّ للناس جميعاً أن يتدينوا، لا ندعو أحداً أن يترك دينه، نحن نحب أن نتعامل مع متدينين يؤمنون بالله ويخافونه، لا نتعامل مع أناس يكفرون بالله، ويعاملوننا بأخلاق الملحدين، نريد للناس أن يتدينوا، أن يتمثلوا بالمسلمين، ونريد للمسلمين أن يظلوا متمسكين بإسلامهم، معتزين بهذا الإسلام العظيم، هذا ما ننادي به المسلمين في أنحاء العالم، وفي تونس خاصة.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُعزِّز الإخوة في تونس بعزة الإسلام، وأن يرفع بهم راية القرآن، وأن يُعلي بهم كلمة الإيمان، وأن يفتح لهم فتحاً مبيناً، ويهديهم صراطاً مستقيماً، وينصرهم نصراً عزيزاً، وأن يتم عليهم نعمته، ويعلي بهم كلمته.

وأن ينصر إخواننا في سوريا، وإخواننا في فلسطين، وإخواننا في سائر بلاد الإسلام، ويجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى.



ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم، اللهم آمين.

وصلّ اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً، والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

* * *



نحو تجديد الفقه السياسي في الإسلام^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيّدنا وإمامنا وأسوتنا، وحبيبنا
ومُعَلِّمنا رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا لَا تُزِغْ
قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

خير ما أَحْيَيْكُمْ بِهِ أَيْهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَتَحِيَّةُ
الْإِسْلَامِ السَّلَامُ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

(وبعد)

تونس بالأمس:

فإني أحمد الله تبارك وتعالى حمداً كثيراً مباركاً، على أن هَيَّأَ لَنَا أَنْ
نُزُورَ بِلَدَنَا الْحَبِيبَةَ تُونِسَ، وَنَلْقَى أَهْلَ تُونِسَ - رِجَالًا وَنِسَاءً، وَشَبَابًا

(١) أُلْقِيتُ فِي افْتِتَاحِ الْمُؤْتَمَرِ الدُّوَلِيِّ: نَحْوُ تَجْدِيدِ الْفَقْهِ السِّيَاسِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، الَّذِي نَظَّمَتْهُ جَامِعَةُ
الزَّيْتُونَةِ، بِالِاشْتِرَاكِ مَعَ الْإِتِّحَادِ الْعَالَمِيِّ لِعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، تَحْتَ إِشْرَافِ د. الْمُنْصَفِ بْنِ
سَالِمٍ وَزَيْرِ التَّعْلِيمِ التُّونِسِيِّ، بِقَصْرِ الْمُؤْتَمَرَاتِ بِتُونِسَ، صَبَاحَ يَوْمِ الْأَحَدِ ٦ مَآيُو ٢٠١٢م.

وشيوخاً - في هذه الأرض الطيبة، لم نكن نستطيع لعشرات السنين أن ندخل تونس، كانت مُحَرَّمَةً علينا، كان رجال الإسلام، والرجال الأحرار يفرُّون منها، كما يفرُّون من الجزائر، ويذهبون إلى مصر.

عندما أخذت شهادة العالمية كان شيخ الأزهر، شيخ الإسلام في مصر تونسياً، وهو الشيخ العلامة محمد الخضر حسين، رَحِمَهُ اللهُ تبارك وتعالى، كما كان من أكابر الشعراء في مصر، الذين يحفظ الناس - عامتهم وخاصتهم - أشعاره، التي تجري في كل مكان: هو الشاعر بيرم التونسي، فكانت مصر تستقبل التونسيين.

وكان هناك فصل بين المشرق والمغرب، لا يكاد يعرف المشرقون ما يحدث في المغرب، هكذا صنع الاستعمار، الذي وضع هذه الحواجز والسدود بين المغرب والمشرق، وكانت تونس في ذلك الوقت بلداً يحكمه الاستعمار، وبعد الاستعمار حكمه أناس أشد بطشاً، وأشد بلاءً من المستعمرين أنفسهم، ولذلك ظللنا محرومين من زيارة تونس، حتى هياً الله لنا هذه الزيارة.

سُمح لي أن أزور تونس منذ سنتين وبضعة أشهر، لزيارة مدينة (القيروان) باعتبارها عاصمة للثقافة الإسلامية، على أن أكون صامتاً، لا يسمع الناس لي، لم أقل كلمة واحدة، قلت كلمة للتليفزيون، ولكن قطعوها إرباً إرباً، أخذوا من أولها وآخرها، فأصبح الكلام غير كلامي الأول تماماً.

تونس اليوم:

الآن أيُّها الإخوة أعود إلى تونس الحبيبة بعد عصر الثورة، بعد أن تحررت تونس من الظلمة المستكبرين في الأرض، الجبارين على عباد

الله، تحررت تونس من هؤلاء وأصبحت لأهلها، أصبح كل تونسي سيِّداً حراً في نفسه، لا يملِي أحد عليه شعوره، ولا تفكيره، ولا رأيه.

عُدت إلى تونس ورأيت والله ما شرح الله به صدري، وابتسم له ثغري، حينما لقيت الناس - أول ما لقيتهم - في يوم الخميس في (الاستاد)، وقد تجمَّع الآلاف المؤلفة هناك، وذهبت في اليوم التالي إلى مدينة (القيروان) للمرة الثانية، لأتحدث في جامعها الكبير، جامع عقبة بن نافع، فحضر الناس وامتلاً بهم الجامع الكبير، فكانوا حوله بالآلاف المؤلفة، فقلت: الحمد لله؛ هذه هي تونس الإسلامية.

وذهبت بعد ذلك إلى (سوسة)، فكان الناس في جامع سوسة أضعاف الناس في مدينة القيروان، ثم ذهبت إلى (قابس)، ووجدت الناس في الملعب الكبير أضعاف الناس عما كانوا في سوسة، فالحمد لله أن أصبح الإسلام سيد القافلة، ومرجع الناس جميعاً، والحمد لله رب العالمين، أحمد الله تعالى أن عادت تونس إلينا، وعدنا إلى تونس؛ فتونس مسلمة، وستظل مسلمة، سيظل الإسلام مرجعها، سيظل الإسلام حاكمها، ليعلم هذا كل مَنْ يشك في ذلك، فأنا أحمد الله تبارك وتعالى.

ثورة تونس للجميع:

هذه هي تونس، وهذا هو موقفني، وموقف إخواني من تونس؛ جاء معي إخوة من قطر، وهم من قطر، والإمارات، والسعودية، والكويت، وباكستان، والصين، جاؤوا من بلاد العرب والإسلام جميعاً، جئنا لنحيي الثورة التونسية، ونحيي أبناء تونس، وندعو جميع أبناء تونس إلى أن يساندوا هذه الثورة، لأنها ثورتهم، ليست ثورة راشد الغنوشي، ولا وزير التعليم، ولا وزير الأوقاف، ولا الجامعة الزيتونية، بل هي ثورة الجميع،

ثورتكم كلكم، فعليكم أن تدافعوا عنها، رجالاً ونساءً، لا تسمحوا لأحد أن يجرّ هذه الثورة إلى خطأ، أو إلى جور، أو إلى ظلم، فهي ثورة العدل، وثورة الكرامة، وثورة الحرية، هذه الكلمة الأولى عن تونس.

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين:

ولي كلمة ثانية عن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي يقيم هذا المؤتمر، هذا الاتحاد الذي أشكر الله تبارك وتعالى على فضله ونعمته: أن هيّأني لأقوم بهذا الدور الكبير، كانت الأمة في حاجة إلى أن يُمثّل علماؤها في مؤتمر عالمي يجمع الجميع، كان الاستعمار، وكانت الحكومات، وكان الجميع يخشى من هذا المؤتمر، ولا يسمح له أن يقوم.

وعندما كنت أبحث عن مكان لهذا المؤتمر، تكلمت مع الشيخ سلطان القاسمي: حاكم الشارقة، وبينني وبينه مودة وصداقة، فقال: لقد سألت الله أن يجعل الشارقة مقراً لكل مؤتمر علمي، وكل مؤتمر خيري، وكل مؤتمر ينفع المسلمين، ولكن اتركني فترة حتى أهَيّ الأمر. فتركته فترة، ثم زرت الشارقة، فلم يكلمني، وقال إخوانه لي: إنّه جرّب أن يعرض المسألة فرفض الجماعة في اتحاد أبي ظبي. فسكتُ، ولم أجد بلدًا يحتضن هذا المؤتمر، فاضطررنا أن نسجله في (دبلن)، وأن نعقد المؤتمر الأول في لندن، ثم انتقل بعدها إلى البلاد الإسلامية.

نحن عقدنا المؤتمر الأول في لندن، وعقدنا المؤتمر الثاني والثالث في إستانبول، ولكن ظل مقر الاتحاد في لندن، والآن أصبح مقره الرئيسي في الدوحة في دولة قطر، وها هو هنا في دولة تونس، وله مقر في مصر، ومقرات في بلاد عربية وإسلامية أخرى والحمد لله.

هذا مؤتمر الأمة الإسلامية، مؤتمر المسلمين في داخل العالم الإسلامي، وخارج العالم الإسلامي، المسلمين في آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، وأمريكا، وأستراليا، والمسلمين في كل مكان، أصبح الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يُمثل هؤلاء جميعًا.

تجديد الفقه السياسي في الإسلامي:

الأمر الثالث الذي أتحدث فيه هو أمر هذا المؤتمر الذي نعقدّه الآن، وهو تجديد الفقه السياسي في الإسلام، هذا الفقه السياسي الذي يتعلق بالدولة، ويتعلق بالسلطة، ويتعلق بالأمة الكبرى، أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ويتعلق بما سُمّي الإمامة العظمى، أو الخلافة، ويتعلق بالدولة الإقليمية التي يعيش المسلمون الآن في ظلالها، هذا الفقه يحتاج إلى تجديد، وكل أنواع الفقه تحتاج إلى تجديد، ولكن الفقه السياسي يحتاج أكثر من غيره إلى هذا التجديد.

مشروعية التجديد:

والتجديد أمر مشروع، بعض الناس يقولون: هل يعني التجديد إصدار طبعة جديدة من المصحف؟ لا، التجديد أمر شرعه محمد ﷺ، في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، ورواه غيرهم، وصحّحه عدد من العلماء، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١). فتجديد الدين أمر مشروع، يجب أن يتجدد الدين، والدين قابل للتجديد.

(١) سبق تخريجه ص ٣٢٣.



معنى التجديد:

ولكن ما معنى التجديد؟ التجديد أن تعود بالشيء إلى ما كان عليه يوم ظهر، إذا أردت أن تجدد قصرًا أثرًا، أو مسجدًا، ماذا تفعل فيه؟ هل تهدمه، وتبني عمارة جديدة بأحدث طراز؟ ليس هذا من التجديد في شيء، إنما التجديد: هو أن تُبقي الشيء على جوهره، بمعالمه المعروفة، بأصالته، بكل ما يُميّزه من أشياء، ليبقى كما هو، حينما تراه فكأنما شرع من جديد، فنحن حينما نجدد الإسلام نجدده بهذه الطريقة.

معالم تجديد الفقه السياسي:

كيف نجدد الفقه السياسي في الإسلام؟ للأسف لم يأخذ الفقه السياسي حقه من الاجتهاد الإسلامي، نحن نعلم أنّ النصوص في كل موضوع من مواضيع الفقه تأتي على قدر أهمية هذا الموضوع في حياة الأمة.

هناك أمور تأتي فيها نصوص كثيرة جدًا، مثل العبادات، وشؤون الأسرة: الزواج، والطلاق، وغيرهما، تجد في هذا عشرات ومئات النصوص في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية.

(١) جمع النصوص ومقارنتها:

وهناك أمور تأتي فيها نصوص قليلة، ولكنّها نصوص مُوجّهة وحاكمة، من ذلك نصوص الفقه السياسي، فهي ليست كثيرة كما في نصوص فقه الأسرة، أو الأحوال الشخصية، ولكن هذه النصوص موجودة في القرآن والسنة، واهتم العلماء بها، ونحن علينا أن نهتم بما اهتم به العلماء، نجمع كل ما هو موجود، وندرسه، ونقارن بعضه ببعض، لأننا للأسف نجد أشياء

لا نقبلها، بمنطق الشرع الذي نفهمه، وبمنطق العصر الذي نعيشه، وبمنطق التجارب التي خضناها في ديارنا مع أقوامنا، ومع شعوبنا.

تجديد الشورى:

فمثلاً: كان ممن عَنُوا بالفقه السياسي إمام الحرمين الجويني، أحد الأئمة الكبار، الذي توفي سنة ٤٧٦هـ. ولكن هذا الإمام العظيم الذي ألَّف كتاب الغياثي أو غياث الأمم في التياث الظلم، يذكر فيه أَنَّ الشورى مندوبة، وليست واجبة، ليس هناك واجب على الحاكم أن يستشير الناس، وإذا استشار الناس، ووصلوا إلى نتيجة فليست النتيجة مُلزِمة له^(١)! فلا يلزمه أن يستشير الناس، وإذا استشارهم لا يلزمه أن يتبع ما أقروه، يستشير ويتبع ما يراه، أو ما تراه المجموعة التي حوله!

وهكذا ضاعت الشورى التي أمر الله بها أمراً: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. أليست أوامر القرآن واجبة؟ كيف لا يكون أمر الله واجباً؟ وأوامر القرآن بالذات؟ فأنا من الذين يُفرقون بين أوامر القرآن والسنة، ولي أدلة على هذا، فما أمر به القرآن فهو واجب، أليس القرآن يقول: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. كل هذه فرائض وأساسيات، لماذا تصبح الشورى وحدها هي النافلة؟

مثل هذا - مما اجتهد فيه أئمتنا - هو ما يجب أن يُجدد، نحن يسرُّنا أَنَّهُم اجتهدوا، ونرحب باجتهدهم، ولكنَّه ليس مُلزِماً لنا، من حقنا أن ننقده، ومن حقنا أن نقول: ليس هذا اجتهداً صحيحاً.

(١) غياث الأمم ص ٨٤ - ٨٦، تحقيق عبد العظيم الديب، نشر مكتبة إمام الحرمين، ط ٢، ١٤٠١هـ.

وأنا ممن يُجلُّ إمام الحرمين، ويقدِّره، ويأخذ عنه فيما قاله في كتبه، في مقاصد الشريعة، وفي علم الفقه، ولكن لا آخذ عنه أبداً أنَّ الشورى غير واجبة، وأنَّ الأخذ بنتائج الشورى غير ملزم، أنَّها مُعلِّمة وليست ملزمة، هكذا يقول إمام الحرمين رَحِمَهُ اللهُ، كما نشر ذلك، ولخصه أخونا الأستاذ الدكتور عبد العظيم الديب، صديقي وحببي عليه رحمة الله^(١).

نحن في حاجة - أيُّها الإخوة - إلى تجديد الفقه السياسي، بأنَّ نجمع كل ما كُتِبَ فيه، مثل ما كتبه العلامة الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية)، ونظيره في الحنابلة العلامة أبو يعلى الفراء في كتابه أيضاً (الأحكام السلطانية)، وقد أفرغ في هذا الكتاب محتوى كتاب الماوردي، وزيادات الفقه الحنبلي، مما يدل على أنَّ الماوردي سبق إلى هذا، فأبو يعلى أخذ كلام الماوردي وزاد عليه ما اقتضاه الفقه الحنبلي، فهذان الكتابان أصيلان في السياسة الشرعية، ثم جاء بعد ذلك الإمام ابن تيمية في كتابه (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية)، فعلينا أن نجمع كل ما كُتِبَ في السياسة الشرعية، وبعضها يكون في كتب السياسة المالية، والسياسة الجنائية، فهذه الكتابات كلها تخدم الفقه السياسي في الإسلام، فعلينا أن نجتمعها.

وقد نجد في كتب الفتاوى كتابات عن السياسة الشرعية، مثل فتاوى الإمام ابن تيمية، وأنا لي كتاب اسمه (فتاوى معاصرة) تناولت فيه كثير من نواحي السياسة الشرعية، وكذلك في كل كتب الفتاوى تجد منشورات من مسائل معينة، مبحوثة بحثاً خاصاً، كل هذا يجب أن يُجمع من تراثنا.

(١) انظر: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله، نشرته دار القلم، الكويت.

(٢) الاستفادة من الدراسات العالمية:

ثم علينا أن نستفيد من الدراسات العالمية في الجانب السياسي، ليس هناك مانع أن نأخذ مطمئنين نوعاً من التنقيح، ما دمنا مستندين إلى أصول إسلامية، إلى قواعد إسلامية حقيقية، نتكئ عليها، هي أسسنا، هي مراجعنا، لهذا يمكن أن نأخذ بعض الأشياء من هذه الدراسات.

الأخذ بالأكثرية العددية:

لقد جاءت الديمقراطية الحديثة بأشياء لم يكن يعرفها المسلمون، أو عرفوها بصيغة لم تتطور بعد، مثل نظام الانتخاب، والأخذ بالأكثرية العددية.

وأنا ذكرت لكم يوم الخميس أن الأخذ بالأكثرية العددية هو الأصل الإسلامي، فحينما استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر، واختلفا عليه، قال لهما: «لو اتَّفَقْتما على رأيٍ ما خالفْتُكما»^(١). لأن اتفاقهما يعني اثنين في مقابل واحد، أمّا لو اختلفوا يصبح الثلاثة مختلفين، فهو يختار من الآراء ما يشاء في هذه الحالة.

ووجدنا في عهد سيدنا عمر، حينما أراد أن يختار ستة من كبار المسلمين وخيارهم، الذين إذا اعتمدت عليهم الأمة اجتمعت كلمتها، وهم الذين سُمُّوا أصحاب الشورى، وقال لهم: إذا اجتمع خمسة، وخالف واحد، يجب أن نطيع الخمسة، وإذا أبى اضربوا عنقه، فلا يجوز أن يفرق الجماعة، وكذلك إذا اتفق أربعة، وخالف اثنان، أمّا إذا تساووا، ثلاثة في مقابل ثلاثة، فيمكن أن يستعينوا بعبد الله بن عمر مُرجِّحاً، أو

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٢.

الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف^(١). اعتبر أن لعبد الرحمن بن عوف مزية ترجيحية، كما نفعل نحن في الرئاسة، إذا كان الرئيس مع ثلاثة في مقابل ثلاثة.

ولكن عبد الرحمن بن عوف لما وجد الأمر هكذا انسلخ من هذه المجموعة، وقال: لست منها، وسأبحث في ديار المسلمين، مع الرجال والنساء، والشيوخ والشباب؛ يسألهم مَنْ يريدون أن يكون رئيسًا لهم^(٢)؟ فهكذا كان عمر رضي الله عنه.

منتجات التجربة الديمقراطية:

نحن نجد أن التجربة الديمقراطية أصبح لها في عصرنا دول، وأصبح لها دراسات، وأصبح لها مراجع هائلة، وحتى نحن في بلادنا الإسلامية اتسعت دراساتنا، الذين يبحثون في السياسة من رجال الشريعة، ورجال العلوم السياسية، ورجال الاقتصاد، ورجال الحقوق، من كل هؤلاء أصبحت عندنا مئات المراجع، ويجب أن تُنقى هذه المراجع، وأن نأخذ خير ما فيها، فنحن لسنا مُلزمين إلا بما يحقق مصالح الأمة وصلاحياتها، وقدرتها على أن تبني نفسها، وأن ترفع شأنها، وأن تحل مشكلاتها في ضوء الشريعة، بدل أن تخرج على الشريعة.

كالذين قالوا: الشريعة تقول: «أنتم أعلمُ بأمرِ دُنياكم»؛ فلنا أن نعمل ما نشاء! فهل أراد النبي ﷺ بهذا الحديث أن نلقي بآيات القرآن الكريم، وأحاديثه ﷺ هنا وهناك، ولا نقيم لها وبها شأنًا؟ هذا ليس معقولًا!

(١) رواه البخاري في حديث طويل في المناقب (٣٧٠٠)، عن عمرو بن ميمون.

(٢) إشارة إلى حديث عبد الرحمن بن عوف: «لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم». رواه البخاري في الأحكام (٧٢٠٧)، عن المسور بن مخرمة.

وإنَّما قال النبي ﷺ ذلك في الأمور الفنية، فحينما اختلفوا في مسألة تأبير النخل ولماذا نؤبره؛ سيظهر بنفسه؟ وتركوه حتى أصبح شيصًا، ولم ينتج، وتعرفون أن مكة وادٍ غير ذي زرع، لا يعرف أهله زراعة النخل، ولا ما يحتاج إليه، فأفتاهم النبي ﷺ من قبل برأيه، فيما لم يحسنه تمامًا، وظنوا أنَّه وحي من الله، ولم يكن وحيًا، بل هو اجتهاد منه، وكان ما كان من خراب الثمار في هذا العام، فقال لهم النبي ﷺ: «إنَّما ظننتُ ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظنِّ، أنتم أعلمُ بشأن دُنْيَاكُمْ»^(١).

فالطبيب في شؤون الدنيا هو الذي يعلم الدواء الذي يصلح للناس، فلا يأتي أحد ليسأل الفقيه: أي الأدوية أتعاطى: (بنادول) أم (إسبرين) أم غير ذلك؟ أو ليسأله في أمور الزراعة: ما الذي يجعل الأرض خصبة، ما الذي يجعلها تنبت أكثر وأجود؟ هذه أمور تحتاج إلى تجربة، ولا تحتاج إلى نصوص شرعية، موقف الشرع هنا هو الإحالة على الخبراء، هذا معنى «أنتم أعلمُ بشأن دُنْيَاكُمْ».

أنا أريد - أيها الإخوة - أن أؤكد فقط، على أنَّ الفقه السياسي يحتاج من جميع الذين يشتغلون بهذا الأمر، مثل صديقي الشيخ مختار السلامي، وهو علامة من علامات هذا البلد الكريم، والإخوة في جامعة الزيتونة التي أرادوا أن يهدموها، ولكن أبى الله إلا أن تظل مرفوعة الرأس شامخة، وأخي الدكتور عصام البشير، وأخي الدكتور سيف الدين عبد الفتاح من أساتذة العلوم السياسية، وغيرهم كثير من الإخوة الذين يشتغلون بهذا اللون من الفقه، هؤلاء يحتاجون إلى أن يُعملوا عقولهم،

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن عائشة.

وَيُوسِّعُوا مَدَارِكَهُمْ، وَيَصُولُوا وَيَجُولُوا، وَيُخْرِجُوا لَنَا الزُّبْدَ، فَالْأُمَّةُ
الإسلامية تحتاج إلى الدراسات التي تُعنى بتجديد الفقه السياسي.

تراث عريق:

ونحن بحمد الله وراءنا تراث عريق، وليس وراء الناس شيء،
كثير من أبناء العرب والمسلمين جهلوا تراث هذه الأمة، وكما قيل:
مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ، وَالنَّاسَ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا. على نحو ما ذكر القرآن
الكریم: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّ قُلُوبَهُمْ هَذَا يَفْئُتُ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١]،
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩]. فهو لاء لم
يحيطوا علمًا بالفقه الإسلامي وآفاقه، وبما بذل المسلمون في هذا
الفقه العظيم، تركات هائلة، ميراث ضخم جدًا من المذاهب
المختلفة، ومن خارج المذاهب، هناك مذاهب متبوعة، ومذاهب غير
متبوعة، وهناك فقهاء لم يكن لهم مذاهب من الصحابة، ومن
التابعين، ومن غيرهم، هناك آفاق واسعة من الفقه، ولكن هناك من
أبناء هذه الأمة مَنْ يجهل هذا، ويريد أن يفرض جهله على الأمة، وأن
تتبع الأمة الجهلاء، ولا تتبع العلماء، وهذه مشكلة!

النظام الرئاسي والبرلماني:

كنت أسمع بعض الناس يقولون: إننا يجب أن نُلقي بالنظام الرئاسي،
ونعمل بالنظام البرلماني. وأنا لا أرى هذا؛ أرى أَنَّ النظام البرلماني ليس
نظامًا إسلاميًا، وإنما للأمير في النظام الإسلامي كلمة، وحين ننظر في
الأحاديث التي جاءت في السمع والطاعة للأمير، ووجوب استشارته
الناس، وما يجب على هذا الأمير، وما يجب على الناس، ندرك هذا،
فلا نعدل بهذا إلى مجموعة في البرلمان تختار واحدًا منها!

لا؛ بل يلزم أن يختاره الشعب، ولا يُسمح له أن يتجاوز الناس، بل لا بد أن نصنع له قيودًا، فهو ليس مطلق الصلاحية، كما كان يفعل زين العابدين بن علي، وحسني مبارك، ومُعمر القذافي، وعلي عبد الله صالح، وبشار الأسد، وأمثالهم من الذين يأكلون حقوق الشعوب، ويستهيئون بحرمت الشعوب، ويسفكون دماء الشعوب، لا يمكن أن يكون هذا مقبولًا، لا بد أن تكون سلطة الحاكم مُقيّدة بالقرآن والسنة، وبرجال التشريع، أو رجال الشورى في المجلس النيابي، أو مجلس الشعب، لا بد أن نقصّ أجنحة هؤلاء، فلا يمكن أن يُتركوا، هذا ما أراه في فقها السياسي.

سعدت بزيارة تونس:

يا أيُّها الإخوة؛ لا أريد أن أطيل عليكم في هذا الأمر أكثر من هذا، أحب أن أقول: إنني سعدت بهذه الزيارة، وهي الزيارة الأولى الحقيقية لتونس الحبيبة، هذا البلد العظيم، الذي استفدنا من مشايخه وعلمائه، الشيخ عبد العزيز الثعالبي، والشيخ الطاهر بن عاشور، والمشايخ الذين التقينا بهم، وسعدنا بهم في المؤتمرات، وفي المجمع، وكانوا خير العلماء، وخير العاملين، ولكن كان النظام التونسي يرهبهم ويرعد فرائصهم، حتى إنني حينما عرضت على بعض علماء تونس أن يكونوا معنا في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين قالوا: نرجو أن تسامحنا يا شيخ يوسف؛ لا تعرف ظلم هؤلاء الحكام، وكيف يتبعوننا، ولا يتيحون لنا أن ننام، ولا أن نعمل. فسمحنا لهم.

التعاون على بناء تونس:

وقد أذهب الله هؤلاء الظلمة إلى غير رجعة، وأصبحتم يا أهل تونس أحرارًا في بلدكم، أصبحتم أنتم الذين تبون هذا البلد، فلا تنتظروا من

أحد أن يبنّي لكم بلدكم، أنتم الذين تبنونها، إذا لم تبونها بأنفسكم ستظل البلد خرابًا، كل واحد منا مسؤول أن يضع لبنة على لبنة حتى يقوم هذا البناء العظيم، فتونس بلدنا، نحن الذين نبنيها، نحن الذين نعلي كلمتها، نحن الذين نرفع شأنها، نحن الذين نحرسها من الظالمين، ومن المفسدين، ومن المغرضين، ومن الذين يُحرّفون الكلم عن مواضعه.

نحن ندعو كل التونسيين أن يكونوا معنا، ونحن والله لا نعادي أحدًا، فالإسلام يُعلّمنا أن نكون إخوة للناس جميعًا، فكل الناس إخوة، كلهم بنو آدم، ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فنحن أبناء آدم وحواء، نحن إخوة في الإنسانية، ونحن إخوة في العروبة، والعروبة اللسان، حتى مَنْ كان أمازيغيًا أو نحو ذلك، فما دام يتكلم العربية فهو عربي، ونحن كلنا عرب، وكلنا مسلمون، لا نُخرج أحدًا من الإسلام، إلا مَنْ أخرج نفسه، فما دام المرء يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وما دام يرضى بالقرآن مرجعًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، ويتخذ القرآن إمامًا ومصدرًا له؛ فهو أخونا، ونحن إخوانه.

قد نختلف في بعض الأمور، ولكن يجب أن يرجع الجاهل إلى العالم، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، يجب أن نرجع إلى العلماء، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، فالإسلام يدعو إلى أن نطيع أولي الأمر، فمن هم أولو الأمر، بعضهم قال: هم العلماء. وبعضهم قال: هم الحكام. وبعضهم قال: هم العلماء في أمرهم، والحكام في أمرهم.

والعجيب أنَّ القرآن لم يقل: أطيعوا وليَّ الأمر. ولكن قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. فالطاعة للجماعة، لأن ولي الأمر لا يحكم وحده، وإلا كان حكمه فرديًا مطلقًا، ولذلك لما قال بعض الناس: نحن نرفض الشورى؛ لأنها تجعل الحكم للإنسان في مقابل حكم الله. قلت لهم: لا؛ بل الشورى تجعل حكم الجماعة في مقابل حكم الفرد المطلق. ولهذا يجب أن نرجع إلى حكم الجماعة، ﴿وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

هذا هو الفقه السياسي الذي نرضاه لأمتنا، ونريد لها أن تعود إليه، حتى تستظل بظله، وتستمتع بما يهيئه الله لها من أجواء الحرية، والكرامة، والعدالة.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم، اللهم اجعل يوم هذا البلد خيرا من أمسه، واجعل غده خيرا من يومه، وأحسن عاقبته في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة.

اللهم افتح لهذا البلد فتحا مبيئا، واهده صراطا مستقيما، وانصره وأهله نصرا عزيزا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، وانصر إخواننا الثائرين في بلاد العرب جميعا، انصر إخواننا في مصر، وانصر إخواننا في ليبيا، وانصر إخواننا في تونس، وانصر إخواننا في اليمن، وانصر إخواننا في سوريا، وانصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا المسلمين في كل مكان.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



مصر ومعركة الوحدة والبناء^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على معلّم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرّشد، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبیبنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عنّ دعا بدعوته، واهتدى بسُنّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحییکم به أيّها الإخوة والأخوات تحية الإسلام، وتحية الإسلام السّلام، فالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) أُلقيت في المؤتمر الجماهيري الذي أقيم بمسجد قادوس في المحلة الكبرى، بمحافظة الغربية، في مصر، في ١ يناير ٢٠١٣م.

كلمة شكر:

شكر الله لكم جميعاً حضوركم، وشكر الله لسعادة محافظ الغربية، وشكر الله للإخوة المسؤولين في هذا البلد، وشكر الله لأهل هذه المنطقة، وأعلم أن هنا مَنْ جاء من طنطا، وَمَنْ جاء من المنصورة، وَمَنْ جاء من كفر الشيخ، وَمَنْ جاء من بلاد شتّى، وَمَنْ جاء من هذه البلاد ومن قراها، أشكر هؤلاء جميعاً، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتولى عني شكرهم، فهو الذي يقدر أن يوفيهما ما يستحقون، وقد قال ﷺ في شأن المجاهدين: ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَاجَتِهِمْ أَلَلَّ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١]. مهما كانت النفقة صغيرة؛ فإن الله يكتبها لك، ولا تقطع وادياً، سواء قطعتة ماشياً أو راكباً، فإن الله يكتبه لك، لأنّه يجزي كل امرئ بما عمل.

دعوة كريمة:

يا أيُّها الإخوة الأحبة؛ اعتدت طوال عمري أن أدعى إلى أن أتحدث إلى الناس داعياً إلى الله، وليست هناك مهمة أعظم ولا أكرم ولا أجمل من الدعوة إلى الله؛ لأن هذه هي مهمة الرسل والأنبياء جميعاً، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. فكلما دعوت إلى الله كانت هذه دعوة محبة إلى نفسي، فإذا كانت هذه الدعوة إلى منطقتي، وإلى مدينتي، وإلى بلدي الذي أحبه، والذي أكنُّ له في نفسي عاطفة خاصة: كان هذا أمراً أشد حُباً إليّ.

وقد دعاني حزب (الحرية والعدالة) لأحضر في هذا البلد، ولو دعاني أي جهة أخرى، لو دعاني وزارة الأوقاف، أو وزارة الثقافة، أو وزارة الإعلام، أو الجمعية الشرعية، أو أي جمعية خيرية، أو أي حزب

محترم: دعاني إلى أن أحضر إلى المحلة الكبرى؛ لقلت لهم: نعم آتي إليكم. فأنا أحييكم، وأحيي حضوركم، وأحيي هذا البلد الكريم، أحيي ذكريات كانت في هذا البلد، وقد جئنا إلى هذا المسجد أكثر من مرة، وجئنا إلى هذه المدينة مرات عديدة.

منعي من الحديث العام:

ولم يُقدّر لي من سنوات أن آتي إليكم، لم يكن المانع مني والله، كان هناك مَنْ يمنعني عن المجيء إلى هذا البلد، والحمد لله أن هيأ لنا المجيء، وأصبح محافظ الغربية يأتي إلينا، وأصبحت الشرطة تحوطني، فالحمد لله أن مَنْ علينا من فضله، نحن نحمد الله أن أصبحت مصر للمصريين جميعاً، ليست لفئة دون فئة، ولا لجماعة دون جماعة، وإنما هي لكل مصري، فنحن نحمد الله على هذه النعمة العظيمة.

لقد كنا نمنع من أن نذهب إلى الناس، حتى المساجد كنت ممنوعاً من المحاضرة فيها، كان يطلبني الناس، فأقول لهم: لا أستطيع. قالوا: ما يمنعك؟ قلت: لهم: جربوا وسأتي. وإذا بهم قبل يوم واحد من اليوم الموعود يأتيهم الأمر بالمنع، فهكذا كانوا يمنعون الناس من الحديث ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [النور: ٣٦]، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ [البقرة: ١١٤].

نحن نحمد الله تبارك وتعالى أن هيأ لنا هذه الفرصة لنتلقى بإخواننا وأبنائنا وأحبتنا؛ حيثما شئنا في أي بلد مصري، لندعوهم إلى الله تبارك وتعالى، إلى القرآن الكريم، إلى السُّنة النبوية، إلى ثوابت الأمة، إلى أن يقتدوا بآبائنا وعلمائنا الكبار، فنحن نحمد الله وَجَّهًا أن هيأ لنا هذه الفرصة.

فترة إقامتي في المحلة الكبرى:

نعم إنَّها لفرصة عظيمة أيها الإخوة أن آتي إلى المحلة؛ لأتذكر فيها أيامي وسنواتي، وقد عشت سنوات في المحلة، لعل هؤلاء الشباب، ومعظم الحاضرين لم يشهدوا هذه السنوات، فقد كانت في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي.

كنت شاباً في الثانية والثالثة والرابعة والعشرين من عمري؛ حينما جئت إلى المحلة الكبرى، وكلما آتي إليها أتذكر تلك الأيام، كما قال الشاعر:

وَحَبَّ أوطانَ الرجالِ إليهمُ ما رُبَّ قضاها الشبابُ هنالكَا
إذا ذكروا أوطانهم ذكَّرتُهُمُ عهدَ الصِّبا فيها فحنُّوا بذلكَا^(١)

فأنا أتذكر هذه السنين، وأتذكر عهد الصبا، وعهود الشباب، وأتذكر كثيراً من إخواني وأحبائي؛ ودَّعْتُهُم ولقوا ربهم، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وبقي بعض إخواني الذين عشت معهم في هذا البلد الكريم، أسأل الله أن يمد في أعمارهم، ويبارك في جهودهم، ويختتم لهم ولي بخير ما يختتم به لعباده الصالحين.

مصر في القرآن والسنة:

يا أيُّها الإخوة الأحبة؛ نحن في مصر، ومصر أكثر بلد ذكره الله، لم نر في القرآن بلداً ذكرها مثلما ذكر مصر وبابل، ذُكرت بابل حينما ذُكر هاروت وماروت، أمَّا مصر فقد ذُكرت باسمها خمس مرات في القرآن

(١) ديوان ابن الرومي شرح أحمد حسن بسج (١٤/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت،

الكريم، حينما جاء والده يوسف وأهله قال: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]. وقال موسى لقومه: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]. وقال فرعون في مصر: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١]. إلى غير ذلك، فقد ذكرت مصر باسمها خمس مرات.

أمَّا بغير اسمها فقد ذكرت مرات كثيرة، فحينما يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١]. أي أرض؟ إنها أرض مصر، وكذلك حين يقول: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. هي أرض مصر، وكأن مصر هي كل الأرض، وهم يسمون مصر الآن أم الدنيا، فكأنه حين يقول: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾. أنه يقول: اجعلني على خزائن الأرض كلها.

نحن في هذا البلد الكريم الذي أوصى به النبي ﷺ، قال: «إِنَّكُمْ ستفتحون أرضًا يُذكر فيها القيراط». وفي رواية: «إِنَّكُمْ ستفتحون مصر، وهي أرض يُذكر فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا». وفي رواية: «فَإِنَّ لَهُمْ رَحْمًا وَصَهْرًا»^(١).

للعرب والمسلمين فيها رحم؛ لأنَّ إسماعيل - وهو أبو العرب المستعربة، عرب الحجاز وما حولها - كانت أمُّه من مصر، وهي السيدة هاجر ؑ، كانت قد أُهديت له، فتزوجها وأنجب منها إسماعيل، فوضعها هي وابنها عند المسجد الحرام، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

(١) الحديث برواياته الثلاث رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٣)، عن أبي ذر.

فوضعهما إبراهيم عند المسجد الحرام، وحين أراد أن يودعهما قالت له هاجر: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: ما كان ليضيعنا^(١). ما دام أن الله هو الذي أمرك بهذا؛ فلن يضيعنا أبدًا، فللعرب والمسلمين رحم بهاجر المصرية.

وللمسلمين كذلك صهر بأم إبراهيم عليه السلام، مارية القبطية، وكنا قديمًا في الكتاب نحفظ أن أولاد النبي صلى الله عليه وسلم سبعة، وأنهم كلهم من السيِّدة خديجة؛ إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، فهكذا كانت مصر عند النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أوصى بها في أحاديث كثيرة عن أم سلمة^(٢)، وعن كعب بن مالك^(٣)، وعن أبي ذر^(٤)، وعن عدد من الصحابة^(٥) رضوان الله عليهم بالوصية بأهل مصر: «الله الله في قبط مصر، احفظوا لهم، فإنهم سيكونوا لكم عدة وعونًا في سبيل الله». ولذلك عندما ذهب سيدنا عمرو بن

(١) رواه البخاري في الأنبياء (٣٣٦٤)، عن ابن عباس.

(٢) عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته فقال: «الله الله في قبط مصر؛ فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانًا في سبيل الله». رواه الطبراني (٢٦٥/٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٧٨): رجاله رجال الصحيح.

(٣) عن كعب بن مالك، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا فتحت مصر، فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا». يعني أن أم إسماعيل كانت منهم. رواه الطبراني (٦١/١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٦٧٩، ١٦٦٨٠): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

(٤) سبق تخريجه ص ٤٥١.

(٥) منهم أبو عبد الرحمن الحُبلي عبد الله بن يزيد، وعمرو بن حريث، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فاستوصوا بهم خيرًا، فإنهم قوَّة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله». يعني قبط مصر. رواه أبو يعلى (١٤٧٣)، وابن حبان في التاريخ (٦٦٧٧)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح؛ إلا أنه مرسل.

العاص - ومعه أربعة آلاف من الصحابة - ليفتح مصر، ثم بعد ذلك استنجد بسيدنا عمر بن الخطاب ليرسل إليه بمدد، لأن ما معه من جنود لا يكفي، فأرسل إليه أربعة آلاف، ومعهم أربعة من القادة، وقال: كل واحد من هؤلاء الأربعة بألف - فكأنّ معه اثني عشر ألفاً^(١) - ولن يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلة.

الوحدة والائتلاف:

نحن الآن في مصر، ولذلك نحن حريصون كل الحرص على أن نؤلف بين أهل مصر، نريد أن تكون مصر بلداً واحداً مؤتلف القلوب، مجتمع الصفوف، موحد الكلمة، لا نريد أن يفترق هذا البلد بعضه عن بعض، حرام علينا أن نقبل هذا، أو نسكت عن هذا، أو نسعد بهذا؛ بل على كل منا أن يسعى ما استطاع في أن يُجمّع إخوانه.

لقد كنا في ميدان التحرير نجتمع على كلمة واحدة، على قلب رجل واحد، المسلمون والمسيحيون، والليبراليون والإسلاميون، واليمينيون واليساريون، والرجال والنساء، والشباب والشيوخ، من كل الفئات، مشددين وميسرين، كلهم كانوا على قلب رجل واحد، كان القبطي يرى أخاه المسلم يتوضأ؛ فيأتي ليصب عليه الماء ويساعده، كان الرجل يتعزى ليتغطى أخوه ليلاً، ويجوع ليشبع أخوه، هكذا كنا في أيام التحرير.

إنّ مصر بلد كبير العُدة والعدد، عظيم التأثير، فيه المتعلمون والناهضون، والأدباء والشعراء، والعلماء والأطباء والمهندسون، ومن كل الفئات فيه الكثير، هذا البلد العظيم لا يجوز أن يفترق أهله، ولذلك أنا

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٨٢، ٨٣.

أخذت على نفسي عهدًا أمام الله: أن أعمل ما حييت على أن أجمع كلمة المصريين، وأساعد في هذا بكل ما أملكه من قوة، وأدعو إخواني أن يساعدوني في هذا، وأدعوكم أن تنادوا المصريين جميعًا أن يتحدوا، فما يجوز للأمة أن تفترق.

كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة:

لقد جاء الإسلام بأمرين أساسيين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة. كلمة التوحيد بأن نوحّد الله ﷻ، لا نعبد إلا الله، كما كان النبي ﷺ يبعث إلى قيصر، وإلى ملوك أهل الكتاب وأمرائهم؛ يدعوهم إلى الإسلام، ويختم بهذه الآية التي جاءت في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. هذه دعوة رسول الله ﷺ إلى النصارى في كل مكان في العالم، ونحن نحمل هذه الدعوة، دعوة التوحيد، وكلمة التوحيد، ألا نوحّد إلا الله.

وهناك توحيد الكلمة، كلمة عابدي الله، يجب على الذين يعبدون الله أن يتوحدوا، وكما قلت في خطبة يوم الجمعة: إن أهل مصر كلهم يعبدون الله، لا يوجد في مصر ملحد ينكر وجود الله، لا تجد من يقول: ليست هناك ألوهية. ما رأيت أحدًا في مصر من الليبراليين، أو العلمانيين، أو الماركسيين، أو هؤلاء الذين يدعون أنهم غربيون يُنكر وجود الله، كلهم يؤمنون بالله، إذا كانوا مسلمين يؤمنون بمحمد ﷺ، وإذا كانوا مسيحيين يؤمنون بالمسيح عيسى عليه السلام، فالمصريون كلهم يؤمنون بالله ﷻ؛ فلماذا يفترقون؟ لماذا يقف بعضهم ضد بعض؟!

الانشغال بالعمل:

نحن في بلد انهارت أموره، لأن البلد في مساره فُرط في جواهره وأصوله، وضاع كل شيء، كانت الأموال تُهَرَّب إلى الخارج، بالمليارات والتريليونات، خُرَّب البلد، ولم يصنع فيه شيء للمستقبل، ما الذي صنعناه لمستقبل هؤلاء البنين والبنات؟ لم نصنع لهم شيئاً، حينما ورثنا هذا وجدنا البلد في حالة غريبة، مدين بديون كثيرة جداً.

ونحن نستطيع أن نسدد هذه الديون، وأن نقيم هذا البلد من عثرته، ولكن بشرط أن نعمل، فليس هناك شيء يأتي مجاناً، كل شيء يمكن أن ينصلح بالعمل، والله تعالى يقول: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

مضاعفة العمل:

علينا أيُّها الإخوة أن نعوض ما فاتنا من سنوات طويلة، عشرات السنين من الضياع، ثلاثون سنة، أو ستون سنة ضاعت على مصر، ولكن علينا أن نعمل لنعوض هذه السنين، يمكن للإنسان بالإيمان أن يعمل بمقدار ما يعمله عشرة أشخاص، وقد ذكر الله تعالى لنا في سورة الأنفال: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]. فيمكن أن يعمل الواحد بعشرة أضعاف ما يعمل الشخص العادي، وذلك عندما يكون قوياً صابراً، فإذا كان ضعيفاً يقول الله: ﴿أَلَكُنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]. فيمكن للإنسان في حالة القوة أن يعمل بمقدار ما يعمل عشرة أشخاص.

ونحن نريد أن نوصّل الأمة إلى مرحلة القوة، بحيث تعمل عملاً مباركاً؛ فتستطيع في سنوات قليلة أن تعوّض السنوات الكثيرة التي ضاعت، والشعب المصري شعب صبور، إذا وجد من يحثّه على الصبر، ومن يكون له أسوة في تعليم الصبر، هذا الشعب شعب عظيم، والذي ضيّع هذا الشعب هم حكامه؛ لأنّه وجد أنّه يعمل ولا يجد ثمرة عمله، يقطفها الآخرون، لكن لو أنّه وجد أن عمله له ولوطنه، سيستفيد منه كل الوطن؛ هنا يتعبد ربه بإتقان العمل.

إتقان العمل:

والإسلام لم يجيء فقط بمجرد العمل، وإنما جاء بالعمل المتقن، الله تعالى فرض علينا إحسان العمل، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّثْ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِجَ ذَبِيحَتَهُ»^(١). وكتب الإحسان أي: فرضه. كما قال: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ» [البقرة: ١٨٣]. فهي فريضة مكتوبة موثقة محددة، وليست فريضة شفوية، فالله تعالى فرض الإحسان على كل شيء، حتى لو استحق أحد القصاص؛ فيجب أن يحسن القصاص منه، لا أن يعذبه؛ بل بأسرع ما يمكن.

وكذلك إذا أراد الإنسان أن يذبح ذبيحة ليطعمها؛ يجب أن يريحها، فلا يذبحها بشفرة باردة، ولا يذبحها أمام حيوان آخر، لأنّه إذا رآها فكأنما ذُبح هو أيضاً، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول في مثل هذا: «أُتْرِيدُ أَنْ تَمِيتَهَا مَوْتَيْنِ؟»^(٢) كأنه أماتها بذلك مرّتين، فلا بدّ من إتقان العمل في كل

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٢) إشارة إلى حديث عن ابن عباس، أن رجلاً أضجع شاة، وهو يحُدّ شفرته، فقال النبي ﷺ: =

شيء، حتى نصبح أمة بين الأمم، بماذا تفضل الأمم بعضها على بعض؟ تفضل بإتقان العمل، كل العمل، لا أن تأتي فتقول: لا يهم، خليها على الله! ثم يفاجأ المشترون لسلعتك أنها معيبة، وقد تكون سلعة ضارة، فيضيع بذلك بلد بأكمله بإهمال شيء بسيط، فلا بد أن نتعود على إحسان العمل.

العمل الأحسن:

ولم يطلب الله وَعَلَّكَ منا مجرد العمل الحسن، بل طلب العمل الأحسن، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. كأن التنافس ليس بين الحسن والسيئ، ولكن بين الحسن والأحسن.

والقرآن يقول: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨]. إذا كان هناك حسن وأحسن يتبعون الأحسن، هذا شأن الإنسان المؤمن، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. أي لو كان هناك جدال أو حوار بطريقة حسنة، وجدال بطريقة أحسن منها، فالقرآن يأمرنا أن نجادل بالطريقة التي هي أحسن.

= «أتريد أن تميتها موتتين؟ هلاً أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟». رواه الطبراني في الكبير (٣٣٢/١١)، والأوسط (٣٥٩٠)، والحاكم في الأضاحي (٢٣١/٤)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠٣٣): رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٩٠).

وقد حثنا النبي ﷺ على طلب الأحسن؛ حينما قال: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ؛ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَانِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»^(١). لا تقل: يا رب أدخلني الجنة في آخر دفعة. فأنت تطلب من أكرم الأكرمين، تطلب ممن يملك السماوات والأرض، مَنْ بيده كل شيء، فَلِمَ تطلب منه أقل شيء؟ اطلب أعلى شيء، «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ»، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

وفي مال اليتيم يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. إذا أردت أن تقوم بتشغيل مال اليتامى؛ فلا يكون هذا بأي طريقة؛ بل يجب أن يتم بأحسن الطرق، هذا هو المطلوب منك.

والشعب المصري مطلوب منه أن يحسن العمل، كل واحد يحسن ما تخصص فيه، العالم في علمه، والعامل في عمله، يحسن الزارع زراعته، ويحسن الصانع صناعته، ويحسن المعلم تعليمه، ويحسن المهندس هندسته، ويحسن الطبيب طبه، حتى يظهر منا الألوף المؤلفة التي تحسن الأعمال، وتكون قدوة لغيرها، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فليس المحسن فقط مَنْ يتصدق؛ بل المحسن هو كل مَنْ يُحسن عمله، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، مع الله بالتقوى، ومع الناس بالإحسان، إحسان العمل.

مرحلة البناء:

أنا أدعو أمتنا في هذه المرحلة المهمة من المراحل التي تمر بها مصر، أريد مصر أن تدخل مرحلة جديدة، نصنع مجلس نواب جديد،

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

ونستكمل كل التشريعات اللازمة لهذه المرحلة، ونقوم ببناء الوطن، لماذا لا نبني أيها الإخوة؟ هل نظل طوال عمرنا نكتفي بالهتاف، والتوجه نحو ميدان التحرير؟!

نحن لا ندعو الناس إلى أن يلتزموا برأي واحد، من حق الناس أن تكون لهم آراء مختلفة، وأن يتحاوروا ويتشاوروا، ولكن لا يجوز لهم أن يعطّلوا العمل، حرام على أبناء مصر أن يعطّلوا العمل في مصر، مصر قادرة على أن تعمل بأبنائها، لتغني نفسها، وتعطي غيرها، مصر معطاءة دائماً.

حينما أصابت المجاعة مصر أيام سيدنا يوسف عليه السلام؛ كان الناس في بلاد الشام وغيرها يأتون إلى مصر ليأخذوا المؤونة منها، هذا شأن مصر دائماً، فعلينا نحن أن نعمل من أجل أن تقوم مصر بما يجب عليها.

وعلينا أن نعين المصريين جميعاً على أن يوحدوا صفوفهم، الله تعالى أمرنا بهذا حين قال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. كأنما يشير إلى أنه لا تصح العبادة، ولا تتم التقوى؛ إلا بالوحدة: أن تتوحد الأمة، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. لا يجوز التفرق، إنَّما يجوز اختلاف الآراء، لأن الآراء تُبنى على أفكار، ولكن الاختلاف لا يجوز أن يؤدي إلى فرقة، هذا ما لا ينبغي أبداً؛ فالفرقة حرام، إنَّما ينبغي أن يتحد الجميع على الأهداف الكبرى.

نحن في مرحلة نريد فيها أن نعيد مصر إلى ما كانت عليه دائماً في عهود التآلق والعطاء، لقد أعطى الله الخيرات للمصريين في أرضهم،

مصر عندنا أرض زراعية في وادي النيل، وفي الصحراء، وعندنا نهر النيل، وعندنا بحار وبحيرات، ثروة مائية عظيمة، وعندنا قناة السويس، وعندنا معادن مذكورة، وعندنا أشياء كثيرة.

العقول المهاجرة:

وعندنا مئات الآلاف من المصريين ممتدين في أنحاء العالم، في أمريكا وأوروبا وغيرهما، تلك العقول المهاجرة المتخصصة والمتنوعة، في العلوم والطب والهندسة، والكيمياء والإلكترونيات، وفي كل ما يحتاج الناس إليه في حياتهم، هذه كلها ثروة مصرية لا بد أن تُجند لخدمة مصر.

نحن ندعو أبناء مصر في الداخل والخارج: أن يشاركوا في بناء مصر، حتى الذين هاجروا، وكثير منهم هاجر فرارًا من ظلم الظالمين وبطشهم، أنا كنت واحدًا من الذين هاجروا فرارًا من ظلم الظالمين، خرجت من مصر معارًا، وكان المعار يمكث أربع سنوات، وأقصى ما يُزاد له في إعارته سنتان، فكان يمكن أن أعود بعد أربع سنوات، لولا ما حدث في مصر من ضرب الإخوان المسلمين، وإعلان عبد الناصر في موسكو أنه سيضرب هؤلاء، وأنه سيفعل كذا وكذا!

وكنت في قطر في ذلك الوقت، فقلت: إذا عدت إلى مصر أخذت من الدار إلى النار كما يقولون. فبقيت في قطر، وما كنت أظن هذا، وأعطتني قطر جواز سفر، لأن جواز سفري انتهى بعد أربع سنين، ثم صرت آتي بين فترة وأخرى، فأبناء مصر هم أحق بمصر، ومصر أحق بأبنائها.

والباب مفتوح لكل القيادات المصرية، والعبقرات المصرية في كل الاختصاصات: العلمية والأدبية، والهندسية والنووية وغيرها، هناك

مصريون أفذاذ، قابلت الكثيرين منهم في بلاد شتى، وكلهم والله حريصون على مصر، ولا ينسونها أبداً، ونحن نرحب بهذه الثروة البشرية العظيمة، فالثروة البشرية هي أعظم الثروات.

الاتحاد ونبذ الفرقة:

نحن اجتمعنا هنا لنقول للمصريين: الفرقة حرام، والوحدة فريضة، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فالقرآن يحذرنا من الفرقة.

والنبي ﷺ قال: «لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(١). وكلنا نعرف قصة الرجل الذي أراد أن يعلم أبناءه درساً في قوة الوحدة، فجاء بحزمة من العصي، وأعطاهم لأولاده ليكسروها، فلم يستطيعوا، ثم أعطى لكل واحد منهم عوداً فكسره، وقال لهم:

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِي إِذَا اعْتَرَى خَطْبٌ وَلَا تَتَفَرَّقُوا أَحَادًا
تَأْبَى الْعِصِيُّ إِذَا اجْتَمَعَ تَكْسَرًا وَإِذَا افْتَرَقَ تَكْسَرَتْ أَفْرَادًا^(٢)

هذا ما تدعوننا إليه حكم البشر، وآيات الله تعالى، وأقوال رسوله ﷺ، وحوادث التاريخ، كلها تقول لنا: الخير كل الخير في أن نتجمع.

ونحن أحوج ما نكون إلى التجمع في الفترة التي تعيشها مصر، فترة التهئية، حرام علينا أن نقف متفرجين، لا أحد منا ينقصه ذكاء العقل، أو

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

(٢) ديوان الطغرائي ص ١٣٦.

حسن التصرف، فإذا فُكّر كل واحد مع أخيه كان شيئاً كبيراً، فلا بد أن يفكر بعضنا مع بعض لبنني مصر.

ما معنى البناء؟ النبي ﷺ يقول: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان؛ يَشُدُّ بعضُهُ بعضاً»^(١). القلب الواحد من الحجارة ضعيف بمفرده، أمّا إذا وضعت قلباً على آخر لأصبح جداراً عصياً على الكسر، وإذا ضُمَّ الجدار إلى غيره تكون منه بنيان شامخ، ومن البنيان إلى البنيان يتكون بلد، فتجميع الإمكانيات والجهود أمر مهم.

نحن ندعو شعبنا المصري: العزيز علينا، الحبيب إلينا، الأثير لدينا، شعب مصر العظيم، صاحب الثورة العظيمة التي أثّرت في الناس جميعاً، كل من قرأ عن هذه الثورة أو تابعها كان يمدح المصريين، ويتحدث عن عظمتهم، فلماذا نبخس أنفسنا ونحن قادرون على أن نعمل، وأن ننتج، وأن يكون لنا شأننا.

كلُّ منا أيها الإخوة مطالب بأن يؤدي لمصر، وأن يعمل لمصر، الكل لا بد أن يعمل، هذا ما أدعو إليه أمتي، أن تعمل وتبني، لبنة على لبنة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُيِّنٌ مَّرْصُومٌ﴾ [الصف: ٤].

معركة البناء:

نحن الآن في معركة كبيرة هي معركة البناء، فيجب أن تبني الأمة نفسها، لتعوّض ما فاتها من سنوات الضياع، وتسد ديونها التي أثقلت كواهل أبنائها، واستنزفت خيراتها، نريد للأمة أن تطعم الجائعين، وأن تشغل العاطلين.

(١) سبق تخريجه ص ٣٤٣.

عندنا عشرون مليون عاطل، ونصفهم من الجائعين، ونصفهم من الضائعين من اليتامى، والأرامل، والمساكين، عندنا فئات كثيرة كلها في حاجة إلى مَنْ يعولهم، وَمَنْ يهيئ لهم العمل الجيد، أو المساعدة الطبية، كلنا مسؤولون عن هذا، ولا بد أن نعمل جميعًا من أجل أمتنا، أنا أدعو كل مصري، مسلمًا كان أو مسيحيًا إلى هذا العمل.

تهنئة الإخوة المسيحيين:

وبهذه المناسبة أقول لإخواننا المسيحيين: (كل سنة وأنتم طيبون). لا مانع أن نهنئ المسيحي بعيده، فهذا من البر الذي أمر الله به، كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. انظر؛ لقد استخدم الكلمة التي تستعمل في تقرير حق الوالدين، بر الوالدين، فأعظم الحقوق بعد حق الله تعالى هو حق الوالدين، ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، فمن البر بأخيك المسيحي أن تقول له في عيده: كل سنة وأنت طيب. وهو كذلك يهنئك في عيدك، إذا كان جارك، أو زميلك في الدراسة، أو مشرفًا عليك في رسالة الماجستير أو الدكتوراه، وخصوصًا الذين يدرسون في الخارج، فلا حرج من التهنئة، وأنا أهنئ إخواننا المسيحيين بعيدهم، وأدعوهم أن يرتبطوا مع إخوانهم المسلمين، فلا يجوز لهم أن ينغزلوا وحدهم.

الإسلام رسالة سلام:

هناك مَنْ يخاف من الإسلام أيُّها الإخوة، ولا مجال للخوف من الإسلام، فليس فيه والله شيء يخيف الناس، الذين يخافون من الإسلام

متخوفون ومتوهمون، فليس في الإسلام إلا العدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، ليس في الإسلام شرٌّ، ليس فيه شيء يخافه البشر أبدًا، مَنْ يقول ذلك لا يفهم هذا الدين.

لقد جاء الإسلام بالسلام للناس جميعًا، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. هناك من العلماء مَنْ فسّر كلمة (السلام) بمعنى السّلام، وفسّرها آخرون بمعنى الإسلام، أي: ادخلوا في شرائع الإسلام كافة^(١).

وحينما تقع الحروب يقول الله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]. حرصًا منه على إنهاء الحروب، لا إطالتها. وفي غزوة الأحزاب التي انتهت بغير قتال قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]. انظر إلى هذا التعبير: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾. لقد جعل القرآن عدم حصول القتال نعمةً ومنّةً من الله تعالى على المؤمنين، تستدعي شكره على أنّه لم يحدث قتال، هل هذا تعليق كتاب أو دين يتشوّف إلى سفك الدماء؟

وقد عقد الرسول ﷺ مع قريش صلح الحديبية، ليكف الجميع أيديهم عن السلاح والحرب، وأنزل الله في شأنه سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]. وسأل بعض الصحابة الرسول ﷺ: أفتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم هو فتح»^(٢). لم يتصوروا فتحًا بغير حرب، كيف يكون فتحًا ونحن لم نحارب؟ بل هو فتح، وفتح مبين.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٥١/٤ - ٢٥٤).

(٢) سبق تخريجه ص ٣٠٨، والسائل عمر بن الخطاب.

تقرير الحرية ومنع الفتنة:

لقد جاء الإسلام ليحمي الناس من أن يُفْتَنُوا في دينهم، ليعتقد الناس بما شأؤوا دون أن يُضْطَهَدُوا ويُعتدى عليهم، واعتبر القرآن الفتنة أشد وأكبر من القتل، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، والفتنة اضهاد الناس وتعذيبهم من أجل دينهم.

لماذا كانت الفتنة أشد وأكبر من القتل؟ لأن القتل اعتداء على الكيان المادي للإنسان، أمّا الفتنة في الدين فهي اعتداء على الكيان المعنوي للإنسان، أن تُصادر عقلي وإرادتي، تُصادر اقتناعي واختياري، لا تُمكنني من أن أختار كما أشاء، فالفتنة من ناحية الكم أكبر من القتل، وهي من ناحية کیف أشد من القتل.

ولهذا قرّر القرآن الحرية بأوضح ما يكون، يقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

لا إكراه، حتى جاء على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]. لا يجوز أن يُلْزَمَ الناس بشيء يكرهونه، ولهذا يُقرّ الإسلام الآخرين والمخالفين على أديانهم، فلا يجوز لأحد أن يخاف من الإسلام.

أنا أدعو الإخوة المسيحيين إلى أن يقفوا معنا صفًا واحدًا لبنني بلدنا، فالبلد بلدنا جميعًا، لا يجوز أن نتخلّى عن العمل في بناء مصر، فبناء مصر فريضة على كل مصري، كل من يستطيع أن يضع لبنة لا يجوز

أن يتأخر عنها؛ بل يجب عليه أن يتقدم ويدعو غيره، ويسند غيره، حتى تقف بلدنا على قدميها - إن شاء الله - شامخة راسخة، معتزة ومُعزّة لدين الله، ودنيا الناس.

التعصب والتسامح:

هناك بعض الناس للأسف يشددون في الإسلام، ويخوفون المسلمين أنفسهم، فيخاف غير المسلمين من ذلك، وهذا لا يجوز، والإسلام لا يؤخذ من هؤلاء، إنما يؤخذ الإسلام من العلماء الثقات، الذين عرفوا دين الله من كتاب ربهم، ومن سنة نبيهم، ومن الصحابة الكرام، ومن الأئمة الراسخين في الدين، فلا بد أن نجمع النصوص بعضها على بعض، ونرد المتشابهات إلى المحكمات، والفروع إلى الأصول، ونفهم الإسلام فهمًا حقيقيًا، كما يريد الله تعالى ورسوله، فليس في الإسلام ما يخيف حقًا.

لقد جاء الإسلام بالتسامح، وقد كتبت في التسامح كتابات كثيرة جدًا، مثل ما كتبته في كتابي (فقه الجهاد)، وفي كتاب (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي)، وفي كتبي المختلفة تحدثت عن التسامح الإسلامي، والمسلمون أعظم الناس تسامحًا مع غير المسلمين، لأنهم ليسوا من أهل التعصب، فليس الإسلام متعصبًا، الإسلام يدعو الآخرين أن يكونوا إخوانًا لنا.

نحن نريد في هذا العهد أن نحقق الإسلام، لتحقيق الحرية، وتحقيق العدالة، وترفع رأسك عاليًا، تقف مع إخوانك معتزًا بنفسك، ومعتزًا بقومك، ومعتزًا بأمتك، ومعتزًا بدينك، غير متعصب ضد غيرك.



معًا نبني مصر:

أنا كل ما أدعو إليه الإخوة في المحلة الكبرى، ومن جاء من خارج المحلة، من طنطا والمنصورة وكفر الشيخ ومن البلاد المختلفة، وكل المصريين: أن يكونوا معًا في الخير أبدًا، أنا والله لا أبغي إلا الخير لبلدي، فهذا البلد أحبه، وأعيش فيه، ويعيش فيّ، أحب أن يكون بلدًا من أعظم بلاد العالم، وهو قادر على ذلك، وينبغي أن نمكنه من ذلك، وهناك كثيرون من العرب والمسلمين مستعدون أن يدفعوا مليارات للمصريين لينهضوا بأنفسهم، علينا أن نبدأ ونسير في الطريق.

وأنا أقول لإخواننا الذين لا يريدون أن تستقر مصر أبدًا: ليس هذا والله في صالحكم، وليس في صالح العرب، وليس في صالح المسلمين، وليس في صالح أحدٍ في الأرض أبدًا، الخير كل الخير أن نبني مصر، ونستمر في طريق البناء، كل أحد وما يعتقد، نحن لا نصادر حرية الآراء، الناس أحرار، ونحن في عصر الحرية، وقد أصبحت مصر بلدًا حرًا، بعد ما جاءت ثورة ٢٥ يناير بالحرية للناس، أنتم أحرار، أحرار في حياتكم، أحرار في عقيدتكم، أحرار في أوطانكم، أحرار في أموركم، الحرية مطلوبة، والمساواة مطلوبة، والكرامة مطلوبة للجميع.

العمل .. العمل:

أنا عندي كلام كثير، ولكنني أكتفي بما قلت، وأعتقد أن ما قلته فيه الكفاية إذا أردنا حقًا أن نسير في طريقنا، إذا أردنا أن نعمل، أمّا إذا أردنا أن نتكلم فالكلام كثير، ولكن الكلام إذا لم يكن معه عمل فلا فائدة منه، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ وَالشَّهَادَةُ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. فلا بد

من الكلام المقترن بالعمل الذي يراه الله، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿[الصف: ٢ - ٣]، فلا نريد أن يمتقنا الله، ولا بد من العمل الذي يراه المؤمنون، وكلنا مؤمنون، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٣٥]، فلا نريد أن يمتقنا المؤمنون، نريد للمؤمنين أن يدعوا لنا.

هذا ما نريده من الإخوة أبناء المحلة الكبرى، ومن الإخوة أبناء مصر جميعًا، ومن الإخوة العرب والمسلمين، نريد من العرب والمسلمين أن يدفعوا معنا عجلة البناء، والعمل المشترك، لتنهض مصر، وينهض العرب كل العرب، وينهض المسلمون كل المسلمين، لنصبح الأمة التي أرادها الله، ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أسأل الله تعالى أن يوفق الأمة إلى ما يحب ويرضى، وأن ينصر إخواننا في مصر، ويجمع كلمة أبنائها على الهدى، وعلى عمل الخير وخير العمل، ويهيئ لمصر أمرها، من الاتحاد والبناء والعمل الصادق.

وأسأله تعالى أن يوفق الأمة إلى ما يحب ويرضى، وأن ينصر إخواننا في سوريا، وأن يفتح لهم فتحًا مبینًا، ويهديهم صراطًا مستقيمًا، وينصرهم نصرًا عزيزًا، وأن يتم عليهم نعمته، وينزل في قلوبهم سكينته، وينشر عليهم فضله ورحمته، وأن ينزل على جيش بشار بأسه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين، الجيش الظالم، الذي يقتل النساء والأطفال بالأسلحة الفتاكة، وبالمدفوعات والبوارج الحربية.



وأسأله تعالى أن ينصر إخوتنا في اليمن، وإخوتنا في ليبيا، وإخوتنا في تونس، وإخوتنا في فلسطين، وفي الصومال، وباكستان، وفي كل بلد إسلامي، وفي العالم كله.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا؛ إنك أنت العزيز الحكيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



لقاء مع الدعاة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذِي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، وَأَزَكَّى صَلَوَاتِ اللَّهِ وَتَسْلِيمَاتِهِ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ، وَحَجَّتِهِ عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، وَالسَّرَاجِ الْمُنِيرِ، مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ، وَهَادِي الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الرُّشْدِ، وَقَائِدِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ، وَمُخْرِجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، سَيِّدِنَا وَإِمَامِنَا وَأَسْوَتِنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَمَّنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ، وَاهْتَدَى بِسُنَّتِهِ، وَجَاهَدَ جِهَادَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

خير ما أُحْيِيكُمْ بِهِ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ - تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَتَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ السَّلَامِ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أنا سعيدٌ أَنْ أَكُونَ فِي مِصْرَ، وَسَعِيدٌ أَكْثَرَ أَنْ أَكُونَ فِي الْمَحَلَّةِ الْكُبْرَى؛ لِأَنَّ الْمَحَلَّةَ هِيَ مَوْطِنِي، عَشْتُ فِي الْمَحَلَّةِ فِي شَبَابِي، وَقَرِيتِي

(١) أَلْقَيْتُ فِي مِلْتَقَى الشَّيْخِ بِالْعُلَمَاءِ وَالدَّعَاةِ، عَلَى هَامِشِ الْمُؤْتَمَرِ الْجَمَاهِيرِيِّ الْحَاشِدِ فِي مَدِينَةِ الْمَحَلَّةِ الْكُبْرَى، بِمَحَافِظَةِ الْغُرْبِيَّةِ، فِي مِصْرَ، فِي ١ يَنَايِرَ ٢٠١٣ م.

هي من قرى المحلة، تصل إليها أتوبيسات المحلة الكبرى، فأن أجد نفسي في بلدي فهذه نعمة كبرى من الله وعجل.

ثم من ناحية أخرى أجد نفسي بين علماء الأزهر وأبنائه، فهي نعمة أخرى أن أخاطب هؤلاء، أبناء العلم الإسلامي، أبناء القرآن والسنة، والفقه والدعوة، ولهذا أنا سعيد أن أكون بينكم أيها الإخوة الأحبة.

سروري بهذا اللقاء:

هذا يوم من أيام الإسلام، أن نأتي إلى المحلة الكبرى ونتحدث إلى أهلها، قلت لهم في المؤتمر: حزب الحرية والعدالة هو الذي دعاني، ولو دعنتني وزارة الأوقاف، أو دعنتني وزارة الإعلام، أو الجمعية الشرعية، أو جمعية أنصار السنة، أو دعاني أي حزب محترم، فأنما مستجيب له، فأن أذهب إلى هذا البلد وأرى هؤلاء الإخوة جميعاً من حولي وجهاً لوجه، فهذه نعمة عظيمة من الله تبارك وتعالى.

كان سيدنا سلمان الفارسي يقول: مثل الأخوين المؤمنين كمثل اليدين؛ تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً^(١). حين يلتقي مؤمن بمؤمن لا بد أن يستفيد كل منهما خيراً، أقل ما يمكن أن يسلماً على بعضهما فيتساقط عنهما من ذنوبهما، وهذا خير كثير، فما بالك إذا كانت هناك محبة، وما بالك إذا كانت وراء هذه المحبة دراسة، وما بالك إذا كانت هذه الدراسة تتصل بعلوم الإسلام، والدعوة إليه، وتتصل بإحياء الأمة، وتجميع الأمة، وإعادة الأمة إلى مكانتها؟ هذه كلها تجعل اللقاء مهماً جداً، ولذلك فأنما سرور حينما قيل لي: إنك ستلتقي بهؤلاء العلماء في هذا اللقاء المبارك.

(١) سبق تخريجه ص ١٤٣.

أهمية الدعاة:

نحن أحوج ما نكون - أيها الإخوة - إلى العلماء الدعاة، نحن نعلم أنّ هناك علماء، وهناك دعاة، كان عندنا بعض المشايخ يدرسوننا كان أحدهم يحفظ «القاموس»، ويحفظ بعض المقصورات، وبعض المنظومات عن ظهر قلب، ولكنه لا يستطيع أن يصعد منبراً ليكلّم الناس، لا يستطيع أن يلقي درساً ليعلم به الناس دينهم، فما فائدة هذا العلم الغزير الذي يسكن صدره؟

من المهمّ طبعاً أن تكتسب العلم، فطلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، ولكن من المهم بعد أن تكتسب العلم أن توصّل هذا العلم إلى غيرك، تنتفع أنت به، ثم تنفع به الآخرين، أمّا تأخذ العلم فتحبسه عليك، ولا يصل منه شيء إلى الناس، فليس هذا هو المطلوب.

ولذلك نحن نحیی هذه المجموعة الجيدة من شباب الأزهر، كلما رأيت هذا الشباب تذكّرت أيام كنّا شباباً، حين كنت هنا في المحلة الكبرى كان عمري عشرين عاماً، أو اثنين وعشرين عاماً، فأذكر فيكم شبابي، وقد صرنا الآن على وداع، فأسأل الله تعالى أن يتقبّلنا ويقبل منا.

لكن أنتم أيّها الشباب المهيّؤون لتعبئة الأمة، وقيادة الأمة، فيجب أن يقود الأمة أهل العلم، وأهل الدين، وأهل الخير، ولا ينبغي أن تترك قيادتها لمن لا دين لهم، فهم لا يؤتمنون على الأمة، إنّما الذين يمكنهم أن يقودوا الأمة إلى الطريق الصحيح هم من كانوا على صلة بكتاب الله، وسنة رسول الله، وتراث السلف الصالح، تراث العلماء الربّانيين، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]. وقد اتّخذنا هذه الآية شعاراً للاتحاد

العالمي لعلماء المسلمين، الذي أَلْفَنَاهُ ودَعَوْنَاهُ إِلَيْهِ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

لماذا قال: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾؟ هل هي رسالة واحدة، أم رسالات عدة؟ هي رسالة واحدة، رسالة محمد ﷺ، ولكنها رسالة علمية، ورسالة تربوية، ورسالة اجتماعية، ورسالة ثقافية، ورسالة اقتصادية، ورسالة أخلاقية، ورسالة عالمية، فحينما تريد أن تشرح مضامينها تجد أنها رسالة للفرد، ورسالة للأسرة، ورسالة للمجتمع، ورسالة للأمة، ورسالة للعالم.

شجاعة الدعاة:

ومن المهم أن الذين يبلغون رسالات الله ﴿وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، نريد من الداعية الذي هيأ نفسه ليدعو الناس إلى الله، ويقوم بمهمة الرسل والأنبياء، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فليس هناك أحسن من مهمة الدعوة، نريد من الداعية إلى الله أن تكون معه خشية من الله، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. فالعلماء هم الذين يخشون الله، لأنه لا يخشى الله إلا من يعرفه، يعرف قدر الله، وعظمة الله، وشمول علم الله لما ظهر وما خفي، وما قرب وما بعد، من يعرف ذلك هو الذي يخشى الله، فالخشية أمر مهم.

والخشية تتعلق بالقلب، ولذلك حينما أراد النبي ﷺ أن يُعَرِّفَ الصحابة بالتقوى أشار إلى صدره إشارة حسية وقال: «التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا»^(١). فالقلب أيها الإخوة هو الأساس،

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

فالنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١). فموضعُ نظر الله من العبد هو القلب، ولذلك عليك أن تهتمَّ بقلبك، فالإنسان ليس بجسده، الجسد هو غلاف من الطين، إنما المهم ما هو بداخل هذا الجسد، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢). والله تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُّؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

والمؤمن لا يبالي بالتخويفات الدنيوية، لأنه يعرف أن أصحابها لا يملكون له ضرراً ولا نفعاً، ولا حياة ولا موتاً، هل يستطيع أحد أن يزيد في رزقك، أو يزيد في أجلك؟ هل يستطيع أحد أن ينقص من رزقك لقمة، أو ينقص من أجلك لحظة؟ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وساعة تعني لحظة، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]، الناس يخافون على أرزاقهم وآجالهم، وهذان في يد الله ﷻ، الرزق بيد الله، والحياة والموت بيد الله، وهذا أعطى المؤمن قوة أمام الظلمة والجبابرة، فأصبح لا يخشى المؤمن أحداً إلا الله.

(١) جزء من الحديث السابق.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

حينما خوّفوا ابن تيمية بالسجن قال: إنَّ سجنوني فسجني خلوة، وإنَّ نفوني فنفي هجرة، وإنَّ قتلوني فقتلي شهادة^(١). يعني أنَّه رابح مهما عملوا، فهذا هو شأن الداعية إلى الله.

ثقافة الدعاة:

نريد من الدعاة إلى الله أن يكونوا أقوياء، أن يشعر كل واحد منهم أنَّه يملك ما لا يملك الآخرون، عنده المعرفة بكتاب الله، وعنده المعرفة بسنة رسول الله، وعنده المعرفة بتراث الإسلام وثقافة العصر، عنده معارف كثيرة يعتز بها، وأنَّه لا يدخرها لنفسه، وإنَّما يحاول أن ينفع بها الآخرين، ولذلك مهمتنا أن نتعلم كيف ندعو الآخرين؟

من أوائل ما ألّفت من كُتُب كتاب اسمه «ثقافة الداعية»، فالداعية يحتاج إلى ثقافة، يحتاج إلى أخلاق وروحانية، منها هذه الخشية، ولكنه يحتاج أيضًا إلى ثقافة، ولعلَّ هذه اللقاءات التي تلتقون فيها مع إخوانكم من كبار العلماء الذين عاشوا طويلاً، وصارت لهم تجربة، من واجبهم - لا أقول من حقهم - أن يعطوها لإخوانهم البادئين في الطريق، وأنتم أيضًا من واجبكم أن تحصلوا على هذه المعرفة، فلا بدَّ أن نتفق.

وأنا أقول لكم: أنا الآن في السابعة والثمانين من عمري، لعلِّي أكبر الموجودين هنا سنًا، وأنا أشعر مع هذا السنِّ أنني محتاج إلى المزيد من العلم، وأحيانًا أقرأ أشياء وأقول: سبحان الله! أنا إلى الآن أتعلَّم؛ أجد أشياء لم أكن أعرفها، والآن أعرفها، فلا تستبعد أن يتعلم الإنسان كلما مرَّ به العمر، وأحيانًا يتعلم من الظالم، والكافر.

(١) نقل ذلك عنه تلميذه ابن القيم في الوابل الصيب ص ٤٨، تحقيق سيد إبراهيم، نشر دار الحديث، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩م.

ومن الصحابة مَنْ تعلَّم من إبليس، حين أخبره أن يقرأ آية الكرسي إذا أراد أن يخلد إلى نومه، ولما بلغ ذلك النبي ﷺ قال للصحابي: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»^(١). فيمكن أن تتعلَّم من عدوك أو المخالف لك، أو ممَّن هو أقل منك، وقد تعلَّم سيدنا سليمان ﷺ من الهدهد، فحين غاب عن موكبه عاتبه فقال له: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِجَّتُكَ مِنْ سَبَائِنَا يَقِينٌ﴾ [النمل: ٢٢].

وقد تعلَّم ابن آدم من غراب حين قتل أخاه ولم يهتد إلى دفنه: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]. فالإنسان يتعلَّم من كلِّ ما حوله.

وقد مدح القرآن الكلب المُعلَّم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٤]، الجوارح هي الكلاب والطيور التي تُعلَّم الصيد، فالكلب المُعلَّم غير الكلب الجاهل، لو اصطاد الكلب الجاهل لا تأكل فريسته، لأنَّه يأكل منها، ولا يصح أن تأكل فضلات الكلاب، أمَّا الكلب المُعلَّم فيصطاد فريسته ولا يأكل منها، فحتى الكلب المُعلَّم له قيمة.

ونحن نتعلَّم لنعلِّم أمتنا، وعندنا علم عظيم، علم القرآن والسنة، وهو بحار زاخرة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

(١) رواه البخاري معلقاً في فضائل القرآن (٥٠١٠) بصيغة الجزم، كما نبّه على ذلك الحافظ ابن كثير (٦٧٥/١) عند تفسير آية الكرسي. ووصله النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٢٩)، من طريق عثمان بن الهيثم الذي علّق عنه البخاري. ورواه ابن خزيمة في الزكاة (٢٤٢٤).

فكل ما أوتيناه وتعلّمناه في حياتنا، كان بعضه عن طريق الطلب الدراسي، وبعضه عن طريق القراءة الخاصة، وبعضه عن طريق الكتب الدينية، أو الكتب الأدبية، أو الكتب العلمية، أو عن طريق الواقع ودراساته، وهكذا ينبغي أن نتعلم من كلّ ما يُتعلّم منه.

تمييز العلم الأصيل من الدخيل:

وينبغي أن نميّز بين العلم الأصيل من غير الأصيل، ومقياسنا هو القرآن والسنة الصحيحة، وربما كانت هناك خلافات، ولكن هناك علماء يزنون هذه الخلافات، ويقيسونها بالمقاييس العلمية الصحيحة، ارجع إلى هؤلاء العلماء الكبار، وهم معروفون، وليكن عندك عقل تميز به الصحيح من الضعيف، والحق من الباطل، والصواب من الخطأ، حتى لو أخطأت فخطؤك مغفور لك، بل إذا كنت من أهل الاجتهاد فأنت مأجور على خطئك في الاجتهاد أجراً واحداً، وإذا أصبت فلك أجران، كما جاء في حديث الصحيحين^(١).

نحن مدعوون - إذن أيّها الشباب - إلى أن نتحقّق بثقافة الإسلام العظيمة، المهم أن تكون عندكم الإرادة لتتعلموا وتثقفوا، وتزوّدوا أنفسكم من كل خير، فحاولوا أن تتعلّموا، وأن تبلغوا ما تستطيعون ممّا يُعلّم الله ﷻ به الناس، فإن العلم واسع جدّاً، وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. لم يطلب الله تعالى من رسوله ﷺ أن يسأله شيئاً إلا العلم، وإذا زاد العلم زاد الإيمان، وزادت الفضائل، وزادت الأخلاق، وزادت الخيرات، فحاول أن تزداد علماً.

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٥٢)، ومسلم في الأفضية (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

وحاول أن تطلب علمًا مُصَفًّى، فلا تكن حاطب ليل كلما أمسكت كتابًا قرأته، لا بدّ أن يكون كتابًا نافعًا، فيه علم أصيل، بعض الناس يكتب كتابًا كبيرًا، فإذا قرأته لم تقف فيه على منفعة، فالمهم أن تقرأ ما ينفع، وكما يقولون: أخبرني ما تقرأ أخبرك من أنت. إذا أردت أنت تعرف شخصًا: هل هو أصيل أم دخيل؛ فاسأله: ماذا تقرأ؟ فإذا كان يقرأ كتبًا قيّمة فهو على الطريق السليم.

إذن أحسن اختيار ما تقرأ، وأحسن اختيار مُعلِّمك، وأحسن اختيار منهجك، سر في الطريق الصحيح، واسأل الله وَعَلَّكَ أن يهيئ لك الخير، وأن يمنحك العلم النافع، والعمل الصالح، واستعذ بالله من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن عين لا تدمع، واسأل الله تعالى أن يهيئك لتكون من الدعاة إليه، من ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

كنت أودّ أن يكون عندي وقت لأجلس معكم، وأتحدث إليكم أكثر، ولكن الظمآن يكفيه من الماء أيسره، فلعلّ اليسير ينفع إن شاء الله.

أسأل الله وَعَلَّكَ أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، إنّه سميع قريب، اللهم انصر أمة محمد، وأعزّ أمة محمد، وأعّل كلمتها، كلمة الإسلام، كلمة القرآن، كلمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم أعّل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن.

أقول قولي هذا - أيّها الإخوة الأحبة - وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلّ اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



في مهرجان «دماء الشهداء مداد العلماء»^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا
ومعلمنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هُداة.

ربَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ وَرَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا لَا تُزِغْ
قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

خير ما أحييكم به - أيُّها الإخوة والأخوات في هذا الجمع الكريم،
في هذا اليوم الكريم، في منطقة غزة، بلد الكرامة والعزة، بلد الأكرام
والأعزة - تحية الإسلام، وتحية الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة
الله وبركاته.

زيارة طالما تمنيتها:

أنا اليوم في غَزَّة، وما أعظم أن أكون في غَزَّة! كان هذا يومًا مطلوبًا
لي، عزيزًا عليّ، حبيبًا إليّ، أثيرًا لديّ، من سنين طويلة وأنا أتمنى أن
أذهب إلى غَزَّة بعد أن زرتها مرتين من قبل: في سنة ١٩٥٧م، وسنة ١٩٥٨م،

(١) ألقى في مهرجان دماء الشهداء مداد العلماء في أثناء زيارتي إلى غَزَّة، بتاريخ ٩ مايو ٢٠١٣م.

حينما كنت مبعوثاً من وزارة الأوقاف المصريّة إلى مدينة العريش، زرتُ غَزَّةَ في ذلك الحين، ومن يومها لم يُتَحَ لي أنْ أزور غَزَّةَ، رغم تشوُّفي وتشوُّقي وتحبُّبي إلى أنْ أزورها، ولكن كل شيء بأوان، وآن الأوان اليوم لأزور غَزَّةَ، وأرى أبناء غَزَّةَ، رجال غَزَّةَ، وشيوخ غَزَّةَ، وشباب غَزَّةَ، وأطفال غَزَّةَ، ونساء غَزَّةَ، وكل مَنْ في غَزَّةَ، فأهلاً وسهلاً بكم يا أهل غَزَّةَ الكرام.

غَزَّةُ الأبيّة الصامدة:

إنَّ غَزَّةَ قد أثبتت وجودها، أثبتت أنَّها بلد أبيّ، بلد عربي، بلد إسلامي، بلد لا يقبل الهوان ولا الذل، بلد يستطيع أن يقول: لا. وأنَّ يتحمَّل عواقب قول: لا. لقد قال: لا. رفض أنْ ينصاع لما تريده إسرائيل، أرادت إسرائيل أنْ تُرْكِعَ هذا الشعب فما استطاعت، فهذا الشعب لا يركع إلا لله، ولا يسجدُ إلا لله، ولا ينحني إلا لله ربِّ العالمين، أثبتت غَزَّةُ هذا الأمر في صراعها مع إسرائيل المتجبرّة في الأرض، المستكبرة بغير حق، الطاغية على حقوق الناس وعلى حدود الله، كانت غَزَّةُ عند قولها، وعاد الصهيوني الأثيم بغير شيء، أو بما يسمونه: «خُفْي حُنين».

ليس لليهود حقٌّ في فلسطين:

كانت غَزَّةُ مثلاً عندنا نحن العرب والمسلمين، رفضت ما يدّعيه أولئك الصهاينة من حقٍّ لهم في الأرض الفلسطينيّة، هم لا شكَّ دخلاء على هذه الأرض، ما كان لهم وجود في هذه الأرض، مَنْ يبحث في التاريخ عن اليهود أو الصهاينة الذين كانت لهم خطب، وكان لهم أدوار في أوائل القرن العشرين لن يجد لهم فيها حقّاً، حاولوا أنْ يرشوا السلطان عبد الحميد بالملايين الذهبية في ذلك الوقت، ملايين لشخصه، وملايين للدولة، ولكن السلطان عبد الحميد رفض أنْ يقبل شيئاً، وقال: يمكن أنْ

تدخلوا فلسطين على جثثنا، أمّا ونحن أحياء فليس لكم في فلسطين شبر واحد^(١). هذا ما قام عليه السلطان عبد الحميد ولقي الله عليه.

وظلّ هؤلاء يعملون حتى أسقطوا الدولة العثمانية، وحتى استطاعوا أن يأخذوا من إنجلترا - وكانت هي الدولة الأولى في العالم في ذلك الوقت - وعداً بوطن قومي لهم في فلسطين، استطاعوا في ٢ فبراير سنة ١٩١٧م أن يأخذوا هذا الوعد الذي سُمّي «وعد بلفور»، ولكنّه وعد من لا يملك لمن لا يستحقّ.

كانت إسرائيل تدّعي أنّ لها حقّاً في فلسطين بمنامات رآها إبراهيم عليه السلام، أنّه سيعطي أولاده، مع أنّ العرب من أولاد إسماعيل الابن الأول لإبراهيم، أكبر أولاده، قالوا: لا، هو ابن الجارية، وابن الجارية لا يُحسب. مع أنّ بعض الإسرائيليين من أبناء جارية يعقوب، ولكن كلهم بنو إسرائيل، ليس لبني إسرائيل حقّ في هذا البلد أبداً، وحتى لو كان لهم حقّ فهو حقّ مشروط لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ويقوم على ميراث النّبيين، وهؤلاء خانوا ميراث النبوات جميعاً، وكما قال الله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾ [الإسراء: ٨]. إنّ عدتكم بالإفساد والخيانة سيعودُ الله عليكم بالعقوبة والإذلال، ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].

ليس لبني إسرائيل أي حقّ في فلسطين، وما حكموها كلها يوماً ما، حكموا أجزاء منها مئات من السنين، ولكنها لم تدم لهم، دخلوا فلسطين وكان أهلها فيها، وخرجوا من فلسطين وأهلها فيها، حين خرجوا من فلسطين لم تكن خراباً، بل كان فيها أهلها، وحين دخلوا فلسطين لم

(١) يوميات هرتزل ص ٣٥، ترجمة هلدا شعبان صايغ، نشر مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، سنة ١٩٦٨م.

تكن خرابًا، بل كان فيها أهلها، وأهلها هم العرب يوسيون وكنعانيون وغيرهم، فنحن أحق بهذا البلد منهم، ونحن لم نتسلمها منهم، وإنما تسلمها عمر بن الخطاب من النصارى، النصارى هم الذين سلموا له هذا البلد إيلياء أو القدس، واشترطوا عليه ألا يساكنهم في مدينة القدس يهود^(١)، وظل هذا الأمر قرونًا.

نحن نقول: إِنَّ هَؤُلَاءِ الصَّهَابَةَ لَيْسَ لَهُمْ حَقٌّ فِي فَلَسْطِينَ، وَإِنَّمَا دَخَلُوهَا بِالْحِيلِ، وساعدهم الاستعمار، ساعدتهم إنجلترا التي انتدبت على فلسطين ثلاثين عامًا، فسمحت لهؤلاء اليهود بأن تكون لهم أراضٍ، يُعْطُونَ الْأَرْضَ الْمِيرِيَّةَ، والأراضي التي لا ساكن لها، وأقاموا في خلال هذه السنين ما أقاموا، وكان ما كان، حتى أقاموا دويلتهم التي اعترف بها الأمريكان من اللحظات الأولى، واعترف بها الغربيون بعد الأمريكان، كل الغربيين شرقيين وغربيين، موسكو وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا، كل هذه البلاد اعترفت بدويلة إسرائيل في ذلك الوقت، وكنا نقول في هذا الوقت: إسرائيل المزعومة. هكذا نقول في الإذاعة، ونكتب في الصحف: إسرائيل «المزعومة» بين قوسين. وظللنا سنين نقول: المزعومة. ولكن هذه المزعومة تضرب هذه الدولة، وتركل هذه الدولة، وتخرج هذه الدولة، فاستحيينا من أنفسنا وحذفنا كلمة «المزعومة» بعد أن كدنا أن نكون نحن المزعومين، هكذا كانت إسرائيل.

استطاعت غزّة بصمودها، بشعبها المؤمن، بشعبها المجاهد، بشعبها الذي لا يقبل الذلة أبدًا، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، لا يجوز لمسلم أن يُعْطَى الذلة من نفسه أبدًا، أبى

(١) تاريخ الطبري (٦٠٩/٣).

هذا الشعب الذل، ورفض تحديات إسرائيل، ووقف ضد هذه التحديات، وقَبِلَ أَنْ يسقط منه شهداء، وَأَنْ يسقط منه جرحى، وَأَنْ تسقط مبانٍ، كل هذا في سبيل إبقاء هذا البلد العزيز حيًّا لا يقبل من أحد أَنْ يحتله أبدًا، فكانت غَزَّة، وكان انتصار غَزَّةَ مثلاً للعالمين.

نحن نُحيي أبناء غَزَّة، نُحيي هذه الجموع الحاشدة التي احتشدت في هذا اليوم الذي نحتفل فيه بانتصار غَزَّةَ مَرَّاتٍ ومَرَّاتٍ، انتصارها المادِّي، وانتصارها المعنوي، ونقول: إِنَّ غَزَّةَ انتصرت، وقَدَّمت في سبيل هذا الانتصار شهداءها الأبرار، قَدَّمت حبيبنا الشيخ أحمد ياسين رحمته الله تعالى ورضي عنه، وقَدَّمت عبد العزيز الرنتيسي، وقَدَّمت الإخوة الكبار يحيى عياش، وشحاته، وأعداد كبيرة لا أستطيع أَنْ أحفظها في سني هذا، كنت قديمًا أحفظ عشرات الأسماء، ولكنني لم أعد أذكر كلَّ هذه الأسماء، قَدَّمت غَزَّةَ كثيرًا من الشهداء، كما قَدَّمت إخواننا في الفصائل الأخرى كثيرًا من الشهداء أيضًا، قَدَّمت فتح الإخوة: ياسر عرفات، ومحمد يوسف النجار، وأبا جهاد، وأبا إياد، وكثيرين، وقَدَّمت الآخرون الأخ فتحي الشقاقي، وأبا علي مصطفى، قَدَّمت الإخوة من كل الفصائل هؤلاء الشهداء، وهم ليسوا كثيرين على فلسطين، ولا على أرض فلسطين، كلنا فداء من أجل فلسطين، ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، أَنْ يَتَّخِذَ اللَّهُ مِّنَّا شهداء هذا أمر سجله الله في القرآن، فنحن نباهي بَأَنَّ الله اتَّخَذَ مِّنَّا شهداء، هؤلاء الأحبة إلينا، شيوخنا الذين تعلَّمنا منهم، لقيت الشيخ أحمد ياسين وشرَّفني في بيتي، وشرَّف كثيرًا من البلاد الإسلامية بعد أَنْ فرَّج الله عنه وخرج من السجن، وملاً الدنيا قوَّةً وأجيجًا، وصار ينفخ في الروح، يعدُّ رجالًا حتى يلقوا ما عاهدوا الله عليه، ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، هؤلاء

الإخوة كان لا بدّ أن نُقدّمهم من أجل فلسطين، نحن لا نقول: الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا. ثم ندّخر أرواحنا، لا، أرواحنا كلّها فداء من أجل فلسطين، كلها فداء من أجل تحرير هذه الأرض، لتُتزع من براثن هؤلاء الغاصبين وتعود إلى أهلها، ونحن مؤمنون - أيها الإخوة - أنّ كل شبر من أرض فلسطين، أيّا كان اسمها الآن بعد أن صارت أرضاً مُحتلاً، كل هذا سيرجع إلينا جميعاً إن شاء الله، فنحن نباهي بما قدّمنا من إخواننا الشهداء من أجل فلسطين.

كما أنّنا نباهي بما قدّمنا من إخواننا الأسرى من أجل فلسطين، الأسرى الذين يئنّون في سجون الاحتلال، أسرى بالألوف، ليسوا بالآلاف، بل هم بالألوف، وقد رأينا من بطولاتهم ما صنعوه حينما صاموا عن الطعام وعن الشراب بالشهور، واستطاع بعضهم أن يكسر رقبة إسرائيل، ويفرض عليها أن يعود، أخونا العيساوي وإخوانه الذين فرضوا على إسرائيل أن تطلق سراحهم، نحن نطالب بتحرير هؤلاء الأسرى الذين قضوا في سجون إسرائيل ما قضوا، لقيتُ كثيراً منهم هنا، ولقيتهم في قطر، ولقيتهم في مصر، ولقيتهم في بلاد أخرى، آن لهؤلاء الذين قضوا عشرات السنين في سجون إسرائيل أن يتحرّروا، ولا بدّ أن نسعى إلى تحرّر هؤلاء، نحن نعمل من أجل تحرير الأسرى، ونعمل من أجل تحرير أرض فلسطين كل فلسطين، لا نستثني شبراً واحداً، فكل أرض فلسطين اغتُصبت، غصبها هؤلاء الصهاينة الذين مكّن لهم الغرب في فترة من الفترات، أخذوا أرضنا، وطرّدوا أهلها منها، وشرّدوهم في الآفاق، وأصبحوا يعيشون في هذه الأرض كأنّها أرضهم، وهي ليست لهم، هم جاؤوا من هنا ومن هناك من بلاد شتّى، جهادنا في السعي لتحرير أرض فلسطين، وإعادة هؤلاء المشردين في آفاق الدنيا في بلاد

العرب، وبلاد المسلمين، وبلاد الغرب، وبلاد الشرق، في أوربا وفي أمريكا، وهنا وهناك، أصبحوا مُشَرِّدين في كل مكان، من حقّ هؤلاء أن يعودوا، ولا بدّ أن يعودوا، ليس من حقّ أحد أن يتنازل عن أرضه، فلا يجوز شرعاً التنازل عن الوطن، الوطن ليس من حقّ فرد، الوطن من حقّ الأمة، ليس للأفراد أن يتنازلوا عن أوطانهم، فهذه الأوطان ليست ملكاً لهم، الأوطان في جملتها ملك الأمة كلها في حاضرها ومستقبلها، كل فئات الأمة، وكل أجناسها، وكل أجيالها هي التي تملك هذه الأوطان، ولا يمكن للأمة أن تُفِرَّط في بيت واحد، ولا في شبر واحد من أرض فلسطين، ونحن نسعى في أن يعود كل فلسطيني إلى بيته، ونسعى في أن يأخذوا حقوقهم، لا بدّ أن تُردّ الحقوق إلى أهلها، لا بدّ أن نسعى من أجل حقوق كل الفلسطينيين، على كلّ أبناء الأمة الإسلامية جميعاً أن يعملوا وأن يجتهدوا وأن يجاهدوا حتى يُعيدوا لهؤلاء حقوقهم، نحن نسعى من أجل هذا كلّ، ويجب على العرب كلّ العرب أن يعملوا على ذلك، ليس هذا من شأن الفلسطينيين وحدهم، كُنّا دائماً نقول: إنّ قضية العرب الأولى هي قضية فلسطين. وهذا حقيقة، القضية العربيّة الأولى التي لا يختلف فيها اثنان، لا يختلف عربي من الشرق مع عربي من الغرب في أنّ هذه القضية تهم كل عربي، كل عربي يصحو لها وينام عليها، كل عربي يحيا من أجل هذه القضية ويموت في سبيلها، قضية العرب جميعاً هي قضية فلسطين.

ونحمد الله أنّ ثورات الربيع العربي قامت وتعرّف كلها بقضية فلسطين أول ما تعرّف، كل ثورات الربيع العربي كانت قضية فلسطين في أول قضايها، من تونس إلى مصر إلى ليبيا إلى اليمن إلى سوريا، قامت ثورة سوريا وقضية فلسطين في حسمها، في إدراكها، في صميم

قلبها، فلسطين هي قضية كل عربي، لا ينساها عربي حقيقي، فليست هي من القضايا التي تُنسى، لا تُنسى حرية بلد عربي، حرية هذا البلد تهم كل عربي وكل عربية، تهم كل رجل وكل امرأة، كل إنسان مثقفًا أو أميًا، كل العرب عليهم أن يذكروا هذه القضية.

وأول هذه البلاد التي تذكر قضية فلسطين هي مصر، مصر الثورة، لولا مصر الثورة ما استطعت أن آتي إليكم هنا، جئت إلى هنا لم يمنعني أحد، نزلت في العريش في أرض مصرية، وسرت من العريش حتى المعبر في أرض مصرية، ودخلت - بفضل الله - من أرض مصرية إلى أرض فلسطينية، مصر الثورة هي - بحمد الله - التي فعلت هذا، فمصر منكم ولكم وبكم ومعكم وفيكم، مصر كلها تؤيد فلسطين، وكل بلد عربي لا بد أن يؤيد فلسطين، كل البلاد العربية تدين للشعب الفلسطيني لأنها تؤمن أن القضية الفلسطينية هي قضية الأمة.

كما أن كل البلاد الإسلامية كذلك تؤمن أن القضية الفلسطينية هي قضية الأمة، فالمسجد الأقصى ليس مسجد الفلسطينيين وحدهم، وليس مسجد العرب وحدهم، هو مسجد الأمة الإسلامية، من حق كل مسلم أن يذهب إلى المسجد الأقصى وأن يصلي فيه، كل مسلم في أقصى الأرض وأدناه له حق في هذا البلد، كل المسلمين يريدون أن يجاهدوا من أجل فلسطين.

حينما كنت في الدوحة، وفي وقت من الأوقات فُتح الباب للتطوع للجهاد، وكان إخواننا الباكستانيون والهنود والبورميون والماليزيون وكل من وجد من البلاد الإسلامية في قطر كانوا كلهم في مقدمة من يتطوعون للجهاد، كل المسلمين يعطفون على هذا الأمر، ولذلك نحن نقول: قضية فلسطين قضية العرب وقضية المسلمين جميعًا.

بل أقول - أيها الإخوة - إنّ قضية فلسطين هي قضية العرب والمسلمين، وقضية الأمم المتحدة كلها، هناك أمم لا تقبل أبدًا ما تفعله إسرائيل، إسرائيل تعبت بمقدرات الأمم، وبحقوق الشعوب، هناك دول ليست عربيّة، وليست إسلاميّة، ولكنها دول حرّة، دول لا تقبل التنطع، ولا تقبل التلاعب، ولا تقبل التّحايل، ولا تقبل اللعب بالألفاظ من أجل تضييع الحقوق، يجب أن نسعى جميعًا - رجالًا ودولًا ومسؤولين على كلّ المستويات - لتكون هذه الدول معنا، لا بدّ أن نسعى إلى كلّ دولة عندها ضمير تستحي أن تؤيّد الباطل، تستحي أن تكون مع الظلم الفاضح، تستحي أن تكون ضد الشعوب المظلومة، علينا أن نسعى أن تكون هذه الدول معنا، وإذا سعينا في ذلك سنجد الكثيرين معنا والله.

ولا بدّ أن نسعى كذلك لأن تؤيّدنا كل الجماعات المؤمنة، هناك بالنسبة لنا جماعاتنا من العلماء، هناك من علماء الشرع في أنحاء العالم مئات الآلاف، بل ملايين، علينا أن نسعى، وقد سعينا بحمد الله نحن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، سعينا مع إخواننا في بلاد الشرق وفي بلاد الغرب ليكون هؤلاء العلماء معنا، وقد قالوا: نحن معكم، نحن نقف وراءكم جنبًا إلى جنب نساعد ونساند ونؤيّد بقلوبنا وأنفسنا وأموالنا وجهودنا وألسنتنا، بكل ما نملك نؤيّد إخواننا في فلسطين ولا نتخلّى عنهم، نحن سعينا مع علماء الشرع، وهناك جماعات الأطباء والمهندسين والصيادلة والمعلمين والفئات المختلفة في أنحاء عالمنا الإسلامي يجب أن نسعى لجلب تأييد هؤلاء، وفي عالمنا الإنساني رجال ونساء لا بدّ أن نسعى أن يكون هؤلاء جميعًا معنا، نحن أصحاب حق، وهناك كثيرون يؤيّدون الحقّ، ولا يبالون بما يصيبهم في سبيله، نحن علينا أن نسعى لجلب تأييد القوى المختلفة في أنحاء العالم، في

العالم قوى كثيرة تؤيد أهل الحق، رأيانهم والله بأعيننا يقومون ويخرجون في مظاهرات صاخبة مليونيات من أجل الحق، علينا أن نسعى ليكون هؤلاء معنا.

وعلىنا أن نسعى بعد ذلك أن تكون معنا القوى المؤيدة التي تسندنا عندما ننادي بالحق، وعندما نقوم نجاهد من أجل الحق، هناك فئات مستعدة أن تحمل السلاح معنا، نريد أن يكون هؤلاء المتحمسون الذين لا يبالون أن يضحوا في سبيل هذا الحق الذي يؤمنون به بأرواحهم بدمائهم بأنفسهم، هؤلاء موجودون في أنحاء العالم.

نحن علينا أن نسعى لجلب تأييد هؤلاء معنا، إذا فعلنا ذلك نعتقد أننا قد أدينا بعض الواجب لهذا الشعب المؤمن، شعب غزّة، الشعب الذي صبر وصابر ورابط في سبيل الله، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، هذا الشعب طالما صبر، وطالما صابر، وطالما رابط، وطالما ضحّى، وسيظل يُضحّي، وسينتصر إن شاء الله.

نحن نؤمن - أيها الإخوة - أن النصر لنا، هذا أمر لا نشك فيه أبداً، نحن نؤمن أننا أصحاب الحق، وأصحاب الحق في كل قضية من القضايا، وفي كل بلد من البلدان، وفي كل عصر من العصور لا بد أن ينتصروا، قد يتأخر بهم الزمن سنين تطول حيناً وتقصر حيناً، هذا يحدث لأن هناك شروطاً لا بد أن نحققها، فالنصر لا يأتي عفواً، كل شيء له ثمن، والنصر شيء غالٍ، لا بد أن نؤدي للنصر ما يطلبه منا، نصر الله، انصروا الله ينصركم، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، انظروا: اللام للقسم،

والنون للتوكيد، ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ
 إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَقِيبُ الْأُمُورِ * [الحج: ٤٠، ٤١]، نحن واثقون أننا سننتصر،
 علينا أن نصبر على ما يريده منا الانتصار، علينا أن نبذل، لا نبخل بشيء
 عندنا، أهم ما عندنا دماؤنا وأرواحنا، نحن نقدّمها لله، نحن عاهدنا الله
 على ذلك، ولن نخون العهد، لن ننكث، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ
 وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْوَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، سننتصر أيها
 الإخوة إن شاء الله.

ومن لوازم النصر أن نتحد، ولذلك ندعو الإخوة أبناء فلسطين جميعاً
 أن يتحدوا، حرام عليهم أن يختلفوا ويتفرقوا، لماذا يختلفون؟! هم شعب
 واحد شعب فلسطين، هذا الشعب أصابه ما أصابه، فرّقته المصائب،
 لا يجوز أن يستسلموا لهذه التفرقة، لا بدّ أن يتجمّعوا، التجمّع لا بدّ منه
 للنصر، لا بدّ أن يلتف هؤلاء جميعاً حول قيادة واحدة، ليكون جنداً
 واحداً لله، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧٢، ١٧٣]،
 ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَا غَلِبَ إِلَّا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، هؤلاء
 سينتصرون إن شاء الله.

لا بدّ أن نعمل على المصالحة بين غزّة والضفّة، لماذا لا يتصالح
 الأخوان الشقيقان، كل الذين يريدون النصر لهذا الشعب يريدون أن
 يتصالح هؤلاء جميعاً، هناك فئات لا تريد المصالحة، هؤلاء منكوثون
 على رؤوسهم، هؤلاء ذاهبون إلى الجحيم، لا يجوز أن يكونوا عقبة ضد
 تجمع هذا الشعب، هذا الشعب يريد كل واحد منه أن يضع يده في يد
 أخيه، فنحن نريد هذا التّجمّع، هذا التّوحد، هذا التضافر، نريد أمة واحدة،

وشعبًا واحدًا، نادي الفلسطينيين في غزّة، وفي الضفة، وفي الشّتات، الفلسطينيون في كل مكان يملؤون العالم، نادي الفلسطينيين جميعًا، نادي الأحرار منهم، نادي أصحاب الضمائر الحيّة، أصحاب القلوب التي لم تمت، نادي هؤلاء جميعًا: تعالوا نقف صفاً واحداً يعاهد بعضنا بعضاً لنكون بلدًا واحدًا كما أراد الله لنا، شعبًا واحدًا كما كنّا، لا يجوز أن ننقسم، الذي يحمل مصيبة الانقسام هم هؤلاء الانفصاليون الذين يتاجرون بالقضيّة وهم ليسوا مخلصين لها، نادي أبناء فلسطين المخلصين الذين يحبّون بلدهم، ويحبّون شعبهم، ويريدون له أن ينتصر، وأن يصل إلى حقّه، نادي هؤلاء جميعًا أن ينضمّ بعضهم إلى بعض، وأن يتنادوا بهذا الالتحام، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾ [الصف: ٤]، بنیان مرصوص لا تفر منه لبنة، يشدّ بعضه بعضًا، كما قال النبي ﷺ لأصحابه: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا»^(١). فلا بدّ أن يشدّ بعضنا بعضًا، هذا ما يجب أن نسعى إليه، نسعى إلى ضمّ الفلسطينيين في كتلة واحدة، في جسد واحد، في شعب واحد، حتى يواجه مصيره كما يحب الله تعالى ويرضى، علينا أن نسعى في هذا الأمر ولا نمل منه، ونقيم الحجّة على من يقف ضد هذا الأمر.

وندعو الله تبارك وتعالى من كل قلوبنا من أعماقنا، ندعوه مخلصين أن يجمع كلمة هذا الشعب الفلسطيني كله في كل مكان - في أرض فلسطين، وفي داخل ما يسمّى إسرائيل، وفي الشّتات - على الهدى، ويجمع حقوقه على التّقى، ويجمع عزائمه على عمل الخير وخير العمل، نريد أن نجمع أبناء فلسطين، وهم قوّة عزيزة، قوّة عظيمة، إذا تجمّعوا

(١) سبق تخريجه ص ٣٤٣.

ازدادت قوتهم وتضاعفت، ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ * وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[الأنفال: ٦٢، ٦٣].

يا أيُّها الإخوة؛ آخر ما أختتم به كلماتي هذه في هذا اليوم الأغر من أيام غزّة، من أيام فلسطين، من أيام الجهاد، من أيام الدعوة، من أيام الإسلام، في هذا اليوم الأغر أدعوكم جميعاً أن تكونوا يداً واحدة، وقلباً واحداً، ولساناً واحداً لنصرة هذا الدين، ولاستعادة هذه الحقوق التي اغتصبها المغتصبون، نحن بقوّتنا، بإيماننا، بإسلامنا، بقرآننا، بآئلافنا، باعتصامنا بحبل الله جميعاً، بعدم تفرقنا، بالتحامنا بعضنا مع بعض، بهذا كله نستطيع أن نتصر على كلّ عدو، مهما كان العدو أكثر عدداً، أو أكثر سلاحاً، أو أكثر قوّة، نحن سنكون أقوى منه، لأنّ الله ﷻ معنا، وهو أقوى من أعدائنا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، إذا كان أعداؤنا أصحاب أسلحة فإنّ الله تعالى سيغلب أسلحتهم، ولن تغني عنهم أسلحتهم شيئاً، الله من وراء هذا كله سينصر أمّة محمّد، وسينصر أمّة القرآن، وسينصر أمّة الإسلام، وسينصر شعب فلسطين، وسينصر شعب غزّة، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا الْآنَ يُتِمُّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]، وإنّي لأمل أن أعود إلى هذا البلد مرة أخرى، وأعلن أنّي الآن في غزّة الحرة التي لا تحدّها حدود، ولا يحاصرها المحاصرون، وإنا لهذا اليوم لمنتظرون، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



معًا من أجل فلسطين.. كلمات في الدعوة والجهاد^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيّدنا وإمامنا وأسوتنا، وحبیبنا ومُعَلِّمنا رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه، ربنا آتانا من لدنك رحمةً، وهیئ لنا من أمرنا رشداً، ربنا لا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً؛ إنك أنت الوهاب، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علِّمتنا، وزدنا علماً، سبّحانك لا علم لنا إلا ما علِّمتنا؛ إنك أنت العليم الحكيم، وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

خير ما أحییکم به أئُّها الإخوة والأخوات - في هذه الجامعة الکریمة، وفي هذا البلد الکریم - تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام علیکم ورحمة الله وبرکاته.

وكم أنا سعيد هذا اليوم، فطالما اشتقت إلى أن أزور غزة، وطالما اشتقت إلى أن أزور الجامعة الإسلامية، التي أحببتها منذ نشأت من

(١) أُلقيت في الجامعة الإسلامية بغزة، ضمن فاعليات زيارة قطاع غزة، بتاريخ ٩ مايو ٢٠١٣م.

قديم، وعملت على إقامة بنائها، وبناء رجالها وطلابها، وبناتها وشيوخها، وأنا الآن في قلب هذه الجامعة، وبين شيوخها وأبنائها وخريجها، فهذا يوم عظيم من أيام الله تبارك وتعالى.

معًا من أجل الإسلام:

وقد شرفني الإخوة بأن أكون أحد أساتذة هذه الجامعة، وأنا أتشرف والله أن أكون ممن يحملون رسالة هذه الجامعة، ويحملون شاراتها، فهي جامعة إسلامية، جامعة للدعوة، جامعة للإسلام، جامعة للجهاد، جامعة للبذل والتضحية في سبيل الله، فنحن يسعدنا أن نكون ضمن أعضائها، وأن نكون أوفياء لها، ولما تقوم به في سبيل الإسلام، وفي سبيل قضيتها العظيمة، قضية فلسطين، وقضية غزة، هذه القضية التي نعمل جميعًا من أجلها.

نحن مع كل مسلم يشهد حقًا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، يرضى بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، وبالقرآن إمامًا ومنهاجًا، ويعرف للصحابة قيامهم لهذا الدين، وتضحياتهم في سبيله، ويعرف قرون هذه الأمة الأولى، خير القرون.

نحن مع هذه المجموعة في كل مكان، في مصر، وفي تونس، وفي ليبيا، وفي المغرب، وفي اليمن، وفي سوريا، وفي باكستان، حتى في إيران، وفي كل مكان يوجد فيه أناس يحملون الإسلام الصحيح، لا يبيعونه بشيء، ولا يختارون عليه شيئًا، نحن مع هؤلاء نقاوم، ونجاهد في سبيل الله، نعمل بكل وسعنا على أن نعيد لفلسطين حقها، وأن نعيد للإسلام ثقته، ونعيده إلى أرضه إسلامًا قيّمًا كما أنزله الله تعالى، وكما بعث به رسوله محمدًا ﷺ، وكما ربّي عليه أصحابه، وكما دعوا الناس إليه.

أولاً: الدعوة إلى الإسلام العظيم:

نحن ندعو إلى الإسلام العظيم، الذي دعا إليه القرآن الكريم، والذي دعا إليه محمد ﷺ، الذي أكرمنا الله تعالى به، وأتم به النعمة علينا، كما قال ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

دين التوحيد:

والعقيدة التي جاء بها الإسلام عقيدة توحيدية، تتمثل في توحيد الربوبية، فلا خالق ولا رب إلا الله، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وتوحيد الألوهية، فلا يُعبد غير الله، ولا يُتولَّى غير الله، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، ولا يحكم إلا الله، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، فنحن نؤمن بهذه العقيدة، عقيدة التوحيد الخالصة لله تبارك وتعالى، وندعو إليها.

دين الرحابة والسعة:

جاء الإسلام ليخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فليس في الإسلام ضيق؛ بل هو دين السعة والرحابة، كما قال الصحابي الجليل ربي بن عامر لقائد الفرس حينما سأله: من أنتم، وما الذي جاء بكم؟ قال: جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^(١). هذا ما جاء به الإسلام للعالم، جاء بخيري الدنيا والآخرة،

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣).

كما قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ * [الأعراف: ٣١ - ٣٢]، هذا هو الإسلام الذي ندعو إليه الناس، ندعوهم إلى ما يرفع شأنهم في دنياهم قبل آخرهم، لم يجرى الإسلام ليُحرّم عليهم الطيبات، الطيبات خلقت لهم، خلق الله الطيبات لهذه الأمة، ويتبعهم غيرهم في هذه الدنيا، وفي الآخرة تكون للمؤمنين وحدهم، ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ *.

دين العدل:

وكما نؤمن بالإسلام عقيدة تدعو إلى التوحيد، نؤمن به شريعة كاملة عادلة، تُعطي كل ذي حقّ حقه، لا تظلم فرداً من أجل فرد، لا تظلم امرأة من أجل رجل، ولا شاباً من أجل شيخ، ولا طبقة من أجل طبقة، ولا جنساً من أجل جنس، فالله هو رب الجميع، ولذلك يستحيل أن يظلم واحداً منهم، أو جنساً منهم، لأنهم إليه سواء، ولذلك عدالة الله في هذا الدين هي عدالة متينة ركيئة تماماً، نحن نؤمن بالعدالة الإسلامية، وندعو العالم من حولنا إلى العدل الإسلامي.

حين يأمرنا الله في القرآن بثلاثة أمور يكون العدل أحدها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾ * [النحل: ٩٠]، وإذا أمر بأمرين يكون العدل أحدها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ * [النساء: ٥٨]، وإذا أمر بأمر واحد يكون هو العدل، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ * [الأعراف: ٢٩].

لقد أنزل الله كل رسالات السماء، وآتى الرسل البينات والمعجزات، وأعطاهم نصوص الكتب، والعقول التي تفهم هذه النصوص، لإقامة

القسط، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. فالأنبياء يُعَلِّمون الناس أن يقوموا بالقسط، والقسط هو العدل، فالله يريد العدل في عباده، حتى قال العلماء: لو أن كافرًا أقام العدل فإن الله ينصره، ولو أن مؤمنًا أقام الظلم وترك العدل فلا ينصره الله، ويذله. فالعدل هو مقصود الله تبارك وتعالى، فنحن ندعو الناس إلى عدل الإسلام.

وعدل الإسلام لا يميّز غنيًا عن فقير، أو قويًا عن ضعيف، بل هو عدل للجميع، بل يقف مع الضعيف أكثر من وقوفه مع القوي، ويقف مع الفقير أكثر من وقوفه مع الغني.

وقد نزلت تسع آيات في سورة النساء تُنصف يهوديًا اتهمه بعض ضعفاء الإيمان من المسلمين ظلماً بالسرقه، وكان السارق من هؤلاء الضعفاء، وهم النبي ﷺ أن يدافع عنهم، فنزلت الآيات تقول للنبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تَجِدُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥ - ١٠٧]. إلى آخر الآيات، هذا هو الإسلام.

نحن ندعو إلى عدل الله، كل ما ندعو إليه نحن المسلمين هو العدالة الإلهية التي تقيم القسط، وتعطي كل ذي حق حقه، هذا ما فعله النبي ﷺ، وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فنحن دعاة العدالة، ودعاة الأمانة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، على الجميع أن يؤدي الأمانة التي عليه، فيؤدي الرئيس أمانته، والوزير أمانته،

والمدير أمانته، والطالب أمانته، والزوج أمانته، والزوجة أمانتها، كل المجتمع يؤدي أمانته.

وإذا أدينا الأمانات، وأقمنا العدالة، نكون قد أقمنا المجتمع المسلم، فالمجتمع المسلم ليس ككل المجتمعات، هو مجتمع لا تعرف الدنيا له مثيلاً، ليس في الدنيا الآن مجتمع مسلم كما يحب الله تعالى ويرضى، نحن نسعى إلى إقامة المجتمع المسلم في كل أرض إسلامية، ومن بعده تقوم أمة إسلامية تضم هذه المجتمعات، بعضها إلى بعض، لأن الأمة الإسلامية هي مجموع المجتمعات الإسلامية في الأرض، يجمع بينها رباط واحد، هذا ما يدعو إليه الإسلام، ونحن ندعو إلى المجتمع الإسلامي، والأمة الإسلامية، والدولة الإسلامية.

رسالة أخلاقية:

كما ندعو إلى الركائز الحقيقية للإسلام، الإسلام المتكامل: عقيدة، وعبادة، وشريعة، وأخلاق. والأخلاق الإسلامية أخلاق هائلة تملأ الأرض، وتشمل كل جوانب الحياة، وقد ألفت كتاباً سمّيته (دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي)، وذكرت أنّ القيم والأخلاق هي أساس الاقتصاد الإسلامي، ولا اقتصاد من غير أخلاق، فأساس الإنتاج الأخلاق، وأساس الاستهلاك الأخلاق، وأساس التداول الأخلاق، وأساس التوزيع الأخلاق، كل العمليات الاقتصادية أساسها الأخلاق، كما بيّنت ذلك بالأدلة القرآنية والنبويّة في حوالي ٤٠٠ صفحة من كتابي الذي أشرت إليه.

وكل ما يقيمه الإسلام يقيمه على الأخلاق، لأنّ الإسلام رسالة أخلاقية، «إنّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١)، كأن هدف الرسالة

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٢.

الإسلامية الأساسي هو إتمام مكارم الأخلاق، وحينما أراد الله أن يمدح رسوله لم يمدحه بأنه يقيم الليل، أو يصوم النهار، ولكنه قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وسُئِلَت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان خُلُقَه القرآن^(١).

فمن أراد أن يعرف أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم، فليقرأ القرآن، لأنه يُمثل القرآن عملياً، اقرأ الآيات التي تصف المتقين في أول سورة البقرة، أو الآيات التي تصف المؤمنين في أول سورة الأنفال، أو الآيات التي تصف أولي الألباب في سورة الرعد، أو الآيات التي تصف المؤمنين في أول سورة المؤمنون، أو الآيات التي تصف عباد الرحمن في سورة الفرقان، اقرأ ما شئت من الأوصاف الطيبة في القرآن الكريم تجدها مُمثلةً في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأول ما ندعو إليه هو هذا الإسلام.

ثانياً: الوحدة والجهاد:

ثم ندعو الأمة الإسلامية إلى أن يتجمّع بعضها مع بعض، لتأخذ حقها ممن اغتصبه منها، وتعيد الأمور إلى نصابها، لتقيم عدل الله في أرض الله، لا تترك المغتصبين الظالمين المتجبرين في الأرض أن يتجبروا على الناس، يظنون أنه ليس فوقهم أحد، والله فوقهم وقاهرهم، لا يستطيعون أن يتجبروا على الله، ولا يستطيعون أن يتجبروا على عباد الله الذين استمسكوا بالعروة الوثقى، لا انفصام لها، نريد أن تتوحد الأمة الإسلامية لتقيم حقها في الأرض.

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١)، عن عائشة.



قضية فلسطين:

وأول حق اغتُصِب من هذه الأمة هو حق فلسطين، فلسطين هي القضية الإسلامية الأولى، هي قضية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وفي شمالها وجنوبها، هي قضية كل مسلم، هذا ما لا يشك فيه أحد من أبناء الإسلام، ولكن بعض الناس تخفى عليه بعض الأمور، وتخفى عليه بعض الحقائق، ومن واجبتنا أن نُبيِّن لهؤلاء، ونُعرِّفهم بالواجب عليهم.

حينما تفرقت الأمة الإسلامية أكلها أعداؤها، ومطلوب من الأمة الإسلامية الآن أن تتجمع، وحينما تجمعت الأمة من قبل هزمت الصليبيين، وهزمت التتار، ثم هزمت الاستعمار الغربي الذي اكتسح بلاد المسلمين في أوائل القرن العشرين وما بعده، انتصرت الأمة الإسلامية بالاتحاد، وبالجهاد، ليس بمجرد الكلام، فلا يسترد الكلام من أحد حقًا، إنما يسترد الناس حقوقهم بالجهاد والتجمع عليه.

لقد استطاع أبناء فلسطين - بجهادهم وبتماسكهم، وبصبرهم ومصابرتهم، وإعلانهم أنهم لن يدعوا حقًا لهم أبدًا - أن يقفوا في وجه إسرائيل الباغية، وكان أبناء غزة مثلاً لهذا الصبر والمصابرة، فرأيانهم ينتصرون بحمد الله وَعَلَى إسرائيل المتجبرة في الأرض، المستكبرة على الخلق، التي تريد أن تعمل الظفر والناب، لا ترى لأحد حقًا، فالحق ما كان معها من سلاح، والحق أن تُميت من تُميت، وتقتل من تقتل!

ولكن أبناء غزة، أبناء فلسطين الأوفياء عرّفوها أن هناك أناسًا لا يبيعون أنفسهم، ولا يبيعون أرواحهم إلا لله وَعَلَى، ولا يبيعون دينهم لأحد، اشترى الله وَعَلَى منهم أنفسهم وأموالهم، فعليهم أن يسلموا ذلك له،

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، اشترى أنفسا هو الذي خلقها، وأموالا هو الذي رزقها، ثم أعطى ثمنًا غاليًا جنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

لهذا صمم الإخوة في غزة على أن يصبروا ويصابروا، ويرابطوا ويجاهدوا، ويبدلوا ولا يسلموا لأحد بحقهم أبدًا، وانتصروا على البغاة الظالمين، الذين يملكون الصواريخ، والأسلحة الجبارة، والأسلحة المتطورة، والقنابل الذكية، كل هذا لم يغنهم شيئًا، وانتصرت غزة - بحمد الله - في صراعها مع إسرائيل، التي لا تعرف خالقًا، ولا ترحم مخلوقًا.

فلسطين الواحدة:

انتصر أبناء غزة على إسرائيل، وسينتصر أبناء فلسطين، نحن نريد لغزة أن تكون جزءًا من فلسطين، فلا يجوز لأبناء فلسطين أن يظلموا هكذا؛ جماعة في الضفة، وجماعة في غزة، أنتم بلد واحد، وشعب واحد، وأصحاب قضية واحدة، وهدف واحد، وضد عدو واحد؛ فلماذا تختلفون؟! كل من يدعو إلى هذا الاختلاف مجرم وظالم وآثم.

ونحن لا نقبل هذا، وسنظل نعمل ما وسعنا من أجل توحيد الفلسطينيين، حتى يكونوا شعبًا واحدًا، وقيادة واحدة، وكل الذين لا يريدون هذا ينبغي أن تكشفهم للأمة، لتعرف الأمة من الصادق، ومن الكاذب؟

نحن أتباع فلسطين الواحدة، فلسطين المتحدة، نريد أن نصل إلى حقنا، وحقنا لا بد أن نصل إليه، ثَقُوا أيها الإخوة والله، أنا مؤمن إيماناً لا ريب فيه بأن الفلسطينيين سيصلون إلى حقهم، قد يطول الزمن وقد يقصر، الله أعلم، فلا أحد يعلم إلا الله ما يجيء به الغيب.

لقد كان الاتحاد السوفيتي ملء الأرض، ويملك من الأسلحة الثقيلة والمتطورة، ولكن سرعان ما سقط، ومن شهور قامت دول الربيع العربي التي منَّ الله علينا بها، تونس، ومصر، وليبيا، واليمن، وسوريا إن شاء الله، ثَقُوا أَنَّ الشعوب ستنتصر على الطغاة، والعدل سينتصر على الظلم، والحق سينتصر على الباطل، هذا ما أوكدته، وما أكدته لإخواننا في سوريا وقلت لهم: سأتي وأصلي عندكم في المسجد الأموي، وسأؤم المصلين إن شاء الله، نحن متأكدون أَنَّ الحق معنا، وسننتصر.

الحق والقوة:

ولكن لا بدَّ أن ننصر الحق بالقوة، فلا يجوز أن تنفصل القوة عن الحق، فيكون الحق مع قوم، والقوة مع آخرين، لا بد أن نملك من القوة ما نقدر عليه، وهذا ما نُقدِّره لإخوتنا في غزة: لحماس، والجهاد، وهؤلاء الذين يملكون من الصواريخ، ويصنعون من الصواريخ، صحيح أَنَّها ليست مثل صواريخ إسرائيل، ولكنها أقوى أثراً من صواريخ إسرائيل، لأن الله ﷻ يؤيد أصحابها.

نحن أيُّها الإخوة مُنتصرون إن شاء الله، نريد أن نجتمع الأمة الإسلامية كلها، وليست الأمة العربية وحدها، المفروض أن تكون الأمة العربية والإسلامية مع فلسطين؛ لأن القضية ليست قضية الفلسطينيين وحدهم.

إنَّ الصهاينة يعتبرون أنَّ قضيتهم هي قضية اليهود في العالم، هكذا أقنعوا معظم اليهود في العالم، قليل من اليهود يرفضون إسرائيل، رأيهم في لندن حينما أقمنا أول اجتماع للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وحاول اليهود أن يخرجوني من لندن، وعملوا ضجة كبيرة، ولكن بعض اليهود وقفوا معي، وحينما أردت أن أسافر جاء معي ثمانية من حاخامات اليهود إلى المطار، فهناك يهود يرفضون إسرائيل، ويرون أنَّها ستكون مصيبة على اليهود في العالم، لأن الله لا يريد لهم أن يكون لهم جمع، حتى يأتي المسيح مرة أخرى.

أعدل قضايا الأمة:

أقول أيُّها الإخوة: نحن مع قضية فلسطين، وهي أعدل قضية، لا توجد قضية في عدالة القضية الفلسطينية، قوم أخرجوا من ديارهم، كانوا يعيشون في بلادهم، وجاء أناس آخرون من الخارج: من أوروبا، وأمريكا، وروسيا، ومن بلاد شتى من الشرق، ومن الغرب، ليخرجوا أهل البلاد من ديارهم، يبقرون بطون النساء، ويتضحكون حينما يخرجون الأجنة من بطون الأمهات أمام الآباء والإخوة، لا يمكن أن يفلت هؤلاء الظلمة من الله وَعَلَى.

نحن واثقون أننا سنصل إلى حقنا، لا نطلب من أحد أن يتنازل عن شيء له، نحن نريد حقنا، نحن نريد بيوتنا، أنا أعرف أنا سألا يزالون يحملون مفاتيح منازلهم التي أخرجوا منها، يريدون أن يعودوا ليفتحوها مرة أخرى، والمنازل موجودة يسكنها هؤلاء الظالمون المغتصبون، جاؤوا من قارات أخرى ليسكنوا هذه المنازل!

بعض الناس لا يعرفون ذلك، كنت أناقش أحدا منذ عشرين سنة

فقال: لماذا لا تسكنون اليهود؟ قلت له: يا أخي؛ ليس لهؤلاء اليهود حق في هذه الأرض. قال: كيف؟ قلت له: ابحث في التاريخ قبل خمسين عامًا، لتعرف هذه الأرض كانت لمن؟ لا تجد فيها اسم إسرائيل، كانت دولة فلسطين، فبحث وقال: وجدت أن كلامك صحيح. قلت: طبعًا كلامي صحيح، هؤلاء الناس دخلاء، جاؤوا من بلاد العالم ليأخذوا أرضًا ليست لهم، ليأخذوا حق غيرهم بالظلم والزور، ونحن أصحاب الحق، وسنعمل على أن نصل إلى حقنا، لن نتنازل عن حقنا، ولن نعترف بإسرائيل.

المسجد الأقصى في خطر:

أراد هؤلاء اليهود أن يأخذوا المسجد الأقصى، وظلوا يحفرون تحته، ويقيمون المباني، ويهددون المسجد الأقصى، ولا يزال المسجد يُهدد إلى الآن، ولا ندري متى يقومون بالخطوة الأخيرة؟ ربما يفاجؤونا بعمل معين، ويتهدم المسجد الأقصى، فماذا أعددنا لهذا؟!

إنَّ المسجد الأقصى في خطر حقيقي، وحينما أُحرق جزء من منبر صلاح الدين من قبلُ غضبت الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وقام المسلمون هنا وهناك، وأجبروا قادة الدول الإسلامية أن يجتمعوا لأول مرة في المغرب، من أجل قضية فلسطين، وأقاموا منظمة المؤتمر الإسلامي، لم يسموها جامعة الدول الإسلامية؛ لأن بعض الدول اعترضت وقالت: نحن لسنا دولاً إسلامية، نحن دول علمانية. فقالوا: نحن اجتمعنا في مؤتمر فلنسميها منظمة المؤتمر الإسلامي، على نحو ما نقول في اللغة العربية: إضافة لأدنى ملابس. ثم سموها الآن منظمة التعاون الإسلامي، وهي تسمية معقولة.

عودة الحق الفلسطيني:

نحن لا بد أن نعمل على أن نعيد الحق الفلسطيني، العربي، الإسلامي، الإنساني، العادل، ولا ينبغي أن نقبل أبدًا المزايدات، والملاعبات، والمحاورات التي يجريها بعض الفلسطينيين مع الأمريكان وأتباعهم هنا وهناك؛ ليعزلونا عن القضية، ونحن لا نقبل أن يُسلب منا حقنا بالباطل، لا يمكن أبدًا أن تمر هذه الأمور إلا على رقابنا ودمائنا وأرواحنا. سنظل والله نعمل ما نستطيع، ونجاهد بأنفسنا وبأموالنا، وبكل ما نملكه حتى نصل إلى حقنا، ومعنا أهل غزة، فهم المثل الحي، استطاع هؤلاء القلة - الذين لم يبلغوا مليونين تقريبًا - أن ينتصروا، وأن يأخذوا حقهم، وأن يُسقط في يد إسرائيل، ولا تستطيع أن تفعل شيئًا، هُدمت بعض المباني، وقتلت بعض الناس، صاروا شهداء عند الله، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وَمَنْ مَاتَ شَهِيدًا لَمْ يَضَعْ، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فهؤلاء الشهداء ليسوا خسارة.

أمة الإسلام أمة كبيرة:

سنعمل أيها الإخوة بكل فصائل الأمة الإسلامية، وأمتنا أمة كبيرة، تبلغ في آخر الإحصاءات مليارًا وثلثي مليار من البشر، وقد اعتاد الغربيون التقليل من أعداد الأمة. قبل عدة سنوات زارنا جماعة من الصين في قطر وسألتهم عن عدد المسلمين في الصين، فقالوا: أربعة عشر مليونًا. ثم حينما زرت الصين بعد ذلك سألت: كم عدد المسلمين؟ قالوا: عشرين مليونًا.

هذا مع أنَّ الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته الضافية على كتاب (حاضر العالم الإسلامي)، ذكر أنَّ عدد المسلمين في الصين خمسون

مليوناً. وكان هذا منذ أكثر من ثمانين سنة، حيث كانت مصر وقتها خمسة عشر مليوناً، وقد صارت الآن أكثر من تسعين مليوناً، فكم تكون الصين الآن؟ فهؤلاء يحاولون باستمرار تقليل أعداد المسلمين، ولكن عدد المسلمين أكثر، وأكثر، وهم يزدادون باستمرار، وهذا ما يخيف أعداء المسلمين، لأنهم ينقصون والمسلمون يزدون، فهم لا يتزوجون، ومن تزوج ربما لا ينجب، وإذا أنجب ينجب واحداً أو اثنين، والمسلمون ما شاء الله!

زيارة قديمة:

أنا زرت فلسطين سنة ١٩٥٧م. و١٩٥٨م. حينما كنت مبعوثاً من الأوقاف المصرية إلى العريش، ولم أدخل العريش إلا بتصريح خاص من وزارة الدفاع، لم يكن أي مصري يستطيع أن يدخل أرض سيناء إلا بتصريح خاص، كانت سيناء معزولة عن الشعب المصري تماماً، فزرت غزة في هذا الوقت، وأقمت محاضرتين فيها، ربما لا يوجد أحد هنا ممن حضرهما، كان ممن حضرهما أخونا عبد البديع صابر رحمته الله، وكان الذي دعاني أخونا الشيخ هاشم الخازندار.

تعاون الأمة وتكاتفها:

نحن أيها الإخوة لا بد لنا أن نتعاون ونتكاتف جميعاً، من أجل قضايانا، لا يمكن أن ندع الشعب الفلسطيني وحده، ولا أهل غزة وحدهم، شكر الله لهم، جزاهم الله خيراً، وأكرمهم الله وتقبل منهم؛ فقد قاتلوا عن الأمة الإسلامية كلها، ردوا عن الأمة شرفها، لم تفضحونا أيها الإخوة؛ عندما وقفتم تدافعون عن أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة محمد صلوات الله عليه وآله، ولكن ينبغي للأمة كلها أن تعمل، وحينما زرتكم هذه المرة

لم أزركم بنفسي، جئكم ومعى أكثر من خمسين، معظمهم من علماء المسلمين، يمثلون الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعلماء المسلمين قوة كبيرة، لها أهميتها، تستطيع أن تقود الأمة، يتحركون فتنحرك، يقودون المعركة فتنقاد.

يجب علينا في هذه الفترة أن نجمع الأمة ولا نفرقها أبدًا، والأمة قادرة على أن تتجمع، فلديها كل أسباب التجمع: وحدة العقيدة، ووحدة الشريعة، ووحدة الأخلاق، ووحدة الأهداف.

وفي المقابل تتجمع كل الأمم علينا، جمعت إسرائيل العالم لتنصر باطلها، وأولى بنا أن نتجمع لننصر حقنا، ونجمع معنا أحرار العالم.

علينا أن نعمل أيها الإخوة، وأمتنا معنا إن شاء الله، بشعوبها العربية، وشعوبها الإسلامية، لنقاوم الصهاينة الذين يكذبون على الله، ويكذبون على الناس، هؤلاء المتجبرون في الأرض، الطاغون على عباد الله، لا بد أن ينالوا جزاءهم، لا بد أن نجمع أحرار العالم وشرفاءه، أصحاب الهمم العالية، لنقف جميعًا وقفة رجل واحد، لننصر الحق، ونقاوم الباطل، ونرفض الظلم، ونقيم عدل الله في أرض الله، على كل عباد الله، هذا ما نؤمن به، وما يجب أن نؤمن به كلنا.

هذا ما أدعو إليه إخوتنا في هذا البلد الكريم، الذي أحبت كل مَنْ فيه، شيوخه، وشبابه، وأطفاله، ورجاله، ونساءه، وأرضه، وسماؤه، وبحاره، وأنهاره، وجباله، وبيوته، أحبت كل مَنْ فيه، وكل ما فيه، وأفديه بنفسى وروحي ودمي!

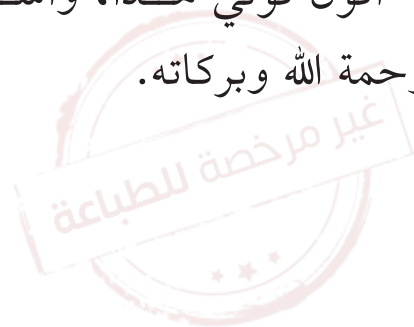
أيها الإخوة الأحبة؛ لا أريد أن أطيل عليكم أكثر من ذلك، وأنا أعتبر أنني لم أجدى لأتكلّم في الحقيقة؛ إنّما جئت لألقاكم، أرى هذه الوجوه



الطيبة، وأستقي منها، لتمتلي نفسي حبًا، وتمتلي نفسي إيمانًا و يقينًا، وثباتًا على الخير، وعزيمةً على الرشد، واستقرارًا على الحق، من أجل هذه المعركة الدائمة المستمرة؛ حتى يحق الله الحق، ويزهق الباطل، ولو كره المجرمون.

أنا معكم جميعًا لنقيم ما يريده هذا المجتمع، لنقيم موازين العدل، ومواثيق النصر، ونطمئن إليها، نكتبها بدمائنا، ونتفق عليها جميعًا، ونفرضها على أنفسنا وعلى إخواننا وعلى الناس جميعًا، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿[التوبة: ٣٢ - ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





كلمة لكل المصريين في ٣٠ يونيو^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيّدنا وإمامنا وأسوتنا، وحبينا ومعلّمنا رسول الله، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الإخوة المؤمنون، أيها الشعب المصري الكريم، خير ما أحْيَيْكُمْ به تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السّلام، فالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انقسام المصريين إلى فريقين:

يعز عليّ اليوم ألا أجدكم في مكان واحد لأتوجه إليكم بخطابي: لمصر كلها، لأبنائها كافة، ولكني ويا للأسف وجدت أبناء مصر قد انقسموا على أنفسهم، ولذلك لم أستجب لدعوة فريق منهم على حساب فريق آخر، لا أريد لنفسي أن أكون من أحد الفرقاء، إنّما أريد أن أكون ابن مصر كلها.

(١) ألقىت بمناسبة الدعوة إلى مظاهرات ٣٠ يونيو لإسقاط الرئيس محمد مرسي، بتاريخ ٣٠ يونيو ٢٠١٣م، وبثتها قناة الجزيرة الفضائية.

أريد أن أخاطبكم يا أبناء مصر، خاطبتكم قبل ذلك في خطبة النصر، بعد أن نصر الله أبناء الثورة التي استشهد فيها من استشهد، وأصيب من أصيب، وفُقد من فُقد، كانت ثورة مُعلّمة للعالم كله؛ لأنّها كانت ثورة الفداء والتضحية، والإخاء والإيثار، كان كل واحد يحب لأخيه ما يحب لنفسه، بل يؤثر أخاه على نفسه، رأينا الأخ يتعب ليرتاح أخوه، ويسهر لينام أخوه، ويتعري ليتغطي أخوه، ويتلقى الرصاص ليفدي أخاه.

لماذا هذه العداوة والبغضاء؟

كانت هذه هي الثورة التي رأيناها في ميدان التحرير، كانت ثورة لكل المصريين، فماذا أصاب المصريين؟ ما الذي جعل المصريين ينقسم بعضهم على بعض؟ بدل الأخوة والمحبة والإيثار أصبحت العداوة والبغضاء، مع أنّ النبي ﷺ حذّرنا من هذا وقال: «دَبَّ إِلَيْكُمْ داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر. ولكن تحلق الدين»^(١). لماذا العداوة والبغضاء؟ ألم نشترك في ثورة واحدة؟ ألم نكن جميعًا ضحايا لنظام ظالم متجبر في الأرض، سرق أموالنا، ونهب ثرواتنا، وأضاع كل حقوقنا، ورمى من رمى منا في السجون، وظلم من ظلم منا، ثم خلّصنا الله منه بثورتنا جميعًا؟ لماذا لا نعود جميعًا كما كنا؟ ما الذي يفرق بين بعضنا وبعض؟

(١) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

ما أنزل الله داء إلا وله دواء:

أنا أرى أيها الإخوة الأحبة أن نتفاهم فيما بيننا: تفاهم الأب مع بنيه، وتفاهم الرجل مع ذويه، وتفاهم الأخ مع إخوته، والصديق مع أصدقائه، ليس هناك مشكلة لا حل لها، كل المشاكل لها حلول، والنبى ﷺ يقول: «ما أنزل الله داء، إلا قد أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله»^(١). ليس هناك داء عضال أبداً، وهذا يعطينا أملاً أننا قادرون على أن نداوي أمراضنا: أمراضنا البدنية، وأمراضنا النفسية، وأمراضنا الاجتماعية، وأمراضنا السياسية.

كلُّ الأمراض قابلة للشفاء، وكل المشاكل قابلة للحل؛ إذا استمع بعضنا لبعض، أمّا إذا أغلق كل منا أذنيه حتى لا يسمع أحداً، وأغلق عينيه حتى لا يرى أحداً، فليس هذا شأن العقلاء، ولا شأن المؤمنين، فالمؤمنون لهم قلوب يفقهون بها، ولهم أعين يبصرون بها، ولهم آذان يسمعون بها.

سوء الظن وأثره السيئ:

تعالوا أيها الإخوة نعيش بيننا لحظات أو دقائق بعيداً عن سوء الظن، فليس من شأن المؤمنين أن يسيء بعضهم الظن ببعض، النبى ﷺ يقول: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»^(٢). والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

(١) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحّحه،

ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحيا (٣٤٣/٩)، عن ابن مسعود.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الفرائض (٦٧٢٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن

أبي هريرة.

تعالوا نحسن الظن بعضنا ببعض، دقائق يلتقي بعضنا ببعض ويستمتع كل منا إلى أخيه، لا بد أن نشعر بهذه الأخوة، نحن مؤمنون، والمؤمنون إخوة، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

لا نريد أن نهدم ما بنيناه:

لماذا أصابنا ما أصابنا؟ لا بد أن نشعر فيما بيننا أننا في محنة، وهذا ينبغي ألا نشك فيه، ابتلينا كما قال الله تعالى: ﴿ وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. خرجنا بعد الفتنة الأولى بعد الثورة، بعد أن ضحينا ما ضحينا، وسقط منا الشهداء، وسقط منا الضحايا، خرجنا إخوة متحابين، وسرنا في الطريق ووصلنا إلى ما وصلنا إليه.

الآن ماذا نريد؟ هل نريد أن نهدم ما بنيناه كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا ﴾ [النحل: ٩٢]. أو الذين قال الله فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ٢٥]؟

لا نريد أن نقطع ما أمر الله به أن يوصل، ولا أن نفسد في الأرض، ولا أن ننقض عهد الله ومواثيقه، بل نريد أن نبني، ونزيد البناء كل يوم قوة ورفعة، ولبنة بعد لبنة، وجداراً بعد جدار، وحجرة بعد حجرة، حتى نبني بلادنا كلها، بلادنا محتاجة إلى بناء.

مكانة مصر بين الأمم:

هذا البلد العظيم مصر، مصر العظيمة، مصر ذات الشأن، مصر التي رفعت شأن الإسلام، وكان لها قدرها من قبل رفعت شأن المسيحية،

سقطت الشهداء في المسيحية أيضًا دفاعًا عن حرية العقيدة، حتى في أيام الوثنية كانت بلدًا حكيمًا يدعو الناس إلى الخير، هذا البلد العظيم لا يجوز أن نفرط فيه، ولا أن يفكر كل منا في نفسه فقط، أو هو وجماعته وحدهم، لا بد أن نفكر فينا كمصريين، كأبناء مصر العظيمة، مصر بلد الأزهر الذي يفد إليه الناس من كل بلاد الدنيا، والله ما ذهبت إلى بلد من بلاد العالم الإسلامي - حتى من بلاد غير العالم الإسلامي - إلا وجدت أبناء الأزهر هناك، مصر قبة الثقافة الإسلامية، ينظر إليها المسلمون في العالم، هي زعيمة البلاد العربية.

التحذير من الفرقة:

ولهذا كان من حق مصر علينا أن نسعى إلى أن نجتمع أهلها ولا نفرقهم، وقد حذرنا الله من التفرق والاختلاف وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]. والنبي ﷺ يقول: «لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(١).

فهكذا ينبغي أن يعمل بعضنا من أجل بعض، نجتمع ولا نتفرق، ونألف ولا نختلف، يشد بعضنا أزر بعض؛ كما قال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا». وشبك بين أصابعه^(٢)، فنحن إخوة يشد بعضنا أزر بعض.

(١) سبق تخريجه ص ٤٦١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

تصويب الخطأ حق مكفول:

لا بد أن ننظر بعقولنا وضمائرنا في مشكلاتنا، لنا رئيس أيها الإخوة انتخبناه، ثم اختلفنا في بعض المسائل عليه، كل المسائل والمشاكل يمكن أن تُحلّ، الرئيس ليس إمامًا معصومًا، ليس عندنا عصمة بعد رسول الله ﷺ، كل الناس تخطئ وتصيب، وما من أحد إلا وله ذنوبه، وله أخطاؤه وله خطاياه، كل بني آدم خطأ وخير الخطائين التوابون.

إذا كان محمد مرسى أخطأ؛ فمن حقنا أن نصوّب خطأه، ومن حقنا أن نجلس معه، ومن حقنا أن نقول له: لِمَ فعلت كذا؟ ويشرح لنا، ونسمع له، ونعترض عليه ونناقشه، هذا هو الإسلام، ليس هناك أحد لا يُخاطب ولا يناقش ولا يُجادل، الله وحده هو الذي لا يُسأل عما يفعل؛ لأنّه خالق الخلق ومالك الملك، وكلنا إخوة، كلنا بنو آدم، فمن حقنا أن نحاسب رئيسنا، من حقنا أن نقول له: نريد كذا وكذا.

مكانة شباب الثورة:

عندنا آلاف الشباب من الذين صنعوا الثورة، وبذلوا فيها أرواحهم ودماءهم، وأموالهم وجهودهم، ومن حقهم أن يكون لهم مكان في هذه الثورة، وأن يُقدّموا ولا يُؤخّروا، لا بد للرئيس مرسى أن يستمع إلى هؤلاء، وأن يُقدّم من يستحق التقدير، ولكن لا بد أن يجتمع بعضنا ببعض، ليس هناك حل من غير أن نلتقي ويستمع بعضنا لبعض، لماذا نعتبر هذا أمرًا مستحيلًا؟ والله إنّه لأمر ممكن، أنا أسعى لكم في هذا، بل أول من يسعى في هذا، ولو رفض الرئيس مرسى والله لأعلنت عصياني له، كلنا قابلون لأن نلتقي أيها الإخوة.

أهمية الحوار للخروج من الأزمات:

يجب أن نتحاور، الله تعالى رسم لنا حوار الدعوة عندما قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. الجدل هو الذي نسميه (الحوار)، الله تعالى يقول: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١]. جدال المرأة لزوجها، فالحوار يكون بالتي هي أحسن، لو كانت هناك طريقتان للحوار: طريقة حسنة، وطريقة أحسن منها؛ فعلينا أن نختار الطريقة الأحسن، ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

نحن مطالبون كمصريين، كل المصريين: مسلمين ومسيحيين، رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً، مثقفين وأميين، علماء وأوساطاً وجهلاء، كلنا مطالبون بهذا الحوار، يجب أن يجلس بعضنا إلى بعض، ونجتمع لنرى: ألا يمكن أن يصلح بعضنا بعضاً؟ أليس هناك مكان لاصطلاح المختصمين؟!

والله إنَّ كل الخصوم قابلون لأن يصطلحوا، ما من شيء في الدنيا يعز على الاصطلاح، والله إنني لأبكي وتسيل عيني دموعاً؛ كلما رأيت هذا من أبناء مصر، أبناء الشعب الواحد والوطن الواحد والهموم الواحدة، مصر العظيمة، مصر والله قابلة لأن تكون في أول صفوف العالم، ولكن أهلكها المهلكون، وضيعها المضيعون!

لا بد ألا نسمح بوجود المخربين:

لماذا نسير نحن في طريق هؤلاء، ونسمح للمخربين البلطجية من أتباع النظام السابق يدخلون فيما بيننا، ويشيرون الفتن، ويقتلون الأبرياء، ويحطمون البيوت، ويخربون الديار؟!

أنا أقول للشباب الثائر المؤمن الصادق الذي صنع الثورة وساهم فيها: حرام عليكم أن تسمحوا لهؤلاء يدخلوا بينكم، نحن نريد أبناء مصر، مصر الثائرة، مصر التي تريد أن ترجع إلى التاريخ من جديد، تقف على القمة ولا تنزل إلى القاع السحيق، فموضع مصر هو القمة، وهي قادرة على هذا لو أُتيح لها هذا والله.

الحلول إنما تأتي بالتدريج:

لماذا صبرنا على حسني مبارك ثلاثين سنة؛ إذا لم نذكر الثلاثين التي قبلها، ستين سنة صبرنا فيها على حكم الظالمين والمستبدين والجائرين، ولا يصبر بعضنا على بعض سنة واحدة؟ كم حكم محمد مرسي؟ حكم سنة، ألا نصبر عليه سنة أيها الإخوة؟ وهل سنة تحل مشاكل ستين سنة مرت؟! من المستحيل أن يتم هذا، فله سنن في خلقه، ومن سنن الله التدرج، التدرج سنة شرعية وسنة كونية.. لا بد أن نأخذ بها، لا بد أن يصبر بعضنا على بعض، لا بد أن نعطي الرئيس فرصته، ولا بد أن نعاونه، المطلوب من الجميع أن يتعاونوا، والله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. لا يجوز لمحمد مرسي أن يتعاون مع جزء من الناس دون جزء، يتعاون مع الإخوان أو السلفيين ويترك الباقي، لا، بل يجب أن يتعاون مع أبناء مصر كلها، كلهم إخوانه، وكلهم شعبه، لا يجوز له أن يتعاون مع أحد ضد أحد، نحن أعداء لهذه الطريقة، يجب على الجميع أن يتعاونوا.

يجب أن تكون هناك فرصة للمراجعة:

نريد أن يعطي الجميع لأنفسهم فرصة، أرجوكم أيُّها الإخوة المصريون أن تعطوا أنفسكم فرصة أخرى، أنا أخطب المصريين كلهم،

لا أخاطب جماعة دون جماعة، أخاطب المصريين كل المصريين: في الصعيد، وفي الوجه البحري، وفي الإسكندرية، وفي كل البلاد، كل المصريين عندي سواء، أخاطبهم أن يعطوا أنفسهم فرصة للمراجعة، ليعرفوا فيما أخطأنا وفيما أصبنا؟ ولماذا لا نراجع الخطأ؟ ولماذا لا نقوي الصواب؟ لماذا لا نمشي في طريق الصلاح والإصلاح؟

نحن مطالبون بأن يكون يومنا خيرًا من أمسنا، وأن يكون غدنا خيرًا من يومنا، قال بعض السلف: من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًا من أمسه فهو ملعون^(١). لا يجوز أن تكون أيامنا متساوية، لا، بل لا بد أن يتقدم بعضها على بعض، نزداد خيرًا في كل يوم، أمّا أن يكون يومنا شرًا من أمسنا، أو غدنا شرًا من يومنا فهذا هو الملعون والعياذ بالله.

والمسلمون أبعد ما يكونون عن اللعنة، إنهم أهل الرحمة وأمة الرحمة، نحن مدعوون إلى أن نحقق رحمة الله، الله ﷻ جعل رسالة محمد ﷺ هي الرحمة للعالمين، قال له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. هكذا بصيغة القصر، ولذلك قال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»^(٢). هو رحمة من الله مهداة، ونعمة من الله مسداة، وبشرى للمؤمنين.

أمة واحدة.. على صراط واحد:

يا أيُّها الإخوة المصريون، أنا أناديكم والله من قلبي، والله أنتم كلكم أحبابي، وكلكم إخواني، وكلكم أبنائي وأحفادي، أنا لا أريد منكم شيئاً

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب ص ٣٠٠، نشر دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٣.

والله، أنا راحل عن هذه الدنيا عن قريب، إنَّما أدعوكم لتكونوا أمة واحدة، لتجتمعوا على صراط واحد، وعلى نهج واحد، لا بأس أن يختلف بعضكم مع بعض في الآراء، فالآراء مجال لاختلاف الناس، والصحابة رضي الله عنهم اختلف بعضهم مع بعض، والتابعون اختلف بعضهم مع بعض، والاختلاف لا يفسد للود قضية كما قال أمير الشعراء شوقي^(١)، فلا بأس أن تختلف آراؤنا، ولكن لا بد أن نتفق على الأهداف، ولا بد أن نجتمع على الوسائل الكبيرة. فالوسائل الصغيرة لا مانع أن نختلف فيها، أمَّا الوسائل الكبيرة فلا بد أن نجتمع عليها.

حقوق ولي الأمر المسلم:

إنَّنا مأمورون أن نطيع ولي أمرنا، الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، كما تطيعون الله والرسول أطيعوا أولي الأمر منكم، ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. هذا حكم الشرع.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «السمع والطاعة حق على المرء المسلم؛ فيما أحب وكره، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٢). لو أمرنا محمد مرسى بمعصية لله تعالى ظاهرة لا نسمع له ولا نطيع، لا سمع ولا طاعة لأحد في معصية الله، «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٣)، فنحن مأمورون بطاعة ولي الأمر، لماذا؟ حتى لا يصبح الأمر فوضى أيها الإخوة.

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (المسرحيات) ص ١١٣، مسرحية مجنون ليلي على لسان دُزُيخ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٩)، عن ابن عمر.

(٣) رواه عبد الله في زوائد المسند (١٠٩٥)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. عن علي بن أبي طالب.

خطورة الانقلاب على الرئيس المنتخب:

افرض أنّ محمد مرسي تنازل، أو أننا أجبرناه على التنازل بهذه الطريقة؛ فمن يكون بعده؟ والله لن نجد مثله بعده، سيكون من هو شر منه، ثم من هو شر منه، ونبتلى كما ابتليت أمم كثيرة! هذا أمر مُجَرَّب، لا أقول هذا كنوع من التخمين أو التحليق في الخيال، لا، بل هذا كلام مكتوب في التاريخ، ومُجَرَّب في دول أخرى، وُجَرَّب من قريب في إسبانيا وتشيلي والجزائر وبلاد أخرى.

ليس من السهل أن تغير رئيسًا برئيس، إنّما علينا أن نصلح الرئيس الموجود ونقوّمه، ونقول له: افعل كذا وكذا. وقد عرض هو عدة أشياء، عرض حوارات، فاستجاب القليل، وامتنع الكثير، لماذا نمتنع؟ لماذا لا نحضر ونفرض عليه ما نحب؟ ألسنا بشرًا مثله؟ حتى الرئيس ينزل على ما يريده الناس، نريد أن نغير الدستور فلنغير الدستور، وهو قال: اجتمعوا معي، ونفرض على المجلس الذي يُنتخب ما نريده.

طريق التغيير الآمن:

نحن أيُّها الإخوة إذا كنا نريد أن نغير حقًّا؛ فلنغير مجلس النواب إلى المجلس الذي نريد انتخابه، وهذا في أيدينا، هل يستطيع رئيس الجمهورية أن يضرب بعرض الحائط ما يقرره مجلس النواب؟ لا، هو مُلَزَم حسب النظام الديمقراطي الذي اختاره الشعب المصري ورضيه نهجًا له: أن ينزل على رأي الأغلبية، لا يملك رئيس ولا غيره أن يخالف أغلبية المجلس الذي اختاره الشعب، نحن الآن في أيدينا أن ننتخب مجلس النواب، ونطالب الرئيس المصري أن يسرع بهذا الأمر، ونحن إذا كنا أغلبية فمن حق الأغلبية أن تفرض رأيها، من يستطيع أن يعبد الأغلبية

أو يؤخرها؟ لا، لا يستطيع أحد أن يلغي الأغلبية، لا مرسى ولا غير مرسى، الأغلبية هي صاحبة الرأي، وهي صاحبة النفوذ في هذا الشعب.

تعالوا إلى كلمة سواء:

يا أيُّها الإخوة المصريون، أرجو الله تبارك وتعالى وأدعوكم إلى كلمة سواء نرضي بها ربنا، ونرضي بها شعبنا، ونرضي بها ضمائرنا، ونعود بها إلى حياتنا، حرام علينا أن نضل متفرقين بعد اجتماع، مختلفين بعد ائتلاف، لا بد أن يأتلف أمرنا، وأن نصبح كالقلب الواحد، وكالرجل الواحد، وكالأسرة الواحدة، وكالبنيان المرصوص، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. نحن في معركة الآن، وفي المعركة لا يُسمع صوت آخر، على أهل المعركة أن يكونوا صفًّا واحدًا كالبنيان المرصوص، لبنة فوق لبنة متماسكة مترابطة، يشد بعضها بعضًا.

إلى هذا أدعو إخواني وأحبابي المصريين، وأرجو منهم أن يفتحوا قلوبهم وآذانهم لما أقول، والله ما أردت إلا الخير، والله ما أريد لنفسي ولا لأحد من أهلي شيئًا، لا أريد إلا حب المصريين، وائتلاف المصريين، واجتماع كلمة المصريين.

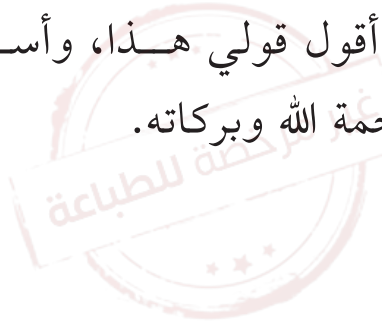
يا أبناء مصر العظيمة، يا أبناء مصر المجيدة، اتقوا الله في بلدكم، هذا البلد يمكن أن يكون من أعظم البلاد إذا أُتيحت له الفرصة، أتيحوا الفرصة للناس تأتي الأموال إلى مصر ويجتمع الناس، ويشغل العاطلون، ونشغل المشاريع التي عندنا، وتتغير البلاد، نحن والله قادرون على هذا إذا اجتمعت كلمتنا، أمّا إذا تفرقنا، فيعلم الله ماذا يكون، وأعوذ بالله من شر التفرق.



اللهم اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على الثُّقى، ونفوسنا على المحبة، وعزائمننا على عمل الخير وخير العمل، اللهم إنا نسألك أن تقينا من شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم هب لنا من أمرنا رشداً، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم أعن القائمين على أمر هذا البلد بكل خير، اللهم اجمع كلمة هذه الأمة جميعاً، ولا تكلهم إلى أنفسهم، ولا إلى أحد غيرك يا رب العالمين، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



ردًّا على دعوة السيسي المصريين لتفويضه^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على من أرسله الله رحمة للعالمين، سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبیبنا ومعلّمنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمّا بعد)

كلمتي إلى المصريين:

فإنّني أوجه كلمتي الأولى إلى إخواني وأبنائي وأحفادي المصريين، ومنهم إلى إخوانهم العرب والمسلمين في أنحاء العالم، لكنّي أوجه الكلام أولاً إلى المصريين، في يوم السابع عشر من رمضان فوجئ المصريون بحديث من وزير الدفاع الفريق أول عبد الفتاح السيسي في التلفزيون المصري، وقد حرص في الأيام الماضية أن يتعد عن الكلام

(١) ألقيت بمناسبة دعوة السيسي المصريين لتفويضه، بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠١٣م، وبثتها قناة الجزيرة مباشر.

في التلفزيون، ثم فاجأ المصريين اليوم بأنه يدعوهم ويحرض، يقول لهم: لم أطلب منكم أي شيء قبل ذلك أبدًا، ولكن أطلب منكم اليوم أن تحتشدوا لمقاومة الفريق المصري الآخر.

صاحب السلطة الحقيقي في مصر:

كان يظن أنه أخفى نفسه حينما قام بانقلابه العسكري المعروف، وأنَّ هناك رئيس جمهورية مؤقت ورئيس حكومة، ولكنَّه في حديثه هذا تغافل عن رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة، وأظهر نفسه أنه هو صاحب السلطة، صاحب القبض والبسط، والحل والعقد، والأمر والنهي، فهو الذي يطلب من الشعب - وليس رئيس الجمهورية، ولا رئيس الحكومة - أن يقف بالمرصاد لمن يسميهم الإرهابيين! أنا والله أعجب: مَنْ هم هؤلاء الإرهابيون؟!

لا أريد جزاء ولا شكورًا:

والله أنا أقول لكم أيُّها الإخوة المصريون كلامًا حقيقيًّا، أنا لا أريد من المصريين شيئًا، لا أريد أن أكون شيخًا للأزهر، ولا مفتيًا، ولا رئيس جامعة، فأنا والحمد لله أغناني الله من فضله، ولست في حاجة إلى أي منصب في مصر، إنَّما أرى المصريين جميعًا إخواني وأبنائي وأحفادي، ولا أقول لهم إلا الحق الذي أعتقد وألقى الله تعالى عليه.

ماذا يريد عبد الفتاح السيسي من كلامه هذا؟ يريد أن يغري المصريين بعضهم ببعض؟ أن يجعل كل مصري عدوًّا للمصري الآخر؟ متى كان المصريون أعداء؟ المصريون قاموا بثورة واحدة بهرت العالم، وكان كل منهم يسعى لمصلحة أخيه، ما الذي جعلهم أعداء؟

الرافضون للظلم ليسوا إرهابيين:

من هم الإرهابيون الذي يخاف السيي منهم؟ الذين يجتمعون في ميادين مصر الآن: في ميدان رابعة العدوية، وفي ميدان النهضة، وفي رمسيس، وفي الجيزة، وفي الإسكندرية، وفي المحافظات كلها، ما رأينا في هؤلاء إلا السلمية المطلقة، لم نر مع أحد منهم سيفًا ولا سكينًا، ولا حجرًا ولا عصا، نراهم كلنا يرفعون أيديهم خالية من أي شيء، كلكم تشهدون على هذا، هل هؤلاء محاربون؟ ليسوا والله محاربين!

هم أناس يسعون إلى ما يعتقدون أنه حق، هم يريدون أن يعود الرئيس الذي انتخبوه، انتخبوه انتخابًا حرًا باعتراف الجميع - الصديق والعدو - انتخبوه بحريتهم وإرادتهم، قبل أن تمر سنة نعود على ما كنا عليه؟!

بعد أن تخلصنا من العسكرية والاستبداد والتسلط، الذي استمر يحكمنا ثلاثين سنة، أو ستين سنة! نصبر ستين سنة على التسلط، ولا نصبر سنة واحدة؛ بل لا نصبر شهرين؛ لأنه قبل أن يمرّ شهران على محمد مرسي، والحرب ضده!

الاعتداء على المعتصمين السلميين:

نحن نرى هؤلاء المعتصمين أناسًا مصلين لله، راكعين ساجدين، خاشعين قانتين، لا يريدون شرًا بأحد، ولا يعتدون على أحد، ولا ينوون هذا. هذا ما نعتقد، وما رأيناه بأعيننا، ولكن للأسف هم الذين اعتُدي عليهم، وضُربوا حينما كانوا معتصمين أمام الحرس الجمهوري، وهم يصلون الفجر، وهم يصلون التراويح، في أثناء الصلاة يُضربون، ويُطلق عليهم الرصاص الحي والمولوتوف، وأحيانًا بقوات الجيش والشرطة، التي يفترض فيها حماية هؤلاء.. هي التي تضربهم!

لم يذهبوا هم إلى الشرطة ولا إلى الجيش، الجيش هو الذي جاء إليهم، هم كانوا معتصمين عند الحرس الجمهوري؛ فما الذي جاء بالجيش إليهم؟ وقتل منهم مائة وجرح منهم آلافًا في أول معركة، واستمرت المعارك بعد ذلك.

هؤلاء الناس الذين رأيناهم، وللأسف الإعلام المصري يُخفي هذا، لولا قناة الجزيرة، وقناة الحوار، وقناة اليرموك، وقناة المستقلة: قنوات تشهد بأن هؤلاء مسالمون كل المسالمة، لماذا نعتبرهم إرهابيين ونطالب المصريين أن يخرجوا ضد هؤلاء؟ والله هذا ظلم!

لا ينبغي للمصريين أن يتقاتلوا:

نحن لا نريد للمصريين أن يتقابلوا بعضهم ضد بعض، فالمصريون شعب واحد، أبناء بلد واحد، أصولهم واحدة مهما اختلفت دياناتهم، ومهما اختلفت اتجاهاتهم، هناك مسلمون وأقباط، هناك إسلاميون وليبراليون، وماركسيون واشتراكيون، كلهم أبناء بلد واحد، نريد للجميع أن يتفقوا على مصلحة بلدهم، لماذا قبلوا بأشياء أثناء حكم محمد مرسي ورفضوها الآن؟ رفضوا الدستور الذي أُلُفِت له لجنة من الشعب، واستُفِتي عليه الشعب، ورفضوا محمد مرسي الذي انتخبه الشعب، وكل شيء انتخبه الشعب رفضوه، ويريدون أن يقيموا البلد على استبداد مطلق.

الاحتكام إلى الشرع والشرعية:

نحن نرفض هذا، ونطالب الشعب المصري أن يحتكم إلى الشرعية التي يرضاها الله ورسوله، الله تعالى أمرنا في كتابه أن نطيع أولي الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

والرسول ﷺ يقول: «من كره من أميره شيئاً فليصبر؛ فإن من مات على مفارقة السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(١). يموت ميتة الجاهليين، «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢)، يريد أن يحمي الناس، أن يظل الناس إخوة، كل واحد يرعى الآخر، يحب مصلحة الآخر، «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٣)، هذا ما نريد أن نعلمه للمصريين جميعاً: مسلمين، وغير مسلمين، كيف يريد هؤلاء الناس أن يصبح المصريون يقتل بعضهم بعضاً، ويسبوا الظن بعضهم ببعض؟ والله هذا ليس من الدين، ولا من الوطنية، ولا من العقلانية، ولا من الأخلاق في شيء، أنا أدعو المصريين جميعاً: أن يعقلوا عن الله ما يريده منهم، وعن رسوله ما يطلبهم منهم.

عودة المؤسسات المنتخبة:

نحن إخوة في هذا الوطن، نريد أن نبني الوطن، لا نريد شراً، نريد أن يعود محمد مرسي رئيساً؛ نحن انتخبناه بإرادتنا، لماذا تضربون بهذه الإرادة غرض الحائط؟ هذا ليس معقولاً أبداً، نريد أن يعود هذا الرجل، وقد كان ينادي الناس أن ينتخبوا مجلس الشعب، ومجلس الشعب هو الشيء الأساسي، لماذا رفضوا هذا، وأرادوا أن يجعلوها ناراً مشتعلة؟ ونحن لا نريد ناراً، نريد أن نطفئ كل نار، ندعو العقلاء من الشعب المصري الذين يخافون الله تبارك وتعالى ويعلمون أن هناك آخرة يُحاسب فيها الإنسان على كل شيء، يُسأل الإنسان عن لفظه، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٥٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٩)، عن ابن عباس.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٢٤.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

نحن نريد أمة مسالمة بعضها لبعض، وأرى أنَّ الإخوة الذين يعتصمون في الميادين المصرية المختلفة: لا يضمرون شرًّا لأحد، إنَّما يريدون السلمية، نحن نطلب انتخاب مجلس الشعب، وتكون بعد ذلك انتخابات أخرى، نسير على ما جاءت به الديمقراطية، أن يكون الصندوق هو الأساس في الاحتكام عند النزاع، إن قلت لي: معي ملايين من الناس. سأقول لك: وأنا معي ملايين من الناس أكثر مما معك. الذي يحكم بيننا هو الصندوق، فأنا أدعو الشعب المصري إلى أن يعود إلى الصندوق.

نداء إلى الضباط والجنود:

وأدعو الضباط والجنود والعساكر في الجيش المصري: ألا يسمعوا إلى ما يقوله السييسي ولا غيره، لا يقتلون أحدًا، لا تقتل أخاك، لا تقتل ابن عمك، لا تقتل ابن خالتك، لا تقتل ابن بلدك، حرام، احفظ بندقيتك أن تطلق منها رصاصة واحدة على مصري واحد، هذه الرصاصة يغضب الله تعالى منها، ويغضب رسوله، وتكون عليك يوم القيامة، ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، هكذا يقول القرآن، والنبى ﷺ يقول: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حق»^(١). الإسلام لا يقبل أن تُقتل هرة بغير حق، «دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(٢)، حتى الحيوان لا يُقتل فما بالك بالإنسان؟

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥) مرفوعًا، وموقوفًا، ورجح الموقوف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، والبيهقي في النفقات (٢٢/٨)، وصحَّحه السيوطي في الصغير (٧٢٣٦)، والألباني في غاية المرام (٤٣٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٢)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.



تحريض أبناء الشعب ضد إخوانهم:

ما قاله السيسي يُعتبر تحريضاً لقسم من الشعب المصري ضد القسم الآخر، هو يقول: أنا أحارب الإرهاب. يعتبر أن الآخرين إرهابيون، ولماذا يُعتبرون إرهابيين، وهم ما حملوا سيفاً ولا عصا ولا مسدساً؟! إذا كان يقصد الإخوان؛ فالإخوان هم الذي حملوا طوال التاريخ آلام الشعب المصري، ولكن الذين في الميادين الآن ليسوا إخواناً، وليسوا سلفيين، وليسوا إسلاميين فقط، الإسلاميون قلة منهم، هؤلاء ملايين من الشعب المصري، الشعب المصري بكل مكوناته وبكل طوائفه وبكل أديانه وبكل اتجاهاته، هذا الشعب ليس إرهابياً، بل هذا الشعب ظلم ظلماً مبيهاً، ولذلك أنا أحرم كل التحريم أي إساءة إلى هذا الشعب.

كل من يطلق رصاصة ضد هذا الشعب مسؤول أمام الله، وأمام التاريخ، وأمام إخوانه في مصر عن هذه الرصاصة، لا يجوز أن تُطلق رصاصة على صدر مصري، إذا كان عندنا رصاصة نطلقها على أعدائنا الذين يقتلوننا، ولا نطلقها على إخواننا، فهذا حرام حرام حرام.

ضياع مكتسبات الثورة:

الآن ضاعت الحريات التي حققها ثورة ٢٥ يناير، هل رأيتم أحداً حوكم أو عوقب من أجل كلمة قالها أو كتبها، كم شتم محمد مرسي ولكن لم يسئ إلى أحد، هذه الحرية فقدناها الآن، أصبح الحكم العسكري الآن يغلق القنوات المختلفة، التي كانت تصدر، حتى قنوات الإخوة السلفيين التي كانت تصدر في عهد حسني مبارك، حسني مبارك سمح بها، وهؤلاء لا يسمحون بها، لا يسمحون بأي لون من الحرية،

انتهت الحرية في مصر، ونحن نجاهد من أجل الحرية، لا نجاهد بالسيف، وإنما نجاهد بألسنتنا وأقلامنا، وعقولنا وقلوبنا، وما نستطيع.

أدعو المصريين إلى التكاتف والتعاون:

وأدعو الشعب المصري، كل الشعب المصري، لا أعتبر أحدًا عدوًا لي، أدعو المصريين أن يقفوا جميعًا بعضهم مع بعض، ويقولوا لهؤلاء الذين يريدون أن يدخلوا الأمة في معمة يحارب بعضهم بعضًا، يقولون لهم: لا، لن يقاتل المصري أخاه المصري، سيظل المصريون إخوة، سنعود إلى ثورتنا التي أقمناها، وأردنا أن نبني بلدنا على أساسها، لا نفرط في شيء من هذا أبدًا. أدعو كل المصريين إلى هذا، وهم أهل لهذا، وسينتصر الحق على الباطل كما قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

أسأل الله تبارك وتعالى في هذا الشهر الكريم شهر رمضان، ونحن نطل على ليلة ١٧ رمضان، ليلة غزوة بدر الكبرى، يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، نسأل الله ﷻ أن ينصر الحق على الباطل، وينصر العدل على الظلم، وأن يشد أزر إخواننا المؤمنين، الذين يعملون من أجل مصلحة مصر، وأمن مصر، واستقلال مصر، وحرية مصر.

أسأل الله تعالى لإخواني المصريين ولإخوانهم من العرب والمسلمين جميعًا أن يؤمنهم من خوف، وأن يعيد إليهم السكينة والطمأنينة، ويجمع كلمتهم على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



كلمة للمصريين بعد مجزرة المنصة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على من أرسله الله رحمة للعالمين سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فهذه كلمة أوجهها أول ما أوجهها إلى الشعب المصري الكريم، كلمتي تتضمن عدة نداءات، كل نداء منها أوجهه إلى طائفة من الناس أو جهة من الجهات.

إلى قائد الانقلاب عبد الفتاح السيسي:

أول ما أوجهه من نداءات إلى الفريق أول عبد الفتاح السيسي الذي انقلب على رئيسه الشرعي الذي بايعه أمامنا بيعة، وأقسم بالله أمامنا، رأينا وسمعناه جميعاً، ثم نقض عهد هذا الرجل، ونسي قول الله تعالى:

(١) أُلقيت بمناسبة مجزرة المنصة، بتاريخ ٢٧ يوليو ٢٠١٣م، وبثتها قناة الجزيرة مباشر.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

طلب عبد الفتاح السيسي من الشعب المصري أن يفوضه في القضاء على الإرهاب في مصر، ومن هم الإرهابيون الذين يقصدهم؟ هم الذين رفضوا الانقلاب على رئيسهم الشرعي الذي أعطوه صوته، الصوت الذي ثبت معاهداً الله على أن هذا الرجل رئيسهم، فلم ينقضوا عهده، وظلوا على موقفهم، فاعتبر السيسي هؤلاء خارجين على القانون، واعتبرهم إرهابيين، وطلب من الشعب أن يفوضه في اتخاذ الموقف مع هؤلاء، ومن الشعب من فوضه لأنه لا يعلم حقيقة ما وراء هذا الأمر، وقد تبينا نحن وتبين للعالم كله ماذا وراء هذا التفويض.

ظن بالأمس أنه أُعطي التفويض؛ حينما اجتمع مئات الآلاف من الناس في ميدان التحرير وفي ميدان آخر فقط، ونسي أن هناك خمسة وثلاثين ميداناً في مصر فيها أناس آخرون يرفضون ما يدعو إليه.

اعتبر عبد الفتاح السيسي هؤلاء هم المصريين وحدهم، والآخرين كأنهم ليسوا من مصر، وكأنهم ليسوا من بني آدم، وليس لهم قيمة رسمية ولا قانونية، ولا شرعية ولا دستورية، وكانت النتيجة أنه أخذ التفويض ليفعل ما يشاء.

عزل الرئيس وإلغاء الدستور:

قبل ذلك عزل الرئيس المنتخب محمد مرسي، وألغى الدستور الذي صادق عليه الشعب المصري بنحو أربعة وستين في المائة (٦٤٪)، ووضعت لجنة منتخبة ظلت تعمل ستة أشهر، هو الآن كَوْن لجنة من عشرة أشخاص لتغير الدستور في شهر واحد، وهم لم يقبلوا لجنة

منتخبة من كبار القضاة والرجال المصريين الشرفاء، ومع هذا قال لهم الرئيس المصري محمد مرسي: إننا مستعدون للنظر في كل ما يراد النظر فيه من مواد هذا الدستور، وأي شيء تتفق عليه الأغلبية في أول جلسة لمجلس الشعب المصري المنتخب تغيّر هذه المواد.

مجازر متكررة:

لم يبال عبد الفتاح السيسي بهذا كله، وظن أنّ الشعب أعطاه حق القتل وقطع رؤوس المصريين، لم يكتف بمن قتلهم في الأيام الماضية، قتل من الرجال ومن النساء، ومن الأطفال ومن الشيوخ، ومن الكبار ومن الصغار، قتلهم في عدد من البلدان والأماكن، قتل عند رمسيس، وعند الحرس الجمهوري، وعند ميدان النهضة، وفي شبرا، وفي الإسكندرية، وفي أماكن شتى، ولكنه لم يكتف بهذا وزاد على ذلك بمجزرة الأمس الكبرى، التي حدثت بالقرب من رابعة العدوية في مدينة نصر، حيث قتل إلى الآن مائة وأربعين رجلاً، وهناك أربعون آخرون حالاتهم حرجة مرشحون للقتل، من المضروبين في الرأس أو البطن أو الصدر، في أماكن تؤدي إلى القتل.

قتل مائة وأربعين، وجرح أربعة آلاف شخص مصري لم يستحقوا أن يُقتلوا، الذي يستحق القتل في الإسلام من قتل نفساً بغير نفس، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]، أو ارتكب زنى جهاراً متعمداً، أو كان مرتدّاً خرج على البلد وعلى أهله، وأصبح مقاتلاً لهم.

لكن لم يرتكب أحد من هؤلاء شيئاً من هذا، ولم يرتكبوا شيئاً يخلُّ بالأمن، الجميع أناس منتظمون ملتزمون، ليس في يد أحدهم سيف ولا بندقية ولا مسدس، ولا سكين ولا عصا ولا حتى حجر، الحجارة

والحصوات التي كان يملكها شباب فلسطين لا يملكها هؤلاء، كل ما يملكونه مصاحف أحياناً في أيديهم، وتسبيح بألسنتهم، يسبحون الله، ويحمدون الله، ويكبرون الله، ويدعون الله، وينشدون الأناشيد الإسلامية. ولكن عبد الفتاح السيسي وأعوانه جاؤوا بجنودهم، وبقضهم وقضيضهم، منهم الجنود الرسميون، ومنهم الجنود الذين يلبسون ملابس مدنية، ومنهم البلطجية، جندوهم ليقتلوا المسلمين العزل الذين ليس معهم أي شيء، أنا أدعو المسؤولين عن هذه القضايا في العالم: أن يأتوا إلى ميدان رابعة العدوية، ويدخلوا الخيام، ويفتشوا ما عند هؤلاء، لن يجدوا عندهم أي شيء غير مصاحفهم.

لماذا قُتل هؤلاء؟

الذي يسأله الله عن هؤلاء، ويسأله الشعب، وتسأله الشعوب كلها، ويسأله التاريخ: هو عبد الفتاح السيسي ورجاله، هو المسؤول الأول ورجاله المسؤولون، ووزير الداخلية والضباط، كل الذين شاركوا في هذه المسيرات الإجرامية، كلهم مسؤولون أمام الله، لا يقول أحد: أنا مأمور. لا، ليس هناك أحد مأمور أن يقتل إنساناً مسالماً!

من أمرك أن تقتل إنساناً مسالماً، فافرض أمره وإن حاكمك، وإن قال فيك ما قال، ولكنك ستكون بريئاً عند الله وعند الناس.

كل الذين شاركوا في قتل هؤلاء البراء، الذين لا ذنب لهم إلا أنهم من المصلين الخاشعين القانتين، كل ذنب هؤلاء أنهم اجتمعوا في رابعة العدوية يصلون الفرائض جماعة، يصلون النوافل، يصلون التراويح بجزء من القرآن، يصلون قيام الليل، يصلون الفجر، يصلون في الظهيرة في حر الصيف حر الشهر السابع، هؤلاء الناس قُتلوا ظلماً بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله.



هؤلاء ليسوا من الإخوان ولا من السلفيين، الإخوان والسلفيون كانوا هم الأصل، ولكن المصريين عامة من كل البلاد وكل الطوائف شيوخاً ورجالاً، ونساء وأطفالاً وفلاحين وعمالاً، ومعلمين ومهندسين، وأطباء وأميين: من كل البلاد وكل المدن، وكل الأرياف، ومن صحراء سيناء، ومن الصحراء الغربية، جاء هؤلاء جميعاً ليعلموا أنهم مع الشرعية، الشرعية يؤمنون بها، ويتمسكون بالدستور الذي صوتوا عليه، صوتوا على أشياء خمس مرات، ويتمسكون بها.

لماذا يُقتل هؤلاء الناس؟ الشرطي أو العسكري الذي قتل هؤلاء الناس - هناك عند المنصة، في شارع النصر - ربما قتل أخاه، ربما قتل ابن عمه، ربما قتل ابن خالته، ربما قتل قريبه، ربما قتل صهره، ربما قتل ابن حارته، قتل ابن بلده، ابن مصر، كل هؤلاء مصريون شرفاء، لماذا يُقتل هؤلاء؟ الله سيسأل كل قاتل عمن قتل، كل هؤلاء مسؤولون، ليس هناك أحد يقول: ليس لي ذنب، أنا أمرت. لا، ليس لأحد أن يأمر بك بقتل البراء؟ كيف تقتل الصائمين المتجهدين المبتهلين إلى الله؟ من يقول هذا؟

أحمّل عبد الفتاح السيسي والذين يؤيدونه من الضباط، والذين ساروا معه من الجنود أيّاً كان هؤلاء الجنود، سواء كانوا من الشرطة أو من الجيش أو كانوا من البلطجية الذين يستأجرهم نظام حسني مبارك من قديم، كل هؤلاء مسؤولون أمام الله.

إلى رجال الجيش والشرطة:

وأنا أدعو رجال الشرطة، وأدعو رجال الجيش، بعد أن عرفوا حكم الله وحكم رسوله وحكم الشرع وحكم فقهاء المسلمين من كل المذاهب، أنه لا يجوز قتل امرئ مسلم بغير حق، تقتل مائة وأربعين

شخصًا بالرصااص، وتجرح وتصيب أربعة آلاف وخمسمائة شخص! من أجاز لك هذا؟ أربأ بآبن مصر الشرطي الحر أن يفعل هذا، لا أآيز لهم أن يفعلوا هذا بعد ذلك، آجب عليهم أن آمتنعوا، النبي ﷺ يقول: «السمع والطاعة حق على المرء المسلم - يسمع ويطيع رئيسه - ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١). السمع والطاعة في غير المعصية، آين تكلم الله عن بيعة النساء للرسول قال له: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [المتآنة: ١٢]. يعني لو أمرتهم بالمنكر لا ينبغي أن يطيعوك وأنآ رسول الله، فكيف يُطاع إنسان في معصية الله؟ «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٢)، هذا ما أقوله لإخواني وأبنائي وأحفادي من الشرطة.

إلى شيخ الأزهر وعلماء الأزهر:

ثم نداء آخر أوجهه إلى شيخ الأزهر، الذي حضر من أول يوم آينما ناداه عبد الفتاح السيسي، وقال له: أنت مضطر إلى هذا؛ لأنَّ الإنسان لا بد أن يآآار أخف الضررين. واعتبر أنَّ أخف الضررين أن يقتل الحاكم الشعب، من قال هذا يا شيخ الأزهر؟ وهل استفتيت هيئة كبار العلماء ومآمع البآوث الإسلامية وهيئة الفتوى في الأزهر، وعلماء المسلمين في أماكن شتى؟ هذا أمر آطير آدًا لم تستفت فيه أحدًا، ولا آآوز لك أن تعمل برأيك وآدك.

أنا أدعو شيخ الأزهر أن يراجع نفسه بعد أن رأى ما رأى من الجيش الذي فوضه شيخ الأزهر، هل فوضته ليقآل الناس بالآلاف، لآضرب

(١) سبق تخريجه ص ٥١٧.

(٢) سبق تخريجه ص ٥١٧.

الناس المؤمنين القانتين الخاشعين، المصلين الصائمين: في صدورهم وفي رؤوسهم وفي بطونهم ضربات قاتلة؟ أدعو شيخ الأزهر أن يراجع نفسه، ويراجع إخوانه.

وأنادي إخواني الذين معي في هيئة كبار العلماء، وفي مجمع البحوث الإسلامية أن يراجعوا شيخ الأزهر في هذا، وأن يرجعوا إلى الله، هم أنفسهم الذين وقفوا مع شيخ الأزهر يجب أن يعودوا إلى الله تبارك وتعالى ويتوبوا إليه، وإلا فإنَّ الأزهر كله سيقف ضدكم، وهذا ندائي إلى أبناء الأزهر جميعًا، كل أبناء الأزهر هم أبنائي وإخواني وأحفادي.

أنادي رجال الأزهر: علماء الأزهر في المساجد، في المعاهد، رجال الدعوة، في كل عمل يقومون به، أدعو هؤلاء جميعًا أن يقفوا وقفة رجل واحد، يرفضون قتل القاتلين وظلم الظالمين، هذا ما أدعو إليه أبناء الأزهر، أبناء الأزهر لا يقبلون هذا أبدًا.

إنَّ الإسلام يجعل قتل رجل واحد كأنه قتل الناس جميعًا، ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فكيف بمن يقتل المئات وراء المئات؟ ويجرح الألوف بغير ذنب؟ لو كان لهم ذنب؛ لكن والله ما عرفنا لهم ذنبًا إلا أنَّهم يقولون: ربنا الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

إلى نقابات مصر:

كما أنادي أبناء النقابات جميعًا: نقابة المعلمين، ونقابة المهندسين، ونقابة الأطباء، ونقابة المحامين، ونقابات الصحفيين، واتحادات الطلاب، والنقابات المختلفة، وإن كان الصحفيون في مصر للأسف

رأيانهم كلهم - إلا من رحم ربك وقليل ما هم - يكذبون على الله وعلى الناس وعلى الشعب، تصور رأينا الملايين في ميدان رابعة العدوية وما حوله من الميادين، وفي ميادين الشعب المصري، خمسة وثلاثون ميداناً، ولكن الإعلام المصري، والقنوات المصرية، والإذاعة المصرية، والصحف المصرية لا تُري أحداً شيئاً من هذا.

نداء للمؤسسات الإقليمية والعالمية:

أنا أدعو الجامعة العربية أن يكون لها موقف من هذا الذي يجري في مصر، أدعو منظمة التعاون الإسلامي، أدعو هيئة الأمم المتحدة، أدعو الاتحاد الأفريقي، أدعو مجلس الأمن، أدعو الشرفاء الأحرار في أنحاء العالم، أدعو هؤلاء جميعاً أن يأتوا إلى مصر ويروا ماذا يحدث.. ولهم مندوبون في مصر!

نداء إلى العالم الإسلامي:

أدعو المسلمين في أنحاء العالم، من كل مكان: في إندونيسيا وماليزيا، وفي نيجيريا وفي السنغال وفي الصومال، وفي باكستان وفي بنجلاديش وفي الهند، وفي العراق وفي إيران، وفي ليبيا وفي تونس، وفي المغرب وفي الجزائر، وفي لبنان وفي فلسطين وفي الأردن، وفي كل مكان، أدعوهم ليكونوا شهداء، الله سيسألهم يوم القيامة عن هذه المذابح الوحشية التي يرتكبها هؤلاء، والله حينما نقول: الوحشية. نظلم الوحوش؛ فالوحوش لا يقيمون مجازر للبشر، إذا أراد الوحش أن يأكل واحداً قتل واحداً، لا يقتلون مئات ولا آلاف، ولا يفعلون ما يفعله البشر بعضهم ببعض، فنحن نظلم الوحوش، هؤلاء أشد من الوحوش!

نداء لأحرار العالم:

أنا أدعو الناس في كل مكان إلى أن يقفوا وقفة الرجال الشرفاء الأحرار، أدعو الشرفاء الأحرار من العالم: أن يأتوا ليروا هذه المذابح البشرية، التي تحدث كل يوم في مصر، حدث هذا في عدة ساعات بالأمس في مصر، في منطقة صغيرة، ولا ندري ماذا يبث هذا الوحش البشري - عبد الفتاح السيسي - في هذه الليلة للمعتصمين المنتظمين منذ شهر في رابعة العدوية؟

عزيمة المعتصمين الصادقة:

وهؤلاء المعتصمون رجال، هم والله في عزائم الأسود، لم يتواروا أبدًا، ولن يهتمهم أن يموتوا، والذين ماتوا منهم ليسوا خسارة، لم نخسرهم، بالعكس، الله تعالى قال: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [محمد: ٤-٥]. كل عدد يموت يأتي لنا أضعافه من أبناء مصر الشرفاء، أرى هؤلاء ينضمون إلى أبناء رابعة العدوية، كل يوم يزداد العدد ويتسع ويتزايد، وتمتلئ الميادين في المحافظات المختلفة، وسيزداد الناس اليوم أكثر من كل يوم.

دعوة المصريين لمواصلة إخوانهم المعتصمين:

أنا أدعو المصريين جميعًا، كل مصري حر يخشى الله، ويخاف على إخوانه، ويحب مصر، وشرب من ماء النيل: أن يأتي إلى رابعة العدوية، لا يخاف، يأتي بأهله: بأبنائه، ببناته، بإخوانه، بأولاده الصغار، يأتي ليرى الناس أنهم جميعًا أصبحوا ضد هؤلاء الظلمة الانقلابيين، ولكن

لا بد أن يراهم الناس، أدعوهم أن يخرجوا من بيوتهم بكل شجاعة؛ ليقفوا أمام هؤلاء القتلة الظالمين، الذين يمسون بالرصاص الحي، ويضربون به رؤوس العزل من كل سلاح، يضربون الشيوخ الكبار، يضربون الأطفال الصغار، يضربون النساء المتحجبات والمتبرجات؛ لأنّه لم يعد المكان في رابعة للمحجبات ولا للمنقبات فقط، بل أصبح فيه كل النساء، كل الناس، المصريون جميعاً. حتى رأيت منهم النصارى الأحرار، الذين لم يستجيبوا للبابا، ولا إلى هؤلاء الذين يفتنونهم في دينهم، هم يأتون مع إخوانهم المسلمين، والله لن يحميهم إلا المسلمون، أنا أقول هذا لإخواننا النصارى.

إلى جبهة الإنقاذ:

أقول لجورج إسحاق وإخوانه، وقد قال لي من قبل - حينما تحدثت عن موقف الإسلام من النصارى -: ليتك تأتي وتقول هذا للمسيحيين في كنائسهم. قلت له: والله أنا مستعد لهذا. ولكنّه لم يفعل، وأصبح مع من يسمونهم (جبهة الإنقاذ) الذين يستبيحون قتل البراء من الناس.

كل واحد عنده ذرة من إيمان ومن عقل عليه أن يغير رأيه؛ إذا كان من هؤلاء: عمرو موسى، والبرادعي، وزعماء هذه الجبهة.

وحتى هذا الرجل عدلي منصور - هو في الحقيقة طرطور - كيف تقبل أن تأتي رئيساً؟ الرئيس هو الذي أتى بك، هو الذي جمع الناس وأخذ يقتل الناس، هل أمرت أنت بقتل الناس؟ إذا كان هؤلاء عندهم رجولة فعليهم أن يستقيلوا، أدعو كل من عنده حرية في هذه الوزارة - وزارة الظلمة - أن يستقيل منها، ويبرأ إلى الله من هذه النفوس التي قُتلت بغير حق، سيسأل الله الجميع عن هذا.



إلى حكام العرب والمسلمين:

وأدعو كل رجال العرب، أدعو حكام العرب، حكام البلاد الإسلامية، أدعو خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله ورجاله: أن يقفوا مع الحق، أنتم أعطيتموهم اثني عشر ملياراً، هل أعطيتموهم المليارات ليقتلوا بها المصريين؟ لا يقول ذلك عاقل أبداً، ولكن المصريين الآن يُقتلون أمامكم، يا خادم الحرمين، يا رئيس الإمارات، يا أمير الكويت، يا ملك البحرين، يا من شاركتكم بالمليارات في هذه المسيرة الظالمة ارجعوا إلى الله، المسلمون يُقتلون بملياراتكم!

لم تذهب ملياراتكم لتطعم الجائع ولا لتؤمن الخائف، ولكن ذهبت لقتل المسلمين البراء الشرفاء الأحرار، يا حكام العالم العربي، وحكام العالم الإسلامي أدعوكم جميعاً لتقفوا وقفة الرجال مع الأحرار المؤمنين الذين يُقتلون بغير حق في رابعة العدوية، وفي غيرها من ميادين مصر التي يقف فيها الشرفاء لا يؤذون أحداً، لا بيد ولا بلسان ولا بكلمة.

الدعاء على الظالمين:

هذه كلمتي أقولها لإخوتي المصريين، والله معهم ولن يترهم أعمالهم، وأسأل الجميع، كل المسلمين الصائمين القانتين: أن يدعوا الله تبارك وتعالى على الظالمين الجبارين، المستكبرين في الأرض بغير الحق، أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وأن يُنزل عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، وأن يأخذهم أخذاً أليماً شديداً؛ جزاء ما فعلوا، وجزاء ما ارتكبوا، وأن يؤيد المؤمنين الصابرين المصابرين، القانتين الخاشعين لله.

وإنَّ الله تعالى معهم، لن يتخلى الله تعالى عنهم، لأنَّ الله مع المؤمنين، ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿[النحل: ١٢٧ - ١٢٨].

يا إخواني في رابعة العدوية كونوا على ثقة أنَّ الله معكم، ثقوا أنَّ مرسى سينصره الله تبارك وتعالى؛ لأنَّ الله ينصر المؤمنين، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، سينصر الله مرسى، وسينصر الحق على الباطل، وسينصر العدل على الظلم، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿[التوبة: ٣٢ - ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





كلمة إلى المعتصمين في الميادين في ليلة القدر^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا،
ومعلّمنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً، ربنا لا تُزغ قلوبنا
بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم علّمنا
ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، نحمدك اللهم على كل حال،
ونعوذ بك من حال أهل النار.

وأحييكم أيّها الإخوة والأخوات: أبناء وبنات مصر الشرفاء، المرابطين
في ميدان رابعة العدوية ومدينة نصر، وفي ميدان النهضة بالجيزة، وفي
سائر الميادين في القاهرة والإسكندرية، وسائر محافظات مصر.

أحييكم أيّها الإخوة والأخوات، وخير ما أحييكم به تحية الإسلام،
وتحية الإسلام السّلام، فالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) أُلقيت بالدوحة ليلة ٢٧ من رمضان ١٤٣٤هـ - الموافق ٢ أغسطس ٢٠١٣م. ونقلتها قناة الجزيرة
مباشرةً من مصر.

ثواب الصيام والقيام والرباط:

وأهنتكم بما وفقكم الله إليه من صيام شهر رمضان في هذه الأيام العصبية: في الشهر السابع والشهر الثامن، في شمس الصيف الحارة، وفقكم الله إلى الصيام، ووفقكم إلى القيام في أول الليل، والتهجد في آخر الليل، قمتم بما فرضه الله عليكم، وما استحبه الله تعالى لكم، صبرتم على هذا كله: على المراقبة في هذه الميادين لله تبارك وتعالى، فكان صيامكم خير الصيام، وكان قيامكم خير القيام، وكان ما قمتم به لله تبارك وتعالى يستحق ما يستحقه من أحسن صيام رمضان وقيامه، وهو مغفرة ما تقدم من ذنبه كما قال النبي ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»^(١).

أنا أدعو الله ﷻ أن يغفر لي ولكم جميعاً ما تقدم من ذنوبنا، فأنتم رابطتم طوال ثمانية وثلاثين يوماً لله ﷻ، لا لمخلوق ولا لدنيا، إنما رابطتم لله تبارك وتعالى، وليس أفضل من أن يعمل الإنسان عمله لله تبارك وتعالى، أنتم استحققتهم قرب نهاية هذا الشهر: ما يستحقه من صام رمضان وقامه، تستحقون ليلة القدر.

أي ليلة هي ليلة القدر؟

وليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، أو كما قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في كتابه (فتح الباري شرح صحيح البخاري) أن هناك

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٠١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

أكثر من أربعين قولاً في ليلة القدر: في أي ليلة هي^(١)؟ ولذلك نقول: هي أرجح ما تكون في العشر الأواخر.

وهناك عدد من الصحابة رأوا أنَّها تكون في ليلة السابع والعشرين من رمضان، لأنَّها ليلة عشرية، وليلة وترية، كان أبيُّ بن كعب رضي الله عنه يحلف أنَّها في ليلة السابع والعشرين^(٢)، وكذلك كان ابن عمر^(٣) وعدد من الصحابة يعتبرونها أنَّها ليلة السابع والعشرين.

وبعض العلماء يرون أنَّها قد تنتقل في الليالي الوترية من العشر الأواخر من رمضان في السنوات المختلفة، ففي سنة تكون في ليلة الواحد والعشرين من الشهر، وفي سنة تكون في ليلة الثالث والعشرين من الشهر، وفي سنة تكون في ليلة الخامس والعشرين من الشهر، وفي سنة تكون في ليلة السابع والعشرين من الشهر.

ونحن نرجو أن تكون هذه الليلة ليلة القدر ببركة هؤلاء المرابطين لله تبارك وتعالى، وقد رابطتم أيُّها الإخوة كل الليالي، فلكم أجرها إن شاء الله تبارك وتعالى.

الأمر بالصبر والمصابرة والمرابطة:

أيُّها الإخوة المرابطون، أنتم لكم فضل الصيام والقيام، والتلاوة والدعاء، والاستغفار والتهليل، والتحميد والتكبير، وذكر الله تعالى في شهر رمضان، ولكم فضل المرابطين في شهر رمضان، أنتم رابطتم في

(١) انظر: فتح الباري (٢٦٤/٤ - ٢٦٦).

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٦٢) (١٨٠).

(٣) رواه أحمد (٤٨٠٨)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

الشهر رباط المجاهدين، والنبى ﷺ قد ألحق بالرباط الذي أمر - الله تعالى به في كتابه حينما قال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. ألحق النبى ﷺ بهذا الرباط: أن يصبر المؤمن على ما يقاسيه فقال: «المؤمن بين خمس شدائد: بين مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يضلّه، ونفس تنازعه»^(١). فهو في جهاد دائم، في رباط نفسي مستمر.

والله تعالى أمرنا بالصبر، وأمرنا بالمصابرة لأنّ الآخرين يصبرون على باطلهم كما قالوا: ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ [ص: ٦]. وقالوا عن النبى ﷺ: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢]. هم يصبرون على الباطل، فعلينا نحن أن نصبر على الحق أكثر مما يصبرون على الباطل، أمرنا الله بالصبر، وأمرنا بالمصابرة، أن نغالب المصابرين.

معنى الرباط:

كما أمرنا بالمرابطة، والمرابطة أن نربط الخيول على حدود الأعداء، في الأماكن المخوفة، في أطراف بلاد الإسلام، وكان العلماء والصالحون، والعابدون والزاهدون يذهبون إلى هذه الأماكن ليرابطوا فيها؛ لأنّ أجرها أجر عظيم، والنبى ﷺ يقول: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»^(٢). خير من الدنيا وما فيها.

ولذلك ألحق النبى ﷺ بهذا الرباط العسكري كل عمل صالح يتغي فيه المؤمن وجه الله، حتى الوضوء إذا كان على مشقة، توضأ بماء بارد

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٣.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٢)، عن سهل بن سعد.

في ليل الشتاء القارس، والنبي ﷺ يقول: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(١). هذا الوضوء مع شدة البرد جعله النبي ﷺ من هذا الرباط.

المعتصمون في الميادين لهم أجر الرباط:

وأنا أقول: إنَّ الذين يرابطون في هذه الميادين - على ما فيها من المخاوف - لهم أجر الرباط في سبيل الله، لأنَّهم وجدوا إخوانهم قد قُتلوا من حولهم، لم يرتكبوا إثماً، لم يقتربوا معصية، لم يسيئوا إلى أحد، ولم تظهر منهم كلمة واحدة تسيء إلى أحد.. قتلوهم وهم رُكَّع ساجدون، قتلوهم وهم في الركعة الأخيرة من الصلاة، قتلوا أكثر من مائة عند الحرس الجمهوري، وقتلوا أكثر من مائة وعشرين عند المنصة في شارع النصر بمدينة نصر، وقتلوا من قتلوا في المنصورة، وقتلوا من قتلوا في الإسكندرية، وقتلوا من قتلوا في المحافظات، وآلاف جُرحوا وأصيبوا، لم يفعل هؤلاء شيئاً إلا أنَّهم ظلموا.

قتلهم الذين لا يخافون خالقاً، ولا يرحمون مخلوقاً، اجترؤوا عليهم وقتلوهم، من هم هؤلاء القتلة؟ للأسف هم الذين يُفترض فيهم أن يحرسوا الناس ويحموهم، هم الذين قتلوهم من رجال الجيش والشرطة، ومن يلتف بهم من البلطجية وأمثالهم، قتلوا هؤلاء.

ولكن الله ﷻ لا يضيع عنده عمل عامل: لا صلاح صالح، ولا ظلم ظالم، كلُّ سيجزيه الله تبارك وتعالى، سيجزي الله هؤلاء

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٥١)، وأحمد (٨٠٢١)، عن أبي هريرة.

القتلة، سينتقم الله من القاتلين، من عبد الفتاح السيسي، ومن محمد إبراهيم، ومن كل من معهم من الظالمين الذين يغطون على جرائمهم وعلى مظالمهم.

أنا أقول: إخواننا هؤلاء في ميداني رابعة والنهضة، وفي سائر الميادين والمحافظات، الذين يتعرضون لما يتعرضون له من المخاوف والمقاتل، ورأوا بأعينهم إخوانهم سقطوا من حولهم، رأى الرجل ابنه يُقتل وهو معه، وابنته وامرأته، وأخاه وأباه، وابن عمه وابن خالته، من الذين يقتلونهم؟ هم يقتلون أبناء مصر، وأبناء مصر هم إخوانكم.

حُرمة قتل النفس بغير حق:

ولذلك أنا أقول للإخوة في الجيش المصري، وفي الشرطة المصرية - إن كان قد بقي فيها رجال أحرار، عندهم ضمائر وعندهم قلوب - أقول لهم: حرام عليكم أي حرام، أشد حرام: أن تقتلوا نفسًا بغير حق، حرام عليكم أن تقتلوا إخوانكم وأبناءكم، وآباءكم وأمهاتكم، وأخواتكم وبناتكم، تقتلونهم وهم ليس معهم إلا المصاحف، ليس معهم شيء أبدًا، الذين يزعمون أن هناك أسلحة.

رأيت من يتكلم باسم الداخلية، ويهدد الذين يقفون في رابعة والنهضة وغيرهما، ويفتري عليهم بكلام كاذب فارغ: أن معهم أسلحة! ما رأيت أكذب من هؤلاء، إنهم يجلسون في خيم مفتوحة، ليس عندهم شيء مقفول عليه، كل شيء ظاهر للناس، كيف يكون عندهم أسلحة ونحن نراهم رافعين أيديهم خالية، ليس معهم إلا الله، وإلا الإيمان في قلوبهم، وإلا الذكر على ألسنتهم.

لا تزال أمتنا بخير:

هؤلاء إخواننا في ميدان رابعة العدوية، وفي ميدان نهضة مصر، وفي ميادين محافظات مصر المختلفة، حتى في صحراء سيناء، وفي الصحراء الغربية، رأينا هؤلاء والله، حينما تستمع إلى واحد منهم أو إلى مجموعة منهم: يمتلئ قلبك إيمانًا و يقينًا بأن الأمة لا تزال على خير، وأن الإسلام لا يزال على خير، وأن هذه الأمة أمة مرحومة وأمة منصور، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧٢، ١٧٣]، والله أمتلى إيمانًا حينما أستمع إلى واحد أو واحدة من هؤلاء، أو إلى بعض الصبيان من البنين والبنات.

هؤلاء يبذلون ويصبرون ابتغاء مرضاة الله:

هل هناك أحد يقاتل ومعه أولاده وبناته؛ فيعرضهم للخطر؟! قالوا: أخذوهم ليحتموا بهم. لا، بل قالوا لأهاليهم: نريد أن نأتي معكم. ليروا الجنود المجندة في سبيل الله، هؤلاء الناس الذين يصبرون ويصابرون ويرابطون؛ من أجل الله تبارك وتعالى، من أجل دين الله، من أجل مصر، كلهم يحبون مصر، يحبون وطنهم الذي نشؤوا فيه، ودرجوا فيه، وعاشوا فيه، وعاشوا له، لا يمكن أن يفرطوا في مصر، مصر التي قامت من أجلها ثورة من أعظم ثورات العالم، الثورة المعلّمة، رأينا الناس فيها يجوع أحدهم ليشبع أخوه، ويسهر أحدهم لينام أخوه، ويتعري أحدهم ليتغطي أخوه، ويتلقى الرصاص ليفدي أخاه، هذا ما صنعتها الثورة المصرية ثورة ٢٥ يناير.

الفرحة بالثورة لم تكتمل:

ولكن للأسف هذه الثورة التي سعدنا بها نحن المصريين، وخطبت خطبة النصر أهني المصريين، كل المصريين: مسلميهم ومسيحييهم،

ليبراليهم وإسلاميهم، رجالهم ونسائهم، شبابهم وأطفالهم، أغنيائهم وفقرائهم، رجال المدن ورجال الأرياف، رجال الصحارى ورجال الوديان، كل هؤلاء فرحوا بأن الله نصرهم بعد ثلاثين أو ستين عامًا، قضوها يعانون الظلم، ويعانون الاضطهاد، ويعانون التزوير، انتخابات تُزوّر على الملأ، الرئيس يأخذ ٩٩,٩٪، هذا كلام غير معقول!

المهم أن المصريين انتصروا وفرحوا، وهنأ بعضهم بعضًا بهذه الثورة، ولكن للأسف بعد أن أقاموا الثورة، وأقاموا دستورًا قامت عليه لجنة من كبار رجال الناس: من رجال القانون، ورجال الثقافة، ورجال المدنية، ورجال الشريعة، الرجال الذين يملؤون الدنيا علمًا وفهمًا وإيمانًا، ظلوا ستة أشهر يعملون ليل نهار؛ حتى صنعوا هذا الدستور، فإذا بنا بعد سنة واحدة نجد من يخرج علينا ليلغي حياتنا كلها، الحياة الديمقراطية، الحياة الدستورية، الحياة المدنية؛ ليحكمنا حكمًا عسكريًا، لا يستطيع أحد أن يتكلم معه بكلمة، يريدون أن تمشي الأمور كما يريدون.

سرقة الثورة عيانًا:

تصوروا أن الناس الذين في رابعة وفي النهضة، وفي العشرات من الأماكن في المحافظات: لا يعرف الناس عنهم شيئًا؛ لأنّ الإعلام يخفي هؤلاء عن الخلق، ويكذب عليهم كذبًا صريحًا مزورًا، زوّروا على الناس كل شيء، أهذا ما يريده المصريون؟ ثورة تعبنا من أجلها، وبذلنا ما بذلنا، وقُتل من قُتل، وجُرح من جُرح، وعُذّب من عُذّب، ثم تسرقون الثورة من أهلها بعد سنة واحدة؟

وليتهم صبروا سنة، إنهم لم يصبروا شهرًا واحدًا على الدكتور محمد مرسي، الذي انتخبه الناس بإرادتهم الحرة؛ باتفاق الجميع، ظلوا



يحاربونه: وزير الداخلية يحاربه وهو معه، ووزير الدفاع يحاربه وهو معه.. لا يصدق له، مع أنني سألت محمد مرسي عن هؤلاء العسكريين فأثنى عليهم، وقال: هناك ناس في الشرطة ليسوا مخلصين، ولكن هناك أناس آخرون طيبون. يثني عليهم ويظن فيهم خيرًا، لأن الإنسان الخير لا يظن بالناس إلا الخير، أمّا هؤلاء السيئون فهم سيئوا الظن بكل الناس، سيئوا العمل بكل الناس.

لم يصبروا سنة واحدة على محمد مرسي، وكان ما كان، عزلوا محمد مرسي، أخذوه في مكان لا يعرفه أهله، ولا يعرفه إخوانه، ولا يعرف المصريون جميعًا أين هو؟ حتى المرأة التي جاءت من الاتحاد الأوروبي وزارته ولبثت معه ساعتين قالت: ذهبت إلى مكان لا أعرف أين هذا المكان؟

زعم كاذب وادعاء باطل:

ألغوا الرئاسة التي انتخبها الناس بإرادتهم، ولا يجوز لأحد أن يلغي إرادة الناس، صندوق انتخابي لا يلغيه إلا صندوق انتخابي أقوى منه وأكثر منه، أمّا أن تأتي وتقول: الناس اجتمعوا وفوضوني! وزعموا أن ثلاثين مليونًا اجتمعوا في ميدان التحرير، وقد صنعت قناة الجزيرة عملاً علميًا جيدًا من الواقع، وذكرت أن الناس في مكة المكرمة في أعظم تجمع، وهو تجمع الحجيج في المسجد الحرام، بطوابقه الثلاث وساحاته المختلفة، وأعظم ما يكون اكتظاظًا في أيام الحج لا يزيد عن مليون ومائتي ألف، فكيف يزعم هؤلاء أنهم جمعوا ثلاثين مليونًا في هذا المكان؟ قالوا: إن الناس لا يمكن أن يزيدوا عن ثمانمائة ألف إلا قليلًا.

وكل المصريين في المحافظات الأخرى لا يزيدون عن أربعة مليون، لكن هؤلاء زعموا أنهم ثلاثين مليوناً! والعسكريون قالوا من أجل هذا: نحن فؤوضنا. قال السيسي: لم أطلب منكم شيئاً؛ لكن فؤوضوني في هذا الأمر. وفؤوضوه ليحكم البلد حكماً عسكرياً، ليسجن رئيس الجمهورية، ويلغي الدستور!

الأشياء التي استفتي الناس عليها وأفتوا فيها ألغوها بجرة قلم، الدستور استفتي فيه حوالي (٦٤٪)، أي حوالي ثلثي شعب مصر أقرّوا هذا الدستور، ثم ألغى هؤلاء هذا الدستور، وكلفوا عشرة لتعديل الدستور، ألغوا الأشياء الإسلامية أو الأشياء التي تعب الناس من أجلها، الدكتور محمد مرسي قال لهم: أنا مستعد لتعديل الدستور. ودعاهم إلى انتخاب مجلس الشعب، كان يمكن أن ينتخب هذا المجلس في أي وقت، لكن رفض هؤلاء العسكريون وأبوا إلا أن يحكموا مصر حكماً عسكرياً، كانت نتيجته المذابح والمجازر والمقاتل، التي لم ير الشعب المصري مثلها في أي عهد من العهود.

رسالة إلى المعتصمين في الميادين:

رسالتي الأولى إلى الإخوة في ميدان رابعة وميدان النهضة وميادين مصر: أن يثبتوا، ويتوكلوا على الله، ولا يتوكلوا على أحد سواه، ويعلموا أن الله تعالى معهم، ولن يتخلى عنهم، والله لو اجتمعت عليهم الدنيا كلها وهم مؤمنون بربهم، ومؤمنون بقضيتهم، ومؤمنون ببلدهم، ومؤمنون بمصيرهم لا يمكن لأحد أن يزحزحهم، وهذا ما رأيته في هؤلاء المؤمنين الصادقين.

رسالة إلى المصريين:

هذه رسالتي إلى هؤلاء، ورسالتي إلى المصريين من حولهم، كل المصريين، أنادي أبناء مصر في الصعيد وفي الوجه البحري، في القاهرة وفي الإسكندرية، في الصحراء الشرقية والصحراء الغربية، في المدن وفي الأرياف، المتعلمين والأُميين، الكبار والصغار، الرجال والنساء، أنادي الخيّرين منهم، أهل الإيمان، أهل الإسلام الذين يؤمنون بالله وبرسالته وباليوم الآخر، أدعو هؤلاء في هذه الليلة ليلة السابع والعشرين من رمضان، التي يُرجى أن تكون ليلة القدر، أدعو المصريين جميعًا أن يخرجوا من بيوتهم لينضموا إلى إخوانهم المرابطين، لا يتكاسل أحد إلا من عنده عذر، من كان مريضًا أو مشرفًا على مريض: أبٍ أو زوجٍ أو أمٍّ، أو أحدٍ من الأقارب، هذا له عذره، وكذلك من كان مشرفًا على شيء يحرسه، أمّا الذين لا عذر لهم أدعوهم جميعًا أن ينضموا إلى إخوانهم المرابطين.

إنّ انضمامهم إليهم يجعل القضية تنتهي، لو انضم المصريون الأحرار الأطهار الأبرار من كل فئة إلى إخوانهم هؤلاء، لو خرجوا من بيوتهم، يخرج الأب ومعه أولاده المميزون، ومعه امرأته ما دامت قادرة، وتخرج الأم ومعه أولادها وبناتها، يخرج الإنسان من بيته - وخصوصًا بعد المغرب - ويذهب إلى هؤلاء ينضم إليهم؛ ليكثر عددهم، فتكثير العدد فرض عين على كل مسلم يخشى الله ويخاف على إخوانه، إن كنت خائفًا على إخوانك أن يُقتلوا، وأن يأتي عناصر من البلطجية أو عناصر من الشرطة، أو عناصر من الجيش يجندونهم، مع أنّي أرى أن على رجال الجيش أن يمتنعوا عن هذا، صحيح أن كل أب أرسل إلى ابنه، وكل أم أرسلت إلى ابنها، وكل أخت أرسلت إلى أخيها في الجيش:

لا تقتل إخوانك. ولكن سيوجد من يستجيب لأولئك المضلين، ومن يرفع بندقيته أو سلاحه على إخوانه ويقتل.

أدعو المصريين جميعًا أن يخرجوا هذه الليلة: ليلة القدر، لتكون لهم خيرًا من ألف شهر، ليلة واحدة أفضل من ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، اخرجوا أيها المصريون، اخرجوا أيها المصريات، اخرجوا أيها الشباب، اخرجوا أيها الشيوخ، اخرجوا أيها الرجال، اخرجوا أيها النساء، احتشدوا في هذه الميادين، وصلوا وادعوا الله وأمنوا على دعاء الداعين، ادعوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الله أهل أن يستجيب لكم!

ادعوا الله تبارك وتعالى في هذه الليلة التي نسأله فيها العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، لنا ولأنفسنا، ولأبنائنا ولإخواننا ولأحبابنا، ولكل المسلمين في العالم، أدعو في رسالتي الثانية المصريين جميعًا، وقد دعوت الجيش والشرطة في رسالة ثالثة منفصلة.

رسالة للمسلمين في أنحاء العالم:

وأدعو في رسالة رابعة إخواني المسلمين في أنحاء العالم، في شرق العالم وغربه، وفي شماله وجنوبه، وفي كل القارات: في آسيا، وفي أفريقيا، وفي أوروبا، وفي الأمريكتين، وفي أستراليا، كل المسلمين في العالم يخرجون في هذه الليلة يدعون الله لأنفسهم وأحبابهم وإخوانهم: إخوانهم في مصر، وإخوانهم في سوريا، وإخوانهم في تونس، وإخوانهم في ليبيا، وإخوانهم في اليمن، وإخوانهم في العراق، وإخوانهم في فلسطين، وإخوانهم في الأردن، وإخوانهم في لبنان، وإخوانهم في المغرب، وإخوانهم في الجزائر، وإخوانهم في موريتانيا، وإخوانهم في الصومال، وإخوانهم في أثيوبيا، وإخوانهم في إريتريا، وإخوانهم في

الهند، وإخوانهم في الصين، وإخوانهم في ماليزيا، وإخوانهم في إندونيسيا، وإخوانهم في بنجلاديش، وإخوانهم في باكستان، وإخوانهم في أفغانستان، وفي كل مكان في أرض الإسلام.

أدعو المسلمين جميعًا: ادعوا لإخوانكم، صلوا لله تبارك وتعالى، وابتهلوا إلى الله بقلوب خاشعة، صلوا بقلوبكم الحاضرة، وثقوا أنَّ الله سُبْحَانَهُ يعلم السر وأخفى، أخفى من السر يسمعه الله، ويعلمه الله تبارك وتعالى، وهو عند ظن عبده كما جاء في الحديث الصحيح: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(١). الله أشد قربًا لنا من أنفسنا.

فيا أيُّها المسلمون في كل بلاد العالم اخرجوا من بيوتكم في هذه الليلة، حتى في البلاد التي فيها سفارات مصرية.. اذهبوا إليها، أبلغوها صوتكم، أبلغوها رسالتكم، أنكم تنكرون عليهم ظلمهم وافتئاتهم على إخوانهم، أنَّهُم أزالوا الحياة التي جاهدنا سنين حتى نصل إليها، فلما وصلنا إليها ضيعوها بعد سنة واحدة، أبلغوهم أنكم تنكرون عليهم هذا الظلم المبين، اذهبوا في بلاد أوروبا وأمريكا إلى هذه السفارات، وأبلغوا حجتكم إلى أهلها، فهذه رسالتي إلى إخواني المسلمين في أنحاء العالم في هذه الليلة المباركة، التي أسأل الله تبارك وتعالى أن تكون ليلة خير وبركة، ونصر وفتح على أمتنا الإسلامية، أنا أدعو الله لأمتنا العربية وأمتنا الإسلامية وأمتنا الإنسانية، نحن المسلمين نريد الخير للعالم كله.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم في التوبة (٢٦٧٥)، عن أبي هريرة.

رسالة إلى العالم الغربي:

وبهذا أقول رسالة للعالم الغربي: أوروبا وأمريكا ومن يتبعهما من العالم الغربي، الذي ينظر إلى نفسه أنه العالم المتقدم، أدعو هؤلاء جميعاً أن يتقوا الله في إخوانهم المرابطين في مصر، لا يقفوا مع الحكام الذين سرقوا الحكم من أهله، ضحكوا على الناس كما سمعنا من الناس الذين وقفوا في رابعة يقولون: أنا كنت ممن اجتمعوا في ثلاثين يوليو، وكنت أظن أننا نبحث عن الحرية، فإذا بنا تُسلب منا الحرية، ونعيش في بلد مستعبد مرة أخرى، نعود إلى العبودية من جديد. الناس ضلّوا وضُحك عليهم!

أنا أقول للغربيين وللشرقيين: يا أوروبيون، يا أمريكيون، يا أستراليون، يا يابانيون، يا صينيون، يا من ترون أنفسكم بأنكم الآن توجهون العالم، أقول: إذا كنتم مؤمنين بالله حرام عليكم دينياً، وإذا لم تكونوا مؤمنين بالله حرام عليكم أخلاقياً، إذا كنتم تؤمنون بالأخلاق وبالفضائل: حرام عليكم أن تقفوا مع الظلمة الذين سرقوا حرية الشعوب، وكرامة الشعوب، وحقوق الإنسان عند هذه الشعوب.

أقول لكم: إذا ظللتم تتعاملون مع هؤلاء الحكام المغتصبين؛ فوالله لن ينفعوكم بشيء، هؤلاء لا ذمة لهم، ولا ضمير لهم، ولا أخلاق لهم، لا يمكن أن يفوا بعهد عاهدوه، الذين يوفون بعهد الله وميثاقه هم الذي يخافون الله، ويؤدون الأمانات إلى أهلها، أمّا الذي أقسم بالله أمام رئيسه: محمد مرسي، على أن يعمل على طاعته واحترام أمره.. ثم يحنث في يمينه، ولا يخشى الله، وينقض عهده، فهذا هو النكث.

والنكث أحد ثلاث خصال يعاقب الله بها في الدنيا قبل الآخرة: النكث أو الغدر، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]، والبغي،

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]، والمكر، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

أيها الغربيون، الذين يصدقون معكم هم أهل الإسلام الحقيقيون، الذين يتعاملون مع الناس، وهم يراقبون الله ويخشونه، يعاملونهم بالضمير الديني الذي يرجو الله واليوم الآخر، ليس هناك أحى من هذا الضمير، أمّا ضمائر هؤلاء فضمائر ميتة قلما تصحو، أمّا الضمير الديني القائم على الإيمان بالله و﴿عَلَّكَ﴾، فهو الذي يخاف من الكلمة يقولها، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

أدعو الغربيين وأدعو الأمريكان خاصة أن يثقوا بأهل الإيمان، ولا يثقوا بأهل الإلحاد أو أهل الشك، أو أهل الضلال أو أهل الفسق، ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

أدعو العالم كله أن يتعاون مع الإخوة المصريين في بلادهم، الإخوة المصريون إخوة صادقون، ليسوا كاذبين ولا يتعاملون مع الكذابين.

خطورة الإعلاميين الفاسدين:

رأيت فئة هي أكذب الناس، فئة الإعلاميين المصريين غير الإسلاميين، هؤلاء كأنهم لا يؤمنون بأن هناك إلهاً، وكأنهم لا يؤمنون بأن هناك آخرة، وكأنهم لا يؤمنون بأن هناك موتاً ينتظرهم، ولا أن بعد الموت بعثاً، وبعد البعث حساباً، وبعد الحساب ثواباً وعقاباً، وجنة وناراً!

هؤلاء يكذبون على المصريين، لا يعرفونهم بما يصنع هؤلاء الإخوة الكرام البررة، الذين يرابطون في الميادين: يسألون الله، ولا يسألون

أحدًا، معظمهم فقراء من أبناء مصر، الذين يقولون: إنهم إخوان مسلمون. كيف والإخوان المسلمون قلة في هذه المجموعات، أصبحت المجموعة الكبرى مصرية وطنية، من يرى هؤلاء يؤمن بهذا.

الذين اجتمعوا في رابعة والنهضة وسائر الميادين هم المصريون، الذين غاروا على أنفسهم أنهم ضلّلوا، سُرقَت ثورتهم التي ضحوا بما ضحوا، وأخذ منهم ما أخذ.

ضرورة تقديم العون للمعتصمين:

أنا أدعو العالم كل العالم أن يثق بهؤلاء الإخوة المصريين، وأن يعمل معهم، وأن يؤيدهم بكل ما يستطيع، هم يحتاجون إلى كل شيء: يحتاجون إلى الطعام والشراب، ويحتاجون إلى الفراش والغطاء، ويحتاجون إلى الدواء الذي يحتاج إليه كثير من المرضى، ويحتاجون إلى المراحيض، ويحتاجون إلى المحامين الذين يدافعون عن الذين يؤخذون منهم ويخطفون، وإلى من يدفع الآلاف التي يطلبها رجال القضاء!

انتشار الفساد بين القضاة:

وللأسف أنني وجدت كثيرًا من رجال القضاء، لم يصبحوا القضاة الذين كنا نحبههم ونحترمهم في الزمن الماضي، هناك لا شك عدد لا بأس به من القضاة الذين حين يراهم الإنسان يشعر أن هناك قضاة يخافون الله، ويحسبون حساب الآخرة، ولكن هناك قضاة يعملون للدنيا، لإرضاء الحاكم، لإرضاء العبد ونسيان الرب، لإرضاء المخلوق ونسيان الخالق، لإرضاء الدنيا ونسيان الآخرة، أقول لهؤلاء ما قال الشاعر:

إذا جَارَ الأميرُ وحاجباه وقاضي الأرضِ داهنَ في القضاءِ
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لقاضي الأرضِ من قاضي السماءِ^(١)
قضاة الأرض ينتظرون قضاء السماء العادل، هؤلاء الذين لا يخافون الله
يجورون على الضعفاء لحساب الأقوياء، وعلى الفقراء لحساب الأغنياء،
على حق الله لحساب هؤلاء الظلمة، فلينتظروا من الله ما ينتظرهم!

اعدلوا هو أقرب للتقوى:

أيُّها الإخوة في رابعة العدوية، أيُّها الإخوة في ميدان النهضة، أيُّها
الإخوة في ميادين مصر كلها، أيُّها المسلمون في أنحاء العالم، أيُّها العالم
الحر الذي يقف مع الحق لا مع الباطل، مع العدل لا مع الظلم أيُّا كان
أصحابه، هو مع الحق ولو كان الظالم أباه أو أمه، يكون ضد أبيه وأمه،
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾
[النساء: ١٣٥]، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

هذا هو شأن الإنسان المؤمن، من يؤمن بالله، ومن يؤمن بالقرآن، ومن
يؤمن برسالة محمد ﷺ، وقد علمنا محمد ﷺ مكارم الأخلاق، قال: «إياكم
والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار،
ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب؛ حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٢).

(١) انظر: تاريخ ابن أبي خيثمة (١٠٠١/٢)، تحقيق صلاح بن فتحى هلال، نشر الفاروق الحديثة
للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٩٤) مختصراً، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠٧)، عن
ابن مسعود.

والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥]. المؤمن لا يكذب أبداً، ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى ﴾ [طه: ٦١]، لن يفلح من يفتري الكذب أبداً، سيخيب، سيضل الله سعيه، وسينجح سعي المؤمنين الصادقين.

يا إخوتي وأحبتي في ميادين مصر، الله معكم، وملائكته معكم، والمؤمنون في أنحاء العالم معكم، والأحرار في الدنيا كلها معكم، وقلبي معكم، ولساني معكم، ويدي معكم، والله معكم ولن يترككم أعمالكم.

اللهم يا ربنا يا رب العالمين، ويا مذل المتكبرين، ويا قاصم الجبارين، تقبل دعاءنا، وأجب نداءنا، وانصر إخواننا، اللهم انصر إخواننا في رابعة وفي النهضة، وفي سائر ميادين مصر، وانصر إخواننا في البلاد العربية والبلاد الإسلامية جميعاً، انصر المضطَّهدين والملتَحنين، وخذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر، أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم رد عن المسلمين كيدهم، وفل حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات، وأيها الأبناء والبنات ورحمة الله وبركاته.





كلمة في أعقاب مجزرة رابعة والنهضة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه
ومن اتبع هداه، وبعد:

فإنني أتحدث اليوم عن هذه المجازر الهائلة، التي حدثت في بلدنا
العزیز مصر، لا لشيء إلا لفض هذه الاعتصامات التي قامت منذ خمسة
وأربعين يومًا، لم تؤذ أحدًا، ولم يُصَب أحد منها بأي سوء، كانت تقوم
على ذكر الله تبارك وتعالى، وعلى العلم النافع والعمل الصالح، تصلي
الفرائض جماعة، وتصلي صلاة التراويح والقيام وصلاة التهجد خلال
شهر رمضان، وظلت بعد ذلك لم يشكو أحد منها أنه أصابه سوء، ومن
قبل قامت المذابح هناك حول الحرس الجمهوري، وحول المنصة، وفي
الإسكندرية وفي المنصورة، وفي غيرها من المحافظات.

مجازر النظام العسكري المصري:

والذي قام بهذه المذابح هو النظام العسكري الحاكم الذي فرض
نفسه على المصريين، ونقض عهد الله من بعد ميثاقه، وقطع ما أمر الله به

(١) أُلقيت عقب مجزرة رابعة والنهضة، بتاريخ ١٤ أغسطس ٢٠١٣م، وبثتها قناة الجزيرة مباشر.

أن يُوصل، هذا النظام الذي عزل الرئيس المصري - الذي انتخبه المصريون بإرادتهم الحرة - عزله الفريق عبد الفتاح السيسي، الذي رأيناه وسمعناه بأعيننا وآذننا يقسم أمامه بأنه سيطيع، ويعمل بكل ما يأمره هذا الرئيس، لكنّه خلع هذا الرئيس، ونقض الدستور الذي اختاره أربعة وستون في المائة (٦٤٪) من المصريين، ونقض كذلك مجلس الشورى، وفرض نفسه على هذا البلد.

انقلاب غير مقبول:

وقد قلنا من أول يوم: إنّ هذا حكم لا بقاء له، لا شرعاً ولا واقعاً؛ لأن مصر منذ قامت بثورتها في ٢٥ يناير ٢٠١١م. وانتصرت هذه الثورة وأقامت النظام الديمقراطي: لا ترضى أن تلغي هذا النظام الجديد.

بعد ستين سنة حكمها العسكريون في مصر: وصلت مصر الثورة إلى هذا النظام الجديد، فكيف يُعزل هذا النظام، ويُنقض بعد سنة حكم فيها محمد مرسي؟ هذا ما لا تقبله مصر أبداً.

نظام يفرض نفسه بالقوة:

ولكن هذا النظام العسكري فرض نفسه بالقوة على المصريين، ولا زال يهدد هذه الاعتصامات الهائلة، التي جمعت الملايين حقيقة. فالملايين لم تثبت ست ساعات في ميدان التحرير؛ كما فعلوا في ٣٠ يونيو، ولكنها ظلت خمسة وأربعين يوماً مصرة على عهدها، مصرة على أن تعيد الأمور كما كانت، ولكن هذا النظام المستكبر في الأرض، المتجبر على خلق الله، الظالم للناس: أبى إلا أن يقتل المصريين مرة أخرى، ولكن بعدد أكبر، وبقوة أعظم، فجمع الجيش والشرطة، والقناصة

والطائرات من فوق؛ ليقتل المصريين في ميدان النهضة بالجيزة، وفي ميدان رابعة العدوية، يقتل بشراسة!

هذا النظام الذي ترك الإسرائيليين يدخلون مصر، ويقتلون المصريين في سيناء - ولم يسعَ إلى ردهم - قتل المصريين بالمئات، وجرح بالآلاف في رابعة والنهضة، ولا يعرف أحد بالضبط في هذه اللحظة كم قُتل من المصريين، لأن القتلى لا يُعرفون، وقتل ببشاعة، قتل بالرصاص الحي، وقتل عن طريق القناصة، وقتل عن طريق الطائرات، كأن هؤلاء ليسوا مصريين.

هؤلاء الذين ارتكبوا هذه المجازر لا بد أن يجزيهم الله بما عملوا، هذه مجازر فظيعة، ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، والنبي ﷺ يقول: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حق»^(١). هذا عن مسلم واحد، فكيف بمن قتل المئات؟ بعض الناس يقولون: لا ندري هي مئات أم آلاف؟ لأنها لم تحصَ حتى الآن.

ولذلك أدعو المصريين أن يقفوا أمام هذه المقاتل والمجازر الهائلة في إخوانهم المصريين، هذا ليس قتلاً للإخوان المسلمين وحدهم، إن الذين اجتمعوا في ميدان رابعة، وفي ميدان النهضة، وفي ميادين عدة في سائر محافظات مصر: في القاهرة، وفي الإسكندرية، وفي صحراء سيناء، والصحراء الغربية، وفي القرى والمدن والأرياف هم مصريون من كل الفئات، هؤلاء قتلوا المصريين جميعاً.

(١) سبق تخريجه ص ٥٢٦.

دعوة المصريين للتضامن مع الضحايا:

وأنا أدعو كل المصريين، كل مصري يؤمن بالله واليوم الآخر، مسلماً كان أو مسيحياً، وأدعو كل مصري رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن منهجاً وبمحمد نبياً ورسولاً، أدعو كل علماء الأزهر وهم بمئات الألوف، وقد قُتل من علماء الأزهر والأوقاف حوالي خمسون شخصاً، وأدعو رجال النقابات: الأطباء، والمهندسين، والصيادلة، والمحامين، والصحفيين، والمعلمين، والعلميين، والزراعيين، وكل التخصصات، وأدعو العمال والفلاحين.

أدعو كل المصريين، أدعو كل العائلات المصرية: أن تخرج من بيوتها، حرام عليهم أن يبقوا في البيوت هذا اليوم، لا بد أن يخرجوا خصوصاً بعد العصر، يخرجون إلى الشوارع، وينضمون إلى إخوانهم، على كل واحد أن يخرج مع زوجته وأولاده وبناته وأحفاده. ومن كان لا يقدر من الآباء الكبار والأمهات العجائز؛ فليأمر أولاده وأحفاده ليخرجوا، على الجميع أن يخرج، لن يموت أحد منهم قبل أجله، الأعمار أيام معدودة وأنفاس محدودة، لا يستطيع أحد أن يقدم أجل أحد يوماً ولا ساعة ولا دقيقة، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

أدعوهم جميعاً أن يخرجوا ليكثروا إخوانهم، رأيتهم يؤيدون من يتظاهرون في الطرقات، لا يكفي هذا، انزلوا في الشوارع، أروا هؤلاء العسكريين أنكم مع إخوانكم، لا يجوز لأحد أن يتردد بعد اليوم، فرض عين على كل مصري قادر يؤمن بالله وبرسالته أن يخرج من بيته، نريد من الجميع أن يخرجوا ليروا الناس أنهم غير راضين عما يجري، غير راضين عن قتل الأنفس، وإزهاق الأرواح بالمئات وبالألاف، إسالة الدماء كأن الناس صراصير أو فئران، هذه أنفس بشرية محترمة لا يجوز لأحد أن يقتلها!



نقطة سوداء في عهد مظلم:

الذين هنؤوا الجيش والشرطة بما فعلوه إنَّما ينبغي أن يعزّوهم، إنَّما ارتكبوا مجازر هي من الموبقات الماحقة، سيحاسبهم الله عليها ويأخذهم بها، ولن يغفرها المصريون لهم، ولن يغفرها التاريخ لهم، هذه نقطة سوداء في هذا العهد، عبد الفتاح السيسي، ومحمد إبراهيم، والبلاوي، وعدلي منصور، والبرادعي: كل هؤلاء مشتركون في هذه الجريمة، من لم يتحرر منها ويستقل مما هو فيه سيسأله الله تعالى، وسيسأله الشعب.

أنا أدعو المصريين - كل المصريين - أن يخرجوا للتنديد بهذه الجريمة الكبرى التي لم يحدث مثلها في تاريخ مصر، لا في العهد الفرعوني، ولا في العهد الهكسوسي، ولا في العد الروماني، ولا في العهد الفارسي، ولا في عهود المماليك، ولا في العهود الحديثة، لم يحدث مثل هذه المجازر الهائلة التي تراق فيها دماء المصريين!

دعوة الهيئات الإقليمية والعالمية لمساندة الحق:

أنا أدعو الجامعة العربية، وأدعو منظمة التعاون الإسلامي، وأدعو الاتحاد الإفريقي، وأدعو هيئة الأمم المتحدة، وأدعو مجلس الأمن، وأدعو كل هيئة في العالم قادرة على أن تقف مع الحق وعلى أن تبطل الباطل: أن تنادي هؤلاء الجزائريين أن يكفوا عن إراقة دماء المصريين.

وأنا أدعو العرب والمسلمين في أنحاء العالم، كما أدعو المصريين جميعًا في يوم الجمعة القادم ١٦ أغسطس أن يجعلوه يوم غضب على هذه المجازر، أناديهم باسمي وباسم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين: أن

يخرجوا للتعبير عن غضبهم، فهذا هو شأن الأمة المسلمة، وهي أمة واحدة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْرِكُونَ النَّجْمَ فَلِكُمْ عَلَيْهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

الدعاء على الظالمين المتكبرين:

يا أيُّها الإخوة في مصر، يا أبناء مصر الأحرار الشرفاء، أناديكم جميعاً، وأنادي أبناء الأزهر الحر، الأزهر الشريف، أنادي كل المصريين وكل العرب والمسلمين: أن يقفوا ضد هذا الخطر، والله ﷻ يسجل كل شيء، ويرصد كل شيء، لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية.

أدعو الجميع أن يدعوا الله على هؤلاء الظالمين، أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وأن يُنزل عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

أن يدعوا الله على هؤلاء: أن ينتقم منهم، وأن يرد كيدهم في نحورهم، وأن يعيد سهامهم إلى صدورهم، وأن يحرر إخواننا الذين قاموا لله: لا لدنيا ولا لجاه ولا لمال، وإنما قاموا يطلبون الحرية، يطلبون الديمقراطية، يطلبون العدالة الاجتماعية، يطلبون لأبناء بلدهم مصر العزيزة الحرة الشريفة: الخير والحرية والرفاهية، أسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك لهم، وأن يحفظهم من كل سوء، وأن يأخذ الظالمين أخذاً أليماً شديداً، إنه سريع الحساب، شديد العقاب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

واقعنا المعاصر.. كيف نفهمه ونعيشه؟^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذِي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، وبفضله تنزَّلُ الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقَّقُ المقاصد والغايات، الَّذِي هَدَانَا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أَن هَدَانَا اللهُ، وَأَزَكَّى صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّمِ الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرُّشد، وقائد الخلقِ إلى الحق، ومُخرجِ الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبیبنا ومُعَلِّمنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أَحْيَيْكُمْ به أَيْهَا الإخوة والأخوات تحيَّةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(أَمَّا بعد)

فإنَّه - والله - ليسُرَّنِي أَن أَلْتَقِي بهذه المجموعة من الإخوة والأخوات، من الشيوخ والشباب، من أنحاء الأرض المختلفة، الَّذِينَ يتحدثون عن واقع هذه الأمة، كيف نفهمه، وكيف نعيشه؟

(١) أُلْقِيَت بالمؤتمر العالمي السابع لمنظمة فور شباب، بإسطنبول، تركيا، بتاريخ ٣٠ يوليو ٢٠١٦م.

يسرني أن ألتقي بكم هنا في تركيا، في البلد الذي انتصر على البطش والظلم، والطغيان الذي يعمل في الخفاء بعيداً عن الناس، يعمل لكي يسير الناس في الظلام، غير عارفين إلى أين يسرون؟! كانوا يسرون في الصباح حيث يرى الناس فيه أنفسهم وغيرهم، ويرون ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم؛ فإذا بهم فجأة يُراد تغيير هذه الدنيا، كأنه ليس في الدنيا شيء مستقر، لا حق ولا باطل، ولا صدق ولا كذب، ولا جد ولا هزل.

لا بدّ للحقّ أن ينتصر:

ولكن الله ﷻ بيّن لنا أنّ الحقّ لا بدّ أن ينتصر، وأنّ الباطل لا بدّ أن يندحر، وأنّ تركيا بحقها وصدقها، وجدها وعملها، ستبقى مستمرة إن شاء الله. انتصر أخونا وحبينا رجب الطيب أردوغان، الذي يحبه الأتراك، ويحبه العرب، ويحبه الهنود، ويحبه الماليزيون، ويحبه الإندونيسيون، ويحبه الأفارقة، ويحبه كثير من الناس في كل مكان، لماذا يحبونه؟ لأنّه يعمل للحق، يعمل لله، يعمل للشعب، يعمل للناس، فكان لا بدّ أن ينتصر، فنحن نهني أنفسنا، ونهني تركيا، ونهني الناس جميعاً على هذا الانتصار.

يا أيّها الإخوة؛ حتّى أمس - في مثل هذا الوقت - ما كنت أعرف فيم أتكلّم؟ قالوا لي: دعاك الدكتور علي حمزة العمري إلى هذا المؤتمر لتحدث عن واقعنا المعاصر، كيف نفهمه، وكيف نعيشه؟ فنحن نريد أن نتحدث عن واقعنا نحن، نحن العرب والمسلمين، نحن الأمة والدولة.

قد يفهم البعض من كلمة الواقع واقعه هو، كالقوميين العرب حين ينظرون إلى واقعهم، والدنيا ليست عرباً فقط، لكننا نتحدث عن

واقعا نحن المسلمين، الذين يُقدَّرُون بمليار وسبعمائة مليون، وهذا تقدير الغربيين، وهم حريصون على تقليل عدد المسلمين بقدر الإمكان.

أول ما ذهبت إلى قطر كان الصينيون يزوروننا ويقولون: إن عدد المسلمين هناك أربعة عشر مليوناً. والآن أوصلوهم إلى عشرين مليوناً، مع أن الأمير شكيب أرسلان في عرضه لكتاب (حاضر العالم الإسلامي)، الذي ترجمه عجاج نويهض، وكان الكتاب يتحدث عن المسلمين في كل أنحاء العالم، وتحدث عن المسلمين في الصين وقال: إنهم يبلغون خمسين مليوناً. هذا من أكثر من ثمانين سنة، في الوقت الذي كنت فيه طالباً في المدرسة الإلزامية كانوا يقولون: مصر الآن خمسة عشر مليوناً. وقد صارت الآن تسعين مليوناً، فكم يبلغ الخمسين مليوناً في ثمانين سنة؟

كيف يعرف الإنسان واقعه؟

على كل حال إذا افترضنا أن عدد المسلمين الذي يقدر بمليار وسبعمائة مليون هو عدد صحيح، فهؤلاء المسلمون يريدون أن يعرفوا كيف يفهمون، وكيف يعيشون؟ لا بد أن يعرفوا أنفسهم، ولكي يعرف الإنسان واقعه، لا بد أن يعرف كيف يقرأ الواقع؟ فالقراءات تختلف أيضاً، كل واحد يقرأ الواقع برؤية معينة، حسب نظريته للحياة، وللعلاقات، وللناس بعضها مع بعض.

على كلٍّ؛ إذا كان العالم يُقرأ، وتُشاهد وقائعه وأحداثه، فكيف نشاهد هذه الأحداث، وكيف نستفيد منها، وكيف نتعلم منها، وكيف نتعايش معها؟

لا بدّ أن نعرف واقعنا المعاصر، ومعنى أنّه معاصر أنك تعيشه، تعيش فيه، لست بعيداً عن هذا الواقع؛ لأن الواقع يفرض عليك نفسه، مهما قلت: إنك متصوف، أو راهب، أو بعيد عن العالم. فإن العالم ليس بعيداً عنك، بل يتدخل في حياتك كلها، ويؤثر فيها، ولذلك كان لا بد لمن يعيش في هذا الواقع ويعاصره أن يعرفه.

قد يكون الواقع وطنًا، فإذا كنا في تركيا نريد أن نعرف هذا الوطن، وإذا كنا في مصر نريد أن نعرف هذا الوطن، في وقت من الأوقات كان المصري يقول: مصر والسودان، أو مصر والبلاد العربية. فهل واقع الأمة العربية هو المقصود؟ إذا كنا نتكلم بلسان الأمة فلا بد أن نحضرنا الأمة الإسلامية باعتبارنا مسلمين، فلا حياة للمسلمين إذا لم يستحضروا الأمة.

واقع الأمة الإسلامية:

ونحن المسلمين أمة كما قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. كأنما يشير إلى أنّ العبادة لا تقبل، والتقوى لا تتحقق إلا بوجود أمة، والإسلام يحرص على هذه الأمة.

وأنا أقول: الأمة الإسلامية موجودة. ولي كتاب بعنوان (الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم)، هي حقيقة موجودة، الشعوب الإسلامية في أنحاء العالم، أي مسلم موجود في أي مكان في العالم لا بد أن يحيا بحياة الأمة، فحينما أصاب البوسنة ما أصابها لم يعيش العالم الإسلامي بعيداً

عنها، ربما كانت لأنظمة الدول ظروف مختلفة، لكن الشعوب الإسلامية يحس بعضها ببعض، يحسون بأفراح الأمة وآلامها، يحسون بواقع الأمة، عندما يصيبها ما يصيبها.

لا بدّ إذاً أن نعرف واقع الأمة الكبرى عندما نريد أن نعرف الواقع المعاصر، بعض الناس يقول: أنتم تهولون، فما دخلنا في معرفة واقع مليار وسبعمائة مليون؟ ونسوا أن هذه شعوب عاشت أمة واحدة منذ عهد الراشدين إلى الأمويين، إلى العباسيين، إلى العثمانيين، إلى أن سقطت الخلافة سنة ١٩٢٤م. كانت هذه الشعوب جميعاً تعيش في بلد واحد، كان الناس يقرؤون في الصحف ما يجري في تركيا وهم مهومون بها، كانوا يظنون أن أتاتورك من عظماء الفاتحين، والأبطال المسلمين، وفي أحد المعارك كتب شوقي، وهو شاعر الأمة الإسلامية في ذلك الوقت:

الله أكبر كم في الفتح من عجبٍ يا خالد الترك جدّد خالد العرب^(١)

خالد الترك كان هو أتاتورك في ذلك الوقت، وما هي إلا مدة بسيطة؛ وانكشفت حقيقة الرجل، وانقلب العرس إلى مأتم، حينما ألغى الخلافة، وألغى كل شيء، وألغى حتى الكتابة بالحروف العربية، وألغى الأذان بالعربية، فقال شوقي أيضاً قصيدته الشهيرة:

عَادَتْ أَغَانِي الْعُرْسِ رَجْعَ نَوَاحٍ وَنُعِيَتْ بَيْنَ مَعَالِمِ الْأَفْرَاحِ
كُفِّنَتْ فِي يَوْمِ الزَّفَافِ بِثَوْبِهِ وَدُفِنَتْ عِنْدَ تَبْلُجِ الْإِصْبَاحِ
ضَجَّتْ عَلَيْكَ مَآذِنٌ وَمَنَابِرُ وَبَكَتْ عَلَيْكَ مَمَالِكُ وَنَوَاحِ
الْهِنْدُ وَالْهَيَّةُ وَمِصْرُ حَزِينَةٌ تَبْكِي عَلَيْكَ بِمَدْمَعٍ سَحَّاحِ^(٢)

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).

(٢) انظر القصيدة كاملة: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٥/١ - ١٠٩).

الواقع العالمي المعاصر:

أنا أريد أيُّها الإخوة أن أقول: مَنْ يريد أن يعرف عالمنا المعاصر؛ فلا بد أن يعرف هذا العالم، لا تظن أنك مصري محكوم في إطار جغرافي، ولا علاقة لك بالعالم العربي، ولا بالعالم الأفريقي، ولا بالعالم الآسيوي، ولا بالعالم الأوروبي، لا؛ بل طالما كنت مسلمًا فإن لك علاقة بأي مسلم في أي مكان، ولا يمكن أن تفصل نفسك عنه، ولا أن يفصل نفسه عنك، هذا عن تحديد المقصودين بمعرفة واقعهم.

أمّا عن الواقع المعاصر نفسه، فالإسلام يفرض علينا أن نعرف واقعنا، فأنت لا تعيش في هذا العالم من أجل أن تصلي فقط، ولا تدري ما يُراد منك في هذه الدنيا، ماذا تريد أن تفعل؟ ماذا تريد أن تبني؟ ماذا تريد أن تقدم من خير للعالم من حولك؟ العالم يريدك أن تقدم له ما تستطيع، هذا ما جاء به محمد ﷺ.

مقاصد خلق الإنسان:

لقد خلق الله الإنسان لمقاصد أساسية، والإمام الراغب الأصفهاني ذكر هذه المقاصد الأساسية، التي من أجلها خلق الله الإنسان، فقد خلقه ليعبده، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وتشمل العبادة كل ما يحبه الله ويرضاه، وما ينفع الناس، فليست العبادة فقط في أن تصلي وتصوم وتسبح، وتعيش منعزلًا عن الحياة!

كما خلق الله الإنسان ليقوم بالحق والخير في هذه الدنيا، أن تقوم بالخلافة، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿وَيَسْتَخْلَفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، فالله استخلفك ونوّبك في

الأرض، ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، فالقيام بالخلافة في الأرض هو مما طلبه الله من الإنسان.

وقد خلق الله الإنسان ليعمر الأرض، كما قال تعالى على لسان سيدنا صالح عليه السلام: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]. والسين والتاء في ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ تفيد الطلب في اللغة العربية، أي طلب منكم أن تعمروا الأرض: أن تبنيوها، وتزينوها، وتُجملوها، وتزرعوها؛ فلا تهملوها، بل أحيوها، واجعلوها خضراء، كلما تمشي تجد حولك الخضرة والنضرة والهواء النقي، وهذا يوحي بأن لهذا الكون إله عظيم يُسير هذه الأرض، حتى تكون واحدة لأهلها، فكلما تعمّر الأرض تقترب من الله تبارك وتعالى.

عمارة الأرض:

هذا ما ينبغي للمسلم أن يعرفه، أن يعمل على أن تكون الأرض للناس، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٣]. ذكرت كلمة ﴿لَكُمْ﴾ خمس مرات، فالله سبحانه لا يأكل من هذا الرزق ولا ينتفع به، ولا ينتفع به ملائكة ولا جن؛ بل خلقها جميعاً لكم!

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، فينبغي على الإنسان أن يعمل في هذه الأرض، فالله تعالى خلق الإنسان ليكون عاملاً، لا نائماً، ولا منعزلاً، وفي الحديث: «لا رهبانية في الإسلام»^(١)، والقرآن حينما تحدث عن

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١١/٩): لم أره بهذا اللفظ. وأخرج ابن قتيبة في غريب =

الرهبانية ذكر أنها من صنع المسيحيين الذين اخترعوها، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، أي إنهم اخترعوها لكنهم لم يؤدوها تمامًا.

توازن الإسلام:

أمّا الإسلام فقد جاء بالتوازن، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أمة متوازنة، تجمع بين الدين والدنيا، والجسم والروح، والعقل والعاطفة، تعطي كل شيء حقه، ليس هناك شيء في الإسلام لا يأخذ حقه إطلاقًا، وإذا وقع الإهمال فهو من الإنسان، أمّا الإسلام فلم يأت بإهمال أي شيء، فللعقل حق، وللقلب حق، وللجسد حق، وللروح حق، وللسمع حق، والبصر حق، ولليد حق، وللرجل حق، لكل شيء حق.

فعليك أيها الإنسان أن تعمل في هذه الأرض إذا كنت تريد أن تعيش واقعك المعاصر، تصابحه وتماسيه، هذا الواقع ليس بعيدًا عنك، أنت في قلبه، هذا هو الإسلام.

وحينما فهم المسلمون هذه الحقيقة كانت الدنيا لهم، حينما علم الصحابة رضوان الله عليهم هذه الحقيقة من القرآن والسنة كانوا يعملون، تجارًا وزرّاعًا، وصنّاعًا، وانداحوا في الأرض سائحين يعمرونها، يعطون كل ذي حق حقه.

= الحديث (٤٤٤/١) عن طاووس مرفوعًا: «لا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة في الإسلام». وروى عبد الرزاق (١٥٨٦٠) من طريق ابن جريج، عن طاووس مرفوعًا: «ولا ترهب في الإسلام». قال الحافظ: وهو مرسل.

وفي الحديث المشهور قال النبي ﷺ: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها»^(١). تأمل؛ الساعة تقوم وفي يدك شتلة نخيل، وتريد أن تزرعها، فإن استطعت أن تزرعها فافعل، ولماذا تزرعها ولن يأكل منها أحد، ذلك لكي تعطي للحياة حقها، أنك تظل تعمل إلى أن تلفظ آخر أنفاسك، ليكون العمل هو آخر عهدك بالحياة، هكذا يعلمنا الإسلام.

الواقع ليس قطعة أرض جغرافية فقط:

هذا ما نريده من المسلمين إذن عندما ننظر إلى هذا العنوان (واقعنا المعاصر، كيف نفهمه وكيف نعيشه؟)، فليس المقصود بالواقع المعيش قطعة أرض صغيرة تعيش عليها، أو بيتًا تسكنه، بل أنت تعيش مع آخرين، تتجاوزون معًا، والنبي ﷺ يقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان؛ يشدُّ بعضُهُ بعضًا»^(٢). فالمسلم لا يعيش وحده؛ بل يعيش في مجتمع، في أمة، أنت بغيرك، وغيرك بك، واهمُّ من يظن أنه يمكن أن يعيش وحده، وفي الفلسفة الإسلامية قصّة مشهورة لابن طفيل، قصّة حيّ بن يقظان، تؤكّد على هذا المعنى.

ولذلك أقول: إذا كنّا نريد أن نعرف قيمة هذا الوطن، وما فيه من خيرات، كثيرًا ما ننظر إلى وطننا على أنه خراب، فإذا الغرباء يأتون إليه فيكتشفون خيراته، ونحن أهله لم نستطع أن نستفيد منه، وأن نستغل

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٤٣.

ما فيه من خيرات لهذه الأمة، وقد أعطى الله كل أرض خيراتها، حتى الصحراء التي ظنَّها البعض قديمًا خالية من الثروات، اكتشف فيها كثير من الخيرات: المعادن، والبترو، والرمال نفسها، وأصبح الناس يتقاتلون على ما فيها، انظر إلى تركيا؛ حباها الله بالجبال والبحار والزروع، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِيَّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، فالأرض مليئة بالأقوات ولكن لا ندعها لغيرنا، علينا نحن أن نبحث في بواطن هذه الأرض؛ نعرف ماذا فيها، ونمكن أبناءنا من أن يستفيدوا منها، ولا نتركها لغيرنا لينهب خيراتها، الظاهرة والمذخورة، ونحن عنها غافلون!

إنَّما المؤمنون إخوة:

نريد أيُّها الإخوة أن نستفيد من بلادنا، هذه البلاد التي كانت تسمَّى الأمة الإسلامية، من المحيط إلى المحيط، كانت هذه الدنيا يتمتع بها المسلمون، فعلينا أن نعرف أن هذه بلادنا، ونحن جميعًا أولى بها، أن نعرف أننا لسنا أعداء لماليزيا، ولا لباكستان، ولا لتركيا، فقد أصبح هناك الآن مَنْ يحاربون المسلمين للأسف.

هناك أناس من أبناء المسلمين صاروا يحاربون إخوانهم المسلمين بأيديهم، أين العلماء الذي يُفهمون هؤلاء الناس أن هؤلاء المسلمين ليسوا أعداءهم، كما تفعله ما تسمى بداعش من مصائب، فتقتل المسلمين، بأسلحة المسلمين، وبأيدي أبناء المسلمين، كل هذا لا يجوز، فالوطن بمعناه المعاصر صار يُستغل لإشعال العداوة ضد أبناء المسلمين في بلادهم المختلفة.

كيف تكون خيرات الأمة لأبنائها؟

لا بد أن نعرف كيف نستفيد من أوطاننا بأبنائنا؟ كيف يعمل أبنائنا لمصلحتنا؟ كيف لا يستغلهم الآخرون ليقتلونا؟ فلا بد لمن يعمل

للإسلام أن يعرف كيف يعمل لأرض الإسلام؟ اعرف أرضك أولاً، ازرع أرضك، ونمّ أرضك، الأرض لك فلا تضيّعها، لا يجوز أن تكتفي بالزراعة فتحتاج إلى ما يصنعه غيرك، ولا أن تكتفي بالصناعة فتحتاج إلى ما يزرعه غيرك، لا بد أن تعمل الأمة على الكفاية الذاتية الشاملة.

لقد صار في الأمة الإسلامية مَنْ يتعلم من غير المسلمين، لا ليفيد أمته بعلمه، بل ليفيد غيرها به، يقول بعضهم: نحن لم نستفد من بلادنا؛ إن حكامها يأكلون خيراتها. ولهذا يعطون لغير أبناء بلادهم ما حصلوه من علم، ويتركون أبناء بلادهم التي قضوا فيها أعمارهم.

انتفاع الأمة بعلمها:

فلا بدّ أن نفهم واقعنا المعاصر، وأن يكون فهمنا مفيداً، لا أن يكون حبراً على ورق، بل يجب يكون فهمنا للواقع مفيداً، نستفيد منه، ونفيد الأمة به، ولذلك حينما كان المسلمون هم الأمة الأولى في العالم أقاموا حضارة شامخة رائدة، كان العلم فيها نافعا، لم يكن علماً جدلياً عقيماً؛ كما كان في بلاد اليونان، بل كان علماً نافعا تنمو به الحياة وتزدهر، تشغل به الأمة، فتنفع به لنفسها، وتنفع به غيرها، فالعلم النافع هو الذي يستفيد منه الناس، يأكلون منه ويلبسون، ويصنعون أسلحتهم التي تحميهم منه، أمّا أن يقتصر العلم على تعليمه الأولاد في المدارس ليحصلوا على شهادات، ثم لا تستفيد بلادهم بهم، فأى علم هذا؟!!

في سنة ١٩٦٦م. زرت الإخوة في الخليل، قلت: لن أصيّف إلا فلسطين. وزرت الخليل، ووجدت للصيف معنى، المساجد من حولي في كل مكان، فأصلي الجمعة في هذا المسجد، وأصلي الجمعة في ذاك المسجد؛ كان الإخوة هناك يدعوننا إلى ذلك، وكنا مجموعة من قطر،

فعملنا حركة في الخليل، وقلنا لهم: لن نصيِّف في السنوات القادمة إلا عندكم إن شاء الله.

وفي السنة القادمة شاء الله أن تأتي سنة ١٩٦٧م. بما أتت به من نكبة، فذهبنا أولاً إلى بيروت فوجدناها مغلقة، ثم جئنا هنا إلى تركيا، كان الدولار يساوي ١١ ليرة تركية، وأخذ يرتفع الدولار ارتفاعاً هائلاً أمام الليرة التركية حتى هذه السنوات، ثم ظهر أخونا نجم الدين أربكان، ومعه أخونا رجب الطيب أردوغان، كنا من قبل نمشي في تركيا؛ فكانت الشمس تحرقنا؛ لا نجد في الشوارع أشجاراً تظلنا، الآن تغير هذا كله وامتلات الشوارع بالأشجار، وأصبحت الحياة كلها جديدة، صاروا يهتمون بالعلم النافع الذي يسخر الاقتصاد، ويسخر الحياة لمنفعة كل الناس، وليس لفئة خاصة، لا، والله تعالى سخر منفعة الأشياء لكل الناس، وقال تعالى عن المال: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

عودة شاملة إلى الإسلام:

أقول أيُّها الإخوة: لا بد أن يكون لنا برنامج لدراسة الواقع، نريد أن نعرف الأخطاء التي جعلت المسلمين في المؤخرة، بدلاً من أن يكونوا في المقدمة، فمكان المسلمين في الأساس هو المقدمة، هذا ما يقوله القرآن والسنة، وهذا ما يقوله التاريخ، وهذا ما يقوله العلماء، وهذا ما يقوله كل الناس: لماذا يتخلف المسلمون؟!!

إذا أراد المسلمون أن ينهضوا حقاً؛ فلا بد أن تكون عودتهم إلى الإسلام عودة شاملة، عودة متكاملة، عودة متوازنة، تشمل الحياة كلها، يدخل الإسلام كل جوانبها، لا يكون المسلم منقسم الشخصية، مسلم في جانب منها، وغير مسلم في جانب آخر.

وكذلك المرأة يجب أن تتكامل شخصيتها بالإسلام، وأن تقف إلى جوار الرجل، وليس ضده، لم يخلق الله الرجل ليكون ضد المرأة، ولا المرأة ضد الرجل، بل الرجال شقائق النساء، كما ورد في الحديث. فنحن نريد أن نأخذ الإسلام شاملاً، لا نأخذ جزءاً منه، ونعطل جزءاً آخر، إنما ينتفع بالإسلام كله مَنْ أخذه كله.

ونريد أن نأخذ الإسلام متكاملاً، اقرأ القرآن، وضمّ أجزاءه بعضها إلى بعض، تجد أنّ الحياة كلها متكاملة.

القرآن يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. الكتاب نصوص هادية، والميزان حقائق عادلة، ولا بد أن يتفق الكتاب والميزان، فلا تضرب الكتاب بالميزان، ولا الميزان بالكتاب.

وفي قوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. إشارة إلى الصناعات العسكرية، وفي قوله: ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾. إشارة إلى الصناعات المدنية، ونحن نحتاج إلى هذه وتلك، كما نحتاج إلى أن تكون صناعاتنا متكاملة، صناعة من المعادن، وصناعة من الزروع، لا بد من الصناعات المختلفة.

أمة الإسلام تملك مصادر القوة:

كل ما أريد أن أؤكد عليه أيُّها الإخوة: أنّ الأمة الإسلامية عندها من مصادر القوة ما يجعلها تتبوأ مكان الصدارة بين الأمم، عندها القوة الفكرية، والقوة العلمية، والقوة الإيمانية، والقوة الأخلاقية، عندها القوة الصانعة، والقوة الموجهة، والقوة الدافعة، كل القوى التي يحتاج إليها

الناس موجودة في الإسلام، لكننا غير مستفيدين منها، وهذا ليس ذنب الإسلام، بل هو ذنبنا نحن!

وعلى العلماء والمفكرين والموجهين الذين يفهمون الواقع، ويفهمون الناس، ويكوّنون العقول، على الجميع أن يتعاونوا فيما بينهم لصناعة عقل إسلامي موحد، متكامل، يعمل لمصلحة الأمة، أمّا إذا ظللنا فرادى متفرقين، يعاند بعضنا بعضًا، فلن تستفيد الأمة من أبنائها، ولن تنهض من كبوتها، إنّما نستفيد حقًا إذا عملنا متحدين بعضنا مع بعض.

من يعمل ضد أمته:

هناك ممن بينا من يعملون لأعدائنا، وهم لا يساوون شيئًا، يعملون لمصلحة (الخوارج)، لا لمصلحة أمّتهم، وأولى بهم أن يتعاونوا مع إخوانهم، لينهضوا بأمّتهم، والله تعالى إنّما ينصر المؤمنين إذا شد بعضهم أزر بعض، هكذا يريد الإسلام، لا يريد الإسلام أن يتفرق بعضنا عن بعض، ويعمل كل واحد لنفسه، والله لا تنتصر الأمة بهذا أبدًا.

فهناك أناس يعيشون بيننا، وفي قلب بلادنا، وهم يعملون ضد مصلحة الأمة العامة، فكونوا على حذر من هؤلاء، وكونوا على ثقة ممن هو معكم، على أعدائكم، تعاونوا معهم، والله ﷻ لن يخذلكم، ثقوا أيّها الإخوة أنكم إذا وضعتم أيديكم في أيدي بعضكم، وقلتم: يا رب انصرنا ولا تخذلنا، واجمعنا ولا تفرقنا، وكُن لنا ولا تكن علينا، وأعنا ولا تُعن علينا. فإن الله ﷻ سينصركم على أعدائكم، ويعزكم، ويعز بكم.



نسأل الله تعالى أن يحفظ هذه الأمة، ويجمع كلمتها على الهدى،
وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير،
وخير العمل، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل
في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم، وصلّ اللهم على
سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته.

* * *





مهمة العلماء تجاه الأمة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ونسأل الله تعالى أن يتم علينا نعمته، وأن ينزل في قلوبنا سكينته، وأن ينشر علينا فضله ورحمته، وأن ينزل على هذه الأمة الخير الذي يمحى الشر، والبر الذي يقاوم الفجور، والحق الذي يطرد الباطل، وأن يجعل يوم هذه الأمة خيراً من أمسها، وأن يجعل غدها خيراً من يومها، وأن يحسن عاقبتها في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

خير ما أحبيكم به أيها الإخوة والأخوات تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، والسلام هو ما عهدناه من محمد رسول الله، ومن القرآن الكريم؛ فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقى في الندوة التكرمية التي نظمها مركز الحضارة للبحوث والدراسات، بعنوان: سماحة الشيخ يوسف القرضاوي إمام الوسطية والتجديد، بمناسبة بلوغي تسعين عاماً، في قاعة مركز علي أمير الثقافي بإسطنبول، تركيا، ٩، ١٠ ديسمبر ٢٠١٦م.

ماذا أستطيع أن أقول أمام هذه الكلمات التي استمعنا إليها، منذ الأمس وحتى اليوم، ولا زالت هناك بعض الكلمات سنستمع إليها أيضاً، ماذا يستطيع مثلي أن يقول أمام هذه الكلمات؟ والله لو أنني أسجد على الجمر ما استطعت أن أوفي هذه الكلمات حقها من شكر الله تعالى.

لا تزال أمتنا بخير:

أحمد الله أن هذه الأمة لا تزال على خير رغم ما تعاني، فأمتنا تعاني ما لا تُعانيه الأمم في الشرق والغرب: الأمم الكتابية، والأمم الوثنية، والأمم الإلحادية اللادينية، كل الأمم في الأرض لا تعاني مثلما تعاني أمتنا، ولذلك نرى الأمة اليوم كلما استمرت معاناتها: ازدادت انفصلاً وابتعاداً بعضها عن بعض، وفي كل يوم تزداد كرباً على كرب، وشدة على شدة.

ومع ذلك نقول: إن هذه الأمة لا تزال على خير، رغم ما تعانيه، فهذه الاحتفالات التي نراها بين الحين والحين، وقد رأيت الأخ الدكتور صلاح عبد المقصود يقيم أحفلاً لإخوة من مصر، وإخوة من الكويت، وإخوة من بلاد شتى؛ لينصر الحقائق التي يقوم عليها هؤلاء الإخوة، الذين عاشوا لله، وأبوا إلا أن يكونوا لله، عاشوا حياتهم حاملين دعوة الخير، مقاومين دعوة الشر، حاملين الحق، مقاومين الباطل، حاملين للرشد، مطاردين للغى، لهذا نقول: الأمة لا تزال بخير.

ومن هذا الخير أن يلتقي المحتفلون والمحتفل به، وسروري والله بالمحتفلين أكثر من سروري بنفسي المحتفل بها، كلما أرى الأمة تحتفل بالحق، وبرجال الحق، وبالمدافعين عن الحق، وبالذين يعيشون من أجل الحق، كلما رأيت الأمة تحتفل بهذه المعاني ازدادت إيماناً بأن أمتنا بخير، وستظل بخير ما دامت هذه المعاني تعيش فيها.

الأمة الكبرى:

وإذا قلت: الأمة؛ فلا أعني الأمة من أرضٍ معينة، أو من قوميات معينة، إنما نقصد أمة القرآن، أمة محمد ﷺ، أمة الإسلام التي قال الله فيها: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وأنا أرى أن (من) هنا ليست للتبعض؛ لأنه قال: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. بهذا القصر، فلا بد أن يكون الفلاح مقصوراً على الأمة كلها، كما يقال: ليكن لي منك الأخ الصديق، والرفيق الحليف. كذلك قال: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

تقليل عدد الأمة:

وأمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها أمة كبرى، يقدرونها بمليار وسبعمائة مليون مسلم، وإن كانوا يحاولون - ما استطاعوا - أن يقللوا عددها فيما ينشرونه من إحصاءات، وقد رأيت ذلك حينما قالوا: عدد المسلمين في الصين عشرون مليوناً. مع أن الأمير شكيب أرسلان، كتب منذ أكثر من ثمانين سنة، معلقاً على كتاب (حاضر العالم الإسلامي)، الذي ترجمه عجاج نويهض، وقال: عدد المسلمين في الصين الآن حوالي خمسين مليوناً. وكنت حينها طالباً في المدرسة الإلزامية، وكان تعداد مصر خمسة عشر مليوناً. وهي الآن تزيد عن

تسعين مليوناً، فكيف يصبح الخمسون مليوناً في الصين حينها عشرين مليوناً الآن؟! حتى إنهم لم يبقوا الخمسين كما هي، فهم دائماً يحاولون تقليل عدد الأمة.

أمتنا كبيرة، ولكن الأمر ليس بكثرة العدد؛ بل بما يحويه هذا العدد، ماذا عنده من إيمان؟ وماذا في صدره من روحانية؟ وماذا في أخلاقه من قوة؟ وماذا في عباداته من إخلاص؟ وماذا في حياته من تماسك وتضامن؟ هذه هي الأمة المسلمة.

حين نلتقي في هذه الملتقيات الإسلامية لنحتفي بمن نحتفي به أرى أنَّ الأمة بخير، وأرى أن علينا أن نبحث عن الجذور الإيمانية، والربانية، والأخلاقية، والإنسانية، والعالمية، فهذه الجذور هي التي تكوّن الأمم، وهي موجودة في أنحاء العالم، علينا أن نبحث عنها، وأن نجمّعها، نحن للأسف نتركها تذوب بالنسيان، بأن ينسى بعضنا بعضاً، ويتفرق بعضنا عن بعض.

ولا يمكن أن تحيا الأمة إلا بقوة الفرد، وانضمام الأفراد الأقوياء بعضهم إلى بعض، ليتكون منهم مجتمع قوي: بنیان مرصوص، يشد بعضه بعضاً، كما جاء في حديث الصحيحين: «المؤمنُ للمؤمن كالبُنيان، يشدُّ بعضه بعضاً»^(١). وكما جاء في سورة الصف: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُورٌ﴾ [الصف: ٤].

هكذا نريد أمتنا، لا كالذين يريدون أن يقصروا معنى الأمة على المعنى الأرضي، أو على المعنى القومي، فتكون بلاد العرب للعرب، وباكستان

(١) سبق تخريجه ص ٣٤٣.

للباكستانيين، والهند للهنود، وتركيا للأتراك، وماليزيا للماليزيين،
وإندونيسيا للإندونيسيين، وهكذا تصبح الأمة أممًا، وهي أمة واحدة.

نظرات في الوحدة:

لا مانع أن تكون لنا نظرات في الوحدة، كيف نتوحد؟ ليس من
الضروري أن تكون الوحدة تمامًا كما كانت في عهد سيدنا عمر، ففي
العصر صور للوحدة ينبغي أن نستفيد منها، لا يكفي أن تتكوّن الأمة،
ولكن لا بد أن يكون بينها من الروابط العملية القوية، لا مجرد روابط
شكلية هشة!

اجتمعت قادة الأمة في فترة من الفترات، وقالوا: نسَمّي أنفسنا
الجامعة الإسلامية. فاستكثر بعضهم أن يكون منهم جامعة إسلامية،
فقالوا: نحن اجتمعنا في مؤتمر، فلنسب أنفسنا إليه. فاتفقوا على أن
يُسموا أنفسهم منظمة المؤتمر الإسلامي! ثم لمّا رأوا مؤخرًا الانتقادات
على هذا الاسم غيروه، وجعلوه منظمة التعاون الإسلامي!

صحيح أن القرآن ذكر فضيلة التعاون، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالنَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. لكن هناك كلمات أقوى
من التعاون، مثل التضامن، التماسك، والوحدة، الاتحاد، لكنهم لم
يصلوا إليها.

إقامة الأمة على الإسلام الحق:

أمتنا بخير أيُّها الإخوة، لكنها لا تكون بخير إلا إذا استفادت من أنّها
أمة مسلمة، فمهما تباعدت بنا الأوطان، إلى عرب وعجم، وشرقين
وغربيين، فلا يغني هذا عن أنّنا أمة تستمد هويتها من الإسلام.

وأنا أهم ما يكوّنني هو الإسلام، فهو الذي يعطيني المبادئ والعقائد التي أعيش بها؛ مَنْ أنا؟ وَمَنْ الذي خلقني؟ وَلِمَ أعيش؟ وما هو الموت؟ وماذا بعد الموت؟ هذه أسئلة كبيرة لا يجيب عنها إلا العقائد الإسلامية، فلا بد أن أعرف هذه العقائد، مَنْ ربي؟ مَنْ رسولي؟ ما كتابي؟ إلى آخره، لا بد أن أعرف الأسئلة الكبرى، الأسئلة الخالدة، التي حيّرت الناس من قديم، ولم يجدوا لها إجابة شافية؛ إلا فيما جاءت به رُسل الله، وأعظم ما جاءت به رسل الله هو ما جاء به محمد ﷺ في كتابه الخالد: القرآن الكريم. نحن في حاجة إلى نعرف الإسلام: بعقائده وشرائعه، وقيمه وأخلاقه، وأن نتمسك به، ونعتز به، بهذا تكون أمتنا بخير.

نستطيع أن نجعل من أمتنا الأمة الأولى، وقد أصبحت من قبل في أقل من مائة عام الأمة الأولى، وقادت ركب العالم، وأقامت الحضارة الإسلامية العالمية، الحضارة التي أجابت عن أسئلة الناس، وأطعمتهم من جوع، وآمنتهم من خوف؛ فجعلت حياتهم طيبة، وليست بائسة، فمن الناس مَنْ يظن أن الدين جاء ليُزهد الناس في طيبات الحياة! وإنّما الزهد أن تملك الشيء ثم تزهد فيه، لكن إذا لم تكن تملكه فكيف تزهد فيه؟!

طيبات الحياة:

يريد الإسلام أن تكون أمته قوية، تملك أسباب الحياة، والقدرة على الاستمتاع بطيبات الحياة، تستمتع بالحلال، وتترك الحرام، والأرض تمتلئ بالحلال، والحرام محدود فيها، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

[الأعراف: ٣٢].

حينما كلّفني الأزهر الشريف بأن أكتب أوّل كتاب علمي في حياتي، كتاب (الحلال والحرام في الإسلام)، فكان عليّ أولاً أن أحدد ما هو الحلال؟ وما هو الحرام؟ أحدد الحرام، وكل شيء بعد ذلك حلال، فإذا حددت الحرام في المأكولات والمشروبات، أو في الحياة الزوجية والأسرية، أو في الحياة العامة، يكون كل شيء بعد ذلك حلالاً، هذا هو ما جاء به الإسلام.

كل نفس بما كسبت رهينة:

نحن نقدّم للإنسانية ديناً تستطيع أن تعيش به، تحيا في دار الدنيا في رحاب الله، وتحيا في دار الآخرة في رحاب العدالة المطلقة، كل إنسان فيها معلق بعمله، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، كان العلماء قديماً يقولون: المقصود أن يرى جزاء ما عمله؛ لأن العمل ينتهي بعد الفراغ منه. ثم جاء العلم الآن يقول: نستطيع تسجيل الأعمال بوسائل تسجيل الصوت والصورة. وهذا يقرب لنا معنى الآية عن رؤية الأعمال في الآخرة، فكل ما عندنا مُسجّل عند الله، ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، ونحن سنحاسب على هذا، الخير بالخير، والشر بالشر، وما عند الله في الآخرة أعظم وأفضل، وهو الغفور الرحيم، ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ * ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]، لم يقل: وأني أنا المعذب. لا، فليس من صفاته المعذب، العذاب من أفعاله، أمّا المغفرة والرحمة فهي من صفاته الذاتية.

حقيقة الإسلام:

نحن أيّها الإخوة نستطيع أن نقيم أمتنا على الإسلام الحقيقي، الذي يعطي المسلمين ما يحتاجون إليه، ولا يترك الناس في حرج.

كثيرون مَن ينادون بالإسلام؛ ولكنهم يضيعون الكثير منه عند التطبيق، ويزعمون أنَّهم أعطوا الناس الإسلام، وهذا غير صحيح، لا بد أن نعطي الحياة للناس، ونعطيهم الحرية، ونعطيهم مباحات الدنيا، ونعطيهم القيم العليا ليعيشوا حياتهم بها: القيم الدينية، والإيمانية، والأخلاقية.

ماذا أستطيع أن أقول أيُّها الإخوة؟ أنا مسرور أنَّ الإخوة يفقهون هذا الفقه، ويستطيعون أن يقدموا الإسلام للناس في صور كثيرة جدًّا، فأمتنا لا تستطيع - والله - أن تجعل لنفسها شأنًا بين الأمم إلا بالإسلام، وقد جرَّبنا ذلك في زمن الإمام محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، وقد مات الإمام محمد عبده سنة ١٩٠٥م. ونحن في ٢٠١٦م. أي مرَّ على موته حوالي قرن وعشرة أعوام، فماذا فعلنا نحن؟!

إحياء الأمة:

لا نزال نذهب هنا وهناك، ولم نستطع أن نخطَّ طريقًا نعرف أنَّه طريقنا، إننا نأخذ من هؤلاء، ونأخذ من هؤلاء، ولكن مَن نحن؟ ما هي الأرض التي نقف عليها؟ ماذا نمتلك؟ أين ما نقود به الأمة إلى الريادة والشهود؟!

هذا للأسف ما لم نستطعه إلى الآن، ونحن لن نستطيع أن نُكوِّن الأمة القوية، والأمة المتميزة، والأمة التي تنبع صرخاتها من جوفها، والأمة التي تملك الحياة، وما قبل الحياة، وما بعد الحياة، والأمة المؤمنة: لا نستطيع ذلك إلا بالإسلام.

أنا أريد لأمتنا أن تعيش، وأريد للعلماء أن يجاهدوا في إحياء الأمة، لا أن يظلوا يدورون حول مسائل الطهارة والحيض والنفاس!

أذكر وأنا طالب في كلية أصول الدين كنت أخطب في مسجد بالمحلة الكبرى، وفي شهر رمضان ذهبنا من المحلة إلى إحدى القرى التابعة لها لنحتفل فيها بغزوة بدر، وتحدثت عن غزوة بدر، وعما فيها من معانٍ، وما فيها من دروس وعبر، فلما انتهيت جاءني إمام المسجد وقال لي: ألم يكن أولى بك أن تُعلم الناس ما يحتاجون إليه من دين؟ فقلت له: مثل ماذا؟ قال: مثل كيفية الطهارة والوضوء والصلاة، ونحوها؟ فقلت له: أأستُعلمهم هذه الأمور؟! ثم قلت له: ألا تعرف الجهاد في سبيل الله؟ قال: نعم. قلت: كم مرة ذُكر الجهاد في القرآن؟ قال: كثيرًا ما ذكر. قلت: كم مرة ذُكر الوضوء والطهارة؟ قال: لا أعلم. قلت: ذُكرًا مرتين؛ مرة في سورة المائدة، ومرة أخرى في سورة النساء، ذُكر فيهما الوضوء والغسل والطهارة، لكن انظر إلى السور التي يدل مجرد اسمها على الجهاد وما يتعلق به؛ مثل سورة الأنفال، والتوبة، والحديد، والقتال، والنصر، وذكرت له عددًا من السور والآيات في ذلك، وقلت: هل تريد أن نترك هذا كله، ونظل نتحدث عن مسائل الطهارة ونحوها لا نبارحها؟!

الإسلام الشامل:

أذكر أنني كنت حريصًا - وأنا صغير - على حضور الدروس الرمضانية، فكان إمام المسجد يدرس فيها مسائل الطهارة، فيظل ثلاثين يومًا لا يخرج من دورة المياه! فنحن نريد الإسلام بمعانيه الشاملة، ونهتم بكل معنى على قدر اهتمام القرآن به، نريد الإسلام الذي يعطي لأمته القوة بمعانيها الشاملة، نريد الإسلام الذي يغني الفقير، وقد كان أول كتاب أحببت أن أقدمه بتوسع في ذلك هو كتابي (فقه الزكاة)، فبعض الناس يظن أنه بإعطاء الفقير قرشين، أو حبات من القمح أو الذرة

يكون قد أدّى الزكاة! وهذا ليس صحيحًا؛ فالزكاة فقه عظيم، حياة جديدة، فلا يجوز أن يعيش الأغنياء وحدهم، بينما يموت الفقراء جوعًا، بل يجب أن تتعاون الأمة بعضها مع بعض، فيعطي الغني منها الفقير، ويساعد القوي منها الضعيف، هذه هي أمة الإسلام.

وبعد سنين طويلة ألفت كتابًا من الكتب الكبرى لي، هو كتاب (فقه الجهاد)، فكما احتجنا إلى (فقه الزكاة)، للأمور المالية نحتاج إلى (فقه الجهاد)، للأمور العسكرية، حتى يستطيع الناس أن يعيشوا حياتهم أقوياء: أقوياء بالإيمان، وأقوياء بالمال، وأقوياء بالجهاد، لا يستطيع أحد أن يفرض عليهم أن يعيشوا كما يريد هو، لا؛ بل يعيش المرء كما يريد هو نفسه، فالمؤمن عنده فروض أعيان، وفروض كفاية، ومستحبات، إلى آخره، فينبغي أن يعيش حياته كما يريد هو، لا كما يريد الآخرون له، هذا هو ما ينبغي أن تتعلمه الأمة.

العلم والعمل:

نحن في هذه الليالي الكريمة - أيها الإخوة والأخوات - نريد أن نتعلم الإسلام، حينما يقوم المسلمون بتكريم العلماء، فلماذا يكرمونه؟ إذا كان العالم ليس عنده مال ليعطيه مَنْ يكرمه، فما الفائدة من تكريمه؟ قيمة العالم في الحقيقة أنه يُعلم الأمة، وهو إذا لم يعلم الأمة؛ فما الفائدة من علمه؟ قيمة العالم في العمل بالعلم وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. وكما قال النبي ﷺ: «خيرُكم مَنْ تعلَّم القرآنَ وعَلَّمه»^(١). فلا بد للعالم أن

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٧)، عن عثمان بن عفان.

يعلم العلم الحقيقي، العلم الراسخ - لا العلم السطحي - الممتد إلى جذوره، المرتبط بأصوله، المعروف بأدلته، المعروف بمصادره، المعروف بأصحابه الذين يُرجع إليهم، فلا بد أن يُعرف العلم أولاً.

ثم يأتي العمل بعد العلم، فلا قيمة للعلم في نظر الإسلام إذا لم تعمل به، فالعمل بدون علم جنون، والعلم بدون عمل لا يكون، وقد ضرب القرآن مثليْن للذي لا يعمل بعلمه: مثل الحمار، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمَلُوا بِهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، حمار يحمل كُتُبًا تمتلئ بالعلم، لكنّه لا يستفيد منها!

ومثل الكلب، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦]، فنحن نريد العالم الذي يعمل بعلمه.

ثم بعد ذلك يُعَلِّم العلم، لا يعيش العلم في صدره وحده، إنّما يُعَلِّمه للأمة، وليس ضرورياً أن يعلمها كل العلم الذي عنده، يكفي أن يعلمها الطريق السليم، ويعلمها كيف يتعامل المرء مع الله؟ وكيف يتعامل مع النفس؟ كيف يتعامل مع أسرته: مع زوجته وأولاده، ومع أقاربه، ومع جيرانه، ومع أصدقائه؟ كيف يتعامل مع أعدائه؟ حتى الأعداء لهم حقوق يجب أن تعطى لهم، ثم تطالبهم بالواجبات عليهم، وكيف يتعامل مع الكون الكبير الذي تعيش فيه؟ ماذا عليك تجاه هذا الكون؟ فالعالم هو الذي يعلم ويعمل ويُعَلِّم، هذا هو العالم الحقيقي.



التربية الصحيحة:

ولذلك أنا أريد من علماء الأمة أن يتجمعوا على هذه المعاني، ويتعاونوا عليها، فتربية الأمة يجب أن تشغلنا ليلاً ونهاراً، هناك أناس فارغون ليت لي بفراغهم، فأنا أعمل ليلاً ونهاراً ولا أجد لحظة فراغ! فالأمة يجب أن تتعلم من علمائها، ويجب على علمائها أن يبذلوا من الجهود ما يُعَلِّمون به الأمة، أن يربوا الأمة التربية الأساسية، حتى تعرف الأمة واجبها نحو ربها، وواجبها نحو نفسها، وواجبها نحو الآخرين، هذه أمور لا بد منها أيُّها الإخوة.

لقد ابتليت أمتنا بالخير والشر، ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، لقد كانت أمتنا هي الأمة الأولى في العالم، واستطاعت أن تفتح العالم بهذا الدين الجديد، الذي له فلسفته في الحياة، وفي العقيدة، وفي العبادة، وفي الأخلاق، وفي التشريع: التشريع الفردي، والأسري، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والجنائي، والعام.

لن تخلو الأمة من مصالحين:

ولا تستطيع هذه الأمة أن تجمع العالم إلا إذا كان عندها علماء وتلاميذ تربيتهم، وإذا لم يكن عندها بحثت عنهم، ولا يمكن أن تخلو الأمة من أذكفاء، ومن أبناء يريدون أن يتعلموا! ففي كل بلد ذهبت إليه أجد فيه أبناء أذكفاء يريدون أن يتعلموا، لكنهم فقراء مساكين لا يستطيعون أن يتعلموا، مع أن بيننا أغنياء لديهم ملايين ومليارات، ولكن ملياراتهم لأنفسهم ولمصالحهم، ولمن يحققها لهم، هل هذه أمة؟ هذه أمة خاسرة، فالأمة القرآنية، المحمدية، الإسلامية، الربانية، هي التي

تعمل من أجل هذا الدين، لا بد أن تعمل من أجل إنشاء أمة جديدة، إذا كانت أمتنا القديمة بطلت ولم يعد فيها فائدة، فيجب أن ننشئ أمة جديدة، والحمد لله أن أبناءها موجودون.

أمتنا لن تموت:

وأنا أقول: الأمة الإسلامية لا تموت أبدًا، نحن نرى البلاد التي أصيبت بما أصيبت به، انظروا إلى إخواننا في سوريا، الأمة العظيمة التي قامت تطالب بحقها في الحرية، حينما جاء الربيع العربي، وانتصرت تونس في أول الأمر، وهرب رئيسها بما هرب به من مليارات، وترك الشعب، واستطاعت تونس أن تحصل على حقها في الحرية، وفي الحياة، وبعدها مصر، حاول الرئيس المصري بما معه من أذكى القوم والمحاربين القدماء، الذين حاربوا الشعب وأذلوه، واستولوا على خيراته، وذهبوا بعشرات المليارات إلى البلاد الأخرى، لم يستطيعوا رغم ما بذلوه من وسائل أن يسكتوا هذا الشعب، فصمد وأخذ حقه، وكان لا بد أن ينجح من الشعب من يُمثله، نجح محمد مرسي - أسأل الله تعالى أن يُفرج عنه، ويخرجه من سجنه، ومن هذا العذاب الذي يريدون أن يمرروه عليه - وقد كان رئيسًا، وهم يريدون الآن أن يقيموا عليه حكم الإعدام؛ لأنه تواصل مع حماس، وما المانع في ذلك وهو رئيس؟!!

المهم انتصرت مصر، كما انتصرت تونس، ثم انتصرت ليبيا، وأنا كنت متابعًا هذه الثورات، ثورة ثورة، لأنني أعتبر هذه بلادتي، لم أعتبر أنني في قطر منقطع الصلة عن مصر، وعن ليبيا، وعن اليمن، وعن سوريا، لا؛ فنحن جزء من هذه البلاد.

الثورة السورية:

كان رئيس سوريا يستغرب ويقول لخالد مشعل: ماذا جرى؟ أليس القرضاوي معنا؟ لماذا تركنا؟ وهذا عجيب، هل أكون معه في الحق والباطل؟! كنتُ معك أحاول أن آخذ منك بعض الحق لأهل الحق، ولا يمكن أن أسير معك في الحق والباطل.

لا بدّ لنا أن نعترف أنّ الشعب السوري قام في أوّل الأمر أعزل من السلاح، والسكين، والحجر، يريد الحياة، يريد الحرية، لكن النظام السوري استكثر عليه ذلك، ورأى أنّه أحق بالسيطرة على حرية الشعب وحياته، يعطونها له إذا شاؤوا، وظلّوا يقاتلون هذا الشعب، وليس في يده شيء، أمّا النظام السوري ففي يده الجيش والشرطة، والأسلحة الكيماوية، والبراميل المتفجرة، يضرب بها الشعب طوال هذه السنين، والآن انظروا ماذا يجري في حلب، التي ظن الناس أنّها عادت إلى أهلها، وإذا بهذا النظام يستعمل الروس، ويستعمل إيران!

ما الذي يجعل إيران تأتي إلى هنا - وبينها وبين سوريا مسافة بعيدة - ويستعين بها النظام لضرب الشعب السوري، وإخضاعه ووأد ثورته؟ ويدفع برجال الحرس الوطني الإيراني والجنود الإيرانيين، وما يُسمّى حزب الله في لبنان، وهو حزب الشيطان، حزب الطاغوت، هؤلاء يأتون ليحاربوا أهل سوريا، وأعادوا حلب مرة أخرى ليصبح جزء كبير منها تحت حكمهم.

نحن علينا أيّها الإخوة أن نكون مع إخواننا في سوريا، ومع إخواننا في العراق، كان المسلمون من أهل السنة هم سادة العراق، وكان الشيعة

مليوناً ونصف مليون، كما ذكر الأستاذ أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام)، ثم أرادوا أن يغيروا طبيعة هذه البلاد بعد أن كانت سنية، أخذوا يطردون منها أهل السنة ليذهبوا إلى العالم، ويأتي الشيعة ليحكموها، هذا لا يجوز!

لا بد أن نحمل الأمانة:

نحن يجب أن نحمل الأمانة الواجبة علينا، نحملها على رؤوسنا، وعلى أكتافنا، نقود أمتنا ونحميها، لا يصح أن نكون مسلمين ونترك إخواننا، ما معنى أن تكون مسلماً وتترك إخوانك يموتون، يموتون بالبرد والجوع، ويموتون بالرصاص والقنابل، وبالصواريخ والدبابات؟ إذا كنا مسلمين حقاً يجب أن نحمل أمتنا، أمتنا تحتاج إلينا جميعاً، كل واحد فينا يستطيع أن يعمل من أجلها. أنا أتمنى والله، لو كانت عندي قدرة لذهبت مع الذاهبين؛ لأحمي أمتنا وأدفع عنها هؤلاء المتجبرين في الأرض.

إنَّ أمتنا والله تملك الكثير، ولكنها تحتاج إلى القيادات، أمتنا لا تجد من يقول لها: نحن أمة إسلامية يا قومنا، هلمُّوا إلى إسلامكم. والله أقولها حقيقة: الرجل الذي يحمي الأمة الإسلامية في كل مكان هو رجب الطيب أردوغان، نريد الأمة الإسلامية أن تكون معه، وإخواننا في قطر يقفون بجواره، ونحن نشد أزهرهم، ونحمي ظهرهم، ونرجو أن يتحرك إخواننا في السعودية، وقد بدؤوا يتحركون هذه الأيام، يجمعون الخليج العربي وراءهم، يجب - إذا كانوا عقلاء - أن يعرفوا مَنْ هو العدو، وَمَنْ هو الصديق؟ مَنْ هو البعيد، وَمَنْ هو القريب؟ نحن في حاجة إلى أمة متماسكة.



ذكریات وعبر من حیاتی:

حينما نحتفل بأحد من أبناء هذه الأمة، ومن علمائها، نريد أن نقوي هذه الأمة كلها، ولا بأس أن أحكي لكم قليلاً من حياتي.

حياة الضنك والضيق:

أنا من أسرة القرضاوي، من بلد اسمها صفط تراب، بمركز المحلة الكبرى، محافظة الغربية، بمصر، كان جدي لوالدي اسمه الحاج علي القرضاوي، حج في أوائل هذا القرن، وكان الحج بالنسبة للناس في ذلك الوقت باهظ الثمن، وكان الإنسان يتعرض في رحلة الحج للقتل، لم يكن هناك أمن، لم يكن قد جاء الملك سعود آنذاك ليحكم هذه البلاد، فذهب جدي للحج وعاد، وكان رجلاً ثرياً من أكابر الناس، زوج إخوته، وزوج بناته، زوج عمتي (خضرة)، وعمتي (قطرة)، من الحاج عبد الله النجار، وأخيه الحاج سعد النجار، شيخ البلد، ولكن ظهر بعد فترة أنه لم يشتري أرضاً زراعية، وضاعت أمواله في التجارة، وبقينا نحن العائلة في ضنك، وولدت في ٩ سبتمبر ١٩٢٦م. ونشأت في حياة الضنك والضيق هذه. رباني عمي عبد العزيز، وكان قد أراد جدي أن يعلمه القرآن ويرسله إلى الأزهر، ولكن لم يمكنه، كانت الأزمة قد بدأت، فحفظ القرآن، ولكنه لم يصل إلى الأزهر.

التعليم الأولي:

وبلدتنا بلدة القرآن، يحفظ القرآن العشرات من أبناء البلد، كان فيها أربعة كتاتيب، ذهبت إلى أحدهم: كتاب الشيخ حامد أبو زويل، وتعلمت فيه، وحفظت القرآن، وذهبت إلى المدرسة الإلزامية وأنا أحفظ بعض السور، ثم أتممت حفظ القرآن في السنة الثالثة من تلك المدرسة،

وبقيت فيها حتى انتهت منها، فأخذني الشيخ حامد إلى المفتش العام لمديرية الغربية، فقد كان مجلس مديرية التعليم في الغربية هو الذي يشرف على التعليم الإلزامي.

وقد كنت أحفظ طالب في المديرية، فذهبت إلى الشيخ عبد المقصود عيد ليمتحن حفظي، وامتحنتني في حوالي ثلاثين سؤال، وأنا أجيب عن كل سؤال، في أي ربع، وفي أي صفحة، وعن موضعها منها، ثم أعطوني جائزة عظيمة، كانت جنيه وربع، وأذكر حينما ذهبت إلى دبي للاحتفال بتكريم رجل القرآن الأول في تلك السنة: الشيخ محمد متولي الشعراوي، وكانوا يكرمون حينها الحفظة، فأعطوا الطالب الأول من ليبيا مائة وستين ألف درهم.

الدراسة في الأزهر:

المهم أيها الإخوة أنني في ذلك الوقت، كنت متطلعاً أن أذهب إلى الأزهر، وعمي يقول: وهل يذهب أحد إلى الأزهر الآن؟ ألا ترى العلماء من أبناء البلدة، الشيخ عبده البتة، والشيخ عبد المطلب غانم، والشيخ سليمان غانم، وغيرهم كيف يجلسون على المصاطب؟ أفضل شيء هو أن نفتح لك باباً للمندرة على الشارع، ونأتي لك فيها بكمية من الشاي والسكر والصابون والزيت، ليفتح الله عليك بعد ذلك، فتكون كفلان الصياد، وفلان أبي العينين، وفلان ممن فتح الله عليهم، وإذا لم يعجبك هذا نذهب بك لتتعلم الخياطة لتكون كقربينا التهامي بناوي، يأتيه كم وكم من الزبائن، أو نذهب بك لتتعلم حساب (الدوبيا)، فيمكنك أن تشتغل بذلك محاسباً في شركة كبيرة، أو في دائرة زراعية.

فقلت له: لا أريد شيئاً من هذا. ثم ذهبت متضايقاً مع ابن خالتي إلى شركة الغزل والنسيج في المحلة الكبرى، فلم يعجبهم ضجري، فأخذ يلومني ويعاتبني، فلم يفلح الأمر.

حتى هياً الله لي في وقت من أوقات الصيف، ونحن في الحقل، حيث اعتاد الفلاحون أن يستريحوا من عناء العمل تحت أشجار الجميز، فجلست مع عمي وأولاد عمي تحت الجميزة، فأقبل علينا شيخ كبير يلبس عمامة و(كاكولا)، وطلب منا ماءً ليشرب، فأعطيناه (قلة قناوي) ليشرب، فلما شرب قال له عمي: ما رأيك أن تمتحن هذا الفتى في القرآن؟ فنظر لي وقال: هل تحفظ القرآن؟ قلت: أحفظه سائلاً كالماء. فشرع يسألني في سور القرآن، فأجبتة عن كل ما سألني فيه.

فقال لعمي: ما اسمك؟ قال: أحمد. فقال له: يا شيخ أحمد؛ هل هذا ابنك؟ قال: نعم. فقال له: لم لا تذهب به إلى الأزهر؟ حرام أن يبقى في هذا البلد دون تعليم. قال: يا سيدنا الشيخ؛ نحن نرى العلماء يجلسون الآن على المصاطب بلا عمل. فقال له: هل أنت فلاح. قال: نعم. فقال: هل تعلم حين تضع البذرة في الأرض إن كانت ستنمو أم تهلك في الأرض؟ قال: يمكن هذا وذاك. قال له: وماذا تفعل؟ قال: أنتظر فضل الله. قال له: نحن كذلك؛ أولادنا هم بذرتنا؛ نصلهم إلى ما يريدون، ونقول: يا رب احمهم، وانفعهم، وانفع بهم. ثم هل تدري ما يحدث بعد خمسة عشر سنة؟ قال: لا، ولا أدري ما يحدث غداً. فقال له: إذن اتركه لله.

ثم قال لي: هل تستطيع أن تعيش بعشرة صاغ؟ قلت: أعيش بخمسة، بل أستطيع أن أعيش بالخبز مع شيء من الجبن. فقال لعمي:

أرى الفتى مستعداً أن يتحمل. فقال: إذن سأسعى من الغد في إرساله إلى المعهد الديني. وذهب هذا الشيخ الناصح، ولم أره بعد ذلك قط، واعتاد الناس أن يقولوا في مثل هذا: أرسل الله ملكاً. وهو ليس ملكاً، وإنما رجل من البشر!

وذهبنا فعلاً إلى ابن عمتي - وكان في الثانوي - وقلنا له: نريد أن نقدم للشيخ يوسف. فقال: لكنكم تأخرتم، ولا بد أن تجهزوا أوراقه، ومن الأوراق التي تتعطل بسببها هذه الأمور شهادة الميلاد، وهذه الشهادة لا بد أن تأتي بها من مجلس المديرية، ولا بد أن يأخذ المجلس أسبوعين على الأقل لتجهيزها. فقلنا: نسعى في الأمر. وفات الأسبوعان، ولم أستطع أن أدخل المعهد الديني، فقالوا: عليك أن تصبر حتى السنة القادمة.

وكأنَّ السنة القادمة سنين أنتظرها، ولم يكن في البلد مكتبة عامة، وليس عند أحد مكتبة مفتوحة للاستعارة، فكنت أشتري كتاباً بقرش وأقرأ فيه، حتى جاء العام القادم وقدمت أوراقتي، وامتحت في المعهد، ودخلت السنة الأولى في معهد طنطا الديني الابتدائي، وبعد أربع سنوات دخلت معهد طنطا الديني الثانوي.

مع الإخوان:

وفي المرحلة الابتدائية دخلت إلى الإخوان المسلمين، كان ذلك سنة ١٩٣٩م. أو ١٩٤٠م. تقريباً، عشت في دعوة الإخوان المسلمين، واستفادوا مني فكانوا يرسلون بي إلى القرى لأخطب فيها، فكانوا بعد ذلك يرسلون إليهم: ابعثوا إلينا بالداعية المحبوب فلان الفلاني، وبقيت في الإخوان حتى قُتل النقراشي وأنا في السنة الرابعة الثانوية، وقُتل حسن البنا، وذهبنا



إلى السجن، وكانوا يقتادون شباب الجامعة إلى السجن، وفي هذه المرة أخذوا شباب الثانوي لأول مرة، وخصوصًا من شباب معهد طنطا، وكان المعهد كثير الشباب، وكنت كثير الحركة بالشعر والنثر والمظاهرات.

من ذكريات السجن:

دخلنا السجن، وكنا نسميه المخيم الدائم للإخوان المسلمين، وكان السفر والمصاريف حتى سنة ١٩٤٩م. على حساب الحكومة المصرية، كان معنا الشيخ الغزالي قائدًا للمعتقل في ذلك الوقت، ويؤمننا في الصلاة، كان أحد الإخوة يمر علينا قبل الفجر وينشد:

يا نائمًا مستغرقًا في المنام قُمْ فاذكر الحيّ الذي لا ينام
مولاك يدعوك إلى ذكره وأنت مشغول بطيب المنام

فنصحو ونتوضأ، ويصلي كل واحد ما يستطيع من ركعات: أربعة، أو ستة، أو ثمانية، حتى يحين موعد أذان الفجر، ويأتي الشيخ الغزالي فنصلي وراءه، وبعد الصلاة نقرأ الأدعية المأثورات، كان الشيخ حسن البنا قد جمعها في رسالة ليقرأها الإخوة، ثم نجلس بعد ذلك نتعلم، بعضنا يجلس حول الشيخ الغزالي، وبعضنا يجلس حول الشيخ سيد سابق حتى تطلع الشمس، هنا يأتي أخونا الأستاذ محمد المهدي عاكف - نسأل الله أن يفك أسرهم، وأسر الدكتور محمد بديع، وأن يفك أسر كل المعتقلين من سجونهم التي ظلمهم فيها الظالمون - ليقوم معنا بجولة رياضية متنوعة، على أرض السجن.

وأذكر أنّ الشيخ الغزالي قام في الجمعة الثانية بهذا السجن بثورة على المسؤولين، لأنهم كانوا يأكلون الطعام الجيد المقرر صرفه للمسجونين، ويستبدلوه بطعام رديء، فخطب الشيخ الغزالي خطبة

ساخنة، وقال: تسقط اللصوصية المنظمة، تسقط سياسة التجويع. حتى قالوا: سنعطيك طعامكم واطبخوه أنتم.

وكنّا في شهر رمضان فكان أحد الإخوة - اسمه الحاج حسين - يدعو: اللهم اجمعنا بعد رمضان مع أهلنا في بيوتنا. فقال له الإخوة: بعد رمضان يا حاج حسين! فقال لهم: نعم، أنا أدعو الله، وهو قادر. وإذا بنا نُفاجأ في ليلة التاسع والعشرين من رمضان بالملك يعلن إقالة حكومة إبراهيم عبد الهادي، ويبدأ الإفراج عنا!

وكنت في ليلة السابع والعشرين مشاركاً في احتفال بليلة القدر، قام فيه الشيخ الغزالي وألقى كلمة، وقام الأستاذ عبد العزيز كامل وألقى كلمة، وقام الأستاذ سيد سابق وألقى كلمة، وطلبوا مني قصيدة قدمت لها بكلمات ثم ألقيتها، وكان في آخرها أدعية، فلما حدث ما حدث، وبدأ الإفراج، كانوا يقولون: استجيب أدعية ليلة القدر.

وخرجت من المعتقل قبل انعقاد الدور الثاني من الامتحان بثمانية عشر يوماً، استغرقت يوماً في الطريق حتى وصلنا المحلة، ويومين في البلد، وقلت لهم: اتركوني في الخمسة عشر يوماً الباقية لأذهب إلى طنطا وأتفرغ لاستذكار دروسي، وحينما ظهرت النتيجة كانت المفاجأة السارة، وهي أنني حصلت على الترتيب الثاني في الشهادة الثانوية على طلاب المعاهد الدينية في المملكة المصرية في الدورين الأول والثاني، ولم يكن بيني وبين الطالب الأول إلا نصف درجة.

الله يهيئ الأسباب:

أريد أن أقول أيها الإخوة: إنّ الله تعالى إذا أراد لعالم أن يقوم، هيئاً له الأسباب، وقد كان كل شيء ضدي، حتى هيئاً الله لي هذا العالم الذي لم

أعرف شكله من قبل، ولا أعرف اسمه، ولم أره من بعد، وأصبحت والحمد لله ذائع الصيت في المعد الديني، والمعاهد الدينية الأخرى.

لهذا أقول: ثقوا أن الله تعالى حينما يريد شيئاً يهيئ له الأسباب، ويزيل من طريقه الموانع، ويقضي بما يريد، لا يقف أمام إرادته تعالى شيء، نحن علينا أن نأخذ بالأسباب ونجاري السنن، وأن نعمل في نطاق هذا الكون، لا ينبغي أن نسكت، ولا أن نسكن، ولا ينبغي أن نخلد إلى الأرض، ولا ينبغي أن ندع الظالمين ياكلون بالناس، يأكلون الحقوق، ويصادرون الحريات، ويظلمون الناس، يجب علينا أن نسعى جميعاً، وثقوا أننا إذا قمنا بعمل - ولو كان عملاً قليلاً - سيبارك الله تعالى فيه ويكثره، فالله تعالى رحيم بنا، لا يمكن أن يتركنا أبداً، ثقوا أيها الإخوة أن الله مع المؤمنين، وأن الله مع الصابرين، وأن الله مع الأقلاء حتى يكثرهم، فكونوا مع الله يكن الله تعالى معكم.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا؛ أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم انصر إخواننا في سوريا، وانصر إخواننا في العراق، وانصر إخواننا في اليمن، وانصر إخواننا في ليبيا، وانصر إخواننا في مصر، وانصر إخواننا في فلسطين، وائذن بعودة المسجد الأقصى وعودة فلسطين كلها إلى الأمة، وانصر إخواننا في كل البلاد المظلومة، انصرهم يا رب



العالمين، وشُدُّ أزرهم، واحمِ ظهرهم، وقوِّهم على أعدائهم، انصرهم
بإيمانهم، وانصرهم بأنفسهم، وانصرهم بإخوانهم، وانصرهم بأمتهم،
اللهم آمين.

ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، وصلِّ اللهم على
سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته.





إحياء الأمة الإسلامية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّمِ الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرُّشد، وقائد الخلق إلى الحق، ومُخْرِجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، سَيِّدِنَا وَإِمَامِنَا وَأُسُوتِنَا وَمُعَلِّمِنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

اللَّهُمَّ هَيِّئْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَسْبَابَ الْخَيْرِ، وَأَسْبَابَ الْهُدَى وَالرُّشْدِ، وَاتَّبِعْ مُحَمَّدًا ﷺ فِي كُلِّ مَا قَامَ بِهِ، حَتَّى نَحْيَا مِنْ مَوَاتِنَا، وَنَهْتَدِي مِنْ ضَلَالِنَا، وَنَعُودَ إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ، أُمَّةَ حَقٍّ وَخَيْرٍ، وَأُمَّةَ هُدًى وَرُشْدٍ، لِنَفْسِهَا وَلِغَيْرِهَا، لِلْعَالَمِ كُلِّهِ، فَهَذَا هُوَ شَأْنُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَنَّهَا تَعْمَلُ لِخَيْرِهَا، وَلِخَيْرِ الْعَالَمِينَ.

(١) أُلْقِيَتْ فِي خَتَامِ الْمُؤْتَمَرِ الْعِلْمِيِّ بِعَنْوَانٍ: وَثِيقَةُ الْعُلَمَاءِ فِي ثَوَابِتِ الْإِسْلَامِ، فِي مَدِينَةِ إِسْتَنْبُول، بِتُرْكِيَا، بِرِعَايَةِ الْإِتِّحَادِ الْعَالَمِيِّ لِعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فِي نَوْفَمْبَرِ ٢٠١٧م.

ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربنا لا تزعج قلوبنا
بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة؛ إنك أنت الوهاب.

(أما بعد)

فماذا أستطيع أن أقول في ختام هذا اللقاء، وقد تعب الجميع،
واستعدوا للراحة، وأنا في الحقيقة لا أحب أن أثقل على الناس، أريد أن
أتكلم كلمات قصيرة أيها الإخوة.

نحن أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة محمد ﷺ، نحن مكلفون من الله تبارك
وتعالى بأن ننهض بهذه الأمة، وأن ننهض بالعالم كله من وراء هذه الأمة.

مهمة الأمة:

إن أمة محمد ﷺ ليست أمة جنس من الأجناس، ليست أمة للعرب
دون العجم، ولا أمة للشرقيين دون الغربيين، وإنما هي أمة رسالة، هذه
الأمة الإسلامية تتكوّن من شعوب تجتمع على رسالة، هذه الرسالة هي
عبادة الله وحده، وإقامة العدل في الأرض، وعمارة الأرض، وهذه كلها
مبثوثة في القرآن الكريم، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]،
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ
بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، عبادة الله،
 وإقامة العدل، وعمارة الأرض، هذه كلها هي مهمة الأمة.

إحياء الأمة:

والأمة إنما تحيا بالماديات والروحانيات، لا تحيا بأن تقيم الجانب
المادي من حياتها، وتنسى الجانب الروحي منها، ولا تحيا بأن تقيم

الجانب الروحي من حياتها، وتنسى الجانب المادي منها، الله تعالى هو الذي قال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].
تمشي في الأرض، وتأكل من رزق الله، وسترجع إليه.

على الأمة الإسلامية أن تُنمِّي نفسها لتكون أعظم أمة في الأرض، لا تكون أمة تعيش بخير غيرها، أو بإرشاد غيرها، أو بتحكُّم غيرها فيها، لا؛ فقد جعل الله الأمة الإسلامية سيِّدة في الأرض، فلا تصلح أن تكون تابعة، بل ينبغي أن تكون حاکمة وقائمة على نفسها وعلى غيرها، فلا بدّ للأمة الإسلامية أن تسود في الأرض.

مكايد الغرب للأمة:

لكن للأسف أصبحت أمة محمد ﷺ منذ مدة تابعة لغيرها، أصبحنا نحن المسلمين تابعين للغرب، حتى ما جرى فيما سمّي بالربيع العربي، حينما قامت شعوب بعض البلاد العربية وانتصرت على الظالمين، بقوة الله، وإرادة هذه الشعوب، انتصرت تونس على الظلمة، وانتصرت مصر على الجبّارين في الأرض، وانتصرت ليبيا على الطغاة المفسدين في الأرض.

وكادت اليمن أن تنتصر، وكادت سوريا أن تنتصر؛ لولا أن الغرب الذي يحكم بلادنا من وراء الوراثة تعجّب: كيف يحدث هذا؟ ضاع إذن ما عمله الغرب في سنوات طويلة، فهل يدع هذا يضيع؟ فبدأ يكيد من جديد، ويعمل على إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه، وأخذ يفكر ويخطّط في اللعبة من جديد حتى ذهبت البلاد العربية إلا ما بقي منها من قليل.

ضرورة بذل الجهود في إحياء الأمة:

يا أيُّها الإخوة، لا بدَّ من العمل على تحرير الأمة العربية، لتوحّد الله، وتحرر الإنسان، ولتقيم البناء كما يحب الله تعالى ويرضى، ليشبع الناس من جوع، ويأمن الناس من خوف، هكذا يريد الله تعالى لهذه الأمة.

إنَّ الأمة الإسلامية تحتاج إلى جهود كبيرة لتعود أمةً حقيقيّة كما كانت من قبل، الأمة التي كانت تسيطر على العالم، في أقل من قرن انتشر الإسلام من جزيرة العرب، حتى وصل في آسيا إلى الصين، وسمرقند، والهند، ووصل إلى أوربا، وشمال أفريقيا، كان هناك أربعة قادة أمويين يجوبون العالم في نفس الوقت، من الصين حتى الأندلس، وأصبح المسلمون هم قادة العالم، فلا بدَّ أن نعيد هذه الأمة إلى ما كانت عليه، ولا بدَّ أن يكون هذا هو عهدنا لهذه الأمة.

ونحن نؤيّد ونحيي أخانا رجب الطيب أردوغان الذي يريد أن ينهض بتركيا لتكون أمةً عالمية، لكي تعود تركيا كما كانت سيدة في العالم، لقد كان هناك مَنْ أرادوا أن يخرجوا تركيا من حدود العالمية، ويجعلوها أمةً تابعة تمشي وراء الأمم، ولكن رجب الطيب غيّر ذلك، والشعب التركي يقف معه، فالحاكم مهما كانت قوته لا يستطيع أن يقوم بشيء دون شعبه، فعلينا نحن - أيها الإخوة - أن ننهض بأمّتنا، حتى تكون أمةً قوية بإمكاناتها، لا بإمكانات غيرها، فللأمة إمكانات ربّانية، وإمكانات ذاتية.

واجب الأمة تجاه غيرها:

ثم إنَّ على الأمة لغيرها دينٌ لا بدَّ أن توفيه، فالله تعالى لم يجعل الأمة الإسلامية مكتفية بأن تعيش سعيدة في نفسها، تبني نفسها، وتأكل

من خيرها، وتعيش متمتعة بموفق حياتها ومخزونه، لا، ليست هذه هي الأمة الإسلامية.

الأمة الإسلامية أمة للغير، لا أمة للنفس، أمة مهمتها أن تهدي غيرها، حينما وصفها الله تعالى قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. أخرجها مُخْرِجٌ لنفع الناس، لإسعاد الناس، لتنوير قلوب الناس وعقولهم، لهداية الناس إلى الخير، إلى الرشd، هذه مهمة الأمة الإسلامية، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. فلا تتحقق العبادة والتقوى إلا باتّحاد الأمة، لأنّ أمامها مهمة كبيرة هي إحياء العالم بالإسلام، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. فلا بدّ أن نعمل على إحياء هذه الأمة، حتى تستطيع أن تقوم بهذا الدور العظيم.

وحين قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فإنما لخص رسالته في كلمة واحدة هي «الرحمة»، ولكنها رحمة للعالمين، هكذا بأسلوب القصر: ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. لم يرسلها إلا لتكون رحمة للعالمين، ولا بدّ لهذه الأمة أن تقوم بهذا الدور.

واجب العلماء تجاه الأمة:

وعلى العلماء الذين يحملون رسالة الإسلام أن يكونوا مع هذه الأمة، يرشّدونها، ويضيئون لها الطريق، ويقولون لها: سيري إلى الأمام، لا ترجعي إلى الخلف، لا تلتفتي يميناً وشمالاً، هذا هو الصّراط المستقيم أمامك فسيّر فيه، والله معك. هذا هو واجب علماء الإسلام.

لقد اجتمعنا - أيها الإخوة - في هذه المناسبة، بهذا البلد الطيب، جاء هؤلاء العلماء من بلاد شتى، ليقوموا بأواصر القوة الحقيقية، والعمل الحقيقي لنصرة الإسلام، والإسلام لا يريد أن يقاتل الناس، إنما يريد أن يحييهم، أن تجتمع الأمة على الحق والخير، فعلى العلماء الذين اجتمعوا هنا، والذين يجتمعون في كل العالم الإسلامي، في جمعيات العلم، وجمعيات الخير والبر، وجمعيات الإصلاح، وجمعيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عليهم جميعاً أن يسودوا، وتسود الأمة معهم ووراءهم، وتسير على بركة الله.

نحن - أيها الإخوة - مؤمنون بأن الله تعالى معنا، وأن الله ناصرنا، وأن الحق لا بد أن ينتصر، وأن الباطل لا بد أن يزهق، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الأنعام: ١٨] ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

فسيروا على بركة الله، وثقوا أن الله تعالى معكم، فالمؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً، ضعوا أيديكم في أيدي بعض، وسيروا على بركة الله، وادعوا الله تبارك وتعالى أن يسد خطانا، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يكفين شر الظالمين الذين يقفون لنا بالمرصاد.

نسأل الله تعالى أن يمكّننا منهم، وأن ينصرنا عليهم، وأن يفتح لنا فتحاً مبيناً، اللهم افتح لنا فتحاً مبيناً، واهدنا صراطاً مستقيماً، وانصرنا نصراً عزيزاً، وأتم علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.



اللهم إنا نسألك أن تعزّ الإسلام، وأن تؤيّد المسلمين، وأن تجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، اللهم خذ الجبارين في الأرض، الظالمين للناس، الظالمين للعلماء والدُّعاة والمفكرين، وأهل الخير والإصلاح، خذ هؤلاء المعوّقين المفسدين أخذ عزيز مقتدر، يا قوي يا عزيز، يا رب العالمين، يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين، يا أجود الأجودين.

وصلّ اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



كلمة وداع^(١)

أمام الجمعية العمومية للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّمِ الناس الخير وبشائر الرحمة وهدايات الخلق إلى معالم الحق، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزّروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك في هذه الأمة التي حملت هذه الرسالة إلى القرون، وإلى الحضارات، وإلى الأمم المختلفة، وإلى الشعوب التي تنافرت وتعارفت وتقاتلت، وانتهت إليها بهذه الرسالة العظيمة، التي سمّاها الله تعالى رسالة الرحمة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. انتهت بهذه الرسالة إلى هذا العالم، احتضنت هذه

(١) أُلقيت في افتتاح الدورة الخامسة لاجتماع الجمعية العمومية للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، في إسطنبول، بتاريخ ٣ نوفمبر ٢٠١٨م.

الرسالة، وقدمتها إلى الأمم الكبرى، حتّى أصبحنا نعتبر أنّ الأمة التي تدين بدين له أصول سماوية، وله في الأرض قواعد عملية، وله أناس يجاهدون من أجله، هذه الأمة هي أمة مُحَمَّد ﷺ.

أيّها الإخوة؛ لقد كنتُ أعدتُ كلمات لأقولها، لكنني في الواقع لا أستطيع الآن أن أقرأ، أنا الآن في الثالثة والتسعين من عمري، ولا أستطيع أن أحسن القراءة من الورقة، ولا أستطيع أن أحفظ الأشياء حفظاً متقناً وألقيها على الناس كما حفظتها، ولكنني تعودت أن أحدث الناس من رأسي، وحتى رأسي لم تعد تستطيع الحديث المباشر للناس، ولهذا أحدثكم حديثاً قصيراً بهذه المناسبة.

نحن الآن في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي يقوم بمهمة عظيمة للمسلمين الذين يبلغون الآن نحو اثنين مليار مسلم، وعلماء الإسلام ليسوا هم الذين يلبسون العمام فوق رؤوسهم، بل هم الذين يحملون هذه الأمانة الكبرى التي نزل بها القرآن الكريم في أمة غير متحضرة، غير متعلّمة، فاستطاع أن يُغيّرَها بهذه الرسالة التي حملها إليها علماؤها، حتّى وصلت إلى أنحاء العالم.

وفي خلال هذه الفترة حصلت للأمة أشياء كثيرة، انتصرت في أول أمرها في عهد الصحابة والتابعين، واستطاعت أن تصل إلى جهات الدنيا الأربع، أوصلت قوّادها العظام إلى الشرق والغرب، والشمال والجنوب، فتيقّظ العالم كله برجال الإسلام الأوائل، الذين هيأهم الله ليحملوا هذه الرسالة، فانتشروا من أرض العرب التي لم يكن فيها مثل حدائق بابل، ولا غيرها من حضارات العالم، ذهب هؤلاء الرجال، وهم تلاميذ العلماء الذين حملوا رسالة القرآن المشروح بالسُّنة، المهياً بعلم الصحابة

وتلاميذهم في أنحاء العالم، وأيقظوا هذه الأمة وأرسلوا رجالها، إي والله هؤلاء رجال، كان للأمة في وقت واحد أربعة قادة على رأس أربعة جيوش عظام، كان منهم في بلاد الصين قائد، وفي بلاد الشرق الأخرى قائد آخر، وفي الهند قائد آخر هو محمد بن القاسم بن محمد، وفي أوربا قائد آخر هو موسى بن نصير، ومعه القائد الإفريقي المعروف طارق بن زياد، انطلق هؤلاء الأربعة وحققوا للإسلام في قرن واحد نصرًا عالميًا، وكان هذا من عمل هذا الدين العظيم.

أيها الإخوة؛ لعلّ هذه آخر مرة أتحدث فيها إليكم، ولذلك لا أحب أن أكون في آخر مرة أكره ما أكون إليكم، ولهذا لا أحب أن أطيل عليكم.

تركيا في عهد جديد:

لقد زرت أول مرة تركيا - هذا البلد العظيم - سنة ١٩٦٧م، عندما هُزم العرب أمام إسرائيل، كنا نذهب إلى البلاد العربية، فضاقت بنا البلاد العربية، فجننا إلى تركيا، وكنا نمشي في الشارع فنجد حرًا شديدًا، فنقول: ألا توجد أشجار؟ لماذا لا تزرع هذه الشوارع؟ إلى أن جاء الأخ الكبير رجب الطيب أردوغان، فكان أول من أسس بلدية إسلامية معاصرة بحق في هذا البلد، وفي أشهر معدودة وجدنا الدنيا تغيرت، امتلأت الشوارع بالأشجار، وانتشرت الحافلات التي تنقل الناس من بلد إلى بلد، بدأت حياة جديدة في هذه الديار، وكنا ندعو الله أن يبارك في هذه الديار، وأن تعودَ إلى ما كانت عليه من قبل.

لقد كانت تركيا تقود العالم الإسلامي الذي أصابته مصائبٌ كبرى في تاريخه؛ أخذت منه الراية، وفُرض عليه الجمود، وأصبح الأتراك يُحاربون



في كل مكان، وهم يأبون إلا أن يحاربوا، حتّى إنَّ بعض المؤرخين كتبوا في وقت من الأوقات: إنَّ تاريخ الإسلام يبدأ من هنا. حيث كاد الإسلام أن يضيع، لولا أن هؤلاء الأتراك حملوا الراية، وما قام به السلاجقة من فتوح أمر معروف في التاريخ، فهم الذين قاوموا الصليبيين أول ما جاؤوا، وقام عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، ثم تسلّم الراية منه صلاح الدين الأيوبي، واستمر السلاجقة في بلاد شتّى، إلى أن سلّموا الراية إلى أبنائهم، أبناء عثمان، فقد كان من أبناء السلاجقة أيضًا، فكانوا تاريخًا مهمًّا في امتداد حركة الإسلام.

ولذلك حينما يقوم هذا البلد الإسلامي العظيم من جديد بعد أن انتكس، الذي حمل راية الإسلام من جديد وفتح بها بلادًا في أوروبا، ونحن الآن في إستانبول، وهي مدينة أوربية من فتوح الأتراك المسلمين، الذين حملوا رسالة الإسلام، حتّى تركوها أخيرًا، ثم أراد الله أن تعود مرة أخرى، وسوف تعود راية الإسلام من جديد في غيرها من البلاد مرة أخرى أيها الإخوة.

لقد نصرَ الله ﷻ الإسلام في الفترة الأخيرة، ونصر أخانا الحبيب المجاهد الزاهد رجب الطيب أردوغان الذي حمل هذه الراية للعالمين، ولم يكن عنده مال، ولا عنده رجال، حين جئت إلى تركيا سنة ١٩٦٧م كان الدولار يساوي ١١ ليرة تركية، وأخذت الليرة تنهار أمام الدولار، حتّى جاء الإخوة الجدد من الأتراك ليهزّوا الأمة الإسلامية من جديد، ليعودوا بها إلى حيث استعادت تركيا رجولتها وقوّتها، حتّى حاول أولئك الذين لا يحبون لهذه الأمة أن تعود أُمَّة كبرى كما كانت أن يكيدوا لها، والغرب يقف من ورائهم، فهو يعرف هؤلاء الكائدين ومن وراءهم، كاد هؤلاء للإخوة وأوشكوا أن ينتصروا، لولا أن الله مع هؤلاء

الإخوة، أردوغان وإخوانه، فالله تعالى هو الذي شدَّ أزرهم، وهو الذي كتب نصرهم، وهو الذي أنقذهم من شرور الآخرين، ونصر الله أردوغان، وسينصر أبداً أردوغان ما دام المسلمون الصادقون في كل مكان من حوله، فالصادقون هم الذين نصروا أردوغان، ونصروا تركيا، وينصرون كل مَنْ يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

تخاذل العرب:

من أجل هذا جئنا - أيها الإخوة - إلى تركيا، لنضع يدنا في يد إخواننا، للأسف العرب الذين حملوا الإسلام أولاً أضاعوا الإسلام آخرًا، أضاعوه في بلادهم، وأضاعوه في غير بلادهم.

جمال خاشقجي:

تصوّروا السعودية تحمل اسمًا عربيًا، ولكن أن تحمل الاسم وتكون ضده، وتعمل فيما يذهب به، هذا لا يجوز، أخذ العلماء الصادقون واعتقلوا، الشيخ سلمان العودة، والشيخ علي العمري، وغيرهم، لا يتحدث عنهم أحد، ولا يعرف عنهم أحد شيئًا، لماذا؟ لأن كثيرًا منهم كان مع الشيخ القرضاوي! وظلّوا إلى اليوم يتحملون، مع أنّهم لم يقولوا لهم: سقطتم أمام هذا الرجل الصادق الذي أبى أن يخرج عنهم، وظل يعمل معهم كما تقول التقارير المختلفة، ومنها ما نُشر في قطر، ومنها ما نُشر في السعودية، ولكنهم أبوا إلا أن يقاتلوا هذا الرجل وكل مَنْ على شاكلته، أعني جمال خاشقجي الذي ذهب إلى أوروبا واتّخذ منها ما يعينه، وقال: أنا لست معارضًا.

ولكن كيف يكون هناك رجل لا يأتمر بأمرهم؟ لا بدّ أن يُقتل الرجل! وقد عملوا ما عملوا، صوّروه وهو ذاهب إلى القنصلية السعودية مع المرأة التي أراد أن يتزوجها من بنات تركيا، فخاف أن يسجنوه فقال

لها: انتظري. لم يكن يظن أنهم يريدون أن يقتلوه، دخل القنصلية ولكن الناس كانوا يضمرون له الشر، كان قد جهّزوا أنفسهم بأناس مخصوصين لقتله، وكما بيّنت الأجهزة هنا أنهم خنقوه بالسّم أولاً، ثم قتلوه، ونقلوه مع الآخرين إلى حيث واروه، وأصرّ إخواننا هنا أن يقفوا ضد هذا، ويجب أن يصروا، وكل المسلمين معهم، وكل الحاضرين معهم، وكل أصحاب العزائم معهم، وإن شاء الله سينتصر أردوغان، وسينتصر المسلمون، وسينتصر هذا التيار الإسلامي العظيم الذي يقوده أبناء هذا البلد.

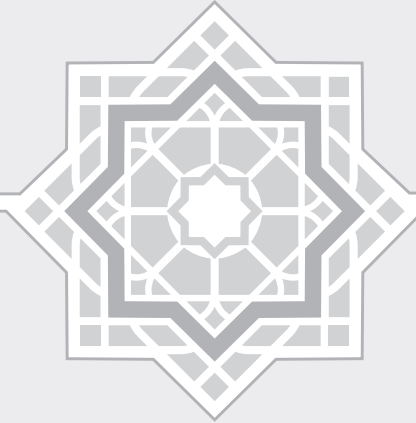
حديث مودّع:

أنا لا أريد أن أقول أكثر من ذلك، ولكنها تحية إليكم أيها الإخوة في آخر مرة لي، أنا جئت في العام الماضي وقلت للأخ عصام البشير، وبعض إخوانه: هذه آخر مرة لي، وفي المرة القادمة أسلم الراية لإخوتي في هذا المؤتمر للاتحاد العالمي، وكذلك في مؤتمر أخينا الشيخ حسين حلاوة في المجلس الأوربي، وأقول للجميع: ربي وربكم الله، الله معنا ومعكم، لن يضيّعنا الله أبداً، الله ﷻ هو الذي نصر المسلمين قديماً، وسينصر المسلمين حديثاً، وسينصر المسلمين فيما بعد، وسينصر المسلمين حتّى تقوم الساعة، فسنظل نورث الراية إلى العالمين إن شاء الله.

وفقكم الله أيها الإخوة، وجزاكم خيراً، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.







فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	٣٠٨
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٢٨٥
سورة البقرة		
﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ﴾	٢٧	٥٣٠
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	٥٧٠
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	٣١	٢٥٣
﴿أَبَى وَأَسْتَكْبَرُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	٣٤	٣٠٢
﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	٣٥	٢٩٤
﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	٣٧	٣٠٢
﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	٤٦	٢٠٠
﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأْتُمْ﴾	٦١	٤٥١
﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾	١٠٦	١٧٥، ١٦٧، ١٦٦
﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾	١٠٨	١٦٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾	١١٤	٤٤٩
﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	١٢٧	١١٢
﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا ﴾	١٤٢	١٦٧
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾	١٤٣	٤٦٨، ٥٦٨، ٥٧٢، ٥٨٢، ٦٠٧
﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾	١٥٤	٦٩، ٣٥٤، ٥٣٧
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾	١٦٥	٤١٢
﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلِ بِبِ ﴾	١٧٩	٥٣١
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ ﴾	١٨٠	١٧٢
﴿ يَتَّيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾	١٨٣	١٧٠، ٤٥٦
﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾	١٨٤	١٧٠، ١٧١
﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾	١٨٥	٣٣، ١٧٠، ٢٤٩، ٣٤٠
﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾	١٨٧	١٢١
﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا ﴾	١٩٠	١٦٧، ١٧٧
﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾	١٩١	٤٦٥
﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٩٥	٤٥٨
﴿ يَتَّيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾	٢٠٨	١٧٣، ٤٦٤
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾	٢١٤	٢٧٣
﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾	٢١٧	٤٦٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾	٢١٩	١٦٤، ١٧١، ٢٠٢
﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ ﴾	٢٢٠	٣٣
﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾	٢٢٢	٢٥٠
﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾	٢٥٦	١٦٨، ٤٦٥
﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾	٢٥٧	٣٩٩، ٦٩
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾	٢٥٨	٣٩٩
﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾	٢٦٩	٣٩٠
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾	٢٧٨	١١، ١٦١
﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾	٢٧٩	١١، ١٦١
﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ﴾	٢٨٢	١٢٥
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	٢٨٦	٤٢١
سورة آل عمران		
﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾	٧	١٦٠
﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾	٢٦	٣٧٠
﴿ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾	٢٧	٣٧٠
﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾	٣٣	٣١٩
﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾	٤٢	١٢٤
﴿ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾	٥٠	١٦٧
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٦٤	٣٨٥، ٤٥٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٧٣	٨٠
﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	٧٤	٨٠
﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾	٧٩	٥٨٩
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	١٠٢	٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٣
﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾	١٠٣	١٤٣، ٢٦٨، ٣٤٣، ٤١٨، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٧، ٥١٢، ٤٥٩
﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	١٠٤	٣٩٠، ٤١٨، ٤٢٧، ٥٨٢، ٤٢٨
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾	١٠٥	٤، ٣٥٧، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٦١، ٥١٢
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	١١٠	٤٦٨، ٥٦٨، ٥٨٢، ٦٠٧
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	١٢٣	٣١١
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾	١٣٠	١٤، ٣٢، ١٦٠، ١٦١
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾	١٣٤	٣٤٠، ٣٦١
﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾	١٤٠	٣٥٤، ٤٨٣، ٥٠٤، ٥٣٧
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾	١٤٤	٢٦٩
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾	١٤٧	١١٧
﴿فَعَانَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٤٨	٧٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنفَضُوا ﴾	١٥٩	٤٣٨ ، ٤٠١ ، ٧٢
﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	٢٨٠ ، ٢٢٤
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾	١٦٩	٥٠٤
﴿ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾	١٧٠	٣٥٤
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾	١٨٥	١٢٨
﴿ وَإِن تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	١٨٦	٤٢٠
﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ ﴾	١٩٥	٢٩٤
﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾	٢٠٠	٥٤٤ ، ٤٨٨
سورة النساء		
﴿ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾	١١	١٢٥
﴿ وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِّسَائِكَ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ ﴾	١٥	١٢٦
﴿ فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْكَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ ﴾	٢٥	١٧٦
﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾	٢٨	٢٤٩
﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾	٣١	٤٢
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ ﴾	٣٥	٣٥٦
﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾	٣٦	٤٦٣
﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾	٤٣	٢٠٢ ، ١٧١
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾	٥٨	٤٠٥ ، ٣٦١ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥
﴿ فَإِن نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾	٥٩	٥٢٤ ، ٥١٧ ، ٤٤٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾	٨٣	٤٤٥
﴿فَإِنْ أَعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْنِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ﴾	٩٠	١٥٣ ، ١٧٣
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾	١٠٥ - ١٠٨	٣٧٦ ، ٤٩٦
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾	١١٤	٣٥٦
﴿وَإِنْ أَمْرَاهُ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾	١٢٨	٣٥٦
﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾	١٣١	٤١٩
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾	١٣٥	٥٥٧
﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٣٨	٢٨٢
﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٣٩	٢٨٢
﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظُّنِّ﴾	١٥٧	٢٠٠
سورة المائدة		
﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾	١	١٨٦
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	٢	٢٥٠ ، ٥١٥ ، ٥٨٤
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾	٣	٢٢٥ ، ٢٨١ ، ٤٩٤
﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾	٤	٤٧٦
﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾	٦	٢٣٨
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾	٨	٥٥٧
﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾	١٣	١٦٧
﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	١١٢ ، ٣٠٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوَاءَ أَخِيهِ ﴾	٣١	٤٧٦ ، ٢٧١
﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا ﴾	٣٢	٥٢٦ ، ٤ ٥٦١ ، ٥٣٥
﴿ فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	٣٨	١٦١
﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	٥٠	٨٧
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾	٥١	١٣٨
﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ﴾	٥٤	٤١٢ ، ١٣٩
﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾	٩٠	١٧١ ، ١٦٣
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾	٩١	٣٥٨
﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾	١٠١	٢٠٢
سورة الأنعام		
﴿ قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾	١٤	٤٩٤
﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	٤٤	٣٧٠
﴿ فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٤٥	٣٧٠
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾	٨٢	٦٨
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾	٨٩	٣٩٢ ، ٢٠٨
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾	٩٠	٣٩٢
﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ﴾	٩٣	٢٠٠
﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾	١١٤	٤٩٤
﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾	١٢٢	٦٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾	١٤٤	١٨٦
﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾	١٥٢	٥٥٧، ٤٥٨
﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٥٥	٩٥
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾	١٦٣، ١٦٢	٣٢٠
﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾	١٦٤	٤٩٤
سورة الأعراف		
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٢٣	٣٠٢
﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾	٢٩	٤٩٥، ٤٠٥، ٣٦١
﴿يَبْنَئِي ءَادَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾	٣١	٤٩٥
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾	٣٢	٥٨٥، ٤٩٥
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	٣٣	١٦٤
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	٤٧٤
﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾	٦٥	٤٢٦
﴿وَالِإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾	٧٣	٤٢٦
﴿وَالِإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾	٨٥	٤٢٦، ٣٨٥
﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾	١٢٩	٥٧٠
﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَابِ﴾	١٥٠	٤٤
﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾	١٥٧	١٢٤
﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ﴾	١٦٩	١١٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾	١٧٥	٥٩٠
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾	١٧٦	٥٩٠
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	٣٢٢، ٢٠٨
﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾	١٩٦	٣٠٦
سورة الأنفال		
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ	١	٣٥٥
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾	١٧	٣١١
﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾	٢٤	٦٧
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾	٣٠	١٠٥
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾	٤١	٣١١، ١٩٤
﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا﴾	٤٢	٣١١
﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنفُسُكُمْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	٤٦	٥١٢، ٤٦١
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾	٦٠	٤٢١، ٣١٣، ٢٩٨
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاِجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٦١	٤٦٤، ١٧٣
﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	٤٩٠، ٢٦٨، ٢٣
﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٦٣	٤٩٠، ٢٦٨، ٢٣
﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾	٦٥	٤٥٥
﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾	٦٦	٤٥٥، ١٧٢
﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبٌ لَمِنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ﴾	٧٠	٤٧٤، ٣٥٤
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾	٧٣	١٥١، ٢١



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التوبة		
﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾	٣	٣٣٩
﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾	٤	١٧٤
﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ﴾	٥	١٧٣
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾	٦	١٧٤
﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾	٧	١٧٤
﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾	١٩	٢٤٥
﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرَهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٣١	٢٨٤
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾	٣٢	٧٣، ٦٤، ٣٧ ٢٩٩، ١٠٥ ٤٩١، ٣٩٧ ٥٤٠، ٥٠٧
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾	٣٣	١٩٦، ٧٣، ٦٤ ٤٢٩، ٣٥٠ ٥٤٠، ٥٠٧
﴿وَقَتِّلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً﴾	٣٦	١٧٣
﴿فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	٣٨	٩٧
﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾	٤٣	٢١١
﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	١٠٥	٤٦٧، ٤٥٥
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾	١١١	٥٠٠، ٦٢
﴿وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾	١٢١	٤٤٨، ٢٧٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يونس		
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾	٢٣	٥٥٥
﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾	٣٦	٢٠٠
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾	٣٩	٤٤٣
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٤٤	١٦٨
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾	٥٨	٣٧٢، ٣٣٩، ٧٨
﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٦٢	٦٨
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	٦٣	٦٨
﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	٦٤	٧٩
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾	٩٩	٤٦٥، ١٦٨
سورة هود		
﴿أَحْكَمْتَ ءَايَتَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	١٥٦
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾	٦	٤٧٤
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٧	٤٥٧
﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَانِني رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾	٢٨	٤٦٥، ١٦٨
﴿وَبِذَلِكَ عَادٌ جَعَلُوا بَنَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	٥٩	٤٠٠
﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾	٦٠	٤٠٠
﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	٦١	٦٠٥، ٦٠٤، ٥٧١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾	٧٣	١٨٨
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴾	٧٥	١١٩
﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾	٨٨	٧٨
﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾	١٠٢	٣٧٢، ٣٩٧، ٥٦٤
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾	١٠٦	٢٢١
﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾	١٠٧	٢٢١
﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾	١٠٨	٢٢١
﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	١١٢	٤٠٧
﴿ وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾	١١٣	٤٠٧
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾	١١٨	٣٨٧
﴿ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾	١١٩	٣٨٧
سورة يوسف		
﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾	٢١	٤٥١
﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾	٥٥	٤٢٢، ٤٥١
﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾	٥٦	٤٢٢
﴿ وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾	٧٢	١٥٩
﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾	٨٩ - ٩٢	٣٥٩، ٤٢٠، ٤٢٢
﴿ قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾	٩٠	٤٢٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾	٩٩	٤٥١
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾	١٠٨	٤٢٨ ، ٧٠
سورة الرعد		
﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾	١٧	٦٠٨ ، ٥٢٨ ، ٣٨٣
﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ﴾	٢٥	٥١١
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨	٦٨
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	٢٧٤ ، ١٧٩ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	٣٢ - ٣٣	٥٧١
﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾	٣٤	١٤٤
﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ﴾	٣٧	٤٥١
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٢٨٦ ، ١٨١ ، ١٥٦
﴿نَبِيٍّ عِبَادِي آتَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	٤٩	٥٨٦
﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾	٥٠	٥٨٦
سورة النحل		
﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾	٣١	١٦٣
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ ابْعُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	٣٦	١٦٤
﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	٤٤٥ ، ١٩١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾	٤٤	١٥٧، ١٨٠
﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾	٥٣	٧٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	٣٦١، ٤٠٥، ٤٩٥
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾	٩٢	٥١١
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	٩٧	٦٧
﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	١٠٥	٥٥٨
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾	١٢٥	٧٠، ٧١، ١٦٧، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٢٨، ٤٥٧، ٥١٤
﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾	١٢٧	٥٤٠
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	١٢٨	٤٥٨، ٥٤٠
سورة الإسراء		
﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	١	٢٩٤
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتَا﴾	٨	٤٨١
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	٩	٢٧٠
﴿أَقْرَأْ كَتَبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	١٤	٤٢٣، ٥٨٦
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	٢٣	٤٦٣
﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	٣٢	١٦٤
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	٣٨٣، ٥٢٨، ٦٠٨
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٢	٦٠٨
﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	١٤٢، ٢٧١، ٤٧٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الكهف		
﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٧	٤٥٧
﴿ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ﴾	١٣	٣١٩
﴿ وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	٤٩	١٦٨
سورة مريم		
﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾	٤	٨٣
﴿ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴾	٢٠	٢٣٩
﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾	٤١	٣١٩
﴿ يَتَابَعَتْنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾	٤٣	٢٥٧
﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾	٥١	٣١٩
﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾	٥٦	٣١٩
﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾	٦٣	٤٢٠
﴿ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا ﴾	٧٢	٤٢٠
﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾	٧٦	١١١، ١٠٢
سورة طه		
﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾	٦١	٥٥٨
﴿ ءَامَنْتُ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾	٧١	١٧٨
﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾	٩٤	٤٤
﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾	١١٤	٤٧٧، ٢٧١، ١٤٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَكَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾	١٢٠	١٨٤
﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى * ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾	١٢١، ١٢٢	١٨٤، ٣٠٢
﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾	١٢٣	٦٩
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾	١٢٤	٦٩
سورة الأنبياء		
﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	٢٣	٣٧٠
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	٢٥	٢٨٤
﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾	٣٥	٥٩١، ٥١١
﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَمُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾	٩٢	٤٢٤، ٣٤٢، ٤٠٩، ٤٥٩، ٥٦٤، ٥٨٢، ٥٦٨، ٦٠٧
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٣٤٩، ٣٠٧، ٢٨٩، ٣٦٢، ٣٨٤، ٤٠٨، ٥١٦، ٦٠٧، ٦١٠
سورة الحج		
﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾	٣٠	١٦٤
﴿وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِّنْ يِّنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٤٠	٣٥٠، ٢٩٨، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٩٠، ٤٨٩، ٤٨٨
﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾	٤١	٣٦٢، ٣٧١، ٣٩٠، ٤٨٩
﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	٧٨	٢٤٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ ۖ﴾	٢٣	٣٨٤
﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾	٥٢	٤٢٤، ٣٤٢، ٤٠٩، ٤٥٩، ٥٨٢، ٥٦٨، ٦٠٧
﴿يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾	٦٠	١١٣
سورة النور		
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾	٢	١٧٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	١١	٣٥٨
﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾	٢٢	٣٥٩، ١٥٣، ٨٥
﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾	٣٠	١٢٥
﴿وَلْيَضْحَكُوا خِيفَةً عَلَيَّ يَوْمَئِذٍ﴾	٣١	١٢٤
﴿فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ﴾	٣٦	٤٤٩
﴿كَرَّابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾	٣٩	١٣٨
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾	٥١	٣٨٩
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٣٠٧، ٢٨٩
﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾	٤٢	٥٤٤
﴿فَسَقَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾	٥٩	٤٤٥، ١٩١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء		
﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾	٨٤	٣١٩
﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبُوءَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿	١٠٦، ١٠٥	٣٨٤
﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿	١٢٤، ١٢٣	٤٢٦، ٣٨٤
﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿	١٤٢، ١٤١	٤٢٦، ٣٨٤
﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿	١٦١	٤٢٦، ٣٨٤
﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿	١٧٧، ١٧٦	٤٢٦، ٣٨٤
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	٣٥٥
سورة النمل		
﴿فَبَسَمَ صَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾	١٩	٧٦
﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يُقِينُ﴾	٢٢	٤٧٦، ٢٧١، ١٤٢
﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾	٢٣	٤٠٠
﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾	٢٤	٤٠٠
﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْملُوكُ إِنِّي الْفُقَى إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴿	٢٩ - ٣٢	٤٠٠
﴿نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾	٣٣	٤٠٠
﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾	٣٤	٤٠٠
﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٤٤	٤٠١
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾	٥٢	٤٠٦
سورة القصص		
﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾	٤	١٥٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَلَّمْنَاهُ فِي الْغِيَابِ ﴾	٧	١٢٤
﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾	١٥	٤٣
﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾	١٧	٧٩
﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الزَّكَاةُ وَأَبُو نَاسِيخٌ كَبِيرٌ ﴾	٢٣	٢٥١
﴿ يَتَابَتِ أَسْتَجْرَةٌ إِنَّا خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجْرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾	٢٦	٢٥١
﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾	٢٩	١٨٨
﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾	٣٨	٣٩٩
سورة العنكبوت		
﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِيَةً هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾	٤٦	٣٨٥ ، ٧١
﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	٦٣	٤٠٢
سورة الروم		
﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * نِصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ ﴾	٥ ، ٤	٣٧٢
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾	٢١	١٢١
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٧	٥٤٠ ، ١٠٦
﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾	٥٤	٨٣
سورة لقمان		
﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذِكُّكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾	١٤	٤٦٣
سورة الأحزاب		
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ﴾	٢١	٣٥٩
﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾	٢٣	٤٨٣ ، ٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾	٢٥	٢٨٨، ٣٠٨، ٤٦٤
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	٣٣	١٨٨
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ﴾	٣٥	٣٨٣
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾	٣٦	١٦٥، ٣٨٩
﴿وَنُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَنَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ نَخْشَهُ﴾	٣٧	٢١١
﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾	٣٩	٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٨
سورة فاطر		
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	١٠	٢٨٢
﴿وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾	١٤	١٩١، ٤٤٥
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٢٨	٤٧٣
﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾	٤٣	٥٥٥
سورة الصافات		
﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾	١٧٣، ١٧٢	٣٧٢، ٤٨٩، ٥٤٧
﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾	١٨٠ - ١٨٢	٩٦، ٢٧٩
سورة ص		
﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾	٦	٥٤٤
سورة الزمر		
﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾	١٧	١٦٤، ٤٥٧
﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	١٨	٤٥٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴿	٣٠، ٣١	١٢٩
﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾	٣٤	١٦٣
﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾	٥٥	٤٥٧
سورة خافر		
﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	٣٥	٤٦٨
﴿ يَنْقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾	٣٨	٢٥٧
﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾	٤٦	٢٠٠
﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾	٥١	١٠٦
﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾	٥٢	١٠٦
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٥٧	٤٠٢
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٥٩	٤٠٢
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾	٦١	٤٠٢
سورة فصلت		
﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾	١٠	٥٧٤
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	٤٤٨، ٤٧٣
﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	١٥٦
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾	٤٦	١٦٨
سورة الشورى		
﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ﴾	٢٢	١٦٣
﴿ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَبِيرَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾	٣٧	١٦٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣٨	٤٣٨
﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾	٤٠	٣٦١
سورة الزخرف		
﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾	٥١	٤٥١
﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾	٥٤ - ٥٦	٤٠٠
﴿وَإِنَّهُ، لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا﴾	٦١	٣٣٥
﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾	٦٧	٢٢٥
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾	٨٠	٥٥٥
سورة الأحقاف		
﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ، فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾	١١	٤٤٣
﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾	١٥	١١٢، ٢٦٧
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾	١٦	١١٢
سورة محمد		
﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾	٤ - ٦	٣٥٤، ٥٣٧
﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾	٥	٥٣٧
﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصَرُّوْا اللَّهُ يَضِرْكُم وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	٧	٢٩٨، ٤٨٨
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾	١١	٣٠٦
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآعِلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْكَمَ أَعْمَلَكُمْ﴾	٣٥	٢٩٨
سورة الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾	١	٣٠٨، ٤٦٤



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾	٤	٦٨
﴿فَمَنْ نَكَّثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾	١٠	٥٥٤ ، ٤٨٩ ، ٤٩١
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾	١٨	٣٥٤
﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	١٩	٣٥٤
﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾	٢٦	٣٥٥
سورة الحجرات		
﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾	٩	٣٥٦
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٠	٣٥٦ ، ١٤٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٥١١
﴿يَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	١١	٥٥٥
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾	١٢	٥١٠
﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾	١٣	٤٤٥ ، ٤٢٦ ، ٣٤٢
﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾	١٧	٢٦٨ ، ٨٧
سورة ق		
﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨	٥٥٥ ، ٥٢٥
﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾	٣٤ - ٣٥	١٦٣
سورة الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٦٠٤ ، ٥٧٠ ، ٦٩
سورة النجم		
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	٣ ، ٤	٢١١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾	٢٣	٢٠٠
﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾	٢٨	٢٠٠
﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَيْدَ الْإِنَّمِ وَالْفَوْحِشِ إِلَّا اللَّهُ﴾	٣٢	١٦٤
﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾	٤٥	١٢٦
سورة الرحمن		
﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾	٧ - ٩	٣٤٩، ٣٢٥، ٩١
سورة الحديد		
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٣	١١٦
﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾	٧	٥٧١
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾	٢٥	٤٩، ٥٠، ١٩٦، ٣٦١، ٣٧٧، ٤٩٦، ٥٧٧، ٦٠٤
﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾	٢٧	٥٧٢
سورة المجادلة		
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾	١	٣٩١، ٥١٤
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾	١٢	١٧٢
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٢١	٣٧٢، ٤٨٩
سورة الحشر		
﴿كَئِى لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾	٧	٥٧٦
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	١٠	٨٥، ٣٥٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الممتحنة		
﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾	٨	١٥٣، ١٧٣ ٤٦٣، ٤٠٥
﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾	٩	١٥٣
﴿وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾	١٢	٥٣٤
سورة الصف		
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٢	٤٦٨
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٣	٤٦٨
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوسٍ﴾	٤	٣٤٣، ٤٦٢ ٥٨٣، ٥١٩، ٤٩٠
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾	٩	٤٩١
سورة الجمعة		
﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾	٥	٥٩٠
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾	١٠	٢٥٠
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	٢٨٢، ٤٨٢
﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١١	٤٧٤، ٥٦٢
سورة التغابن		
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	٤٢١، ٤٢٢
سورة الطلاق		
﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾	١	٤١٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾	٣، ٢	٤٢٠
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾	٤	٤٢٠
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ * وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾	٥	٤٢٠
﴿لِنُعَلِّمُوا أَنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾	١٢	١٧٤، ٦٩
سورة التحريم		
﴿لِمَنْ حَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾	١	٢١١
﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٨	١١٧
سورة الملك		
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٤٥٧
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ * وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾	١٥	٦٠٥، ٥٧١
سورة القلم		
﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	٥٨
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٤٩٨، ٢٨٧، ٢٧٢
سورة الحاقة		
﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾	٣٣ - ٣٤	١٠
سورة المعارج		
﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾	٥	١٦٧
سورة نوح		
﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٤	٤٧٤
﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾	٢٥	٢٠٠

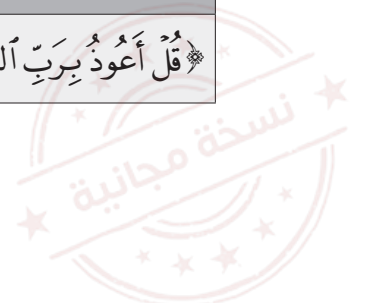


الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المزمل		
﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾	١٠	١٦٧
سورة المدثر		
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ۚ	٤٢ - ٤٤	٩
سورة الإنسان		
﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٨	١٦٦
سورة النبأ		
﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۚ لِلطَّاعِنِينَ مَنَاقِبًا ۚ لِّلْبَاقِيَاتِ فِيهَا أَحْقَابًا ۚ	٢١ - ٣٠	١١٤ ، ١٠٣
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۚ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۚ وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا ۚ وَكَأْسَادٍ هَاقًا ۚ	٣١ - ٣٦	١١٥ ، ١٠٣
سورة النازعات		
﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾	٢٤	٣٩٩
﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۚ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾	٣٧ - ٤١	١١٥ ، ١٠٣
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۚ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾	١ ، ٢	٢١١
﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ۚ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۚ	٣٣ - ٣٧	١١٥
﴿وُجُوهُ يُؤْمِدُ مُسْفِرَةٌ ۚ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۚ وَوُجُوهُ يُؤْمِدُ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾	٣٨ - ٤٢	١١٥ ، ١٠٣
سورة التكويد		
﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۚ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ﴾	٨ ، ٩	١٨٦
سورة الانفطار		
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۚ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۚ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾	١٣ - ١٥	١١٦ ، ١١٥ ، ١٠٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المطففين		
﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾	٧	١٠٣
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾	٢٢	١٠٣
سورة الانشقاق		
﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ، يَمِينَهُ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا سِيرًا﴾	٧ - ١٥	١١٥، ١٠٣
سورة الطارق		
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾	١٥، ١٦	١٠٥
سورة الفجر		
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۖ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۖ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ﴾	٦ - ١٤	٣٦٣
﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾	١٧ - ٢٠	١٠، ٨
سورة البلد		
﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۖ فَكُ رَقَبَةً﴾	١١ - ١٧	٨
سورة الليل		
﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾	٨ - ١١	٩
﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۖ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾	١٨ - ٢١	٩
سورة العلق		
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	١	٥٧
﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾	٤	٥٨
﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۖ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَىٰ﴾	٦، ٧	٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القدر		
﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾	٣	١٦٢
﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾	٥	١٦٢
سورة الزلزلة		
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	٧	٥٨٦، ٤٢٣
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾	٨	٥٨٦، ٤٢٣
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	١ - ٣	٤١١، ٢٧٩ ٤١٩، ٤١٢
سورة قريش		
﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ * إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾	١ - ٤	٤٠٦
سورة الماعون		
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾	١ - ٧	٩
سورة الكوثر		
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾	٢	٣٤١
سورة المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾	١ - ٤	١٦٠
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾	١ - ٣	٣٠٨







فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



الحدث	رقم الصفحة
أ	
آمين آمين آمين. قال: أتاني جبريل ! ، فقال: يا مُحَمَّد	١٠٩ ، ١٠١
الأئمة من قُرَيْش	٢١٨
اتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ	٤٠٢
أتريد أن تميتها موتتين؟ هَلَّا أهددت شفرتك قبل أن تضجعها؟	٤٥٧ ، ٤٥٦
أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ يَا أَسَامَةَ؟ إِنَّمَا هَلِك مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ	١٦١
أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعَ	١٩٣
اثنان تحاببا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه	٢٢٥
اجتنبوا السبع الموبقات وعدَّ منها: الربا	١٢
إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجر، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر	٤٧٧ ، ٢٩١
إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله	٢٨٥
إذا سألتُم الله الجنة فاسألوه الفردوس؛ فإنه أعلى الجنان، وفوقه عرش الرحمن	٤٥٨
إذا فتحت مصر، فاستوصوا بالقبط خيرا، فإن لهم ذمة ورحمًا	٤٥٢
إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها	٥٧٣

رقم الصفحة	الحديث
٢١	إِذْنُ يُعْقَرُ جَوَادُكَ، وَيُهْرَاقُ دَمُكَ
١٩٢	اذْهَبْ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ الثَّقَفِيِّ؛ فَإِنَّهُ يَتَطَبَّبُ
٩٩	أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ
٤٠٨	ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ
٤٢	الْإِسْلَامُ أَنْ تَصْلِيَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟
٢٨٣	أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ
٢٠٨	أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيْهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ
١٧٧	اغْدُ يَا أَنْيْسُ إِلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمُهَا
٣٤٠	أَغْنَوْهُمْ عَنِ السُّؤَالِ فِي هَذَا الْيَوْمِ
٣٥٨	أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى
٥٤٥	أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ
٤٧٤	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ
١٨٦	أَلْبَانُ الْبَقَرِ شِفَاءٌ وَلَحُومُهَا دَاءٌ
٤٥٢	اللَّهُ اللَّهُ فِي قِبْطِ مِصْرَ، احْفَظُوا لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ سَيَكُونُوا لَكُمْ عُدَّةً وَعَوْنًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٦٧	اللَّهُمَّ أَصْلَحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلَحْ لِي دُنْيَايَ
٢٥٣	اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
١٥٧	اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ
١٥٧	اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ
٣٤٠	أَمَّا غَنِيُّكُمْ فَيُزَكِّيهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَمَّا فَقِيرُكُمْ فَيُزَكِّيهِ اللَّهُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِمَّا أُعْطِيَ
٢٧٥	أَمْرُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ يُتَعَلَّمَ اللُّغَةَ السَّرْيَانِيَّةَ



رقم الصفحة	الحديث
٢٨٨	إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ
٢٠٢	إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُزْأً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ فُحْرَمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ
٧٣	إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ
٤٥٦	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ
٤٧٤	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ
٣٩٧، ٣٧٢	إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتِهِ
٤٣٦، ٣٢٣	إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا
٧٣	إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ
١٩١	إِنَّ لِبَدْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
٧٦	إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ. قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ
٥	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا
٥٥٣	أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ
٤٤١	أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ
٢٢	أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ
١٣٥، ١٣٤	أَنْتُمْ يَوْمُئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ
١٢٦	انْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا
٤٥١	إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذَكَّرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ. وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ
٥١٦، ٣٤٩، ٧٣	إِنَّمَا أَنَا رَحِمَةٌ مُهْدَاةٌ
٤٩٧، ٢٧٢	إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
٢٤٩، ٤٥	إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ

رقم الصفحة	الحديث
٤٤٢	إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تَوَاحِذُونِي بِالظَّنِّ، أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِشَأْنِ دُنْيَاكُمْ
٢٥٣	أَهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تُهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
٤٠٨	أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ
٥١٠	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ
٥٥٧	إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ
٩٠	أَيَّامُ الصَّبْرِ، الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ
٤١١، ٢٤٥	الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسُتُونٌ - أَوْ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - شُعْبَةٌ، أَعْلَاهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٣٥٧	أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟
٣٤٢	أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ
١٩٢	أَيُّهُمَا أَطْبُ؟ فَقَالُوا: هَذَا. فَأَمَرَهُ بِالتَّطْيِيبِ
ب	
٨٣	بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ
١٩٥	بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
١٧٦	الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَالثَّيْبُ بِالثَّيْبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَرَجْمٌ بِالْحِجَارَةِ
ت	
٤٢٠، ٣٠٣، ٤٧٣	التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا
٧٩	تِلْكَ عَاجِلُ بَشَرِ الْمُؤْمِنِ
٢١٨	تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ لَتَرَدَّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ
ث	
١٨٦	ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ
٣٩٨	ثَلَاثَةٌ لَا تَرْتَفِعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ شَبْرًا: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ



الحديث	رقم الصفحة
ح	
حُبُّ الدنيا وكرهية الموت	٦٣
حتى يعلم يهود أن في ديننا فُسحة، وأنِّي بُعثت بحنيفية سمحة	٣٣٩
حديث الثَّقَلَيْنِ	١٨٨
حديث الخمسة أصحاب الكساء	١٨٨
الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وجعلنا مُسْلِمِينَ	٣٠٦، ٢٨٣
خ	
خشيتُ أن تُفرض عليكم	٢٠٢
خلق الله رَجُلًا التُّرْبَةُ يومَ السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد	١٨٧
خيرُ أُمَرَائِكُم الَّذِينَ تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ	٣٩٩
خيرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ	٥٨٩
د	
دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي: الحالقة	٥٠٩، ٣٥٣، ٥
دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل	٥٢٦
ر	
رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها	٥٤٤
رجم ماعزًا والغامدية	١٧٧
رجم يهوديين	١٧٧
س	
السمع والطاعة حق على المرء المسلم؛ فيما أحب وكره	٥٣٤، ٥١٧

الحديث	رقم الصفحة
ش	
شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع	١٣
شَرَّقُوا وَغَرَّبُوا. فِي الْقِبْلَةِ	١٩٢
الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة	١٧٤
ص	
صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ	٤٧٦
صلاة الكسوف صلاتها الرسول ﷺ أربع ركوعات	١٨٧
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان	٩٩
ض	
ضحى رسول الله ﷺ عن نسائه بالبقر	١٨٦
ط	
طعامٌ طُعِمَ وشفاءٌ سُقِمَ	١٩٠
طلب العلم فريضة على كل مسلم	١٢٣
ع	
عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ شَابٍّ لَا صَبِوةَ لَهُ	٣٨١
العلماء ورثة الأنبياء	٢٧٠
عليكم بالإثم؛ فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ	١٩١
عليكم بما عرفتم من سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ	٢١٢
ف	
فاستوصوا بهم خيرًا، فَإِنَّهُمْ قُوَّةٌ لَكُمْ، وَبِلاغٌ إِلَى عَدُوِّكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ	٤٥٢
فمن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ	١٠٠



الحديث	رقم الصفحة
ك	
كان خُلِقَ القرآن	٩٥، ٢٧٢، ٤٩٨
كذَّبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك	٨٤
كل مُسْكِرٍ خمرٌ، وكل خمر حرامٌ	١٦٣
كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ الْحَرْبُ، وَحَمِيَ الْوَطِيسُ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ	٢٨٩
ل	
لا تجتمع أمتي على ضلالة	٢٠٨
لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٤٦١، ٥١٢
لا ترجعوا بعدي كفارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض	٤٢٤، ٥٢٥
لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق	٢٠٨، ٣٢٢
لا تسبوا الشيطان، وتعوذوا بالله من شره	٢٩
لا تقل: تعس الشيطان. فإنك إذا قلت: تعس الشيطان. تضحّم وانتفخ	٢٩
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	١٢٢
لا تنتقب المحرمة، ولا تلبس القفازين	١٢٧
لا رهبانية ولا تبطل ولا سياحة في الإسلام	٥٧١، ٥٧٢
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	٥١٧، ٥٣٤
لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ - أَوْ لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ - وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي	١١٣
لا يشكر الله من لا يشكر الناس	٧٧، ٣٢٠
لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه	٥٢٥
لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حق	٥٢٦، ٥٦١

رقم الصفحة	الحديث
٤٤١	لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم
١١	لعن آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه
٣٣٩	للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه
٤٤٠، ٤٠٢، ٢٢٢	لو اتَّفَقْتُمَا على رأيٍ ما خالفتكما
٢٩٤	لو خصصتم هذا الباب للنساء
١٨٤	لولا بنو إسرائيل لم يَخْنَزِ اللحمُ، ولولا حوَّاء لم تَحْنُ أنثى زوجها
٣٥٧	ليس بكذاب مَنْ أصلح بين اثنين فيقول خيرًا أو يَنْمِي خيرًا
م	
٥١٠، ١٩١	ما أنزل الله داءً إِلَّا أنزل له شفاءً، علمه مَنْ علمه، وجهله مَنْ جهله
٤٢	ما خَيْرَ بين أمرين إِلَّا اختار أيسرهما
١٤١	ما من غازية تغزو في سبيل الله، فيُصيبون غنيمةً، إِلَّا تعَجَّلُوا ثُلْثِي أَجرهم
١٣٣	ما يدريك؛ لعلَّ الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم
٤٢٥، ٥	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه
٥٥	المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم
١٩٤	مَنْ أحيأ أرضاً ميتة فهي له
٥	من استعاذ بالله فأعيزوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه
٧٧	من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له
٢٤٢	من اقتبس شُعبَةً من النجوم فقد اقتبس شُعبَةً من السَّحر، زاد ما زاد
١٩٠	مَنْ تَصَبَّحَ بسبعِ تَمَرَاتِ عجوة
١٩٢	مَنْ تَطَبَّبَ ولم يُعلم عنه طبٌّ فهو ضامن
١٣٢	من سأل الله الشهادة بصدقٍ، بَلَغَهُ الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه



رقم الصفحة	الحديث
٤٢	من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فليَنظُرْ إلى هذا
١١٠	من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه
٣٢٠، ٧٧	من صنّع إليه معروفٌ؛ فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا. فقد أبلغ في الثناء
١٠٠	من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه
٥٤٢، ١٠٠	من قام ليلة القدرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه
١٩٤	مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ
١٩٨	مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ
٥٢٥	من كره من أميره شيئًا فليصبر؛ فإن من مات على مفارقة السلطان شبرًا
٤٠٨	مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ
١١٠	من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه
٢٧١	منهومان لا يشبعان: منهومٌ في العلم لا يشبع منه
٧٢	مهلاً يا عائشة! إن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله
٥٤٤	المؤمن بين خمس شدائد: بين مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه
٣٤٣، ٥١٢، ٤٦٢، ٤٩٠، ٥٧٣، ٥٨٣	المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا
ن	
١٩٣	نزل ﷺ في هذا المكان وقضى فيه حاجته
١٢٧	النساء شقائق الرجال
٣٠٤	نعم. قلتُ: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن
٣٠٨	نعم هو فتح

الحديث	رقم الصفحة
هـ	
هذا جبريلُ أتاكم يُعلِّمكم دينكم	٢٢٦
هي من قدر الله	١٩١
و	
الوائدة والموءودة في النار	١٨٥
والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَوْمِنُوا، وَلَا تَوْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا	٤١٣
والأنبياء لم يُورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم	٢٧٠
ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدّم من ذنبه	١١١
ي	
يا ابن جهمان، عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم	٤٠٢
يا أهل مكّة، ما تظنّون أنّي فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا	٣٦٠
يا عبدَ الله، يا مسلمٌ، هذا يهوديٌّ ورائي، فتعالَ فاقتله	٣٥
يأتي على الناس زمان لا يبقى أحدٌ إلا أكل الربا، ومن لم يأكله أصابه من غباره	١٢
يحب الدُّبَاء	١٩٣
يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين	٩١، ٢٧٠، ٣٢٣
يَسْرًا وَلَا تُعْصِرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفَرًا، وَتَطَاوَعًا وَلَا تَخْتَلَفًا	٤٥
يَسْرُوا وَلَا تُعْصِرُوا، وَبَشْرُوا وَلَا تُنْفَرُوا	٤٥، ٢٤٩
يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ	٣١٤
يَوَدُّ الْمَرْءُ لَوْ نَفِدَ اللَّيَالِي	٩٨

فهرس الموضوعات

- ❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤
- ❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥
- ❖ ١- أضواء على الاقتصاد الإسلامي ٧
- الجانب الاقتصادي في الصراع الأيديولوجي ٨
- الاهتمام بالجانب الاقتصادي في القرآن الكريم ٨
- فريضة الحرض على إطعام المسكين ٩
- مبادئ اقتصادية إسلامية ١٠
- تهاون المسلمين في هذه المبادئ الإسلامية ١٢
- تطور الفكر الإسلامي المعاصر ١٣
- المرحلة الأولى مرحلة الانبهار بهذه الحضارة ١٣
- المرحلة الثانية مرحلة التبرير ١٤
- مرحلة إثبات الذات ١٤
- اهتمام الكتابات الاقتصادية بقضية الربا ١٥
- رجال الاقتصاد أشد حماسا من رجال الفقه ١٦
- مرحلة إيجاد البدائل النظرية ١٦
- مرحلة إيجاد البدائل الواقعية ١٧

- ❖ ٢ - وداع الشهيد عبد الله عزّام ١٩
- الجهاد في فلسطين وأفغانستان ١٩
- نموذج يذكرنا بالسلف الصالح ٢٠
- فضل الشهادة ومكانة الشهداء ٢١
- حاجة المسلمين إلى علماء ربانيين ٢١
- العمل لنصرة الإسلام ٢٢
- شهادتنا له بالصلاح والصدق ٢٢
- ❖ ٣ - لقاء وحوار بندوق «الاثنيّة» ٢٤
- موقفي من المدح والثناء ٢٥
- من دواعي السرور بالاثنيّة ٢٧
- (١) تكريم الإسلاميين ٢٧
- (٢) مقاومة الهدم بالبناء ٢٨
- إجاباتي عن أسئلة الجمهور ٣٠
- مصطلح الأصوليّة ٣٠
- فوائد البنوك ٣١
- دلائل الانسحاب اليهودي من غزّة ٣٤
- الصحوة الإسلاميّة ٣٧
- حول كتابي (الحلال والحرام في الإسلام) ٤١
- مركز بحوث السُّنة والسيرة النبويّة ٤٥
- موقف الأمة تجاه البحوث والكشف العلميّة ٤٧
- تقاسم الربح والخسارة ٥٢



❖ ٤ - مناصرة قضايا المسلمين ٥٤

- ٥٤ كل قضايا المسلمين هي قضايانا
- ٥٥ أمة الإسلام أمة واحدة
- ٥٦ غياب الأنظمة الحاكمة عن قضايا المسلمين
- ٥٧ قضية الأمية
- ٥٨ محاولات تنصير المسلمين
- ٥٩ الإنفاق في الحج والعمرة وترك مساعدة المسلمين
- ٦٠ فقه الأولويات
- ٦٢ الأمة بها خير كثير
- ٦٣ لا بد أن تعود الأمة من جديد

❖ ٥ - كلمة الشيخ القرضاوي في مؤتمر الإسلام دين حياة ٦٥

- ٦٦ الكيد للصحة الإسلامية
- ٦٧ الإسلام دين توازن
- ٦٧ الحياة الطيبة
- ٦٨ سر السعادة
- ٦٩ أحياء لكنهم أموات!
- ٧٠ حياة الإيمان
- ٧٠ وجادلهم بالتي هي أحسن
- ٧١ الحوار مع المخالفين
- ٧٢ إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله

❖ ٦ - كلمة فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي

- ٧٥ في حفل تكريمه بجائزة الشخصية الإسلامية في دبي
- ٧٨ شعوري عقب إعلان الجائزة
- ٧٩ أيها الإخوة الكرام
- ٨١ أذكر فضل كل ذي فضل
- ٨٣ أدعو للفئة التي تشوش على مسيرتي
- ٨٦ أشواك محبة في الطريق
- ٨٨ مصارحة
- ٨٩ ما قدّمناه لديننا أقل من القليل
- ٩٠ تكريم لتيار الوسطية
- ٩٣ على أن لهذا التيار معالم أخرى أساسية يتميز بها كذلك، أهمها
- ٩٤ حقيقتان أو كدهما

❖ ٧ - كلمة وداعاً رمضان (١) ٩٧

- ٩٧ كل ما له بداية له نهاية
- ٩٧ انقضاء العمر
- ٩٨ التزوّد من فرص الخيرات
- ١٠٠ التزوّد من شهر رمضان
- ١٠١ دوام الطاعة بعد رمضان
- ١٠٢ طريقان، فأيهما تختار؟
- ١٠٤ الهجوم على الأمة الإسلامية
- ١٠٥ الثقة في نصر الله
- ١٠٦ القيام بواجب النصر



❖ ٨ - كلمة وداعاً رمضان ١٠٩

اغتنام الخيرات ١٠٩

تضييع الفرص ١٠٩

عظمة المثوبة خير حافظ ١١٠

علامة قبول الطاعات ١١١

انشغال المؤمن بالقبول ١١٢

فرق بين المؤمن والمنافق ١١٣

طريقان وفريقان ١١٤

اختر لنفسك ١١٥

❖ ٩ - مؤتمر تحرير المرأة في الإسلام ١١٨

❖ ١٠ - وداع القائد الفلسطيني ياسر عرفات ١٢٨

بلغ الكتاب أجله ١٢٨

قائد تاريخي مهما اختلف معه المختلفون ١٢٩

الجدور الإسلامية لحركة فتح ١٣٠

عرفته مدرباً للمتطوعين في معسكر الطلاب ١٣٠

بين آداب الإسلام وقسوة العسكرية ١٣١

كفاح ونضال ١٣٢

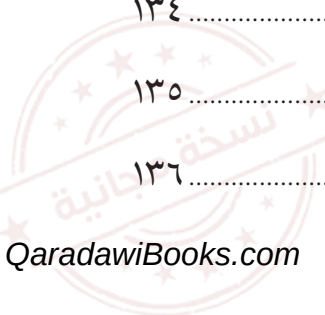
نرجو أن تغفر له سوابقه وإن أخطأ ١٣٢

الرجل عمل في ظروف سيئة ١٣٣

أمة في مرحلة الغناء ١٣٤

العجز العربي والوهن الإسلامي ١٣٥

الغياب العالمي وتفرد القوة الأمريكية ١٣٦



- لا نبرر الاستسلام والاستخذاء ١٣٧
- التحذير من أن تمزيق الصف الفلسطيني ١٣٧
- نضج الفصائل الفلسطينية الآن ١٣٨
- ❖ ١١ - أضواء على مسيرتي العلميّة ١٤٠
- الثناء والتكريم لا يخدعني عن نفسي ١٤٠
- أنا جندي من طلبة العلم ١٤٢
- هموم الجيل ١٤٣
- رعاية أقاربي لي ١٤٤
- حفظي للقرآن ١٤٥
- فُطِرْتُ على النقد والمناقشة ١٤٥
- تحزّري من جميع أشكال التعصب ١٤٧
- تحرري من إرضاء الناس ١٤٨
- لا انشغل بالخصومات ١٤٩
- الاهتمام بالكليّات ١٥١
- أفتخر بتلاميذي ١٥٢
- أرجو مسامحتي ١٥٢
- الدعاء بنيل الشهادة ١٥٣
- ❖ ١٢ - القرآن الكريم مصدرًا للتشريع ١٥٥
- دليل الأدلّة ١٥٦
- الإسراف في القول بالنسخ ١٦٥
- الآية الكونيّة ١٦٦
- علل مانعة من النسخ ١٦٧



- التضييق في القول بالنسخ ١٦٩
- تدرُّج لا نسخ ١٧١
- آية السيف ١٧٣
- الاختلاف في تعيين آية السيف ١٧٣
- نسخ القرآن بالسُّنة ١٧٤
- جهاد الطلب ١٧٧
- ❖ ١٣ - السُّنة النبويَّة مصدرًا للتشريع ١٨٠
- أحاديث الآحاد ١٨٦
- السُّنة التشريعيَّة وغير التشريعيَّة ١٨٩
- اختلاف المعاصرين في تخريج الأحاديث ١٩٥
- المتواتر والآحاد ١٩٧
- تعارض حديث آحاد مع مقاصد الشريعة ١٩٩
- حديث الآحاد في مجال العقائد ١٩٩
- حديث الآحاد في مجال التحليل والتحريم ٢٠١
- الأحناف والحديث ٢٠٣
- المالكيَّة والحديث ٢٠٥
- الأصوليون والحديث ٢٠٨
- ❖ ١٤ - الإجماع مصدرًا للتشريع ٢١٠
- ❖ ١٥ - مدارس الأصوليِّين في القديم والحديث ٢٢٤
- صلة علم أصول الفقه بالعلوم الإنسانيَّة ٢٣٩
- الأحكام التكليفيَّة والأحكام الوضعيَّة ٢٤٤
- شرع من قبلنا وشرع من معنا ٢٥١



❖ ١٦ - الوسطية والاجتهاد ٢٥٢

❖ ١٧ - رابطة تلاميذ القرضاوي ٢٦٧

رابطة تلاميذ القرضاوي ٢٦٨

رابطة إسلامية ٢٦٩

رابطة علمية ٢٧٠

رابطة أخلاقية ٢٧٢

رابطة دعوية ٢٧٣

رابطة عالمية ٢٧٥

شكر واجب ٢٧٦

❖ ١٨ - الاعتزاز بالإسلام ٢٨٠

الاعتزاز بالإسلام ٢٨١

عزة الإسلام قوة نفسية للمسلم ٢٨٣

الإسلام دين التوحيد الخالص ٢٨٤

قوة ارتباط المسلم بربه ٢٨٥

القرآن الوثيقة الإلهية الصحيحة ٢٨٦

الاعتزاز بالنبي مُحَمَّد ﷺ ٢٨٧

من واجبات المسلم ٢٨٩

صلاة المرأة في المسجد ٢٩٠

❖ ١٩ - مشاركة المرأة والتذكير بقضية القدس ٢٩٣

بعضكم من بعض ٢٩٣

النساء في عهد النبي ﷺ ٢٩٤

قضية المسجد الأقصى ٢٩٥



- ٢٩٦..... تزيف التاريخ
- ٢٩٧..... ضعف الأمة الإسلامية
- ٢٩٧..... امتحان الأمة
- ٢٩٨..... واجب الأمة
- ٢٩٨..... إن تنصروا الله ينصركم
- ٣٠٠..... ٢٠ - أهمية تكوين العلماء لإحياء الأمة
- ٣٠١..... عدم الغرور أو الإعجاب بالنفس
- ٣٠٣..... أهمية الإخلاص
- ٣٠٣..... دور العلماء الربانيين
- ٣٠٤..... ثبات العلماء على الحق
- ٣٠٥..... الاعتزاز بالإسلام
- ٣٠٦..... أهمية تكوين العلماء
- ٣٠٧..... مكانة العلماء
- ٣١٠..... ٢١ - التطبيع مع الكيان الصهيوني
- ٣١٠..... يوم القدس
- ٣١١..... زيارة المسجد الأقصى تحت الاحتلال
- ٣١٢..... تحرير المسجد الأقصى لا زيارته
- ٣١٣..... مقاومة المحتل لا تطبيع العلاقات
- ٣١٤..... حق الشعب الفلسطيني
- ٣١٥..... لا لكسر الحاجز النفسي
- ٣١٦..... التمسك بالحقوق
- ٣١٦..... قضية الوعي



❖ ٢٢ - في حفل تكريم الدكتور محمد عمارة ٣١٨

٣١٩ تكريم الرموز سُنَّة إسلاميَّة

٣٢١ قلَّة احتفاء الإسلاميين بعلمائهم

٣٢٢ تكريم الرموز في حياتهم

٣٢٤ محمد عمارة مجدد وسطي

٣٢٥ محمد عمارة عالم موسوعي

٣٢٦ من الاعتذار والتبرير إلى المواجهة والهجوم

٣٢٧ محمد عمارة بحر زخَّار

٣٢٨ محمد عمارة مدافعًا عن الإسلام

٣٢٨ قارئ متقن من الطراز الأول

٣٢٩ قضية الفتنة الطائفية

٣٣١ قضية التنصير

٣٣٢ فشل محاولات التنصير

٣٣٢ محمد عمارة مدافع شديد الصبر

٣٣٣ اختلافي مع الدكتور محمد عمارة

٣٣٣ شدة التقارب بيني وبين عمارة

٣٣٤ الاجتهاد في القطعيات

٣٣٥ ضبط مصطلح العلمانية

❖ ٢٣ - كلمة إلى الأمة في عيد الأضحى المبارك ٣٣٧

٣٣٧ تهنئة الأمة بعيد الأضحى المبارك

٣٣٨ المعاني الإيمانية لشعائر الإسلام

٣٣٨ ربط أعياد المسلمين بشعائر كبرى



- ٣٣٩..... مشروعية اللهو المباح في الأعياد
- ٣٤٠..... المعاني الإنسانية في العيد
- ٣٤١..... كيف يفرح المسلمون اليوم؟
- ٣٤١..... تفرق الأمة هو سبب ضعفها وهوانها
- ٣٤٢..... العبادات توحد الأمة وتزيل الفوارق
- ٣٤٣..... واقع المسلمين اليوم
- ٣٤٤..... نور الدين محمود يأبى أن يتسم
- ٣٤٥..... تخلف الأمة عن حضارة عصرها
- ٣٤٥..... التخلف ليس شيئاً ذاتياً في أمتنا
- ٣٤٦..... تعادي الشعوب بسبب مباراة
- ٣٤٦..... مقارنة واقع اليوم بعراقه الأمس
- ٣٤٨..... آثار المسلمين في الصين
- ٣٤٨..... الأمة الإسلامية تحتاج من يحرك طاقاتها
- ❖ ٢٤ - الإنصاف والمصالحة..... ٣٥١
- ٣٥٢..... زيارة ليبيا ودواعيها
- ٣٥٤..... نترحم على شهداء ليبيا
- ٣٥٥..... شعب عزيز
- ٣٥٥..... تحقيق التصالح والتسامح
- ٣٦٠..... تحقيق العدل
- ٣٦١..... تحقيق الرحمة
- ❖ ٢٥ - ليبيا في عهد جديد..... ٣٦٤
- ٣٦٥..... سيرة عمر المختار

- نشأة الحركة الإسلامية المعاصرة في ليبيا ٣٦٥
- انقلاب القذافي على الملك السنوسي ٣٦٦
- مشاركتي في ندوة التشريع الإسلامي ٣٦٦
- جائزة البنك الإسلامي للتنمية ٣٦٨
- دعوة القذافي عام ٢٠٠٨م ٣٦٨
- زيارتي بعد الثورة ٣٧٠
- عدم استفادة الليبيين من ثروات بلادهم ٣٧٠
- نصر الثورة الليبية ٣٧١
- مجتمع متصالح متسامح ٣٧٣
- من عصر الثورة إلى عصر الدولة ٣٧٤
- حقوق الشهداء والمصابين ٣٧٥
- مواقف عادلة ٣٧٥
- نريد أن ينتصر الحق ٣٧٧
- ليبيا الجديدة ٣٧٨
- ❖ ٢٦ - مصر الثورة وثقافة التعايش ٣٨٠
- شباب الأزهر ٣٨١
- ثورة مصر ٣٨١
- مرور سنة على ثورة مصر ٣٨٢
- دور المرأة ٣٨٣
- ثورة الجميع ٣٨٣
- الأخوة الوطنية ومقتضيات التعايش ٣٨٤
- حقوق غير المسلمين في المجتمع المسلم ٣٨٦



- ٣٨٧ سماحة الإسلام
- ٣٨٧ الاختلاف لا يعني العداوة
- ٣٨٨ الأخوة الإسلامية ومقتضيات التعايش
- ٣٨٩ كلمة إلى شباب الأزهر
- ٣٩١ التزود من العلم الأصل
- ٣٩٢ أمة الرحمة والهداية

❖ ٢٧ - معالم الدولة في تونس الثورة ٣٩٤

- ٣٩٥ أحبُّ تونس
- ٣٩٦ شعب مسلم
- ٣٩٦ حياة كريمة
- ٣٩٧ ستنتصر سوريا
- ٣٩٨ دولة ديمقراطية إسلامية
- ٣٩٨ بين الإمامة في الصلاة والإمامة الكبرى
- ٣٩٩ ذم الطغاة والفراعنة
- ٤٠٠ ذم أعوان الفراعنة
- ٤٠٠ مدح القرآن ملكة سبأ
- ٤٠١ مشاورة النبي أصحابه
- ٤٠١ الديمقراطية ضد حكم الفرد
- ٤٠٢ الأخذ بالأكثرية
- ٤٠٣ التمسك بالديمقراطية
- ٤٠٣ نريد تونس دولة ديمقراطية
- ٤٠٤ نريد تونس دولة إسلامية



٤٠٤ تحقيق الحريات

٤٠٥ تحقيق العدل

٤٠٥ العدل للجميع

٤٠٦ الظلم يجلب الخراب

٤٠٦ تحقيق الغنى والرخاء والأمن

٤٠٨ تحقيق الرحمة

٤٠٩ تحقيق التكافل الاجتماعي

٤١٠ معالم الفلاح في سورة العصر

٤١٢ إشاعة المحبة

٤١٣ تصحيح المفاهيم

٤١٦ ❖ ٢٨ - وصايا قرآنيّة

٤١٦ لقاءات ودلالات

٤١٧ وصايا قرآنيّة

٤١٨ نداء جماعة المؤمنين

٤١٩ طلب التقوى

٤٢٠ ثمار التقوى

٤٢٠ أصل التقوى

٤٢١ حقيقة التقوى

٤٢١ ضابط التقوى

٤٢٢ أثر التقوى

٤٢٣ هناك أناس لا يخشون الله

٤٢٣ من عاش على الإسلام مات عليه



- ٤٢٤ الاعتصام بالإسلام
- ٤٢٤ الوحدة ونبد الفرقة
- ٤٢٥ الأخوة الإسلامية
- ٤٢٦ الأخوة القوميّة والوطنية
- ٤٢٧ كل الأمة داعية إلى الخير
- ٤٢٨ الأمة مطالبة بالدعوة إلى الله
- ٤٢٨ تونس إسلامية
- ٤٢٩ انتصار الإسلام
- ٤٣٠ تمسك المسلمين بدينهم
- ٤٣٢ ❖ ٢٩ - نحو تجديد الفقه السياسي في الإسلام
- ٤٣٢ تونس بالأمس
- ٤٣٣ تونس اليوم
- ٤٣٤ ثورة تونس للجميع
- ٤٣٥ الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
- ٤٣٦ تجديد الفقه السياسي في الإسلامي
- ٤٣٦ مشروعية التجديد
- ٤٣٧ معنى التجديد
- ٤٣٧ معالم تجديد الفقه السياسي
- ٤٣٧ (١) جمع النصوص ومقارنتها
- ٤٣٨ تجديد الشورى
- ٤٤٠ (٢) الاستفادة من الدراسات العالمية
- ٤٤٠ الأخذ بالأكثرية العددية



- ٤٤١.....منتجات التجربة الديمقراطية
- ٤٤٣.....تراث عريق
- ٤٤٣.....النظام الرئاسي والبرلماني
- ٤٤٤.....سعدت بزيارة تونس
- ٤٤٤.....التعاون على بناء تونس
- ٤٤٧.....❖ ٣٠ - مصر ومعركة الوحدة والبناء
- ٤٤٨.....كلمة شكر
- ٤٤٨.....دعوة كريمة
- ٤٤٩.....منعي من الحديث العام
- ٤٥٠.....فترة إقامتي في المحلة الكبرى
- ٤٥٠.....مصر في القرآن والسنة
- ٤٥٣.....الوحدة والائتلاف
- ٤٥٤.....كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة
- ٤٥٥.....الانشغال بالعمل
- ٤٥٥.....مضاعفة العمل
- ٤٥٦.....إتقان العمل
- ٤٥٧.....العمل الأحسن
- ٤٥٨.....مرحلة البناء
- ٤٦٠.....العقول المهاجرة
- ٤٦١.....الاتحاد ونبذ الفرقة
- ٤٦٢.....معركة البناء
- ٤٦٣.....تهنئة الإخوة المسيحيين



- الإسلام رسالة سلام ٤٦٣
- تقرير الحرية ومنع الفتنة ٤٦٥
- التعصب والتسامح ٤٦٦
- معاً نبني مصر ٤٦٧
- العمل.. العمل ٤٦٧
- ❖ ٣١ - لقاء مع الدعاة ٤٧٠
- سروري بهذا اللقاء ٤٧١
- أهميّة الدعاة ٤٧٢
- شجاعة الدعاة ٤٧٣
- ثقافة الدعاة ٤٧٥
- تميّز العلم الأصيل من الدخيل ٤٧٧
- ❖ ٣٢ - في مهرجان «دماء الشهداء مداد العلماء» ٤٧٩
- زيارة طالما تمنّيتها ٤٧٩
- غزّة الأبيّة الصامدة ٤٨٠
- ليس لليهود حقّ في فلسطين ٤٨٠
- ❖ ٣٣ - معاً من أجل فلسطين.. كلمات في الدعوة والجهاد ٤٩٢
- معاً من أجل الإسلام ٤٩٣
- أولاً: الدعوة إلى الإسلام العظيم ٤٩٤
- دين التوحيد ٤٩٤
- دين الرحابة والسعة ٤٩٤
- دين العدل ٤٩٥
- رسالة أخلاقية ٤٩٧

- ٤٩٨ ثانياً: الوحدة والجهاد
- ٤٩٩ قضية فلسطين
- ٥٠٠ فلسطين الواحدة
- ٥٠١ الحق والقوة
- ٥٠٢ أعدل قضايا الأمة
- ٥٠٣ المسجد الأقصى في خطر
- ٥٠٤ عودة الحق الفلسطيني
- ٥٠٤ أمة الإسلام أمة كبيرة
- ٥٠٥ زيارة قديمة
- ٥٠٥ تعاون الأمة وتكاتفها
- ٥٠٨ ❖ ٣٤ - كلمة لكل المصريين في ٣٠ يونيو
- ٥٠٨ انقسام المصريين إلى فريقين
- ٥٠٩ لماذا هذه العداوة والبغضاء؟
- ٥١٠ ما أنزل الله داء إلا وله دواء
- ٥١٠ سوء الظن وأثره السيئ
- ٥١١ لا نريد أن نهدم ما بنيناه
- ٥١١ مكانة مصر بين الأمم
- ٥١٢ التحذير من الفرقة
- ٥١٣ تصويب الخطأ حق مكفول
- ٥١٣ مكانة شباب الثورة
- ٥١٤ أهمية الحوار للخروج من الأزمات
- ٥١٤ لا بد ألا نسمح بوجود المخربين
- ٥١٥ الحلول إنَّما تأتي بالتدريج



- يجب أن تكون هناك فرصة للمراجعة ٥١٥
- أمة واحدة.. على صراط واحد ٥١٦
- حقوق ولي الأمر المسلم ٥١٧
- خطورة الانقلاب على الرئيس المنتخب ٥١٨
- طريق التغيير الآمن ٥١٨
- تعالوا إلى كلمة سواء ٥١٩

❖ ٣٥ - ردًا على دعوة السيسي المصريين لتفويضه ٥٢١

- كلمتي إلى المصريين ٥٢١
- صاحب السلطة الحقيقي في مصر ٥٢٢
- لا أريد جزاء ولا شكورا ٥٢٢
- الرافضون للظلم ليسوا إرهابيين ٥٢٣
- الاعتداء على المعتصمين السلميين ٥٢٣
- لا ينبغي للمصريين أن يتقاتلوا ٥٢٤
- الاحتكام إلى الشرع والشرعية ٥٢٤
- عودة المؤسسات المنتخبة ٥٢٥
- نداء إلى الضباط والجنود ٥٢٦
- تحريض أبناء الشعب ضد إخوانهم ٥٢٧
- ضياع مكتسبات الثورة ٥٢٧
- أدعو المصريين إلى التكاتف والتعاون ٥٢٨

❖ ٣٦ - كلمة للمصريين بعد مجزرة المنصة ٥٢٩

- إلى قائد الانقلاب عبد الفتاح السيسي ٥٢٩
- عزل الرئيس وإلغاء الدستور ٥٣٠



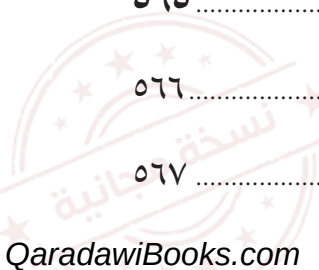
- ٥٣١ مجازر متكررة
- ٥٣٢ لماذا قُتل هؤلاء؟
- ٥٣٣ إلى رجال الجيش والشرطة
- ٥٣٤ إلى شيخ الأزهر وعلماء الأزهر
- ٥٣٥ إلى نقابات مصر
- ٥٣٦ نداء للمؤسسات الإقليمية والعالمية
- ٥٣٦ نداء إلى العالم الإسلامي
- ٥٣٧ نداء لأحرار العالم
- ٥٣٧ عزيمة المعتصمين الصادقة
- ٥٣٧ دعوة المصريين لمؤازرة إخوانهم المعتصمين
- ٥٣٩ إلى حكام العرب والمسلمين
- ٥٣٩ الدعاء على الظالمين

❖ ٣٧ - كلمة إلى المعتصمين في الميادين في ليلة القدر ٥٤١

- ٥٤٢ ثواب الصيام والقيام والرباط
- ٥٤٢ أي ليلة هي ليلة القدر؟
- ٥٤٣ الأمر بالصبر والمصابرة والمرابطة
- ٥٤٤ معنى الرباط
- ٥٤٥ المعتصمون في الميادين لهم أجر الرباط
- ٥٤٦ حرمة قتل النفس بغير حق
- ٥٤٧ لا تزال أمتنا بخير
- ٥٤٧ هؤلاء يبذلون ويصبرون ابتغاء مرضاة الله
- ٥٤٧ الفرحة بالثورة لم تكتمل



- ٥٤٨ سرقة الثورة عيانا
- ٥٤٩ زعم كاذب وادعاء باطل
- ٥٥٠ رسالة إلى المعتصمين في الميادين
- ٥٥١ رسالة إلى المصريين
- ٥٥٢ رسالة للمسلمين في أنحاء العالم
- ٥٥٤ رسالة إلى العالم الغربي
- ٥٥٥ خطورة الإعلاميين الفاسدين
- ٥٥٦ ضرورة تقديم العون للمعتصمين
- ٥٥٦ انتشار الفساد بين القضاة
- ٥٥٧ اعدلوا هو أقرب للتقوى
- ٥٥٩ ❖ ٣٨ - كلمة في أعقاب مجزرة رابعة والنهضة
- ٥٥٩ مجازر النظام العسكري المصري
- ٥٦٠ انقلاب غير مقبول
- ٥٦٠ نظام يفرض نفسه بالقوة
- ٥٦٢ دعوة المصريين للتضامن مع الضحايا
- ٥٦٣ نقطة سوداء في عهد مظلم
- ٥٦٣ دعوة الهيئات الإقليمية والعالمية لمساندة الحق
- ٥٦٤ الدعاء على الظالمين المتكبرين
- ٥٦٥ ❖ ٣٩ - واقعنا المعاصر.. كيف نفهمه ونعيشه؟
- ٥٦٦ لا بدّ للحقّ أن ينتصر
- ٥٦٧ كيف يعرف الإنسان واقعه؟





- واقع الأمة الإسلامية ٥٦٨
- الواقع العالمي المعاصر ٥٧٠
- مقاصد خلق الإنسان ٥٧٠
- عمارة الأرض ٥٧١
- توازن الإسلام ٥٧٢
- الواقع ليس قطعة أرض جغرافية فقط ٥٧٣
- إنَّما المؤمنون إخوة ٥٧٤
- كيف تكون خيرات الأمة لأبنائها؟ ٥٧٤
- انتفاع الأمة بعلمها ٥٧٥
- عودة شاملة إلى الإسلام ٥٧٦
- أمة الإسلام تمتلك مصادر القوة ٥٧٧
- من يعمل ضد أمته ٥٧٨
- ❖ ٤٠ - مهمة العلماء تجاه الأمة ٥٨٠
- لا تزال أمتنا بخير ٥٨١
- الأمة الكبرى ٥٨٢
- تقليل عدد الأمة ٥٨٢
- نظرات في الوحدة ٥٨٤
- إقامة الأمة على الإسلام الحق ٥٨٤
- طببات الحياة ٥٨٥
- كل نفس بما كسبت رهينة ٥٨٦
- حقيقة الإسلام ٥٨٦



- ٥٨٧ إحياء الأمة
- ٥٨٨ الإسلام الشامل
- ٥٨٩ العلم والعمل
- ٥٩١ التربية الصحيحة
- ٥٩١ لن تخلو الأمة من مصلحين
- ٥٩٢ أمتنا لن تموت
- ٥٩٣ الثورة السوريّة
- ٥٩٤ لا بدّ أن نحمل الأمانة
- ٥٩٥ ذكريات وعبر من حياتي
- ٥٩٥ حياة الضنك والضيق
- ٥٩٥ التعليم الأوّلي
- ٥٩٦ الدراسة في الأزهر
- ٥٩٨ مع الإخوان
- ٥٩٩ من ذكريات السجن
- ٦٠٠ الله يهيئ الأسباب
- ٦٠٣ ❖ ٤١ - إحياء الأمة الإسلاميّة
- ٦٠٤ مهمّة الأمة
- ٦٠٤ إحياء الأمة
- ٦٠٥ مكاييد الغرب للأمة
- ٦٠٦ ضرورة بذل الجهود في إحياء الأمة
- ٦٠٦ واجب الأمة تجاه غيرها
- ٦٠٧ واجب العلماء تجاه الأمة



❖ ٤٢ - كلمة وداع أمام الجمعية العمومية للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ... ٦١٠

٦١٢ تركيا في عهد جديد

٦١٤ تخاذل العرب

٦١٤ جمال خاشقجي

٦١٥ حديث مؤدّع

• فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٦١٩

• فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٦٤٩

• فهرس الموضوعات ٦٥٩

* * *



